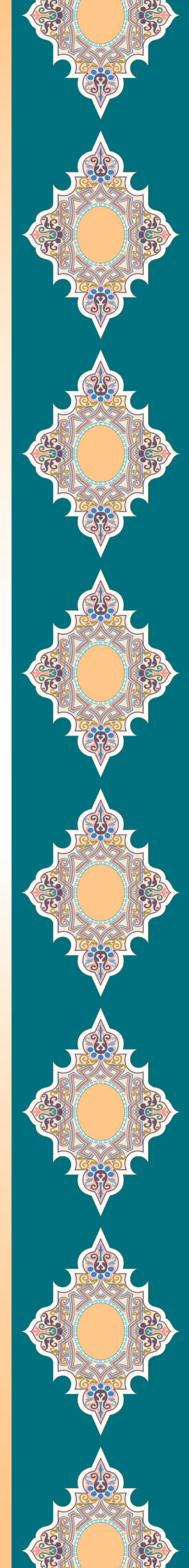




وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية



أَسَالِيبُ الخِطَابِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

دِرَاسَةٌ تَتَنَاوَلُ

تَنَوُّعَ أَسَالِيبِ الخِطَابِ وَأَسَالِيبِ الإِنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ
فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

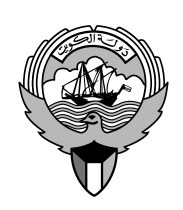
الأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالاسْتِفْهَامَ وَالسُّؤَالَ وَالدُّعَاءَ وَالتَّمَنِّي
وَالتَّرَجِّي وَالعَرْضَ وَالتَّحْضِيضَ وَالنِّدَاءَ

تَأْلِيفُ
الدكتور/ عبد القادر محمد المعتصم دهمان

المجلد الثاني

الإصدار
مائة وأحد عشر
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م

أساليب الخطاب
في القرآن الكريم



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي



الطبعة الأولى

الإصدار مائة وأحد عشر

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

العنوان

ص.ب ٢٣٦٦٧

الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني

www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام:

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي





أَسَالِيبُ الخِطَابِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

دِرَاسَةٌ تَتَنَاوَلُ

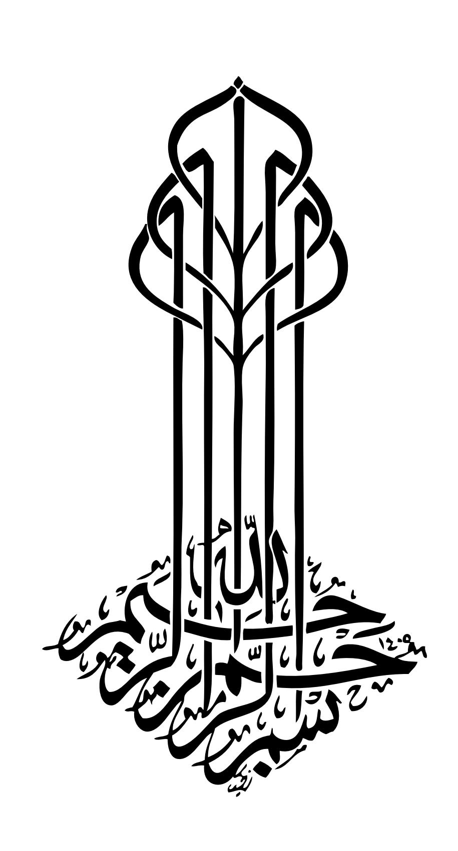
تَنَوُّعَ أَسَالِيبِ الخِطَابِ وَأَسَالِيبِ الإِنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ
فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالاسْتِفْهَامِ وَالسُّؤَالِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّمَنِّي
وَالتَّرَجِّي وَالعَرْضِ وَالتَّحْضِيضِ وَالنِّدَاءِ

تَأْلِيفُ
الدكتور/ عبد القادر محمد المعتصم دهمان

المُجَلَّدُ الثَّانِي

الإصدار
مائة وأحد عشر
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م



الفصل الثاني

أساليب الطلب في الخطاب القرآني

يتضمَّن :

المبحث الأوَّل :

التَّعريف بموضوعات الأمر والنَّهي في الخطاب القرآني

المبحث الثَّاني :

تنوُّع أساليب الأمر والنَّهي والإباحة

المبحث الثَّالث :

الاستفهام والسؤال والدُّعاء والتَّمني

والتَّرجِّي والعرض والتَّحضيض

توطئة في بيان معنى الإنشاء الطلبي

وبادئ ذي بدء أتعرَّض لبيان معنى الإنشاء، وبيان أهميَّته كأساسٍ لا بدَّ منه، ثمَّ بيان ما يتعلَّق بالإنشاء الطَّلبي.

أمَّا (الإنشاء) لغةً فهو ابتداء الشَّيء، ورفعه، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعۡرُوشَـٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَـٰتٍ﴾ [الأنعام:١٤١]، وفعله المجرَّد: (نشأ ينشأ)، ومنه: (نشأ السَّحاب نشئًا ونشوءًا): إذا ارتفع وبدا. وقوله عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمن:٢٤][(١)]. قيل: (المنشئات): السُّفن المرفوعة الشُّرع[(٢)]، فهي كالجبالِ فقد شبَّه السُّفن بالجبال، والعرب تسمِّي كلَّ جبلٍ طويل علمًا. قال مجاهد: ما رفع قِلْعه من السُّفن فهي منشأة[(٣)].

والإنشاء عند (أهل الأدب): «هو كلُّ ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني»[(٤)].

وأمَّا في (اصطلاح البيانيين والأصوليين) فالإنشاء أحد قسمي الكلام؛ إذ الكلام عندهم إمَّا: خبرٌ أو إنشاء. فـ: (الخبر) هو: ما احتمل الصِّدق والكذب لذاته، كقام زيد، وأنت أخي. و(الإنشاء): الكلام الَّذي لا يحتمل الصِّدق والكذب؛ إذ ليس له في الخارج نسبة

(١) ينظر: لسان العرب، مادَّة: (نشأ) (١/ ١٧٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٥/ ١٠٠)، وانظر: معاني القرآن، للفرَّاء (٣/ ١١٥).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (٢/ ٦٤١)، صحيح البخاري، الجزء الخاصُّ في التَّفسير (٤/ ١٨٤٧).

(٤) انظر: صبح الأعشى (١/ ٨٤).

تطابقه أو لا تطابقه. وسمِّي إنشاء؛ لأنَّك أنشأته، أي: ابتكرته، ولم يكن له في الخارج وجود[١].

والإنشاء نوعان:

الأوَّل: (الإنشاء الطَّلبي) -وهو الَّذي أُعنى ببيانه-: وهو ما أفاد طلبًا بالوضع، فيطلب به تحصيل غير حاصل في الخارج[٢]. فإن كان المطلوب ذكر الماهيَّة فهو الاستفهام. وإن كان المطلوب إيجادُ الماهيَّة فهو أمر، أو الكفُّ عنها فهو نهي. وهكذا[٣].

الثَّاني: (الإنشاء غير الطَّلبي)[٤]. ويذهب بعض الأصوليين إلى أن قسمة الكلام ثلاثيّة، فهو إمَّا خبرٌ، أو طلبٌ، أو إنشاءٌ. خص أصحاب

---

(١) انظر: شروح تلخيص المفتاح، مختصر العلاَّمة سعد الدِّين التَّفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينيِّ، ومواهب الفتَّاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وحاشية الدُّسوقي على شرح السَّعد (١/ ١٦٣) فما بعد، و(تفسير الصِّدق والكذب) (١/ ١٧٣)، وينظر: (تعريف الإنشاء) (٢/ ٢٣٤) فما بعد.

(٢) لأنَّه إذا كان طلبًا استدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطَّلب؛ لامتناع طلب الحاصل. انظر: المطوَّل شرح تلخيص المفتاح (ص: ٢٢٤) .

(٣) ينظر تعريف (الإنشاء الطَّلبي) في شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٣٤) فما بعد. وانظر: المطوَّل شرح تلخيص المفتاح، مع حاشية المير سيد شريف (ص: ٢٢٤-٢٢٥). ولتوضيح ذلك يقال: عندما تقول لشخص: (قم)، فقد قام بنفسك طلب القيام منه، وعندما تقول لشخص: (لا تقم)، فقد قام بنفسك عدم القيام، وعندما تقول لشخص: (ليته يقوم)، فقد قام بنفسك تمني القيام، وعندما تقول لشخص: (لعلَّه يقوم)، فقد قام بنفسك ترجِّي القيام، وعندما تقول لشخص: (هلا يقوم)، فقد قام بنفسك الحثُّ والإزعاج، وعندما تقول لشخص: (هل تقوم؟)، فقد قام بنفسك الاستخبار والسُّؤال..

(٤) وفي (المطوَّل) «وغير طلبٍ كأفعال المقاربة وأفعالِ المدح والذَّم وصيغِ العقود والقَسَم ولعلَّ =

هذا القول الطَّلب بما سمَّاه غيرهم: (الإنشاء الطَّلبي)، والإنشاء لما عداه، كـ: (ألفاظ العقود) نحو: (بعت) و(اشتريت).

ويدخل في (الإنشاء الطَّلبي): الأمرُ والنَّهي والاستفهامُ والتَّمني والنِّداء(١). ويدخل في الإنشاء غير الطَّلبي: أفعال المدح والذَّم، وفعلا التَّعجب، والقَسَم(٢).

= ورُبَّ و(كم) الخبريَّة ونحو ذلك». المطوَّل شرح تلخيص المفتاح (ص: ٢٢٤).

(١) وقد يقال: إنَّ النِّداء منه ما هو خبر لا إنشاء، وهو النِّداء بصفة نحو: (يا فاسق) و(يا فاضل)؛ لاحتمال الصِّدق والكذب في تلك الصِّفة.

(٢) أمَّا (الإنشاء غير الطَّلبي) فهو كالقَسَم، فإذا قلت: (والله لأفعلنَّ)، فهو إنشاءٌ، وليس فيه طلب، فكونك تقسم يعني أن يكون في نفسك القَسَمُ، فإنَّ صيغةَ القَسَم واضحة، لكن هل تُقْسِمُ حقيقةً أو لا؟ هل قَصْدُكَ في نفسك القَسَمُ أو لا؟ هذا شيءٌ لا نعرفه. والحاصلُ أنَّ الأحكام الشَّرعيَّة إنَّما تؤخذُ من الإنشاء، أو ما كان في معناه، وذلك أنَّ الجملةَ الخبريَّة إذا خرجت عن الغرضين الأصليين - (فائدة الخبر)، و(لازم الفائدة) - فقد تحوَّلتْ الجملةُ إلى الإنشاء. ومن ذلك قول الحارث بن وعْلَة من (البحر الكامل):

(قومي هم قتلوا أميم أخي　　　فإذا رميت أصابني سهمي).

[انظر: دلائل الإعجاز (ص:١٩٥-١٩٦)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص:٤٨)، المزهر (١/ ٣١٣)، ديوان الحماسة (ص: ٦٤)]. والدِّلالة على هذا المعنى الإنشائيِّ هل يكون بالحقيقة أم بالمجاز؟ إنَّ الأغراض الَّتي تخرج إليها الجملة الخبريَّة هي معانٍ نفسيَّة لا نسبةَ لمدلولها في الخارج، فمن يقول مثلًا: (ما أجملَ السَّماء) يتعجَّب، فكلُّ ما في الخارج كون السَّماء جميلة أو غير جميلة، أمَّا كون التَّعجب قائمًا بنفسه، أو ليس كذلك -فقد يتظاهر بذلك أو يمثِّل علينا مثلًا- فهذه معانٍ نفسيَّة لا نسبةَ لمدلولها في الخارج، بخلاف قولنا: (محمَّد قائمٌ)، فإنَّ كان قائمًا بالفعل فهو صِدق، وإن كان ليس قائمًا فهو كذبٌ، فلهذا القول نسبةٌ في الخارج. أمَّا إذا كانت المسألة نفسيَّة، فلا اطِّلاع لنا على دخيلةِ الأنفس، فلا نسبةَ لمدلولها في الخارج. أمَّا عندما تقول للمخاطَب: (قم) =

. . . .

= فهل طلب القيام قائمٌ في نفسك، أو ليس قائمًا؟..لا نعرف، وكذلك خروج الخبر من الخبريَّة إلى إرادة (المدح) مثلا، أو (الذَّمِّ) أو الامتنان، أو التَّحسر، أو التَّعجب، أو الرثاء...لا نسبةَ لمدلول ذلك في الخارج؛ لأنَّها معانٍ نفسيَّة. وإذا كانت قد صارت إنشائيَّة، فهل دلَّت على الإنشائيَّة على سبيل الحقيقة أم على سبيل المجاز أو الكناية؟ إنَّ الجملة الخبريَّة في أساس وضعها للإخبار الَّذي يحتمل الصِّدق والكذب، فإذا خرجت عمَّا يحتمل الصِّدق والكذب إلى ما لا يحتمل الصِّدق والكذب تكون بذلك قد خرجت عن الإخبار إلى الإنشاء، واستعملت في غير ما وضعت له على سبيل المجاز أو الكناية. أمَّا الإنشاء لفظًا فلا يتصوَّر إلا في الطَّلب. =

المبحث الأوَّل

التَّعريف بموضوعات الأمر والنَّهي في الخطاب القرآني

- ويتضمَّن:

المطلبُ الأوَّل: التَّعريف بالأمر في القرآن.

المطلبُ الثَّاني: أفعال الأمر في القرآن.

المطلبُ الثَّالث: خروج صيغة الأمر عن معناها الأصليِّ في الخطاب القرآني.

المطلبُ الرَّابع: التَّعريف بموضوعات النَّهي في القرآن.

المطلبُ الخامس: خروج صيغة النَّهي عن معناها الأصليِّ في الخطاب القرآني.



المطلب الأوَّل: التَّعريف بالأمر في القرآن

● ويتضمَّن:

١ - بيان السَّبب في تقديم الأمر على النَّهي.
٢ - بيان أهميَّة الأمر والنَّهي في الخطاب القرآني.
٣ - تعريف الأمر.
٤ - بيان هل يشترط في الأمر إرادة الفعل؟
٥ - التَّعبير عن إرادة الفعل بالفعل.
٦ - صيغ الأمر في القرآن الكريم.
٧ - موجب الأمر.
٨ - دلالة الأمر على التَّكرار.
٩ - المأمور به المطلق والمؤقت.
١٠ - المأمور به المخيَّر.

وسآتي على بيانِ ذلك لصلته المباشرة بمحور البحث، وهو الخطاب القرآني من حيث معناه الأخص.

وبيانُ ذلك على النَّحو التَّالي:

● أوَّلا : بيان السَّبب في تقديم الأمر على النَّهي

أمَّا وجه تقدم الأمر على النَّهي في الكلام؛ فلأنَّه طلب إيجاد الفعل، أمَّا النَّهي فهو الاستمرار على عدم الفعل، فقدَّم الموجود على المعدوم(١).

● ثانيًا: بيان أهميَّة الأمر والنَّهي في الخطاب القرآني

١ - إنَّ الأمرَ والنَّهي هما أساسُ التَّكليف في توجيه الخطابِ إلى المكلَّفين.

٢ - إنَّ معرفتهما تؤدِّي إلى معرفة الأحكام الشَّرعيَّة بتفاصيلها، وبها يتميَّزُ الحلالُ من الحرام(٢).

٣ - إنَّ معرفتهما تؤدِّي إلى امتثال أمر المخاطِب ﷻ -بكسر الطاء المهملة- ونهيه على الوجه المأمور به، وفيه: ما يضْبِطُ تصرُّفات المخاطَب -بفتح الطاء المهملة-،كما أنَّ فيه: إدراك مكانة كلٍّ من المخاطِب والمخاطَب .

٤ - إنَّ امتثال المخاطَب -بفتح الطاء المهملة- للأمر والنَّهي يجعله في

---

(١) انظر: إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة النَّاظر (٥/ ١٧٩) .

(٢) انظر: المصدر نفسه (٥/ ١٧٩) .

راحةٍ واطمئنان من حيثُ تأدية حقِّ المخاطِب ﷻ -بكسر الطاء المهملة- على النَّحو الَّذي يرضاه، وفيه ما يدلُّ على عاقبة ترك الامتثال.

● **ثالثا: تعريف الأمر**

و(الأَمْرُ): طلبُ حصول الفعل من المخاطَب على وجه الاستعلاء، وقول القائل لغيره: (افعل) أو ما يقوم مقامه؛ لإفادة معنى الطَّلب(١).

قال في (المراقي):

(هو اقتضاء فعل غيرِ كَفِّ دُلَّ عليه لا بنحو كُفِّي)(٢).

والأمرُ محمولٌ في أغلبه على الوجوبِ إلا إن صرفته قرينةٌ عن الوجوب؛ لأنَّ الأصل في الأمرِ الوجوبُ، ...

---

(١) انظر: شرح كافية ابن الحاجب في النَّحو، للشَّيخ رضي الدِّين بن الحسن الاستراباذي (٢/ ٢٦٧). وينظر التَّعريف في (المحصول) (١/ ٣١٧)، (٢/ ٢٢)، (٢/ ٤٥-٥٠)، (٢/ ٢٥١)، شرح التَّلويح (١/ ٢٨٣-٢٨٥)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام (١/ ١٥٥)، (١/ ٣٧٦)، إرشاد الفحول (ص: ١٦٧-١٦٩)، الإحكام، للآمديِّ (٢/ ١٢).

(٢) مراقي السُّعود [٢٣٦]، (ص: ٣٤)، وانظر: نثر الورود (١/ ١٧٢)، نشر البنود (١/ ١٤٧). وقوله: (كفّ) مصدر (كفَّ)، وفي الثَّاني أمر للأنثى المخاطَبة، يعني أنَّ الأمر هو اقتضاء، أي: طلب تحصيل فعل غير (كفّ) مدلول عليه بغير كُفَّ ودَعْ وذَرْ واترك وخلِّ. فيتناول الطَّلب ما ليس بكفٍ نحو: (قم)، و(خذ)، وما هو كَفّ مدلول عليه بكُفّ ونحوه. فهذه كلُّها أوامر بخلاف الكفِّ المدلول عليه بنحو: (لا تفعل) فليس بأمر، بل هو نهي -كما سيأتي في النَّهي- ولا فرق في الاقتضاء بين الجازم وغيره -وإن كان الأمر حقيقة في الجازم فقط على الصَّحيح-، لكنَّ المراد بالأمر صيغة: (افعل)..انظر: نشر البنود (١/ ١٤٧)، نثر الورود (١/ ١٧٢-١٧٣).

فإن صرفته قرينةٌ عن الوجوب انصرف إليها[١]، كما قيل في قول الله ﷻ: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]. فقد ذَهَبَ كثيرٌ من العلماءِ إلى أنَّ هذا الأمر أمرُ إرشادٍ واستحبابٍ وندب على الصَّحيح[٢]، لا أمر تحتُّمٍ وإيجاب[٣]، بل السيِّد مخيَّرٌ إذا طلب منه عبده الكتابةَ، إن شاء كاتَبَه، وإن شاء لم يكاتِبْه[٤].

وغالبُ الأمرِ في القرآن الكريم يدعمه تهديدٌ، فالله ﷻ عندما يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، يدلُّ على وجوب

(١) هذا ما يترجَّحُ عندي في صيغة: (افعل). وقال ابن رشيق في (لباب المحصول..): «الصَّحيح عندي مع القول بأنَّها للأمر التَّوقف في كونها للإيجاب أو النَّدب إلى أن يرد دليلٌ فيحمل على ما يقتضيه..». لباب المحصول في علم الأصول (٢/ ٥٢١)، وهو خلاف الرَّاجح.
وقد قال في (المراقي):
(وافعل لدى الأكثر للوجوب   وقيل للنَّدب أو المطلوب)
(وقيل للوجوب أمر الربِّ   وأمر من أرسله للنَّدبِ)
مراقي السُّعود، [٢٤٢-٢٤٣] (ص: ٣٥)، وانظر: نشر البنود (١/ ١٤٩- ١٥٠)، نثر الورود (١/ ١٧٥-١٧٨).

(٢) وقيل: هو للوجوب. وهو مذهبُ عطاء، وعمرو بن دينار، والضَّحاك، وابن سيرين، وداود، وهو قول مرجوج لما ذكرنا من الصَّارف. انظر: روح المعاني (١٨/ ١٥٤)، والتَّحرير والتَّنوير (١٨/ ٢٢٠)، ابن عادل (١٤/ ٣٧٢)، وانظر: أضواء البيان (١/ ١٨٤).

(٣) انظر: المبدع (٦/ ٣٣٦)، منار السَّبيل (٢/ ١٠٩)، الرَّوض المربع (٣/ ٥٦)، الكافي (٢/ ٥٩٦)، كشاف القناع (٤/ ٥٤٠)، المغني (١٠/ ٣٣٣)، الأمّ (٨/ ٤٧).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٨)، وانظر: تفسير الطَّبريِّ (١٨/ ١٢٦-١٢٧)، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٤٠-٢٤٥)، نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنَّظائر (ص: ٢٨٧)، وسيأتي مزيد بيان.

الصَّلاة؛ لأنَّ الذين لا يصلُّون يتوعدهم ويهددهم في آياتٍ أخرى حيث يقول ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤-٥]، ﴿... وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

- **رابعا: بيان هل يشترط في الأمر (في الخطاب القرآني) إرادة الفعل؟**

لا يشترطُ في الأمرِ إرادةُ الفعل؛ لأنَّ الله ﷻ أمر إبراهيم ﵇ بذبح ابنه ﵇. قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] ولم يرده منه.

وأمر إبليس بالسُّجود لآدم ﵇. قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]، ولم يرده منه، ولو أراده لوقع؛ لأنَّه فعَّال لما يريد؛ ولأنَّه ﷻ أمر بأداء الأمانات إلى أهلها حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. ثمَّ إنَّه لو قال: (والله لأُؤَدِّيَنَّ إليك أمانتك غدًا إن شاء الله ﷻ)، ولم يفعل لم يحنث(١). واستعمالها في غير الأمر مجاز، فهي بإطلاقها له، ثمَّ الأمر والإرادة ينفكَّان، كمن يأمر ولا يريد، أو يريد ولا يأمر فلا يتلازمان، وإلا اجتمع النقيضان(٢).

(١) ولو كان مراد الله عز وجل لوجب أن يحنث، ولا حنث بالإجماع. انظر: التَّحبير شرح التَّحرير (٥/ ٢١٨٢).

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ١٥-١٦)، وينظر: الإحكام، للآمديِّ (٢/ ١٥٦)، البحر المحيط، للزَّركشيِّ (٢/ ٨٥-٨٦)، التَّبصرة (ص: ١٨)، المختصر، للبعليِّ (ص: ٩٨).

- **خامسًا: التَّعبير عن إرادةِ الفعل بالفعل**

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ﴾ [المائدة: ٦] الآية.

وقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

قال الآلوسيُّ: «﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، أي: إذا أردتم القيام إليها والاشتغال بها، فعبَّر عن إرادة الفعل بالفعل المسبَّب عنها مجازًا. وفائدته: الإيجاز، والتَّنبيه على أنَّ من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفكُّ الفعل عن الإرادة. وقيل: يجوز أن يكون المراد: (إذا قصدتم الصَّلاة)[1]، فعبَّر عن أحدِ لازمي الشَّيء بلازمه الآخر. وظاهرُ

(١) قال الزَّمخشريُّ: «وكقولك: (إذا ضربت غلامك فهوِّن عليه)، في أنَّ المراد إرادة الفعل. فإن قلت: لم جاز أن يعبِّر عن إرادة الفعل بالفعل؟ قلت: لأنَّ الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له، وهو قصده إليه وميله وخلوص داعيه، فكما عبَّر عن القدرة عن الفعل بالفعل في قولهم: (الإنسان لا يطير)، و(الأعمى لا يبصر)، أي: لا يقدران على الطَّيران والإبصار. ومنه قوله ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤] يعني: إنَّا كنَّا قادرين على الإعادة، كذلك عبَّر عن إرادة الفعل بالفعل؛ وذلك لأنَّ الفعل مسبب عن القدرة والإرادة، فأقيم المسبَّب مقام السَّبب للملابسة بينهما، ولإيجاز الكلام. ونحوه من إقامة المسبَّب مقام السَّبب قولهم: (كما تدين تدان)، إن عبَّر عن الفعل المبتدأ الَّذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الَّذي هو مسبَّب عنه. وقيل: معنى قمتم إلى الصَّلاة قصدتموها؛ لأنَّ من توجَّه إلى شيءٍ وقام إليه كان قاصدًا له لا محالة، فعبَّر عن القصد له بالقيام إليه». الكشاف (١/ ٥٩٦)، ابن عادل (٧/ ٢١٧).

الآية يوجب الوضوء على كلِّ قائمٍ إلى الصَّلاة، وإن لم يكن محدثًا نظرًا إلى عموم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ من غير اختصاص بالمحدثين، وإن لم يكن في الكلام دلالة على تكرار الفعل، وإنَّما ذلك من خارج على الصَّحيح، لكنَّ الإجماع على خلاف ذلك. وقد ورد أنَّ النَّبي ﷺ صلَّى الخمس بوضوءٍ واحد (يوم الفتح)، فقال عمر رضي الله عنه: صنعت شيئًا لم تكن تصنعه، فقال -عليه الصَّلاة والسَّلام-: «**عمدًا صنعته يا عمر**»[1]، يعني: بيانًا للجواز، فاستحسن الجمهور كون الآية مقيَّدة. والمعنى: (إذا قمتم إلى الصَّلاة محدثين) بقرينة دلالة الحال؛ ولأنَّه اشترط الحدث في البدل، وهو التَّيمم، فلو لم يكن له مدخل في الوضوء مع المدخليَّة في التَّيمم لم يكن البدل بدلًا»[2].

ومن ذلك: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا﴾ [آل عمران: ٤٧]، أي: أراد.

ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ٥٨].

﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [المائدة: ٤٢].

﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ [الأعراف: ٤][3].

---

(١) أخرجه مسلم [٤١٥]. والحديث مرويٌّ عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عن أَبِيهِ.

(٢) روح المعاني (٦/٦٨-٦٩)، وانظر: تفسير أبي السُّعود (٣/١٠)، وتفسير ابن عادل (٥/٤٩٦)، التَّحرير والتَّنوير (٨/ ٢٠)، (٢٨/ ١٦)، أضواء البيان (٢/ ٤٤٣)، (٣/ ٤١٩).

(٣) «لأنَّ الإهلاك إنَّما هو بعد مجيءِ البأس، وإنما خصَّ هذين الوقتين، أعني: البيات والقيلولة؛ لأنَّهما وقت الغفلة والدَّعة، فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع». البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩٥).

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٦].[(١)].

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الأعراف: ١٧٨][(٢)].

﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ [هود: ٣٢][(٣)].

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ [الأنبياء: ٦].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المجادلة: ١٢].

﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

وقد ذكر الزَّركشيُّ في ذلك كلامًا مطوَّلًا[(٤)].

- **سادسًا: صيغُ الأمرِ في القرآن الكريم**

إنَّ الأمرَ له أربعُ صيغٍ، وقد وردت في القرآن الكريم:

١ - **فعلُ الأمر**: وذلك كقوله ﷻ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الإسراء: ٧٨]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

٢ - **المضارع المجزوم بلام الأمر** كقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ

(١) «أي: فأردنا الانتقام منهم، وحكمته: أنا إذا أردنا أمرًا نقدر فيه إرادتنا وإن كان خارقًا للعادة». البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩٥).

(٢) قال الزَّركشيُّ: «قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «من يرد الله هدايته». ولقد أحسن رضي الله عنه لئلا يتَّحد الشَّرط والجزاء». البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩٥)، (٢/ ٣٦٨)، وانظر: الإتقان (٢/ ١٠٣).

(٣) أي: أردت جدالنا. انظر قولَ الزَّمخشريِّ في (الكشاف) (٢/ ٢٦٧)، وقوله الآنف الذِّكر (١/ ٥٩٦)، وتفسير النَّيسابوري (٤/ ١٩)، والبرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩٥).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩٤-٢٩٦).

وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩]، ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾ [الطلاق: ٧].

أمَّا (لام الأمر) في القرآن الكريم فقد جاءت متعيِّنة غير محتملة في (ثمانين) موضعًا في القرآن الكريم.

أ. دخلت **(لام الأمر)** على المضارع المبدوء (بتاء الخطاب)، كما في قوله ﷻ: (فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا) [يونس: ٥٨][(١)]، وكذلك قراءة: (وَلْتَعْفُوا وَلْتَصْفَحوا) [النور: ٢٢] -بالتَّاء- أمر خطاب للحاضرين[(٢)].

ب. **(لام الأمر)** غير المسبوقة بحرف عطف:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النور: ٥٨].

﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾

---

(١) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٢/ ٤٢١) .وقد سبق بيان القراءات في ذلك في (خطاب الشَّخص ثمَّ العدول إلى غيره).

(٢) وهي قراءةُ عبدِ الله بن مسعود ﷺ والحسن وسفيان بن الحسن وأسماء بنت يزيد. انظر: روح المعاني (١٨/ ١٢٥)، الدُّر المصون (٤/ ٤٥-٤٦)، الدُّر المنثور (٤/ ٣٦٧)، الكشف والبيان (٥/ ١٣٦)، ابن عادل (١٠/ ٣٥٨)، (١٢/ ٧٤)، تفسير البحر المحيط (٥/ ١٧٠)، (٨/ ٩)، المحرَّر الوجيز (٤/ ١٧٣)، وانظر: تحبير التَّيسير في القراءات العشر (ص: ٤٠٠)، حجَّة القراءات (ص: ٣٣٣). وفي (المحتسب) قال أبو الفتح -ابن جني-: «هذه القراءة -بالتَّاء- كالأخرى المأثورة عنه ﷺ: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡتَفۡرَحُواْ﴾، وقد ذكرنا ذلك، وأنَّه هو الأصل، إلا أنَّه أصل مرفوض، استغناء عنه بقولهم: (اعفوا واصفحوا)». المحتسب (٢/ ١٠٦)، دارسات لأسلوب القرآن الكريم (٢/ ٤٢٢-٤٢٣).

[الطلاق: ٧].

ج .**(لام الأمر)** للمتكلِّم:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ [العنكبوت: ١٢].

وروى عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه أنَّه قرأ: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لَنسوءن وُجُوهَكُمْ) [الإسراء: ٧] -بالنُّون الخفيفة واللَّام المفتوحة- وهي (لام الأمر)..-[١].

د. **(لام الأمر)** بعد الفاء:

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، و[الآية: ١٦٠]، [المائدة: ١١]، [التوبة: ٥١]، [إبراهيم: ١١]، [المجادلة: ١٠]، [التغابن: ١٣].

﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النساء: ٦].

---

(١) المحتسب (٢/ ١٥)، المحرَّر الوجيز (٣/ ٤٤٠)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٢٣)، روح المعاني (١٥/ ١٩)،معاني القرآن، للنَّحاس (٤/ ١٢٥)، فتح القدير (٣/ ٢١٠)، الدُّر المصون (٤/ ٣٧٣)، ابن عادل (١٢/ ٢١٥)، والبحر المحيط (٦/ ١٠)، ومعاني القرآن، للفرَّاء (٢/ ١١٧).

﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٩].

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤].

﴿فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٨٢].

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨].

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، [إبراهيم: ١٢].

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ﴾ [الكهف: ١٩].

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩].

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ [الأنبياء: ٥].

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥].

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ﴾ [الحج: ١٥].

﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣].

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١].

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص: ١٠].

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧)﴾ [ص: ٥٧].

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤].

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الطور: ٣٨].

﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ [القلم: ٤١].

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤)﴾ [عبس: ٢٤].

﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥)﴾ [الطارق: ٥].

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧)﴾ [العلق: ١٧].

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣)﴾ [قريش: ٣].

هـ .**(لام الأمر)** بعد الواو:

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢، ٢٨٣].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ [النساء: ٩].

﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].

﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣].

﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢].

﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [غافر: ٢٦].

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١٠].

و .**(لام الأمر)** بعد (ثُمَّ):

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩].

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

٣ - **اسم فعل الأمر**، نحو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وقد قيل في قوله ﷻ: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٧]: إنَّ ﴿رُوَيْدًا﴾ اسم فعل بمعنى: (أَمْهِلْ)[1].

و(الرُّويد) في كلام العرب: تصغير (رود). وقوله ﷻ: «﴿رُوَيْدًا﴾، [أي]: مهلا، وتفسير (رويدك): أمهل؛ لأنَّ الكاف إنَّما تدخله إذا كان بمعنى: (أَفْعِلْ) دون غيره، وإنَّما حُرِّكت الدَّال لالتقاء السَّاكنين،

(١) انظر: زاد المسير (٩/ ٨٥)، روح المعاني (٣٠/ ١٠١).

فنصب نصب المصادر، وهو مصغَّر مأمور به؛ لأنَّه تصغير التَّرخيم من (إرواد)، وهو مصدر (أرود يرود). وله أربعة أوجه: اسم للفعل، وصفة، وحال، ومصدر، فالاسم نحو قولك: (رويد عمرًا)، أي: (أرود عمرًا)، بمعنى: أمهله. والصِّفة نحو قولك: (ساروا سيرًا رويدًا). والحال نحو قولك: (سار القوم رويدًا)، لما اتصل بالمعرفة صار حالًا لها. والمصدر نحو قولك: (رويد عمرو) بالإضافة، كقوله ﷻ: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]. والَّذي في الآية من هذه الوجوه أن يكون نعتًا للمصدر، أي: إمهالًا رويدًا[١]. ويجوز أن يكون للحال، أي: أمهلهم غير مستعجل لهم العذاب[٢].

«وقد جوِّز أن يكون اسمًا يسمَّى به الفعل ويتضمَّن معناه، و﴿رُوَيْدًا﴾ على هذا مبنيٌّ على الفتح أو الظَّرفية، والتَّنوين للتَّنكير، كما أدخل نحو: (صه) و(مه). أي: أرودهم إروادًا، كما تقول: (صَهٍ) -بالتَّنوين-، أي: اسكت سكوتًا، فاعرفه فإنَّه موضع»[٣].

(١) وفي (الفريد): التَّقدير: «(مهلهم إمهالاً ذا رويد)...وليس فيه معنى الفعل؛ إذ ليس باسم يسمَّى به الفعل». الفريد (٤/ ٦٥٨). ثمَّ قال: وقد جوِّز أن يكون اسمًا يسمى به الفعل....إلخ.

(٢) انظر: الصِّحاح، للجوهريِّ، مادَّة: (رود) (٢/ ٤٧٨-٤٧٩)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢)، وانظر: ابن عادل (٢٠/ ٢٧٠) .

(٣) الفريد (٤/ ٦٨٥).

● **تنبيه**

ترد (ها) (اسم فعل) بمعنى: (خذ). ويجوز مدُّ ألفه[(١)] فيتصرَّفُ حينئذٍ للمثنَّى والجمع[(٢)] نحو: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة:١٩]، فإن (هَاؤُمُ) اسم فعل.

قال ابن عطيَّة: «معناه: تعالوا» [(٣)].

وقال الزَّمخشريُّ: «صوت يفهم منه معنى: (خذ)»[(٤)].

و﴿كِتَٰبِيَهۡ﴾ مفعول يطلبه ﴿هَآؤُمُ﴾ ، و﴿ٱقۡرَءُواْ﴾ من ضمير المعنى، تقديره: (هاؤم كتابي اقرؤوا كتابيهْ)، ثمَّ حذف، أي: الأوَّل؛ لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل[(٥)].

الثَّاني: وهو (اقرؤوا) عند البصريين، . . .

والعامل الأوَّل هو (هَاؤُمُ) عند الكوفيين، والدَّليل على صحَّة قول

---

(١) فيقال: هاء، أي: فيصبح ثلاثيًّا بعد المَدِّ، وقد كان من قبل ثنائيًّا. . .انظر: المفصَّل (٤/ ٤٣).

(٢) قال ابنُ هشام: «يجوزُ مدُّ ألفها، ويستعملان بكاف الخطاب وبدونها [أي: يقال: (ها) و(هاء) -بالألف وبالمدِّ-، و(هاك) و(هاءَك)... انظر هذه اللُّغات في (الدُّر المصون) (٦/ ٣٦٥)، ابن عادل (١٩/ ٣٣٢)، الخصائص، لابن جني (٢/ ١٩٦)، سرُّ صناعة الإعراب (١/ ٣١٩)، المفصَّل (ص:١٩٤)]. ويجوز في الممدودة أن يستغنى عن الكاف بتصريف همزتها تصاريف الكاف فيقال: (هاء) للمذكَّر -بالفتح-، و(هاء) للمؤنَّث -بالكسر- و(هاؤما)، و(هاؤنَّ) و(هاؤُم)». مغني اللَّبيب (ص:٤٥٥).

(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٣٦٠).

(٤) الكشاف (٤/ ١٥٢)، وانظر: الجنى الدَّاني (ص:٣٤٦)، مصابيح المعاني (ص:٤٠٦)، رصف المباني (ص:٤٠٤).

(٥) وفي (الكشاف): «ونظيره: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [الكهف:٩٦]، قالوا: ولو كان العامل الأوَّل لقيل: اقرؤه وأفرغه..». الكشاف (٤/ ١٥٢).

البصريين أنَّه لو عمل الأوَّل لقال: اقرؤوه[(١)].

والحاصل أنَّ (هَاؤُمُ): اسم فعل، بمعنى: خُذوا، وفيه لغات، أجودهن: المطابقة تقول: (هاءِ يا رجل)، و(هاءِ يا امرأة) -بهمزةٍ مكسورة من غير ياء-، و(هاؤما يا رجلان وامرأتان)، و(هاؤم يا رجال)، و(هاؤنَّ يا نساء)[(٢)].

٤ - **المصدر النَّائب عن فعل الأمر**[(٣)]، نحو: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، أي: فاضربوا رقابهم، ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].

ونحو قوله ﷻ: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ﴾ [المجادلة: ٤]، أي: فليصم شهرين متتابعين، أو فليطعم ستين مسكينًا.

وقد سبق في بيان مادَّة: (أمر) أنَّ اللَّفظ المركَّب من (همزة وميم

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي (٤/ ١٤٣)، وانظر: روح المعاني (٢٩/ ٤٧)، البحر المديد (٨/ ١٢٦). و«(هاؤم) بتصاريفه معتبر (اسم فعل أمر) بمعنى: (خذ)، كما في (الكشاف) (٤/ ١٥٢) وبمعنى: (تعال) أيضًا كما في (النِّهاية في غريب الحديث والأثر)، لابن الأثير (٥/ ٦٦٢). و﴿ٱقْرَءُوا۟﴾ بيان للمقصود من (اسم الفعل) من قوله: ﴿هَآؤُمُ﴾. وقد تنازع كلٌّ من ﴿هَآؤُمُ﴾ و﴿ٱقْرَءُوا۟﴾ قولَه: ﴿كِتَـٰبِيَهْ﴾. والتَّقدير: (هاؤم كتابيه اقرؤوا كتابيه). والهاء في ﴿كِتَـٰبِيَهْ﴾ ونظائرها للسْكت حين الوقف». انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٩/ ١٣١)، الفريد (٤/ ٥١٩-٥٢٠).

(٢) انظر: البحر المديد (٨/ ١٢٦)، الدُّر المصون (٦/ ٣٦٥)، ابن عادل (١٩/ ٣٣٢).

(٣) وهو الَّذي يقع جزاءً لشرط.

وراء) هو القولُ الطَّالب الفعل[١].

- **فرع في بيان ما اختلف في كونه فعل أمر:**

أمَّا ما اختلف في كونه فعل أمر فمن ذلك: (هَلُمَّ) في لُغَةِ (تَمِيم)[٢] و(هَاتِ) و(تَعَالَ) في الأَصَحِّ. هذا فيه بيان أنَّ هذه الكلمات الثَّلاث أفعال أمر في أصحِّ الأقوال. فأمَّا (هَلُمَّ) فلها معنيان:

١- بمعنى (أقبل) نحو: (هَلُمَّ إلى المسجد). قال ﷻ: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب:١٨]، أي: أقبلوا[٣].

٢- بمعنى: (أَحْضِرْ) نحو: (هَلُمَّ أخاك)، أي: أحضره، قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام:١٥٠]، أي: أحضروا شهداءكم[٤].

---

(١) وقد يطلقُ الأمرُ على الفعلِ مثل: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود:٩٧]؛ لأنَّ القول لا يوصف بالرُّشد، وإنَّما يوصف بالسَّداد، وأيضا يقال في هذه الآية أنَّ الأمر قد أطلق هنا وأريد به الشَّأن، أي: شأنه والمعنى الَّذي هو مباشر له. حيث إنَّ الأمر يطلق على (الشَّأن) كما في قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٥٠]. ويطلق على الفعل كما في قوله عز وجل:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، أي: في الفعل، ونحوه، وقوله عز وجل: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود:٧٣]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود:٤٠]، إلى غير ذلك..انظر في بيان ذلك: شرحَ البدخشيِّ ومعه شرح الإسنويِّ على منهاج الوصول (٢/ ٥-٦)، وشرح الكوكب المنير (٣/٦-٧)، وينظر في ذلك: التَّحصيل من المحصول، للأرمويِّ (١/ ٢٦٢-٢٦٣).

(٢) (قبيلة تميم): من أشهرِ القبائل العربيَّة، يقيمون في (عنيزة) بنجد. انظر: معجم قبائل العرب (١/ ٧٩).

(٣) انظر: روح المعاني (٢١/١٦٣)، مشكل إعراب القرآن، لمكي (٢/ ٧٥٧) .

(٤) انظر: البحر المديد (٢/ ٣٢١)، وقد جاء في كثير من التَّفاسير وكتب النَّحو أنَّ ﴿هَلُمَّ﴾ هنا (اسم فعل) بمعنى: (أحْضِروا)، و﴿شُهَدَآءَكُم﴾ مفعول به، فإنَّ اسم الفعل يعمل عَمَلَ =

وهي فعل أمر على لغة (تميم)؛ لدلالتها على الطَّلب، وقبولها (ياء المخاطبة). وتلحقها الضَّمائر البارزة بحسب من هي مسندة إليه. فتقول: (هلمَّ يا صالح)، و(هلمِّي يا عائشة). و(هلمَّا يا محمَّدان)، و(هلمُّوا يا محمَّدون)، و(يا هندات هَلْمُمْنَ) «-بالفكِّ[1] وسكون اللَّام- وهلمِّي، وهي لغةُ (بني تميم)، وهي عند هؤلاء فعلُ أمرٍ؛ لدلالتها على الطَّلب وقبولها (ياء المخاطَبة) -كما سبق-»[2].

وأمَّا عند الحجازيين فتلزمُ طريقةً واحدة فلا تلحقها الضَّمائر. فتقول: (هلمَّ يا محمَّد)، و(هلمَّ يا عائشة)، و(هلمَّ يا محمَّدان)، و(هلمَّ يا محمَّدون)، و(هلمَّ يا هندات)، وبلغتهم جاء التَّنزيل قال

= مُسَمَّاه من تَعَدٍّ ولُزوم. والحاصل أنَّ (هلمَّ) فيها لغتان: لغةُ الحجازيين، ولغة التَّميميين: فأمَّا لغةُ (الحجاز) فإنها فيها بصيغةٍ واحدةٍ سواء أُسْنِدَتْ لمفرد أم مثنى أم مجموع أم مؤنث، نحو: هلمَّ يا زيد يا زيدان يا زيدون يا هند يا هندان يا هندات، وهي على هذه اللُّغة عند النَّحاة (اسم فعل) لعدم تغيُّرِها، والتزمت العرب فَتْحَ الميم على هذه اللُّغة، وهي حركة بناء بُنِيت على الفتح تخفيفًا، وأمَّا لغة تميم..فتلحقها الضَّمائر كما تَلْحق سائر الأفعال، فيُقال: هلمَّا هلمُّوا هلمِّي هَلْمُمْن. وحُكِيَ عن العرب: (يقال هَلُمِّين يا نسوة)، وهي على هذه اللُّغة فعل صريح لا يتصرَّف. هذا قول الجمهور. وقد خالفَ بعضُهم في فعليَّتها على هذه اللُّغة، وليس بشيء، والتزمت العرب أيضا فيها على لغة (تميم) فَتْحَ الميم إذا كانت مسندةً لضمير الواحد المذكَّر، ولو يُجيزوا فيها ما أجازوا في ردَّ وشدَّ من الضم والكسر. انظر ذلك مفصَّلاً في (الدُّر المصون) (٣/ ٢١٢)، (٥/ ٤٠٧)، تفسير ابن عادل (٨/ ٥٠٢)، البحر المحيط (٤/ ٢٤٩)، (٧/ ٢١٤)، الكشاف (٢/ ٥٩)، (٣/ ٢٥٥).

(١) أي: بفكِّ الإدغام، وإنما وجب الفكُّ وامتنع الإدغام؛ لأنَّ الثَّاني ساكن (هَلْمُمْ)، ومن شروط الإدغام إلا يكون الحرف الثَّاني ساكنًا.

(٢) شرح قطر النَّدى (ص: ٢٦-٣١)، تعجيل النَّدى (ص: ٢٢-٢٣).

وَعَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ ، ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ ، وهي عندهم (اسم فعل أمر)، لا (فعل أمر)؛ لأنها وإن كانت دالَّة على الطَّلب لكنَّها لا تقبل (ياء المخاطَبة).

وأمَّا (هات) و(تعال) فعدَّهما جماعة من النَّحويين في (أسماء الأفعال)(١)، والأصحُّ أنَّهما فعلا أمر؛ لدلالتهما على الطَّلب، وقبولهما (ياء المخاطَبة)(٢) نحو: (يا عائشة هاتي الكتاب)، (يا عائشة تعالي).

و(هَاتِ): ملازم للكسر دائمًا إلا إذا كان لجماعة المذكَّرين فإنَّه يضمُّ، تقول: (يا محمَّد هات الكتاب). و(يا محمَّدون هاتُوا كتبكم). قال وَعَجَلَّ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١١١](٣)، فـ:(هاتِ) فعل أمر مبنيٌّ على حذف الياء، و(هاتوا): فعل أمر مبنيٌّ على حذف النُّون، والواو فاعل.

وأمَّا (تعال): فهو مفتوح الآخر في جميع أحواله من غير استثناء تقول: (تعالَ يا محمَّد)، و(تعالَي يا عائشة). و(تعالَيا يا محمَّدان). و(تعالَوا يا محمَّدون). و(تعالَينَ يا هندات). كلُّ ذلك بفتح اللام.

وربما ضمَّت اللام مع جمع المذكَّر السَّالم وكسرت مع المؤنثة، وقد قُرئ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟﴾ [آل عمران:٦٤] -بضمِّ اللَّام

---

(١) انظر: شذور الذَّهب (١/ ١٥٦)، شرح قطر النَّدى (ص: ٣١)، تفسير ابن جزي (١/ ٢٥)، شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (٣/ ٩٣-٩٦)، وانظر: المحرَّر الوجيز (٤/ ٣٧٥).

(٢) انظر: شذور الذَّهب (١/ ١٥٥-١٥٦)، شرح قطر النَّدى (ص: ٣١-٣٢)، وانظر: المصادر السَّابقة.

(٣) وانظر: [الأنبياء: ٢٤]، [النَّمل: ٦٤]، [القصص: ٥٧].

لمجانسة الواو-[١].

قال الله ﷻ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ﴾ [آل عمران: ٦١]، ..فـ: (تعالوا) فعل أمر مبنيٌّ على حذف النُّون؛ لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل[٢].

وقال ﷻ: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ [الأحزاب:٢٨]، فـ (تعالين) فعل أمر مبنيٌّ على السُّكون بنون الإناث، ونون الإناث فاعل[٣].

---

(١) قرأ الحسنُ البصريُّ، وأبو السمَّال العدوي وأبو واقدٍ اللَّيثيُّ: (تعالُوا) -بضمِّ اللَّام-، ووجَّهوها على أنَّ الأصل: (تعالَيُوا)..الدُّر المصون (١/ ١٢١)، الكشاف (١/ ٥٣٦)، المصباح المنير، مادَّة: (عُلْوُ) (٢/ ٤٢٧-٤٢٨)، تاج العروس، مادَّة: (عُلْوُ) (٣٩/ ٩٠).

(٢) وفي (المصباح): «(تَعَالَوْا) فعل أمر من ذلك، وأصله أنَّ الرَّجل العالي كان ينادي السَّافل فيقول: (تَعَالَ)، ثمَّ كَثُرَ في كلامهم حتَّى استعمل بمعنى: (هَلُمَّ) مطلقًا، وسواء كان موضع المدعو أعلى أو أسفل أو مساويًا فهو في الأصل لمعنى خاص، ثمَّ استعمل في معنى عام، ويتصل به الضَّمائر باقيًا على فتحه فيقال: (تَعَالَوا تَعَالَيَا تَعالينْ)، وربَّما ضمَّت اللَّام مع جمع المذكر السَّالم، وكسرت مع المؤنثة، وبه قرأ الحسنُ البصريُّ في قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟﴾؛ لمجانسة الواو.. انظر: المصباح المنير، مادَّة: (عُلْوُ) (٢/ ٤٢٧-٤٢٨). وقال الطَّاهر: «قيل: هو اسم فعل أمر بمعنى: (أَقْدمْ)؛ لأنَّهم وجدوه غير متصرِّف في الكلام، إذ لا يقال: (تعاليتُ) بمعنى: (قَدِمْتُ)، و(لا تعالَىَ إليَّ فلانٌ) بمعنى: جاء، وأيّا ما كان فقد لزمته علامات مناسبة لحال المخاطب به، فيقال: تعالوا وتعالين. وبذلك رجَّح جمهور النُّحاة أنَّه فعل أمر، وليس باسم فعل، ولأنَّه لو كان اسم فعل لما لحقته العلامات، ولكان مثل: هلمَّ وهيهات». التَّحرير والتَّنوير (٨/ ١٥٧). وقال في موضع آخر: «(تعالوا) طَلَب من المخاطب بالحضور عند الطَّالب، وأصله: فِعل أمر من التَّعالي، وهو تكلُّف العُلو، أي: الصُّعود، وتنوسي ذلك وصار لمجرَّد طلب الحضور، فلزم حالة واحدة فصار (اسم فِعل)..». التَّحرير والتَّنوير (٢٨/ ٢٤٣). والحاصل أنهم قد اختلفوا في (تعالَوْا)، هل هو فعل أمر حقيقي أو اسم فعل أمر؟ لكنَّ الراجح: أنَّه فعل أمر؛ لأنَّه يقبل العلامة؛ ولأنَّه -أيضًا- تدخل عليه الضَّمائر، ويتغيَّر بحسب الضَّمائر الدَّاخلة عليه - كما سبق -.

(٣) وقد ذكروا أنَّه اسم فعل أمر بمعنى: (أقبِلْنَ)، وهو هنا مستعمل تمثيلاً لحال تَهَيُّؤ الأزواج =

• سابعًا : موجب الأمر

والمراد به مدلول صيغة الأمر، لا مدلول اللَّفظ المركَّب من (همزة وميم وراء)، فالكلام هنا فيما يدل عليه لفظ: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ﴾ [الحج: ٧٧]، ونحو ذلك..

فأكثرُ العلماءِ قالوا: صيغةُ الأمر تدلُّ على الوجوب دلالةً حقيقيَّة، ولا تدلُّ على غير الوجوب من النَّدب والإباحة ونحوهما إلا بقرينة.

والدَّليل على ذلك:

أوَّلاً: إنَّ تارك المأمور يسمَّى: عاصيًا، وذلك لقوله ﷻ: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقال ﷻ عن الَّذين يعصونه:

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. فدلَّ ذلك على أنَّ تارك المأمور يستحقُّ العذاب، واستحقاق العذاب على المأمور دليل على

= لأخذ التَّمتيع وسماع التَّسريح بحال من يُحضر إلى مكان المتكلم. انظر: التَّحرير والتَّنوير (٣١٦/٢١)، البحر المديد (٢٢/٦)، الكشاف (٢٥٨/٣)، تفسير ابن جزي (١٣٦/٣). =

وجوبه؛ إذ غير الواجب لا عقاب على تركه بلا خلاف.

ثانيًا: قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

ثالثًا: قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات:٤٨]، فهو ذمٌّ على ترك امتثال الأمر بالرُّكوع، وهو دليل الوجوب.

رابعًا: قال الله ﷻ لإبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢]. فقرَّعه على مخالفة الأمر(١).

---

(١) انظر: مذكَّرة الشَّيخ الشِّنقيطي على روضة النَّاظر (ص:١٩١-١٩٢)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٠)، وينظر: شرح مختصر الرَّوضة (٢/ ٣٦٥-٣٦٩، شرح البدخشي، ومعه شرح الإسنوي على منهاج الوصول (٢/ ٢٤) فما بعد، المغني في أصول الفقه (ص:٣١). قال في (المراقي):

(ومُفْهم الوجوب يُدْري الشرعُ أو الحجا أو المفيدُ الوضعُ).

المراقي [٢٤٤]، (ص:٣٥). والحاصلُ أنَّهم قد اختلفوا من الَّذي يفهم منه دلالة الأمر على الوجوب، هل هو الشَّرع أو العقل أو اللُّغة؟ وحجَّة الأوَّل ما سبق بيانه من الآيات. ومن السُّنة قوله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشقَّ على أمَّتي لأمرتهم بالسِّواك». أخرجه البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه [٨٣٨]، ومسلم [٣٧٠]. وأيضًا المنقول عن الصَّحابة والأئمَّة المتقدِّمين التَّمسك بمطلق الأمر في إثبات الوجوب إلا بصارف عنه، فترتب العقاب على التَّرك إنما يستفاد من أمر الشَّارع، وأمر من أوجب طاعته. وحجَّة من قال: إنَّه بالعقل هي أنَّ ما تفيده اللُّغة من الطَّلب يتعيَّن أن يكون للوجوب؛ لأنَّ حمله على النَّدب يصير المعنى: (افعل إن شئت) وهذا القيد ليس مذكورًا.. والقائل إنَّه اللُّغة يقول: إنَّ أهل اللُّغة يحكمون باستحقاق عبد مخالفٍ أمر

● **ثامنًا : دلالةُ الأمر على التَّكرار :**

الأمر المقيَّد بالمرَّة يدلُّ على المرَّة عملًا بهذا القيد، والأمر المقيَّد بالتَّكرار يدلُّ على التَّكرار عملًا بهذا القيد..

والأمر المقيَّد بشرط أو صفة لا يدلُّ على التَّكرار لفظًا، ولكن يدلُّ على التَّكرار قياسًا[(١)]، مثل قوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]، ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢].

والأمر العاري عن القيود المتقدِّمة لا يدلُّ بذاته على التَّكرار، ولا على المرَّة، وإنما يفيد طلب الماهية من غير إشعار بوحدة أو كثرة، ولا يمكن إدخال الماهية في الوجود بأقلَّ من مرَّة، فوجبت المرة؛

سيِّده للعقاب. ورُد بأنَّ حكم أهل اللُّغة المذكور مأخوذ من الشَّرع؛ لإيجابه على العبد طاعة سيِّده. انظر: نشر البنود (١/ ١٥٠)، نثر الورود (١/ ١٧٧-١٧٨). وقد قيل أيضا: إن (أَمَرَ) فعلٌ متعدٍّ لازمه (ائتمر)، والمتعدِّي بدون لازمه محال كالجمع بدون الاجتماع، والجرح بدون الانجراح، والكسر بدون الانكسار، [أي: فيقتضي القياس أن لا ينفكَّ الائتمار عن الأمر] إلا أنَّه تراخى الوجوب إلى زمان اختيار المكلَّف، فبقي في ذمَّته جبرا على وجه لا بدَّ منه حكمًا..[أي: تراخى وجود اللَّازم تحاميًا من الجبر]. انظر: المغني في أصول الفقه، للخبازيِّ (ص:٣١).

(١) أمَّا أنَّه لا يدلُّ لفظا؛ فلأنَّه لو قال رجل لوكيله: طلِّق زوجتي، ولا تطلِّقها إلا إذا دخلت الدَّار، لم يتكرَّر الطَّلاق في هذه الصُّورة بتكرار الدُّخول. ولو دلَّ عليه لفظا لتكرَّر، كما لو قال: كلَّما دخلت زوجتي الدَّار فطلِّقها. وأمَّا أنَّه يدلُّ قياسا فلأنَّ ترتيب الحكم على الشَّرط أو الصِّفة يفيد عليَّة ذلك الشَّرط وتلك الصِّفة لذلك الحكم، ولا شكَّ أنَّ المعلول يتكرَّر بتكرُّر علَّته.

لهذا، لا لأنَّ الأمر يدلُّ عليها بذاته. ويشهد لكون الأمر لا يدلُّ بذاته على المرَّة ولا على التَّكرار أنَّ الأمر ورد في الشَّرع تارة على التَّكرار، كآيات الصَّلاة والصِّيام والزَّكاة.

وورد عرفًا مع التَّكرار، نحو: (أحسن إلى النَّاس).

كما أنَّه ورد في الشَّرع وفي العرف مع المرَّة كآيةِ الحجِّ[١]، وكقول القائل: (اشتر اللَّحم). ويلزم من هذا كونه حقيقةً في القدر المشترك بين التَّكرار والمرَّة، وإلا لزم الاشتراك اللَّفظي أو المجاز، وهما خلاف الأصل. وكما لا يدلُّ على التَّكرار بذاته لا يدلُّ على وجوب المبادرة عقبه إلى الإتيان بالمأمور به، ولا على وجوب التَّراخي[٢].

وفي المسألة أربعةُ أقوالٍ مبسوطة في كتب الأصول[٣].

● **تاسعًا: المأمور به المطلق والمؤقت:**

الواجبُ المطلق: هو الفعلُ المطلوب طلبًا جازمًا، وليس لأدائه وقتٌ معيَّن شرعًا، كالنُّذور المطلقة والكفَّارات، فإنَّ طلب إيقاعها لم يقيد بوقت من العمر بحيث لا يجوز قبله، ويفوت بفواته، وإن كانت واقعة في وقت من العمر لا محالة[٤].

---

(١) قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٢) انظر: الموجز في أصول الفقه، عبد الجليل القرنشاوي، ومحمَّد فرج سليم، ومحمود شوكت العدوي، والحسيني يوسف الشَّيخ، وفرج السيد فرج (ص: ٩٩-١٠٠)، وينظر: الإحكام، للآمديِّ (٢/ ١٧٠)، البحر المحيط، للزَّركشيِّ (٢/ ١٢٠)، الإبهاج (٢/ ٥٠).

(٣) تنظر هذه الأقوال في مذكَّرة الشَّيخ الشِّنقيطي على روضة النَّاظر (ص: ١٩٤)، وانظر: اللُّمع في أصول الفقه، للشِّيرازي (ص: ١٤-١٥)، والتَّبصرة (ص: ٤٤-٥٥).

(٤) الموجز (ص: ١٠٥)، نسمات الأسحار على شرح المنار (ص: ٦١-٦٢).

الواجبُ المؤقَّت: هو الفعل المطلوب طلبًا جازمًا، وكان لأدائه وقت كالصَّلوات الخمس، وكالصَّوم.

ثمَّ إنَّ المؤقَّت نوعان؛ لأنَّ الوقت إن كان يفضل عن الفعل يسمَّى الواجب: موسَّعًا، كالصَّلوات الخمس، وإن كان مساويًا للفعل يسمَّى الواجب: مضيَّقًا، كصوم رمضان.

وإنَّ التَّضييق في الحقيقة إنَّما هو في وقت الواجب، وليس في الواجب نفسه، فالتَّسمية بالمضيَّق أو الموسَّع تسمية مجازيَّة. وإن كان الواجب موسَّعا فالمكلَّف بالخيار في أن يأتي بالواجب في أيِّ وقت شاء من وقته المقدر، وإن كان المحظور هو ترك الفعل في كلِّ الوقت(١).

- **عاشرا : المأمور به المخيَّر:**

الأمر بواحد غير معيَّن من أمور معيَّنة جائز وواقع، وهو الفعل المبهم من أمور معيَّنة الَّذي طلب طلبًا جازمًا..

وذلك كقول الله ﷻ:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٨٩].

---

(١) انظر: الموجز (ص: ١٠٥-١٠٦)، البحر المحيط، للزَّركشي (١/ ١٧٦)، تيسير التَّحرير (٣/ ١٩٠)، (٣/ ٢٧٥)، كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام (١/ ٣٧٤)، (٢/ ٤٨٥).

فإنَّ هذه الآية في قوَّة الأمر بالإطعام أو الكسوة أو تحرير الرَّقبة. وكلٌّ واحد من هذه الثَّلاثة واجب على البدل لا على سبيل الاجتماع كما تدلُّ على البدل كلمة: ﴿أَوْ﴾ المفيدة للتَّخيير في الأفراد[1].

فلا يجوز للحانث في يمينه ترك جميع هذه الخصال، ولا يجب عليه الإتيان بها كلها، وإنما الواجب الإتيان بإحداها. فتحقق في خصال كفَّارة اليمين الوجوب والتَّخيير.

والحانث التَّارك لخصال الكفَّارة يأثم إثم من ترك واجبًا واحدًا، لا من ترك واجبات متعدِّدة. ومن أتى بخصال الكفَّارة كلِّها لم يثب ثواب واجبات؛ لوقوع الامتثال بخصلةٍ واحدة[2].

لكن إن كان في المخيَّر ما هو أعلى ثوابًا وفعل المكلَّف الكلَّ، فالمثاب عليه ثواب واجب هو الأعلى سواء فعل الخصال مرتَّبًا أو معًا، وإن ترك الكلَّ عوقب على أدناه[3].

---

(١) انظر: تيسير التَّحرير (٢/ ٣٦١)، روضة النَّاظر (١/ ٢٠٤)، المدخل (ص: ٢٢٧)، الموجز (ص: ١٠٧).

(٢) حاشيتا السَّعد والجرجاني على ابن الحاجب (١/ ٢٣٦).

(٣) تيسير التَّحرير (٢/ ٣٦٣)، حاشية العطَّار على جمع الجوامع (١/ ٢٠٦)، الموجز (ص: ١٠٧).

المطلب الثَّاني: أفعالُ الأمر في القرآن

وهذا إحصاء لأفعال الأمر في القرآن الكريم، وتأتي مرتَّبة على النَّحو التَّالي:

		سورة الفاتحة		
		اهْدِنَا: ٦		
		سورة البقرة		
ابْعَثْ : ٢٤٦.	اتَّبِعُوا : ١٧٠.	اتَّقِ: ٢٠٦.	اتَّقُوا: ٢٧٨.	أَتِمُّواْ: ١٨٧.
آتنا: ٢٠٠ - ٢٠١.	اجْعَلْ: ١٢٦ - ٢٦٠.	ادْخُلُوا: ٥٨ - ٢٠٨.	ادْعُ: ٦٨ - ٦٩ - ٧٠.	ادْعُهُنَّ: ٢٦٠.
اذْكُرُوا: ٤٠ - ٤٧ - ١٢٢.	أَرِنَا: ١٥٣.	أَرِنِي: ٢٦٠.	اسْتَعِينُوا: ١٥٣.	اسْجُدُوا: ٣٤.
اسْكُنْ: ٣٥.	أَسْلِمْ: ١٣١.	اضْرِبْ: ٦٠.	اضْرِبُوهُ: ٧٣.	اعْبُدُوا: ٢١.
أَفْرِغْ: ٢٥٠.	أَفِيضُوا: ١١٩.	آمِنُواْ: ١٣ - ٩١.	أَنْبِئْهُمْ: ٣٣.	أَنْبِئُونِي: ٣١.
انْظُرْنَا: ١٠٤.	أَنْفِقُوا: ٢٥٤ - ٢٦٧.	اهْبِطُوا: ٣٦ - ٣٨ - ٦١.	بَاشِرُوهُنَّ : ١٨٧.	تَقَبَّلْ: ١٢٧.
حَافِظُوا: ٢٣٨.	خذوا: ٦٣ - ٩٣.	رَاعِنَا: ١٠٤.	سَرِّحُوهُنَّ: ٢٣١.	سَلْ: ٢١١.
طَهِّرَا: ١٢٥.	فأت: ٢٥٨	فَاتَّقُونِ: ٤١.	فأتوا: ٢٣ - ٢٢٣.	فأتوهن: ٢٢٢.
فَاحْذَرُوهُ: ٢٣٥.	فَادْعُ: ٦١.	فَاذْكُرُوا: ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٣٩.	فَاذْكُرُونِي: ١٥٢.	فأذنوا: ٢٧٩.
فَارْهَبُونِ: ٤٠.	فَاسْتَبِقُوا: ١٤٨.	فَاعْتَدُوا: ١٩٤.	فَاعْتَزِلُوا: ٢٢٢.	فَاعْفُوا: ١٠٩.
فَاعْلَمُوا: ٢٠٩.	فَافْعَلُوا: ٦٨.	فَاقْتُلُوا: ٥٤.	فَاكْتُبُوهُ: ٢٨٢.	فَأَمْسِكُوهُنَّ: ٢٣١.

فَانْصُرْنَا: ٢٨٦.	فَانْظُرْ: ٢٥٩.	فَتَمَنَّوُا: ٩٤.	فَتُوبُوا: ٥٤.	فخذ: ٢٦٠.
فَصُرْهُنَّ: ٢٦٠.	فَكُلُواْ: ٥٨.	قُولُوا: ١٣٦.	كُلُواْ: ٦٠ - ١٦٨ - ١٧٢.	كُنْ: ١١٧.
كُونُوا: ٦٥ - ١٣٥.	مُوتُوا: ٢٤٣.	هَاتُوا: ١١١.	وَابْتَغُواْ: ١٨٧.	وَابْعَثْ: ١٢٩.
واتخذوا: ١٢٥.	وَاتَّقُونِ: ١٩٧.	وَأَتِمُّواْ: ١٩٦.	وآتوا: ٤٣ - ٨٣ - ١١٠.	وأتوا: ١٨٩.
وَاجْعَلْنَا: ١٢٨.	وَأَحْسِنُوا: ١٩٥.	وَأَخْرِجُوهُم: ١٩١.	وَاخْشَوْنِي: ١٥٠.	وَادْخُلُوا: ٥٨.
وَادْعُواْ: ٢٣.	وَاذْكُرُوا: ٦٣ - ٢٠٣ - ٢٣١.	وَاذْكُرُوهُ: ١٩٨.	وَارْزُقْ: ١٢٦.	وَارْكَعُوا: ٤٣.
وَاسْتَشْهِدُوا: ٢٨٢.	وَاسْتَعِينُوا: ٤٥.	وَاسْتَغْفِرُوا: ١٩٩.	وَاسْمَعُوا: ٩٣ - ١٠٤.	وَاشْرَبُوا: ٦٠ - ١٨٧.
وَاشْكُرُوا: ١٥٢ - ١٧٢.	وَأَشْهِدُوْا: ٢٨٢.	وَاصْفَحُوا: ١٠٩.	وَاعْفُ: ٢٨٦.	وَاعْلَمْ: ٢٦٠.
وَاعْلَمُوا: ١٩٤ - ١٩٦ - ٢٠٣ - ٢٢٣ - ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٥ (مرتين) - ٢٤٤ - ٢٦٧.	وَاغْفِرْ لَنَا: ٢٨٦.	وَاغْفِرْ: ٢٨٦.	وَاقْتُلُوهُمْ: ١٩١.	وَأَقِيمُوا: ٤٣ - ٨٣ - ١١٠.
وَآمِنُواْ: ٤١.	وَانْصُرْنَا: ٢٥٠.	وَانْظُرْ: ٢٥٩ (مرتين).	وَأَنْفِقُوا: ١٩٥.	وَأَوْفُوا: ٤٠.
وَبَشِّرِ: ٢٥ - ١٥٥ - ٢٢٣.	وَتُبْ: ١٢٨.	وَثَبِّتْ: ٢٥٠.	وَذَرُوا: ٢٧٨.	وَقَاتِلُوا: ١٩٠ - ٢٤٤.
وَقَاتِلُوهُمْ: ١٩٣.	وَقَدِّمُوا: ٢٢٣.	وَقِنَا: ٢٠١.	وَقُولُوا: ٥٨ - ٨٣ - ١٠٤.	وَقُومُوا: ٢٣٨.

وَكُلَا: ٣٥.	وَكُلُواْ: ١٨٧.	وَمَتِّعُوهُنَّ: ٢٣٦.		
		سورة آل عمران		
اتَّقُوا: ١٠٢.	اجْعَلْ: ٤١.	ادْفَعُوا: ١٦٧.	اشْهَدُوا: ٦٤.	اصْبِرُوا: ٢٠٠. وَصَابِرُوا: ٢٠٠.
أَطِيعُوا: ٣٢.	اغْفِرْ: ١٤٧.	اقْنُتِي: ٤٣.	آمِنُواْ: ٧٢ - ١٩٣.	تَعَالَوا: ٦١ - ٦٤ - ١٦٧.
ذُوقُوا: ١٨١.	فَاتَّبِعُواْ: ٩٥.	فَاتَّبِعُونِي: ٣١.	فَاتْلُوهَا: ٩٣.	فأتوا: ٩٣.
فَاخْشَوْهُمْ: ١٧٣.	فَادْرَءُوا: ١٦٨.	فَاشْهَدُوا: ٨١.	فَاعْبُدُوهُ: ٥١.	فَاعْفُ: ١٥٩.
فَاغْفِرْ: ١٦ - ١٩٣.	فَاكْتُبْنَا: ٥٣.	فَآمِنُواْ: ١٧٩.	فَانْظُرُوا: ١٣٧.	فَبَشِّرْهُم: ٢١.
فَتَقَبَّلْ: ٣٥.	فَتَوَكَّلْ: ١٥٩.	فَذُوقُوا: ١٠٦.	فَسِيرُوا: ١٣٧.	فَقِنَا: ١٩١.
فَقُولُوا: ٦٤.	قَاتِلُوا: ١٦٧.	كُنْ: ٤٧ - ٥٩.	كُونُوا: ٧٩ (مرتين).	مُوتُوا: ١١٩.
هَبْ: ٣٨.	وآتنا: ١٩٤.	وَاذْكُر: ٤١.	وَاذْكُرُوا: ١٠٣.	وَارْكَعِي: ٤٣.
وَاسْتَغْفِرْ: ١٥٩.	وَاسْجُدِي: ٤٣.	وَاشْهَدْ: ٥٢.	وَأَطِيعُوا: ١٣٢.	وَأَطِيعُونِ: ٥٠.
وَاعْتَصِمُوا: ١٠٣.	وَاكْفُرُوا: ٧٢. وَكَفِّرْ: ١٩٣.	وَانْصُرْنَا: ١٤٧.	وَتَوَفَّنَا: ١٩٣.	وَثَبِّتْ: ١٤٧.
وَخَافُونِ: ١٧٥.	وَرَابِطُواْ: ٢٠٠.	وَسَارِعُوا: ١٣٣.	وَسَبِّحْ: ٤١.	وَشَاوِرْهُمْ: ١٥٩.
وَقِنَا: ١٦.	وَهَبْ: ٨.			
		سورة النساء		
اتَّقُوا: ١ - ١٣١.	أَخْرِجْنَا: ٧٥.	اخْرُجُوا: ٦٦.	ادْخُلُوا: ١٥٤.	أَطِيعُوا: ٥٩.
اقْتُلُوا: ٦٦.	آمِنُواْ: ٤٧.	انْتَهُوا: ١٧١.	انْظُرْ: ٥٠.	انْفِرُوا: ٧١.
بَشِّرِ: ١٣٨.	تَعَالَوا: ٦١.	خذوا: ٧١.	رُدُّوهَا: ٨٦.	فَابْعَثُواْ: ٣٥.
فآتوهم: ٣٣.	فآتوهن: ٢٤.	فَادْفَعُوا: ٦.	فَاذْكُرُوا: ١٠٣.	فآذوهما: ١٦.
فَارْزُقُوهُم: ٨.	فَاسْتَشْهِدُوا: ١٥.	فَأَشْهِدُوا: ٦.	فَأَعْرِضْ: ٦٣ - ٨١.	فَأَعْرِضُوا: ١٦.

فَأَقِيمُوا: ١٠٣.	فَامْسَحُوا: ٤٣.	فَأَمْسِكُوهُنَّ: ١٥.	فَآمِنُواْ: ١٧٠ – ١٧١.	فَانْفِرُوا: ٧١.
فَانْكِحُوا: ٣ .	فَانْكِحُوهُنَّ: ٢٥.	فَتَبَيَّنُواْ: ٩٤.	فَتَيَمَّمُوا: ٤٣.	فَحَيُّواْ: ٨٦.
فخذوهم: ٨٩ – ٩١.	فَرُدُّوهُ: ٥٩.	فَعِظُوهُنَّ: ٣٤.	فَقَاتِلْ: ٨٤.	فَقَاتِلُوا: ٧٦.
كُفُّوا: ٧٧.	كُونُوا: ١٣٥.	وَابْتَلُواْ: ٦.	وآتوا: ٢ – ٤ – ٧٧.	وآتوهن: ٢٥.
وَاجْعَل: ٧٥.	وَارْزُقُوهُمْ: ٥.	وَاسْأَلُوا: ٣٢.	وَاسْتَغْفِرْ: ١٠٦.	وَاسْمَعْ: ٤٦.
وَاضْرِبُوهُنَّ: ٣٤.	وَأَطِيعُوا: ٥٩.	وَاعْبُدُوا: ٣٦.	وَاقْتُلُوهُمْ: ٨٩ – ٩١.	وَأَقِيمُوا: ٧٧.
وَاكْسُوهُمْ: ٥.	وَانْظُرْنَا: ٤٦.	وَاهْجُرُوهُنَّ: ٣٤.	وَتَوَكَّلْ: ٨١.	وَحَرِّضِ: ٨٤.
وخذوا: ١٠٢.	وَرَاعِنَا: ٤٦ .	وَعَاشِرُوهُنَّ: ١٩.	وَقُولُوا: ٥ – ٨.	
		سورة المائدة		
اتخذوني: ١١٦.	اتَّقُوا: ٣٥ – ١١٢.	احْكُم: ٤٩.	ادْخُلُوا: ٢١ – ٢٣.	اذْكُرْ: ١١٠.
اذْكُرُوا: ١١ – ٢٠.	اعْبُدُوا: ٧٢ – ١١٧.	اعْدِلُوا: ٨.	أَعْرِضْ: ٤٢.	اعْلَمُوا: ٩٨.
آمِنُواْ: ١١١.	أَنْزِلْ: ١١٤.	انْظُرْ: ٧٥ (مرتين).	أَوْفُوا: ١.	بَلِّغْ: ٦٧.
تَعَالَوا: ١٠٤.	فَاجْتَنِبُوهُ: ٩٠.	فَاحْكُم: ٤٢ – ٤٨.	فَاذْهَبْ: ٢٤.	فَاسْتَبِقُوا: ٤٨.
فَاصْطَادُوا: ٢ .	فَاطَّهَّرُوا: ٦.	فَاعْفُ: ١٣.	فَاعْلَمْ: ٤٩.	فَاعْلَمُوا: ٣٤ – ٩٢.
فَاغْسِلُوا: ٦.	فَافْرُقْ: ٢٥.	فَاقْطَعُوا: ٣٨.	فَاكْتُبْنَا: ٨٣.	فَامْسَحُوا: ٦ .
وَامْسَحُوا: ٦.	فَتَوَكَّلُوا: ٢٣.	فَتَيَمَّمُوا: ٦.	فخذوه: ٤١.	فَقَاتِلا: ٢٤.

فَكُلُواْ: ٤.	كُونُوا: ٨.	وَابْتَغُواْ: ٣٥.	وَاتْلُ: ٢٧.	وَاحْذَرْهُمْ: ٤٩ .
وَاحْذَرُوا: ٩٢.	وَاحْفَظُوا: ٨٩.	وَاخْشَوْنِ: ٣ - ٤٤.	وَاذْكُرُوا: ٤ - ٧.	وَارْزُقْنَا: ١١٤.
وَاسْمَعُوا: ١٠٨.	وَاشْهَدْ: ١١١.	وَاصْفَحْ: ١٣.	وَأَطِيعُوا: ٩٢.	وَتَعَاوَنُوا: ٢.
وَجَاهِدُوا: ٣٥.	وَكُلُواْ: ٨٨.			
		سورة الأنعام		
ائتنا: ٧١.	اتَّبِعْ: ١٠٦.	أَخْرِجُوا: ٩٣.	اعْمَلُوا: ١٣٥.	اقْتَدِهْ: ٩٠.
أَقِيمُوا: ٧٢.	انْتَظِرُوا: ١٥٨.	انْظُرْ: ٢٤ - ٤٦ - ٦٥.	انْظُرُوا: ١١ - ٩٩.	أَوْفُوا: ١٥٢.
تَعَالَوا: ١٥١.	ذَرْهُمْ: ٩١.	سِيرُوا: ١١.	فَاتَّبِعُوهُ: ١٥٣ - ١٥٥.	فَاعْبُدُوهُ: ١٠٢.
فَاعْدِلُوا: ١٥٢.	فَأَعْرِضْ: ٦٨.	فَذَرْهُمْ: ١١٢ - ١٣٧.	فَذُوقُوا: ٣٠.	فَكُلُواْ: ١١٨.
كُلُواْ: ١٤١ - ١٤٢.	كُنْ: ٧٣.	وَاتَّقُوهُ: ٧٢.	وآتوا: ١٤١.	وَأَعْرِضْ: ١٠٦.
وَأَنْذِرْ: ٥١.	وَأَوْفُوا: ١٥٢.	وَذَرِ: ٧٠.	وَذَرُوا: ١٢٠.	وَذَكِّرْ: ٧٠.
		سورة الأعراف		
ائتنا: ٧٧.	اتَّبِعُوا: ٣.	اجْعَلْ: ١٣٨.	اخْرُجْ: ١٨.	أَخْرِجُوهُم: ٨٢.
اخْلُفْنِي: ١٤٢.	ادْخُلُوا: ٣٨ - ٤٩.	ادْعُ: ١٣٤.	ادْعُوا: ٥٥ - ١٩٥.	أَرْجِهْ: ١١١.
أَرْسِلْ: ١١١.	أَرِنِي: ١٤٣.	اسْتَعِينُوا: ١٢٨.	اسْجُدُوا: ١١.	اسْكُنْ: ١٩.
اسْكُنُوا: ١٦١.	اضْرِبْ: ١٦٠.	اعْبُدُوا: ٥٩ - ٦٥ - ٧٣ - ٨٥.	اغْفِرْ: ١٥١.	افْتَحْ: ٨٩.
أَفِيضُوا: ٥٠.	أَلْقِ: ١١٧.	أَلْقُوا: ١١٦.	انْظُرْ: ١٤٣.	أَنْظِرْنِي: ١٤.
اهْبِطُوا: ٢٤.	خذ: ١٩٩.	خذوا: ٣١ - ١٧١.	فأت: ١٠٦.	

فأتنا: ٧٠.	فآتهم: ٣٨.	فأتوا: ١٣٨.	فَاخْرُجْ : ١٣.	فَادْعُوهُمْ: ١٩٤.
فَاذْكُرُوا: ٦٩ - ٧٤.	فَأَرْسِلْ: ١٠٥.	فَاسْتَعِذْ: ٢٠٠.	فَاسْتَمِعُوا: ٢٠٤.	فَاصْبِرُوا: ٨٧.
فَاغْفِرْ: ١٥٥.	فَاقْصُصِ: ١٧٦.	فَآمِنُواْ: ١٥٨.	فَانْتَظِرُوا: ٧١.	فَانْظُرْ: ٨٤ - ١٠٣.
فَاهْبِطْ: ١٣.	فَأَوْفُوا: ٨٥.	فخذ: ١٤٤.	فخذها: ١٤٥.	فَذَرُوهَا: ٧٣.
فَذُوقُوا: ٣٩.	فَكُلَا: ١٩.	كُلُواْ: ١٦٠.	كُونُوا: ١٦٦.	كِيدُونِ: ١٩٥.
وَاتَّبِعُوهُ: ١٥٨.	وَاتْلُ: ١٧٥.	وَأَدْخِلْنَا: ١٥١.	وَادْخُلُوا: ١٦١.	وَادْعُوهُ: ٢٩ - ٥٦.
وَاذْكُر: ٢٠٥.	واَذْكُرُوا: ٦٩ - ٧٤ - ٨٦ - ١٧١.	وَارْحَمْنَا: ١٥٥.	واَسْأَلْهُمْ: ١٦٣.	وَاشْرَبُوا: ٣١.
وَاصْبِرُوا: ١٢٨.	وَأَصْلِحْ: ١٤٢.	وَأَعْرِضْ: ١٩٩.	وَأَقِيمُوا: ٢٩.	وَاكْتُبْ: ١٥٦.
وَأْمُرْ: ١٤٥ - ١٩٩.	وَأَنْصِتُوا: ٢٠٤.	وَانْظُرُوا: ٨٦.	وَتَوَفَّنَا: ١٢٦.	وَذَرُوا: ١٨٠.
وَقُولُوا: ١٦١.	وَكُلُواْ: ٣١ - ١٦١.	وَكُنْ: ١٤٤.		
		سورة الأنفال		
ائتنا: ٣٢	اسْتَجِيبُوا: ٢٤.	أَطِيعُوا: ٢٠.	حَرِّضِ: ٦٥.	فَاثْبُتُواْ: ٤٥.
فَاجْنَحْ: ٦١.	فَاضْرِبُوا: ١٢.	فَاعْلَمُوا: ٤٠.	فَأَمْطِرْ: ٣٢.	فَانْبِذْ: ٥٨.
فَثَبِّتُوا: ١٢.	فَذُوقُوا: ٣٥.	فَذُوقُوهُ: ١٤.	فَشَرِّدْ: ٥٧.	فَكُلُواْ: ٦٩.
وَاذْكُرُوا: ٢٦ - ٤٥.	وَاصْبِرُوا: ٤٦.	وَأَصْلِحُوا: ١.	وَأَطِيعُوا: ١ - ٤٦.	وَأَعِدُّوا: ٦٠.
وَاعْلَمُوا: ٢٤ - ٢٥ - ٢٨ - ٤١.	وَتَوَكَّلْ: ٦١.	وَذُوقُوا: ٥٠.	وَقَاتِلُوهُمْ: ٣٩.	
		سورة التوبة		
ائذن: ٤٩.	أَبْلِغْهُ: ٦.	اتَّقُوا: ١١٩.	اسْتَهْزِئُوا: ٦٤.	اعْمَلُوا: ١٠٥.

آمِنُواْ : ٨٦.	انْفِرُوا: ٣٨ – ٤١.	أَنْفِقُوا: ٥٣.	جَاهِدِ: ٧٣.	خذ: ١٠٣.
ذَرْنَا: ٨٦.	فَأَتِمُّواْ: ٤.	فَأَجِرْهُ: ٦.	فَاسْتَبْشِرُواْ: ١١١.	فَاسْتَقِيمُوا: ٧.
فَأَعْرِضُوا: ٩٥.	فَاعْلَمُوا: ٣.	فَاقْتُلُوا: ٥.	فَبَشِّرْهُم : ٣٤.	فَتَرَبَّصُوا: ٢٤ – ٥٢.
فَخَلُّوا: ٥.	فَذُوقُوا: ٣٥.	فَسِيحُوا: ٢.	فَقَاتِلُوا: ١٢.	فَوَلِّ: ١٤٤ – ١٤٩ – ١٥٠.
فَوَلُّوا: ١٤٤ – ١٥٠.	قَاتِلُوا: ٢٩ – ١٢٣.	قَاتِلُوهُمْ: ١٤.	وَاعْلَمُوا: ٢ – ٣٦ – ١٢٣.	وَاغْلُظْ: ٧٣.
وَاقْعُدُوا: ٥ .	اقْعُدُوا: ٤٦ .	فَاقْعُدُوا: ٨٣.	وَبَشِّرِ : ٣ – ١١٢.	وَجَاهِدُوا: ٤١ –
وخذوهم: ٥.	وَصَلِّ: ١٠٣.	وَقَاتِلُوا: ٣٦.	وَكُونُوا: ١١٩.	
		سورة يونس		
اطْمِسْ: ٨٨.	اقْضُوا: ٧١.	أَقِمْ: ١٠٥.	أَلْقُوا: ٨٠.	أَنْذِرِ: ٢.
انْظُرُوا: ١٠١.	بَدِّلْهُ : ١٥.	تَبَوَّءا: ٨٧.	تَوَكَّلُوا: ٨٤.	ذُوقُوا: ٥٢.
فأتوا: ٣٨.	فَأَجْمِعُواْ: ٧١.	فَاسْأَل: ٩٤.	فَاسْتَقِيمَا: ٨٩.	فَاعْبُدُوهُ: ٣.
فَانْتَظِرُوا: ٢٠ – ١٠٢.	فَانْظُرْ: ٣٩ – ٧٣.	وَاتَّبِعْ: ١٠٩.	وَاتْلُ: ٧١.	وَاجْعَلُواْ: ٨٧.
وَادْعُوا: ٣٨.	وَاشْدُدْ: ٨٨.	وَاصْبِرْ: ١٠٩ .	وَأَقِيمُوا: ٨٧.	وَبَشِّرِ : ٢ – ٨٧.
وَنَجِّنَا: ٨٦.				
		سورة هود		
ابْلَعِي: ٤٤.	احْمِلْ: ٤٠.	ارْكَبْ: ٤٢.	ارْكَبُوا: ٤١.	اسْتَغْفِرُوا: ٣ – ٥٢.
اعْبُدُوا: ٥٠ – ٦١ – ٨٤.	أَعْرِضْ: ٧٦.	اعْمَلُوا: ٩٣ – ١٢١.	أَقْلِعِي: ٤٤.	اهْبِطْ: ٤٨.
أَوْفُوا: ٨٥.	تَمَتَّعُوا: ٦٥.	تُوبُوا: ٣ – ٥٢ – ٦١ – ٩٠.	فَاتَّبِعُوا: ٩٧.	فأتنا: ٣٢.

فأتوا: ١٣.	فَاسْتَغْفِرُوهُ: ٦١.	فَاسْتَقِمْ: ١١٢.	فَأَسْرِ: ٧١.	فَاصْبِرْ: ٤٩.
فَاعْبُدْهُ: ١٢٣.	فَاعْلَمُوا: ١٤.	فَذَرُوهَا: ٦٤.	فَكِيدُونِي: ٥٥.	وَادْعُواْ: ١٣.
وَارْتَقِبُوا: ٩٣.	وَاسْتَغْفِرُوا: ٩٠.	وَاشْهَدُوا: ٥٤.	وَاصْبِرْ: ١١٥.	وَاصْنَعِ: ٣٧.
وَأَقِمِ: ١١٤.	وَانْتَظِرُوا: ١٢٢.	وَتَوَكَّلْ: ١٢٣		
		سورة يوسف		
اجْعَلْنِي: ٥٥.	اجْعَلُوا: ٦٢.	اخْرُجْ: ٣١.	ادْخُلُوا: ٩٩.	اذْكُرْنِي: ٤٢.
اذْهَبُوا ٨٧ – ٩٣.	ارْجِعْ: ٥٠.	ارْجِعُوا: ٨١.	أَرْسِلْهُ: ١٢.	اطْرَحُوهُ: ٩.
أَعْرِضْ: ٢٩.	أَفْتِنَا: ٤٦ .	أَفْتُونِي: ٤٣.	اقْتُلُوا: ٩.	أَكْرِمِي: ٢١.
تَوَفَّنِي: ١٠١.	فَأَرْسِلْ: ٦٣.	فَأَرْسِلُونِ: ٤٥.	فَاسْأَلْهُ: ٥٠.	فَأَلْقُوهُ: ٩٣.
فَأَوْفِ: ٨٨.	فَتَحَسَّسُوا: ٨٧.	فخذ: ٧٨.	فَذَرُوهُ: ٤٧.	فَقُولُوا: ٨١.
نَبِّئْنَا: ٣٦.	وأتوني: ٩٣.	وَادْخُلُوا: ٦٧.	وَاسْأَلِ: ٨٢.	وَاسْتَغْفِرِي: ٢٩.
وَأَلْحِقْنِي: ١٠١.	وَأَلْقُوهُ: ١٠.	وَتَصَدَّقْ: ٨٨.	وَقُلْنَ: ٣١.	
		سورة الرعد		
		سَمُّوهُمْ: ٣٣		
		سورة إبراهيم		
اجْعَلْ: ٣٥.	اجْعَلْنِي: ٤٠.	أَخْرِجْ: ٥.	أخرنا: ٤٤.	اذْكُرُوا: ٦.
اغْفِرْ: ٤١.	تَمَتَّعُوا: ٣٠.	فأتونا: ١٠.	فَاجْعَلْ: ٣٧.	وَاجْنُبْنِي: ٣٥.
وَارْزُقْهُم: ٣٧.	وَأَنْذِرْ: ٤٤.	وَتَقَبَّلْ: ٤٠.	وَذَكِّرْهُمْ: ٥.	وَلُومُوا: ٢٢.
وَهَبْ: ٣٩.				
		سورة الحجر		
ادْخُلُوهَا: ٤٦.	ذَرْهُمْ: ٣.	فَاخْرُجْ : ٣٤.	فَأَسْرِ: ٦٥ .	فَاصْدَعْ: ٩٤ .
فَاصْفَحِ: ٨٥ .	فَأَنْظِرْنِي: ٣٦.	فَسَبِّحْ: ٩٨.	فَقَعُوا: ٢٩.	نَبِّئْ: ٤٩.
وَاتَّبِعْ: ٦٥.	وَاخْفِضْ: ٨٨.	وَاعْبُدْ: ٩٩.	وَأَعْرِضْ: ٩٤.	وَامْضُوا: ٦٥.
وَكُنْ: ٩٨.	وَنَبِّئْهُمْ: ٥١.			

		سورة النحل		
اتَّبِعْ: ١٢٣.	اتخذي: ٦٨.	ادْخُلُوا: ٣٢.	ادْعُ: ١٢٥.	اعْبُدُوا: ٣٦.
أَنْذِرُوا: ٢.	فَاتَّقُونِ: ٢.	فَادْخُلُوا: ٢٩.	فَارْهَبُونِ: ٥١.	فَاسْأَلُوا: ٤٣.
فَاسْتَعِذْ: ٩٨.	فَاسْلُكِي: ٦٩.	فَانْظُرُوا: ٣٦.	فَتَمَتَّعُوا: ٥٥.	فَسِيرُوا: ٣٦.
فَعَاقِبُوا: ١٢٦.	فَكُلُواْ: ١١٤.	كُلِي: ٦٩.	كُنْ: ٤٠.	وَاجْتَنِبُوا: ٣٦.
وَاشْكُرُوا: ١١٤.	وَاصْبِرْ: ١٢٧.	وَأَوْفُوا: ٩١.	وَجَادِلْهُم: ١٢٥.	
		سورة الإسراء		
أَدْخِلْنِي: ٨٠.	ادْعُوا: ١١٠.	اذْهَبْ: ٦٣.	ارْحَمْهُمَا: ٢٤.	اسْجُدُوا: ٦١.
اسْكُنُوا: ١٠٤.	اقْرَأْ: ١٤.	أَقِمْ: ٧٨.	آمِنُواْ: ١٠٧.	انْظُرْ: ٢١ – ٤٨.
فَاسْأَل: ١٠١.	فَتَهَجَّدْ: ٧٩.	كُونُوا: ٥٠.	وَابْتَغِ: ١١٠.	وآت: ٢٦.
وَاجْعَل: ٨٠.	وَأَجْلِبْ: ٦٤.	وَأَخْرِجْنِي: ٨٠.	وَاخْفِضْ: ٢٤.	وَاسْتَفْزِزْ: ٦٤.
وَأَوْفُوا: ٣٤ – ٣٥.	وَزِنُوا: ٣٥.	وَشَارِكْهُمْ: ٦٤.	وَعِدْهُمْ: ٦٤.	وَكَبِّرْهُ: ١١١
		سورة الكهف		
ابْنُوا: ٢١.	آتنا: ١٠ – ٦٢.	آتوني: ٩٦.	اسْجُدُوا: ٥٠.	انْفُخُوا: ٩٦.
فَابْعَثُواْ: ١٩.	فَأَعِينُونِي: ٩٥.	فَأْوُوا: ١٦.	نَادُوا: ٥٢.	وَاتْلُ: ٢٧.
وَاذْكُر: ٢٤.	وَاصْبِرْ: ٢٨.	وَاضْرِبْ: ٣٢ – ٤٥.	وَهَيِّئْ: ١٠.	
		سورة مريم		
اجْعَلْ: ١٠.	خذ: ١٢.	سَبِّحُوا: ١١.	فَاعْبُدْهُ: ٦٥.	فَاعْبُدُوهُ: ٣٦.
فَقُولِي: ٢٦.	فكلي: ٢٦.	فَهَبْ: ٥.	كُنْ: ٣٥.	وَأَبْصِرْ: ٣٨.
وَاجْعَلْهُ: ٦.	وَاذْكُر: ١٦ –٤١ – ٥١ – ٥٤ – ٥٦.	وَاشْرَبِي: ٢٦.	وَاصْطَبِرْ: ٦٥.	وَأَنْذِرْهُمْ: ٣٩.
وَاهْجُرْنِي: ٤٦.	وَقَرِّي: ٢٦.	وَهُزِّي: ٢٥.		
		سورة طه		
ائتوا: ٦٤.	اذْهَبْ: ٢٤ – ٤٢.	اذْهَبَا: ٤٣.	اسْجُدُوا: ١١٦.	أَسْرِ: ٧٧.
اشْدُدْ: ٣١.	اشْرَحْ: ٢٥.	اقْذِفِيهِ: ٣٩.	فَاقْذِفِيهِ: ٣٩.	أَلْقِهَا: ١٩.

أَلْقُوا: ٦٦.	امْكُثُوا: ١٠.	اهْبِطَا: ١٢٣.	خذها: ٢١.	زِدْنِي: ١١٤.
فَاتَّبِعُونِي: ٩٠.	فأتياه: ٤٧.	فَاجْعَلْ: ٥٨.	فَأَجْمِعُوا: ٦٤.	فَاخْلَعْ: ١٢.
فَاذْهَبْ: ٩٧.	فَأَرْسِلْ: ٤٧.	فَاسْتَمِعْ: ١٣.	فَاصْبِرْ: ١٣٠.	فَاضْرِبْ: ٧٧.
فَاعْبُدْنِي: ١٤.	فَاقْضِ: ٧٢.	فَتَرَبَّصُوا: ١٣٥.	فَسَبِّحْ: ١٣٠.	فَقُولا: ٤٤ – ٤٧.
كُلُوا: ٥٤–٨١,	وَاجْعَل: ٢٩.	وَاحْلُلْ: ٢٧.	وَارْعَوا: ٥٤.	وَاصْطَبِرْ: ١٣٢.
وَاضْمُمْ: ٢٢.	وَأَطِيعُوا: ٩٠.	وَأَقِمِ: ١٤.	وَأَلْقِ: ٦٩.	وَأْمُرْ: ١٣٢.
وَانْظُرْ: ٩٧.	وَسَبِّحْ: ١٣٠.	وَيَسِّرْ: ٢٦.		
		سورة الأنبياء		
احْكُم: ١١٢.	حَرِّقُوهُ: ٦٨.	فأتوا: ٦١.	فَاسْأَلُوا: ٧.	فَاسْأَلُوهُمْ: ٦٣.
فَاعْبُدُونِ: ٢٥ – ٩٢.	كُونِي: ٦٩.	هَاتُوا: ٢٤.	وَارْجِعُوا: ١٣.	وَانْصُرُوا: ٦٨
		سورة الحج		
اتَّقُوا: ١.	ارْكَعُوا: ٧٧.	أَسْلِمُوا: ٣٤.	فَاجْتَنِبُوا: ٣٠.	فَاذْكُرُوا: ٣٦.
فَاسْتَمِعُوا: ٧٣.	فَأَقِيمُوا: ٧٨.	كُلُوا: ٢٨ – ٣٦.	وآتوا: ٧٨.	وَادْعُ: ٦٧.
وَأَذِّن: ٢٧.	وَاسْجُدُوا: ٧٧.	وَأَطْعِمُوا: ٢٨ – ٣٦.	وَاعْبُدُوا: ٧٧.	وَاعْتَصِمُوا: ٧٨.
وَافْعَلُوا: ٧٧.	وَبَشِّرِ: ٣٤ – ٣٧.	وَجَاهِدُوا: ٧٨.	وَذُوقُوا: ٢٢.	وَطَهِّرْ: ٢٦.
		سورة المؤمنون		
أَخْرِجْنَا: ١٠٧.	اخْسَئوا: ١٠٨.	ادْفَعْ: ٩٦.	ارْجِعُونِ: ٩٩.	اصْنَع: ٢٧.
اعْبُدُوا: ٢٣ – ٣٢.	اغْفِرْ: ١١٨.	أَنْزِلْنِي: ٢٩.	انْصُرْنِي: ٢٦ – ٣٩.	فَاتَّقُونِ: ٥٢.
فَاسْأَلْ: ١١٣.	فَاسْلُكْ: ٢٧.	فَاغْفِرْ: ١٠٩.	فَتَرَبَّصُوا: ٢٥.	فَذَرْهُمْ: ٥٤.
كُلُوا: ٥١.	وَارْحَمْ: ١١٨.	وَارْحَمْنَا: ١٠٩.	وَاعْمَلُوا: ٥١.	
		سورة النور		
ارْجِعُوا: ٢٨.	أَطِيعُوا: ٥٤.	فَاجْلِدُوا: ٢.	فَاجْلِدُوهُمْ: ٤.	فَأْذَنْ: ٦٢.

فَارْجِعُوا: ٢٨.	فَسَلِّمُوا: ٦١.	فَكَاتِبُوهُمْ: ٣٣.	وآتوا: ٥٦.	وآتوهم: ٣٣.
وَاسْتَغْفِرْ: ٦٢.	وَأَطِيعُوا: ٥٤ – ٥٦.	وَأَقِيمُوا: ٥٦.	وَأَنْكِحُوا: ٣٢.	وَتُوبُوا: ٣١.
		سورة الفرقان		
اذْهَبَا: ٣٦.	اسْجُدُوا: ٦٠.	اصْرِفْ: ٦٥.	انْظُرْ: ٩.	فَاسْأَلْ: ٥٩.
وَاجْعَلْنَا: ٧٤.	وَادْعُواْ: ١٤.	وَتَوَكَّلْ: ٥٨.	وَجَاهِدْهُم: ٥٢.	وَسَبِّحْ: ٥٨.
		سورة الشعراء		
أَرْجِهْ: ٣٦.	أَرْسِلْ: ١٧ .	أَسْرِ: ٥٢.	اضْرِبْ: ٦٣.	أَلْقُوا: ٤٣.
أَوْفُوا: ١٨١.	فأت: ٣١ – ١٥٤.	فأتيا: ١٦.	فَاذْهَبَا: ١٥.	فَأَرْسِلْ: ١٣.
فَأَسْقِطْ: ١٨٧.	فَافْتَحْ: ١١٨.	فَقُولا: ١٦.	نَجِّنِي: ١٦٩.	هَبْ: ٨٣.
وَابْعَثْ: ٣٦.	وَاتْلُ: ٦٩.	وَاجْعَل: ٨٤.	وَاجْعَلْنِي: ٨٥.	وَاخْفِضْ: ٢١٥.
وَأَطِيعُونِ: ١٠٨ – ١١٠ – ١٢٦ – ١٣١ – ١٤٤ – ١٥٠ – ١٦٣ – ١٧٩.	وَاغْفِرْ: ٨٦.	وَأَلْحِقْنِي: ٨٣.	وَأَنْذِرْ: ٢١٤.	وَتَوَكَّلْ: ٢١٧.
وَزِنُوا: ١٨٢.	وَنَجِّنِي: ١١٨.			
		سورة النمل		
أَخْرِجُوا: ٥٦.	ادْخُلُوا: ١٨.	ادْخُلِي: ٤٤.	اذْهَبْ: ٢٨.	ارْجِعْ: ٣٧.
اعْبُدُوا: ٤٥.	أَفْتُونِي: ٣٢.	أَوْزِعْنِي: ١٩.	تَقَاسَمُوا: ٤٩.	تَوَلَّ: ٢٨
سِيرُوا: ٦٩.	فَأَلْقِهْ: ٢٨.	فَانْظُرْ: ١٤ – ٢٨ – ٥١.	فَانْظُرُوا: ٩٦.	فَانْظُرِي: ٣٣.
فَتَوَكَّلْ: ٧٩.	نَكِّرُوا: ٤١.	هَاتُوا: ٦٤.	وأتوني: ٣١.	وَأَدْخِلْ: ١٢.
وَأَدْخِلْنِي: ١٩.	وَأَلْقِ: ١٠.			
		سورة القصص		
ادْعُوا: ٦٤.	استأجره: ٢٦.	اسْلُكْ: ٣٢.	أَقْبِلْ: ٣١.	أَلْقِ: ٣١.

امْكُثُوا: ٢٩.	فأتوا: ٤٩.	فَاجْعَلْ: ٣٨.	فَاخْرُجْ : ٢٠.	فَأَرْسِلْهُ: ٣٤.
فَاعْلَمْ: ٥٠.	فَاغْفِرْ: ١٦.	فَأَلْقِيهِ: ٧.	فَانْظُرْ: ٤٠.	فَأَوْقِدْ: ٣٨.
قُصِّيهِ: ١١.	نَجِّنِي: ٢١.	هَاتُوا: ٧٥.	وَابْتَغِ : ٧٧.	وَأَحْسِن: ٧٧.
وَادْعُ: ٨٧.	وَاضْمُمْ: ٣٢.			
		سورة العنكبوت		
ائتنا: ٢٩.	اتَّبِعُوا : ١٢.	اتْلُ: ٤٥.	اعْبُدُوا: ١٦ – ٣٦.	اقْتُلُوهُ: ٢٤.
انْصُرْنِي: ٣٠.	حَرِّقُوهُ: ٢٤.	ذُوقُوا: ٥٥.	سِيرُوا: ٢٠.	فَابْتَغُوا : ١٧.
فَاعْبُدُونِ: ٥٦.	فَانْظُرُوا: ٢٠.	وَاتَّقُوهُ: ١٦.	وَاشْكُرُوا: ١٧.	وَاعْبُدُوهُ: ١٧.
وَأَقِمِ: ٤٥.	وَقُولُوا: ٤٦.			
		سورة الروم		
سِيرُوا: ٤٢.	فآت: ٣٨.	فَاصْبِرْ: ٦٠.	فَأَقِمْ: ٣٠ – ٤٣.	فَانْظُرْ: ٥٠.
فَانْظُرُوا: ٤٢.	فَتَمَتَّعُوا: ٣٤.	وَاتَّقُوهُ: ٣١.	وَأَقِيمُوا: ٣١	
		سورة لقمان		
اتَّبِعُوا : ٢١.	اتَّقُوا: ٣٣.	اشْكُرْ: ١٢ – ١٤.	أَقِمْ: ١٧.	فَأَرُونِي: ١١.
فَبَشِّرْهُ: ٧.	وَاتَّبِعْ: ١٥.	وَاخْشَوا: ٣٣.	وَاصْبِرْ: ١٧.	وَاغْضُضْ: ١٩.
وَاقْصِدْ: ١٩.	وَأْمُرْ : ١٧.	وَانْهَ: ١٧.	وَصَاحِبْهُمَا: ١٥.	
		سورة السجدة		
ذُوقُوا: ٢٠.	فَارْجِعْنَا: ١٢.	فَأَعْرِضْ: ٣٠.	فَذُوقُوا: ١٤.	وَانْتَظِرْ: ٣٠.
وَذُوقُوا: ١٤.				
		سورة الأحزاب		
اتَّقِ: ١.	اتَّقُوا: ٧٠.	آتهم: ٦٨.	ادْعُوهُمْ: ٥.	اذْكُرُوا: ٩ – ٤١.
أَمْسِكْ: ٣٧.	صَلُّوا: ٥٦.	فَادْخُلُوا: ٥٣.	فَارْجِعُوا: ١٣.	فَاسْأَلُوهُنَّ: ٥٣.
فَانْتَشِرُوا: ٥٣.	فَتَعَالَيْنَ: ٢٨.	فَمَتِّعُوهُنَّ: ٤٩.	وَاتَّبِعْ: ٢.	وَاتَّقِينَ: ٥٥.
وآتين: ٣٣.	وَاذْكُرْنَ: ٣٤.	وَأَطِعْنَ: ٣٣.	وَأَقِمْنَ: ٣٣.	وَالْعَنْهُمْ: ٦٨.
وَبَشِّرِ : ٤٧.	وَتَوَكَّلْ: ٣ – ٤٨.	وَدَعْ: ٤٨.	وَسَبِّحُوهُ: ٤٢.	وَسَرِّحُوهُنَّ: ٤٩.
وَسَلِّمُوا: ٥٦.	وَقَرْنَ: ٣٣.	وَقُلْنَ: ٣٢.	وَقُولُوا: ٧٠.	

		سورة سبأ		
ادْعُوا: ٢٢.	أَرُونِي: ٢٧.	اعْمَلْ: ١١.	اعْمَلُوا: ١٣.	أَوِّبِي: ١٠.
بَاعِدْ: ١٩.	ذُوقُوا: ٤٢.	سِيرُوا: ١٨.	كُلُوا: ١٥.	وَاشْكُرُوا: ١٥.
وَاعْمَلُوا: ١١.	وَقَدِّرْ: ١١.			
		سورة فاطر		
أَخْرِجْنَا: ٣٧.	اذْكُرُوا: ٣.	أَرُونِي: ٤٠.	فاتخذوه: ٦.	فَذُوقُوا: ٣٧
		سورة يس		
اتَّبِعُوا: ٢٠.	اتَّقُوا: ٤٥.	ادْخُلِ: ٢٦.	اصْلَوْهَا: ٦٤.	اعْبُدُونِي: ٦١.
أَنْفِقُوا: ٤٧.	فَاسْمَعُونِ: ٢٥.	فَبَشِّرْهُ: ١١.	كُنْ: ٨٢.	مُوتُوا: ١١٩.
وَاضْرِبْ: ١٣.				
		سورة الصافات		
ابْنُوا: ٩٧.	احْشُرُوا: ٢٢.	افْعَلْ: ١٠٢.	فأتوا: ١٥٧.	فَاسْتَفْتِهِمْ: ١١ – ١٤٩.
فَأَلْقُوهُ: ٩٧.	فَانْظُرْ: ٧٣ – ١٠٢.	فَاهْدُوهُمْ: ٢٣.	فَتَوَلَّ: ١٧٤.	هَبْ: ١٠٠.
وَأَبْصِرْ: ١٧٩.	وَأَبْصِرْهُمْ: ١٧٥.	وَتَوَلَّ: ١٧٨.	وَقِفُوهُمْ: ٢٤.	
		سورة ص		
ارْكُضْ: ٤٢.	اغْفِرْ: ٣٥.	أَكْفِلْنِيهَا: ٢٣.	أَمْسِكْ: ٣٩.	امْشُوا: ٦.
رُدُّوهَا: ٣٣.	عَجِّلْ: ١٦.	فَاحْكُم: ٢٢ – ٢٦.	فَاخْرُجْ: ٧٧.	فَاضْرِبْ: ٤٤.
فَامْنُنْ: ٣٩.	فَأَنْظِرْنِي: ٧٩.	فَزِدْهُ: ٦١.	فَقَعُوا: ٧٢.	وَاذْكُر: ١٧ – ٤١ – ٤٥ – ٤٨.
وَاصْبِرُوا: ٦.	وَاهْدِنَا: ٢٢.	وخذ: ٤٤.	وَهَبْ: ٣٥	
		سورة الزمر		
اتَّقُوا: ١٠.	ادْخُلُوا: ٧٢.	اعْمَلُوا: ٣٩.	تَمَتَّعْ: ٨.	ذُوقُوا: ٢٤.
فَاتَّقُونِ: ١٦.	فَادْخُلُوهَا: ٧٣.	فَاعْبُدِ: ٢ – ٦٦.	فَاعْبُدُوا: ١٥.	فَبَشِّرْ: ١٧.
وَاتَّبِعُوا: ٥٥.	وَأَسْلِمُوا: ٥٤.	وَأَنِيبُوا: ٥٤.	وَكُنْ: ٦٦.	

		سورة غافر		
ابنِ : ٣٦.	اتَّبِعُونِ: ٣٨.	ادْخُلُوا: ٧٦.	ادْعُوا: ٤٩.	ادْعُونِي: ٦٠.
اقْتُلُوا: ٢٥.	فَادْعُوا: ١٤ – ٥٠.	فَاسْتَعِذْ: ٥٦.	فَاصْبِرْ: ٥٥ – ٧٧.	فَاغْفِرْ: ٧.
كُنْ: ٦٨.	وَأَدْخِلْهُمْ: ٨.	وَاسْتَحْيُوا: ٢٥.	وَاسْتَغْفِرْ: ٥٥.	وَأَنْذِرْهُمْ: ١٨.
وَسَبِّحْ: ٥٥.	وَقِهِمْ: ٧ – ٩.			
		سورة فصلت		
ائتيا: ١١.	ادْفَعْ: ٣٤.	أَرِنَا: ٢٩.	اعْمَلُوا: ٤٠.	فَاسْتَعِذْ: ٣٦.
فَاسْتَقِيمُوا: ٦.	فَاعْمَلْ: ٥.	وَأَبْشِرُوا : ٣٠.	وَاسْتَغْفِرُوهُ: ٦.	وَاسْجُدُوا: ٣٧.
وَالْغَوْا: ٢٦				
		سورة الشورى		
اسْتَجِيبُوا: ٤٧.	أَقِيمُوا: ١٣.	فَادْعُ: ١٥.	وَاسْتَقِمْ: ١٥	
		سورة الزخرف		
ادْخُلُوا: ٧٠.	ادْعُ: ٤٩.	فَاسْتَمْسِكْ: ٤٣.	فَاصْفَحِ: ٨٩.	فَاعْبُدُوهُ: ٦٤.
فَانْظُرْ: ٢٥.	فَذَرْهُمْ: ٨٣.	وَاتَّبِعُونِ: ٦١.	وَاسْأَلْ: ٨٢.	وَأَطِيعُونِ: ٦٣.
		سورة الدخان		
أدوا: ١٨.	اكْشِفْ: ١٢.	خذوه: ٤٧.	ذُقْ: ٤٩.	صُبُّوا: ٤٨.
فأتوا: ٣٦.	فَارْتَقِبْ: ١٠ – ٥٩.	فَأَسْرِ: ٢٣.	فَاعْتَزِلُونِ: ٢١.	فَاعْتِلُوهُ: ٤٧.
وَاتْرُكْ: ٢٤				
		سورة الجاثية		
ائتوا: ٢٥.	فَاتَّبِعْهَا: ١٨.	فَبَشِّرْهُ: ٨.		
		سورة الأحقاف		
ائْتُونِي: ٤.	أَجِيبُوا: ٣١.	أَرُونِي: ٤.	آمِنْ : ١٧.	أَنْصِتُوا: ٢٩.
أَوْزِعْنِي: ١٥.	فأتنا: ٢٢.	فَاصْبِرْ: ٣٥.	فَذُوقُوا: ٣٤.	وَاذْكُر: ٢١.
وَأَصْلِحْ: ١٥.	وَآمِنُواْ : ٣١.			

		سورة محمد		
أَطِيعُوا: ٣٣.	فَاعْلَمْ: ١٩.	فَشُدُّوا: ٤.	وَاسْتَغْفِرْ: ١٩.	وَأَطِيعُوا: ٣٣
		سورة الفتح		
		فَاسْتَغْفِرْ: ١١		
		سورة الحجرات		
اجْتَنِبُوا: ١٢.	فَأَصْلِحُوا: ٩ - ١٠.	فَتَبَيَّنُواْ: ٦.	فَقَاتِلُوا: ٩.	قُولُوا: ١٤.
وَاعْلَمُوا: ٧.	وَأَقْسِطُوا: ٩.			
		سورة ق		
ادْخُلُوهَا: ٣٤.	أَلْقِيَا: ٢٤ .	فَأَلْقِيَاهُ: ٢٦.	فَاصْبِرْ: ٣٩.	فَذَكِّرْ: ٤٥.
فَسَبِّحْهُ: ٤٠.	وَاسْتَمِعْ: ٤١.	وَسَبِّحْ: ٣٩.		
		سورة الذاريات		
تَمَتَّعُوا: ٤٣.	ذُوقُوا: ١٤.	فَتَوَلَّ: ٥٤.	فَفِرُّوا: ٥٠.	وَذَكِّرْ: ٥٥.
		سورة الطور		
اصْلَوْهَا: ١٦.	تَرَبَّصُوا: ٣١.	فَاصْبِرُوا: ١٦.	فَذَرْهُمْ: ٤٥.	فَذَكِّرْ: ٢٩.
فَسَبِّحْهُ: ٤٩.	كُلُواْ: ١٩.	وَاشْرَبُوا: ١٩.	وَاصْبِرْ: ٤٨.	وَسَبِّحْ: ٤٨.
		سورة النجم		
	فَاسْجُدُوا: ٦٢.	فَأَعْرِضْ: ٢٩.	وَاعْبُدُوا: ٦٢.	
		سورة القمر		
ذُوقُوا: ٤٨.	فَارْتَقِبْهُمْ: ٢٧.	فَانْتَصِرْ: ١٠.	فَتَوَلَّ: ٦.	فَذُوقُوا: ٣٧ - ٣٩.
وَاصْطَبِرْ: ٢٧.	وَنَبِّئْهُمْ: ٢٨.			
		سورة الرحمن		
	فَانْفُذُوا: ٣٣.	وَأَقِيمُوا: ٩		
		سورة الواقعة		
		فَسَبِّحْ: ٧٤ - ٩٦.		

		سورة الحديد		
اتَّقُوا: ٢٨.	ارْجِعُوا: ١٣.	اعْلَمُوا: ١٧ - ٢٠.	آمِنُواْ: ٧.	انْظُرُونَا: ١٣.
سَابِقُوا: ٢١.	فَالْتَمِسُوا: ١٣.	وَأَقْرَضُوا: ١٨.	وَآمِنُواْ: ٢٨.	وَأَنْفِقُوا: ٧.
		سورة المجادلة		
انْشُزُوا: ١١.	تَفَسَّحُوا: ١١ .	فَافْسَحُوا: ١١.	فَأَقِيمُوا: ١٣.	فَانْشُزُوا: ١١.
فَقَدِّمُوا: ١٢.	وآتوا: ١٣.	وَتَنَاجَوْا: ٩		
		سورة الحشر		
اتَّقُوا: ١٨.	اغْفِرْ: ١٠.	اكْفُرْ: ١٦.	فَاعْتَبِرُوا: ٢.	فَانْتَهُوا: ٧.
فخذوه: ٧				
		سورة الممتحنة		
فَامْتَحِنُوهُنَّ: ١٠.	فَبَايِعْهُنَّ: ١٢.	وآتوهم: ١٠.	وَاسْأَلُوا: ١٠.	وَاسْتَغْفِرْ: ١٢.
وَاغْفِرْ: ٥				
		سورة الصف		
	كُونُوا: ١٤.	وَبَشِّرِ: ١٣.		
		سورة الجمعة		
فَاسْعَوا: ٩.	فَانْتَشِرُوا: ١٠.	فَتَمَنَّوُا: ٦.	وَابْتَغُواْ: ١٠.	وَاذْكُرُوا: ١٠.
وَذَرُوا: ٩				
		سورة المنافقون		
	تَعَالَوا: ٥.	وَأَنْفِقُوا: ١٠.		
		سورة التغابن		
فَاحْذَرُوهُمْ: ١٤.	فَآمِنُواْ: ٨.	وَاسْمَعُوا: ١٦.	وَأَطِيعُوا: ١٢ - ١٦.	وَأَنْفِقُوا: ١٩.
		سورة الطلاق		
أَسْكِنُوهُنَّ: ٦.	فآتوهن: ٦.	فَارِقُوهُنَّ: ٢.	فَأَمْسِكُوهُنَّ: ٢.	فَأَنْفِقُوا: ٦.
فَطَلِّقُوهُنَّ: ١.	وَأْتَمِرُوا: ٦.	وَأَشْهِدُوا: ٢.	وَأَطِيعُوا: ١٣.	وَأَقِيمُوا: ٢

		سورة التحريم		
ابْنِ : ١١.	أَتْمِمْ: ٨.	ادْخُلا: ١٠.	تُوبُوا: ٨.	جَاهِدِ: ٩.
قُوا: ٦.	وَاغْفِرْ: ٨.	وَاغْلُظْ: ٩.	وَنَجِّني: ١١	
		سورة الملك		
اجْهَرُوا: ١٣.	ارْجِعْ: ٤.	فَارْجِعِ: ٣.	فَامْشُوا: ١٥.	وَأَسِرُّوا: ١٣.
وَكُلُواْ: ١٥				
		سورة القلم		
اغْدُوا: ٢٢.	سَلْهُم: ٤٠.	فَاصْبِرْ: ٤٨.	فَذَرْنِي: ٤٤.	
		سورة الحاقة		
اقْرَأوا: ١٩.	خذوه: ٣٠.	صَلُّوهُ: ٣١.	فَاسْلُكُوهُ: ٣٢.	فَسَبِّحْ: ٥٢.
فَغُلُّوهُ: ٣٠.	كُلُواْ: ٢٤.	وَاشْرَبُوا: ٢٤.		
		سورة المعارج		
	فَاصْبِرْ: ٥.	فَذَرْهُمْ: ٤٢		
		سورة نوح		
اسْتَغْفِرُوا: ١٠.	اعْبُدُوا: ٣.	اغْفِرْ: ٢٨.	أَنْذِرِ: ١.	وَاتَّقُوهُ: ٣.
وَأَطِيعُونِ: ٣.				
		سورة المزمل		
انْقُصْ: ٣.	زِدْ: ٤.	فاتخذه: ٩.	فَاقْرَأُوا: ٢٠.	قُم: ٢.
وآتوا: ٢٠.	وَاذْكُر: ٨.	وَاصْبِرْ: ١٠.	وَأَقْرِضُوا: ٢٠.	وَأَقِيمُوا: ٢٠.
وَاهْجُرْهُمْ: ١٠.	وَتَبَتَّلْ : ٨.	وَذَرْنِي: ١١.	وَرَتِّلِ: ٤.	وَمَهِّلْهُمْ: ١١.
		سورة المدثر		
ذَرْنِي: ١١.	فَاصْبِرْ: ٧.	فَأَنْذِرْ: ٢.	فَاهْجُرْ: ٥.	فَطَهِّرْ: ٤.
فَكَبِّرْ: ٣.	قُم: ٢.			
		سورة القيامة		
		فَاتَّبِعْ: ١٨.		

		سورة الإنسان		
فَاسْجُدْ: ٢٦.	فَاصْبِرْ: ٢٤.	وَاذْكُر: ٢٥.	وَسَبِّحْهُ: ٢٦.	
		سورة المرسلات		
ارْكَعُوا: ٤٨.	انْطَلِقُوا: ٢٩ - ٣٠.	فَكِيدُونِ: ٣٩.	كُلُواْ: ٤٣ - ٤٦.	وَاشْرَبُوا: ٤٣.
وَتَمَتَّعُوا: ٤٦.				
		سورة النبأ		
		فَذُوقُوا: ٣٠.		
		سورة النازعات		
		اذْهَبْ: ١٧.		
سورة عبس	سورة التكوير	سورة الانفطار	سورة المطففين	
		سورة الانشقاق		سورة البروج
		فَبَشِّرْهُم: ٢٤.		
		سورة الطارق		
		فَمَهِّلِ: ١٧.		
		سورة الأعلى		
	سَبِّحِ: ١.	فَذَكِّرْ: ٩.		
		سورة الغاشية		
		فَذَكِّرْ: ٢١.		
		سورة الفجر		
	ارْجِعِي: ٢٨.	فَادْخُلِي: ٢٩.	وَادْخُلِي: ٣٠.	
سورة البلد	سورة الشمس	سورة الليل		
		سورة الضحى		
		فَحَدِّثْ: ١١.		
		سورة الشرح		التين
	فَارْغَبْ: ٨.	فَانْصَبْ: ٧.		

		سورة العلق		
	اقْرَأْ: ١ – ٣.	وَاسْجُدْ: ١٩.	وَاقْتَرِبْ: ١٩.	
سورة القدر	سورة البينة	سورة الزلزلة	سورة العاديات	سورة القارعة
سورة التكاثر	سورة العصر	سورة الهمزة	سورة الفيل	سورة قريش
سورة الماعون		**سورة الكوثر**		
	فَصَلِّ: ٢.	وَانْحَرْ: ٢.		
سورة الكافرون		**سورة النصر**		
	فَسَبِّحْ: ٢.	وَاسْتَغْفِرْهُ: ٣.		
سورة المسد	سورة الإخلاص	سورة الفلق	سورة الناس	

- **ملاحظة**

أمَّا الخطاب القرآني بصيغة الأمر: ﴿قُل﴾ فإنَّ عدد الآيات: [٢٧٠]، وأمَّا عدد التَّكرار فهو: [٢٩٤]. – قد سبق بيان هذه المواضع فأغنى عن ذكرها هنا –..

❁❁❁

المطلب الثَّالث
خروجُ صيغة الأمر عن معناها الأصليِّ في الخطاب القرآني

وقد تخرجُ صيغُ الأمرِ عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائنِ الأحوال، ومن ذلك:

١ - **الإباحة:**

نحو قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ[١] فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة: ٢]. ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقوله ﷻ: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥][٢]. ولكن ممَّا ينبغي التَّنبه إليه أنَّ الإباحة إنما تستفاد من خارج؛ فلهذا يحمل الأمر عليها مجازًا بعلاقة المشابهة المعنويّة؛ لأنَّ كلا منهما مأذون فيه[٣].

وسيأتي بيان ذلك مفصَّلًا.

٢ - **الاحتقار:**

وذلك كقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ

---

(١) ينظر: لباب المحصول في علم الأصول، لابن رشيق (٢/ ٥١٣).

(٢) انظر: شرح مختصر الرَّوضة (٢/ ٣٥٥)، وانظر: إتحاف ذوي البصائر (٥/ ١٩٨)، شرح الكوكب المنير (٣/ ١٧- ١٨)، وانظر: الإبهاج (٢/ ١٥-١٩)، التَّحصيل من المحصول (١/ ٢٧٢).

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ١٧-١٨).

﴿٨٠﴾ [يونس: ٨٠]، وقوله: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [طه: ٦٦]، يعني أنَّ السِّحر في مقابلة المعجزة حقيرٌ. والفرق بينه[(١)] وبين الإهانة أنَّ الإهانة تكون بقولٍ أو فعلٍ، أو تَرْكِ قولٍ أو تَرْكِ فعلٍ، كترك إجابته، والقيام له[(٢)] عند سبق عادته، ولا يكون بمجرَّد الاعتقاد؛ فإنَّ من اعتقد في شيءٍ أنَّه لا يعبأ به، ولا يلتفت إليه لا يقال: إنَّه احتقره، ولا يقال: إنَّه إهانة. والحاصل أنَّ الإهانة هي الإنكار كقوله ﷻ: ﴿ذُقْ﴾ [الدخان: ٤٩]، و(الاحتقار): عدم المبالاة كقوله: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ »[(٣)].

٣ - **الإرشاد**:

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢][(٤)]. ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. والضَّابط فيه أن يرجع لمصلحة في الدُّنيا بخلاف النَّدب فإنَّه لمصالح الآخرة، وأيضًا: الإرشاد لا ثواب فيه، والنَّدب فيه الثَّواب[(٥)].

أقول: ولا ينفكُّ عن معنى الإرشاد، فقد يكون لمصلحة في الدُّنيا،

(١) أي: بين الاحتقار وبين الإهانة.

(٢) أي: وكترك القيام له.

(٣) شرح البدخشي على منهاج الوصول (٢/ ٢٣).

(٤) سبق بيانه .

(٥) انظر: التَّحبير شرح التَّحرير (٥/ ٢١٨٦)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٠)، وانظر: المحصول (٢/ ٥٧-٥٨)، فواتح الرَّحموت (١/ ٣٧٢)، المستصفى (١/ ٤١٩-٤٢٢).

ولمصلحة في الدُّنيا والآخرة معا كما في قوله ﷻ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦]، يعني بالتَّأديب والتَّعليم.

ونحو قوله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩].

٤ - **الاعتبار**:

نحو: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [الأنعام:١١].

-وقد سبق بيانه مفصَّلًا-..

٥ - **الإكرام**:

نحو: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦﴾ [الحجر:٤٦]. فإنَّ قرينة قوله ﷻ: ﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ يدلُّ عليه، والعلاقة هي المشابهة في الإذن[1]، ..

وكقوله ﷻ أيضًا: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤﴾ [ق:٣٤].
وقد سبق بيان ذلك مفصَّلًا...

٦ - **الامتنان**:

نحو: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:٥٧]، ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النحل:١١٤]، ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ﴾ [سبأ:١٥]،

---

(١) انظر: شرح البدخشي على منهاج الوصول (٢/ ٢١)، إتحاف ذوي البصائر (٥/ ١٩٨)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٣)، نهاية السُّول (٢/ ١٨)، جمع الجوامع (١/ ٣٧٣).

أو يقال فيه: إنَّه لبيان النِّعمة، وتمام المنَّة[١]. «والفرقُ بينه وبين الإباحة أنَّ الإباحة هي الإذن المجرَّد، والامتنان أن يقترن به ذكر احتياجنا إليه، أو عدم قدرتنا عليه، ونحوه، كالتَّعرض في هذه الآية إلى أنَّ الله ﷻ هو الَّذي رزقه. وفرَّق بعضهم بأنَّ الإباحة تكون في الشَّيء الَّذي سيوجد، بخلاف الامتنان، والعلاقة هي مشابهة الإيجاب في الإذن؛ لأنَّ الامتنان يكون في مأذون فيه»[٢].

٧ - **الإنذار**:

نحو: ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: ٧١]. وإذا ثبتَ استعمالُ هذه الصِّيغة في هذه المعاني، فهو حقيقةٌ في الطَّلب الجازم منها، مجازٌ في غيره من المعاني[٣].

ومثل قوله ﷻ:

﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ [الحجر: ٣]. وقد جعله بعضهم نوعًا من التَّهديد[٤]، ولكنَّ الصَّحيح أنَّ هناك فرقًا بينه وبين التَّهديد، وذلك من

---

(١) انظر: لباب المحصول في علم الأصول (٢/ ٥١٨).

(٢) شرح البدخشي على منهاج الوصول (٢/ ٢١)، وينظر: إتحاف ذوي البصائر (٥/ ٢٠٤)، وينظر الفرق أيضًا في (شرح الكوكب المنير) (٣/ ٢٢)، وفي (البحر المحيط).

(٣) انظر: شرح مختصر الرَّوضة (٢/ ٣٥٧-٣٥٨).

(٤) انظر: تفسير الرَّازي (١٩/ ١٢٤). قال الشَّيخ الشِّنقيطيُّ في (تفسيره): «هدَّد الله عز وجل الكفَّار في هذه الآية الكريمة بأمره نبيَّه ﷺ أن يتركهم يأكلون ويتمتَّعون فسوف يعلمون حقيقة ما يؤول إليه الأمر من شدَّة تعذيبهم وإهانتهم، وهدَّدهم هذا النَّوع من التَّهديد في

وجوه:

الأوَّل: الإنذارُ يجبُ أن يكون مقرونًا بالوعيد، كالآية السَّابقة، والتَّهديد لا يجب فيه ذلك.

الثَّاني: أنَّ الفعل المهدَّد عليه يكون ظاهر التَّحريم والبطلان، أمَّا الإنذار فقد يكون ذلك وقد لا يكون.

الثَّالث: أنَّ التَّهديد عرفًا أبلغ في الوعيد والغضب من الإنذار(1).

قال العلَّامة الطَّاهر في (تفسيره): «وصيغة الأمر فيه مستعملة في (الإنذار)، ويسمَّى: (المتاركة)، أي: نترككم وتربصَكم؛ لأنَّا مؤمنون بسوء مصيركم. وفي معناه قوله ﷻ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾ [السجدة: ٣٠]. وفي ما يقرب من هذا جاء قوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ

= مواضع أخر كقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۝٣٠﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وقوله عز وجل: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ۝٤٦﴾ [المرسلات: ٤٦]، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، وقوله عز وجل: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣]، و[المعارج: ٤٢]، وقوله عز وجل: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝٤٥﴾ [الطور: ٤٥]، إلى غير ذلك من الآيات. وقد تقرَّر في (فنِّ المعاني) وفي مبحث (الأمر) عند الأصوليين أنَّ من المعاني الَّتي تأتي لها صيغة (افعل) التَّهديد -كما في الآية المذكورة-». أضواء البيان (٢/ ٢٥٣).

(1) انظر الفرق بينهما في (شرح الكوكب المنير) (٣/ ٢٤-٢٥)، الإبهاج (٢/ ١٨)، وفي إتحاف ذوي البصائر (٥/ ٢٠٥)، البرهان في أصول الفقه (١/ ٢١٧)، حاشية العطَّار (١/ ٤٧٠).

ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة: ٥٢]، و(التَّربص): الانتظار. تفعُّل من (الربْص)، وهو انتظار حصول حدث من خيرٍ أو شرٍّ، وفرع على (المتاركة) إعلامهم بأنهم يعلمون في المستقبل مَن مِنَ الفريقين أصحاب الصِّراط المستقيم، ومن هم المهتدون؟ وهذا تعريض بأنَّ المؤمنين هم أصحاب الصِّراط المستقيم المهتدون؛ لأنَّ مثل هذا الكلام لا يقوله في مقام المحاجَّة والمتاركة إلا الموقن بأنَّه المحقُّ»[١].

٨ - **الإهانة**:

ومن خروج الأمر إلى معنى (الإهانة) قوله ﷻ:

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، و[الحج: ٢٢][٢].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٥].

وقوله ﷻ:

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤][٣].

وقوله ﷻ:

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ

(١) التَّحرير والتَّنوير (١٦/٣٤٨).
(٢) انظر: شرح مختصر الرَّوضة (٢/٣٥٥).
(٣) انظر: البحر المحيط، للزَّركشيِّ (٢/٩٨).

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٤][(١)].

ومن خروج الأمر إلى معنى (الإهانة) ما قيل في قوله ﷻ:
﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩]. والعلاقة فيه وفي الاحتقار هو المضادَّة؛ لأنَّ الإيجاب على العباد تشريف لهم لما فيه من تأهيلهم لخدمته؛ إذ كلُّ أحد لا يصلح لخدمة الملك، ولما فيه من رفع درجاتهم. وأخرج البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله ﷻ قال: مَنْ عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[(٢)].

ومنهم من ذكر في المثال السَّابق أنَّه للتقريع والتوبيخ[(٣)]، والمعنى متقارب.

وقد بيَّنتُ في غير موضع أنَّ مثل هذا الخطاب هو أيضًا من (خطاب

---

(١) ينظر: شرح البدخشي ومعه شرح الإسنوي على منهاج الوصول (٢/ ١٧-٢٣).

(٢) أخرجه البخاريُّ [٦٠٢١]. انظر: شرح البدخشي (٢/ ٢٢)، وانظر: إتحاف ذوي البصائر (٥/ ١٩٨).

(٣) انظر: لباب المحصول في علم الأصول (٢/ ٥١٨).

التَّهكم)[١]، ولعلَّ معنى التَّهكم فيه أظهر، وقد سبق بيان ذلك في (خطاب التَّهكم). وضابطه: أن يأتي بلفظ ظاهره الخير والكرامة، والمراد ضدُّه، ويمثل بقوله ﷻ: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦٤]، والعلاقة أيضا هنا: المضادَّة[٢].

وقد بيَّن ذلك الحافظ ابن كثير في (تفسيره)[٣].

ومن خروج الأمر إلى معنى الإهانة قوله ﷻ:

﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٨]

٩ - **التَّبَصُّر**:

نحو قوله ﷻ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ [الزخرف: ٨٣]، [المعارج:٤٢]، ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ

---

(١) انظر: المستصفى (١/٤١٨)، الإحكام، للآمديِّ (٢/١٤٣)، المنخول (ص:١٣٣)، نهاية السُّول (٢/١٩)، جمع الجوامع (١/٣٧٤)، التَّوضيح على التَّنقيح (٢/٥١).

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير (٣/٢٦-٢٧)، التَّحبير (٥/٢١٩١). والحاصل أنَّه خبرٌ مستعمل في التَّهكم والتَّقريع والإهانة والتَّهديد بعلاقة الضدية. أي: المقصود عكس مدلوله، فيكون المعنى: أنت الذَّليل المهان، والتَّأكيد للمعنى التَّهكمي. انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٥/٣١٦)، تفسير أبي السُّعود (٤/٢٣٣)، السِّراج المنير (١/٤٤)، (١/٢٢٣).

(٣) قال الحافظُ ابنُ كثير في تفسير قول الله عز وجل: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [القيامة:٣٤-٣٥]. وهذا تهديدٌ ووعيدٌ أكيد من الله عز وجل للكافر به المتبختر في مشيه، أي: يحق لك أن تمشي هكذا، وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في المثل هذا على سبيل التَّهكم والتَّهديد، كقوله عز وجل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾، وكقوله عز وجل: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات:٤٦]، وكقوله عز وجل: ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:١٥]، وكقوله عز وجل: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠]، إلى غير ذلك». تفسير ابن كثير (٤/٤٥٢)، وانظر: (٤/١٤٧). =

رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٧].

١٠ - **التَّحذير والإخبار عمَّا يؤول إليه** الأمر:

نحو قوله ﷻ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾﴾ [هود: ٦٥][١].

١١ - **التَّحسير**:

﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١١٩]، ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

-وقد سبق بيان ذلك مفصَّلًا-.

١٢ - **التَّخيير**:

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ [المائدة: ٤٢][٢] .

قيل: كان رسول الله ﷺ مخيَّرًا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم بينهم .

وقيل: نسخ التَّخيير بقوله ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [المائدة: ٤٢]، فلن يقدروا على الإضرار بك؛ لأنَّ الله ﷻ يعصمك من النَّاس[٣]. وقد بسط الخلاف في ذلك القرطبيُّ

(١) شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٧-٣٨).

(٢) انظر: البحر المحيط، للزَّركشي (٢/ ٩٨)، التحبير (٥/ ٢١٩٩)، الفصول في الأصول (٢/ ٢٧٦- ٢٧٧)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٦).

(٣) انظر: تفسير النَّسفي (١/ ٤١١)، وانظر: تفسير الطَّبري (٦/ ٢٤٥)، روح المعاني (٦/ ١٤١)، تفسير الثَّعالبي (١/ ٤٦٣).

وغيره[(١)] .[(٢)]

١٣ - **التَّسخير**:

﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، [الأعراف: ١٦٦].

والفرقُ بينه وبين التَّكوين -الآتي- أنَّ التَّكوين: سرعة الوجود عن العدم، وليس فيه انتقال من حالةٍ إلى حالة، والتَّسخير هو الانتقال إلى

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ١٧٩-١٨٥)، وكذلك ذكر الخلاف عماد الدِّين بن محمد الطَّبري المعروف بالكيا الهراسي في (أحكام القرآن) (٣/ ٥٧-٧٩)، وانظر: تفسير الطَّبري (٦/ ٢٤٥)، وروح المعاني (٦/ ١٤١)، والمحرَّر الوجيز (٢/ ١٩٤).

(٢) والحاصل أنَّه قد اختلف علماء التَّفسير في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنَّها منسوخة، وذلك أنَّ أهل الكتاب كانوا إذا ترافعوا إلى النَّبيِّ ﷺ كان مخيَّرًا إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، ثمَّ نسخ ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فلزمه الحكم، وزال التَّخيير. وهذا مرويٌّ عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي. والثَّاني: أنها محكمة، وأنَّ الإمام ونوابه في الحكم مخيَّرون إذا ترافعوا إليهم إن شاءوا حكموا بينهم، وإن شاءوا أعرضوا عنهم، وهذا مرويٌّ عن الحسن والشَّعبي والنَّخعي والزُّهري، وبه قال أحمد بن حنبل. وهو الصَّحيح؛ لأنَّه لا تنافي بين الآيتين؛ لأنَّ إحداهما خيَّرت بين الحكم وتركه، والثَّانية بيَّنت كيفية الحكم إذا كان. زاد المسير (٢/ ٣١٦-٣١٧). والقول الأخير هو الذي أرجحه؛ لأنَّ إعمال الآية أولى. وفي (زهرة التَّفاسير): «ولقد زعم بعض العلماء أنَّ الحكم الشَّرعي كان هو التَّخيير عند تحاكم غير المسلمين، ثمَّ نسخ، وصار الحكم لازما. والحقُّ أنَّ التَّخيير لا يزال قائمًا بالنِّسبة لغير المسلمين الَّذين يطلبون حكم الإسلام من الحاكم المسلم لينفذوه في ديارهم، والتَّخيير ليتعرف الحاكم حالهم، فيحكم حتمًا إن كانوا طلاَّبَ حقٍّ، وله أن يرفض إن كان في قلوبهم مرض، ولا ضرر من الإعراض؛ ولذلك قال عز وجل: ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ ، وإنَّه في حال الإعراض يصاب أولئك الذين يريدون الحكم لهواهم لا للحقِّ». زهرة التَّفاسير (ص: ٢١٩٤)، وكذلك رجَّح ابنُ عطيَّة في (المحرَّر الوجيز) (٢/ ١٩٤) كونها محكمة.

=

حالة ممتهنة؛ إذ التَّسخير لغة: هو الذِّلة والامتهان في العمل، ومنه قوله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ [الزخرف:١٣]، أي: ذَلَّله لنا لنركبه، وقولهم: فلان سخَّره السُّلطان. والبارئُ ﷻ خاطبهم بذلك في معرض التَّذليل.

والعلاقة فيه وفي التَّكوين هي المشابهة المعنويَّة، وهي التَّحتم في وقوع هاتين، وفي فعل الواجب. وقد يقال: العلاقة فيهما الطَّلب. والتَّعبير بالتَّسخير صرَّح به غير واحد. وادَّعى بعض الشَّارحين أنَّ الصَّواب السُّخرية، وهي الاستهزاء، ومنه قوله ﷻ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١]، وهذا عجيب، فإن فيه ذهولًا عن المدلول السَّابق الَّذي ذكرته وتغليظًا[(١)] لهؤلاء الأئمَّة، وتكرارًا لما يأتي؛ فإنَّ الاستهزاء لا يخرج عن الإهانة أو الاحتقار[(٢)].

وقد سبق تحقيق المراد مفصَّلًا. ومنهم من أطلق على المثال السَّابق أنَّه من (إظهار القدرة)[(٣)].

١٤ - التَّسوية:

﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور:١٦].

---

(١) أي: تجهيلا أو تجاهلا لما بيَّنه الأئمَّة الَّذين قالوا: إنَّه من التَّسخير.

(٢) انظر: شرح البدخشي على منهاج الوصول (٢/ ٢١-٢٢)، المستصفى (ص:٧٠)، وانظر: التَّحصيل من المحصول (١/ ٢٧٢).

(٣) انظر: لباب المحصول في علم الأصول (٢/٥١٩)، المستصفى (ص:٧٠)، و(ص:٢٠٤)، التَّحبير (٥/ ٢١٩٤)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٠). وسمَّاه الغزاليُّ في (المنخول) (ص:٢٠٤): (نهايةَ الاقتدار).

وعلاقته: المضادَّة؛ لأنَّ التَّسوية بين الفعل والتَّرك مضادَّة لوجوب الفعل[(١)].

١٥ - **التَّعجب**:

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ [النساء: ٥٠][(٢)].

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥][(٣)].

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨][(٤)].

١٦ - **التَّعجيز**:

﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ﴾ [البقرة: ٢٣].

والعلاقة بينه وبين الإيجاب هي المضادَّة؛ لأنَّ التَّعجيز إنما هي في الممتنعات، والإيجاب في الممكنات[(٥)].

-وقد سبق الكلام عن التَّعجيز مفصَّلًا-..

---

(١) انظر: شرح البدخشي (٢/ ٢٢)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٧-٢٨)، إتحاف ذوي البصائر (٥/ ٢٠١).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/ ٢٨٧).

(٣) انظر: أضواء البيان (١/ ٤١٩).

(٤) انظر: البحر المحيط، للزَّركشيِّ (٢/ ٩٧)، التَّحبير (٥/ ٢١٩٧)، الإبهاج (٢/ ٢١)، ومثَّل له البعض بقول الله عز وجل: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠﴾ [الإسراء: ٥٠]. انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٤-٣٥)، وانظر: البحر المحيط، للزَّركشيِّ (٢/ ٩٧)، وقد تقدَّم أنَّ بعضهم مثَّل به للتَّعجيز. انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٤ - ٣٥) .وقد سبق التَّعقيب على ذلك. وانظر كذلك: روح المعاني (١٥/ ٩٠).

(٥) انظر: شرح البدخشي على منهاج الوصول (٢/ ٢٢).

١٧ - **التَّفويض**:

﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، وسمِّي (بالتَّسليم)، وسمِّي (بالاستبسال)...

وسمِّي أيضًا بالتَّحكيم(١).

١٨ - **التَّكذيب**:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣](٢)، ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، ..

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠](٣).

١٩ - **التَّهديد**:

﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، فَهَذَا أَمْرٌ بِلام الأَمْرِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَجَلَّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦٦]، ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

---

(١) انظر: التَّحبير شرح التَّحرير (٥/ ٢١٦٩)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٢)، المدخل (ص: ٢٢٦)، إتحاف ذوي البصائر (٥/ ٢٠٦)، جمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، ويسمَّى أيضًا: (التَّحكيم)، ويسمَّى: (التَّسليم)، ويسمَّى: (الاستبسال)، أعلموه أنهم قد استعدُّوا له بالصَّبر، وأنهم غير تاركين لدينهم، وأنهم يستقلون بما هو فاعل في جنب ما يتوقعونه من ثواب الله عز وجل، ومنه قول نوح عليه السلام: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، أخبرهم بهوانهم عليه. انظر: البحر المحيط، للزَّركشي (٢/ ٩٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٩)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٥١).

(٣) انظر: البحر المحيط، للزَّركشي (٢/ ٩٧)، التَّحبير (٥/ ٢١٩٧)، الإبهاج (٢/ ٢١)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٣-٣٤).

[النحل: ٥٥]، و[الروم: ٤٣]، ومن التهديد قوله ﷻ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٦٤][(١)].

٢٠ - **التَّكوين**:

كقوله ﷻ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، و[آل عمران: ٤٧]، و[٥٩]، و[الأنعام: ٧٣]، و[النحل: ٤٠]، [مريم: ٣٥]، و[يس: ٨٢]، و[غافر: ٦٨][(٢)].

٢١ - **الجزاء**:

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢][(٣)].

٢٢ - **الخبر**:

نحو: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ [مريم: ٣٨]، أي: أسمعت وأبصرت. ونحو قوله ﷻ: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ [مريم: ٧٥]، أي: مدَّ له الرَّحمن مدًّا .

ونحو قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ [العنكبوت: ١٢]، ..

---

(١) انظر: شرح مختصر الرَّوضة (٢/ ٣٥٦)، إتحاف ذوي البصائر (٥/ ١٩٩)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٣-٢٤)، التَّحصيل من المحصول (١/ ٢٧٢) .

(٢) انظر: أصول السَّرخسي (١/ ١٨)، الإبهاج (٢/ ١٦)، (٢/ ٢٠)، البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٩٤)، التَّحبير (٣/ ١٢٦٦)، التَّقرير والتَّحبير (١/ ٨)..إلخ. وسيأتي أنَّ منهم من يسمِّيه: (كمال القدرة) أو (نهاية الاقتدار)..

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٣) .

أي: ونحنُ نحمل خطاياكم؛ لأنَّ الآمر لا يأمر نفسه فتعيَّن الخبر(١).

ومثَّل بعضهم بقوله ﷻ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ على أنها للتَّعجب، أي: ما أسمعهم وأبصرهم!!

والحاصل أنَّ لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر(٢).

والأولى في التَّمثيل للتَّعجب قول الله ﷻ: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء:٤٨](٣).

٢٣ - الدُّعاء:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠]، ومن ذلك: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ **[الأعراف:١٢٦]**(٤).

---

(١) انظر: إتحاف ذوي البصائر (٥/ ٢٠٢)، البحر المحيط، للزَّركشيِّ (١/ ٥٦٦)، التَّحبير شرح التَّحرير (١/ ٤١٨)، (٥/ ٢١٩٥)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣١).

(٢) انظر: تفسير الطَّبري (١٦/ ٨٦)، ابن كثير (٢/ ٥٨٢)، (٣/ ١٢٣)، تفسير البحر المحيط (١/ ٤٧٧، ٦٦٨)، التِّبيان في تفسير غريب القرآن الكريم (١/ ٢٨٢).

(٣) انظر: إتحاف ذوي البصائر (٥/ ٢٠٢)، (٥/ ٢٠٥)، البحر المحيط، للزَّركشي (٣/ ٢٩٢).

(٤) انظر: شرح مختصر الرَّوضة (٢/ ٣٥٦)، إتحاف ذوي البصائر (٥/ ٢٠١)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٨)، وانظر: الآيات التَّالية: [البقرة:١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٥٠، ٢٨٦]، [آل عمران:٧، ١٦، ٥٣، ١٤٧، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤]، [النساء:٧٥]، [المائدة:٨٣، ١١٤]، [الأعراف:١٢٦، ١٥١]، [يونس:٨٥، ٨٨]، [إبراهيم:٣٧، ٤٠، ٤١]، [الكهف:١٠]، [المؤمنون:١٠٩، ١١٨]، [الفرقان:٦٥، ٧٤]، [الأحزاب:٦٨]، [سبأ:١٩]، [فاطر:٣٧]، [ص:١٦، ٣٥]، [غافر:٧، ٨]، [فصلت:٢٩]، [الدخان:١٢]، [الحشر:١٠]، [الممتحنة:٥]، [التحريم:٨]، [نوح:٢٨].

٢٤ - **الدَّوام**:

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦][1].

قال العلَّامة الطَّاهر في (تفسيره): «صيغة الطَّلبِ موضوعةٌ لطلبِ حصول الماهيَّة المطلوبة من فعلٍ أو كفٍّ، فإذا استعملت في (طلب الدَّوام) كان استعمالها مجازًا نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء:١٣٦]، وذلك حيث لا يراد بها إلا طلب الدَّوام. وأمَّا إذا استعملت في طلب الدَّوام للزِّيادة ممَّا حصل بعضُه ولم يحصل بعضه، فهي مستعملة في معناها، وهو: (طلب الحصول)؛ لأنَّ الزِّيادة في مراتب الهداية مثلًا تحصيل لمواد أخرى منها. ولما كان طلب الزِّيادة يستلزم طلب دوام ما حصل إذ لا تكاد تنفع الزِّيادة إذا انتقض الأصل كان استعمالها حينئذٍ في لازم المعنى مع المعنى، فهو كناية. أمَّا إذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ من بلَغَ جميع مراتب الهداية، ورقَى إلى قمَّة غاياتها، وهو النَّبي ﷺ، فإنَّ دعاءه حينئذٍ يكون من استعمال اللَّفظ في مجاز معناه، ويكون دعاؤه ذلك اقتباسا من لآية، وليس عين المراد من لآية؛ لأنَّ المراد منها: (طلب الحصول بالمزيد مع طلب الدَّوام بطريقة الالتزام)، ولا محالة أنَّ المقصود في الآية هو: (طلب الهداية الكاملة)..وإنَّ المرءَ بحاجة إلى هذه الهداية في جميع شؤونه كلِّها، حتَّى في الدَّوام على ما هو متلبِّس به من الخير

---

(١) انظر: التَّحرير والتَّنوير (١/ ١٨٩)، (١/ ١٩٤)، (٢٥/ ٢١٩)، زهرة التَّفاسير (ص:٢٦٦٣)، جواهر البلاغة (ص:٥٢)، الموافقات (١/ ١٨٠).

للوقاية من التّقصير فيه أو الزّيغ عنه»[١].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ [طه: ١٣٥]. فإنَّ مادَّة الفعل المأمور به مستعملة في الدَّوام بالقرينة، نحو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾، أي: فداوموا على تربُّصكم[٢].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

«الأمرُ به مستعملٌ في طلب الدَّوام؛ لأنَّ الأمرَ بفعلٍ لمن هو مُتلبِّسٌ به لا يكون لطلب الفعل، بل لمعنى آخر، وهو هنا طلب الثَّبات على التَّمسك بما أوحي إليه كما دلَّ عليه قوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وهذا كما يُدعى للعزيز المُكرَم، فيقال: (أعزَّك الله وأكرمك)، أي: أدام ذلك، وقوله: (أحياك الله)، أي: أطال حياتك، ومنه قوله ﷻ (في تعليم الدُّعاء): ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾»[٣].

٢٥ - قرب المنـزلة:

نحو قوله ﷻ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٩]، و[النحل: ٣٢]، و[الزخرف: ٧٠][٤].

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (١/ ١٩٠-١٩١).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٦/ ٣٤٧).

(٣) المصدر السابق (٢٥/ ٢١٩).

(٤) انظر: البحر المحيط، للزّركشي (٢/ ٩٧)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٧)، التَّحبير (٥/ ٢٢٠٠).

٢٦ - **كمال القدرة**(١):

وذلك كقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠]. وقد سبق أنَّ من العلماء من يسمِّيه: (خطاب التَّكوين). .

٢٧ - **المشورة**:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢](٢).

٢٨ - **النَّدب**:

نحو: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣](٣). والكتابة مندوبة عند الأكثرين(٤) -وقد سبق بيان ذلك-.

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فالأمر بالإشهاد على

---

(١) من العلماء من يسمِّيه: (كمال القدرة). انظر: المستصفى (١/ ٤١٨)، الإحكام، للآمديِّ (٢/ ١٤٣)، فواتح الرَّحموت (٢/ ٩)، وبعضهم يسمِّيه: (نهاية الاقتدار). انظر: المنخول (ص: ١٣٤)، وبعضهم يعبِّر عنه بـ: (التَّكوين). انظر: التَّوضيح (٢/ ٥١-٥٣)، فواتح الرَّحموت (١/ ٢٧٢)، التَّبصرة (ص: ٢٠). وبعضهم بـ: (التَّسخير)، فتكوين الشَّيء إيجاده من العدم، والله عز وجل هو الموجد لكلِّ شيءٍ وخالقه. شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٠-٣١)، التَّحبير شرح التَّحرير (٥/ ٢١٩٤-٢١٩٥).

(٢) انظر: البحر المحيط، للزَّركشي (٢/ ٩٧)، التَّحبير (٥/ ٢١٩٧)، المدخل (ص: ٢٢٦)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٤).

(٣) انظر: تفسير الطَّبري (١٨/ ١٢٦)، روح المعاني (١٨/ ١٥٥)، وقد سبق بيان ذلك.

(٤) انظر: شرح مختصر الرَّوضة (٢/ ٣٥٥)، إتحاف ذوي البصائر (٥/ ١٩٧).

التَّابع للنَّدب، بدليل أنَّ النَّبي ﷺ اشترى فرسًا من أعرابي ولم يشهد[(١)].

٢٩ - **الوعد**:

﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. وقد يقال بدخول ذلك بالامتنان، فإنَّ بشرى العبد منَّة عليه[(٢)].

٣٠ - **الوعيد**:

نحو قوله ﷻ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]..الآية[(٣)]. ومنهم من قال: هذا من التَّهديد[(٤)]. وقال بعضهم: التَّهديد أبلغُ من الوعيد [(٥)]. وذِكْرُ الوعيد بعد الأمر المذكور دليل على أنَّه للتَّهديد[(٦)]. ومنهم من يجعله . . . .

---

(١) انظر: الأصول من علم الأصول (ص: ٢٢). والحديث صحيح أخرجه أبو داود [٣١٣٠]، والنَّسائي [٤٥٦٨]، أخرجه أحمد [٢٠٨٧٨]، ورواه الطَّبراني [٣٧٣٠]، ورجاله كلُّهم ثقات كما في (مجمع الزَّوائد) (٩/ ٥٣٣).

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٣)، التَّحبير (٥/ ٢١٨٩) .

(٣) ذكر الرَّازي في (تفسيره) أنَّ صيغة الأمر لا لمعنى الطَّلب في كتاب الله عز وجل كثيرة، ثمَّ نقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه قال: هذه الصِّيغة تهديد ووعيد، وليست بتخيير. انظر: تفسير الرَّازي (٢١/ ١٢٠)، وانظر: تفسير الثَّعالبي (٢/ ٣٧٩)، تفسير ابن عادل (١٩/ ٥٣١)، البحر المديد (٤/ ١٥٧)، التَّسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٥٥).

(٤) انظر: البحر المحيط، للزَّركشيِّ (٢/ ٩٣)، التَّحبير (٥/ ٢٢٠٠)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (١/ ١٦٥)، الموافقات (٣/ ١١٥).

(٥) انظر: البحر المحيط، للزَّركشي (٢/ ٩٣)، التَّحبير (٥/ ٢٢٠٠)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٧).

(٦) انظر: الأصول من علم الأصول (ص: ٢٣). قال الشَّيخ الشِّنقيطي في (تفسيره): «ظاهر هذه الآية الكريمة بحسب الوضع اللُّغوي التَّخيير بين الكفر والإيمان، ولكن المراد من الآية =

للتَّهديد والوعيد[١].

= الكريمة ليس هو التَّخيير، وإنما المراد بها التَّهديد والتَّخويف والتَّهديد بمثل هذه الصِّيغة الَّتي ظاهرها التَّخيير أسلوب من أساليب اللُّغة العربيَّة، والدَّليل من القرآن العظيم على أنَّ المراد في الآية التَّهديد والتَّخويف أنَّه أتبع ذلك بقوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]. وهذا أصرح دليل على أنَّ المراد التَّهديد والتَّخويف؛ إذ لو كان التَّخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطَّرفين المخيَّر بينهما بهذا العذاب الأليم، وهذا واضح كما ترى». أضواء البيان (٣/ ٢٦٦)، وانظر: (٨/ ٤١٤).

(١) قال الطَّبري: «وقد بينَّا في غير هذا الموضع أنَّ العرب تُخرِج الكلام بلفظ الأمر ومعناها فيه النَّهي أو التَّهديد والوعيد، كما قال عز وجل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف:٢٩]، وكما قال: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل:٥٥]، [الروم:٣٤]، فخرج ذلك مخرج الأمر، والمقصود به التَّهديد والوعيدُ والزجر والنَّهي». تفسير الطَّبري (٤/ ٢٣٨)، تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣)، البغوي (٣/ ١٥٩)، تفسير النَّسفي (٢/ ٤١٦)، تفسير أبي السُّعود (٥/ ٢١٩).

المطلب الرَّابع
التَّعريف بموضوعات النَّهي في القرآن

أ. التَّعريف وبيان الصِّيغ:

النَّهيُ ضدُّ الأمر، فكلُّ ما قرِّر في الأمر، فليفهم عكسه في النَّهي، وكما أنَّ الأمر ظاهر في الوجوب، فالنَّهي ظاهر في التَّحريم، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر:٧][(١)]. فالنَّهي هو القول الدَّالُّ على ترك الفعل دلالة أوَّليَّة، وقول القائل لغيره: (لَا تَفْعَلْ)، أو ما يقوم مقامه؛ لإفادة معنى الكفِّ والامتناع عن الفعل[(٢)].

والنَّهيُ له صيغةٌ أصليَّةٌ واحدةٌ، وهي المضارعُ المجزومُ بـ(لا) النَّاهية[(٣)].

---

(١) فمن قال بوجوب الائتمار يقول بوجوب الانتهاء؛ لأنَّ الانتهاء مأمورٌ به في قوله عز وجل: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ ، والأمر للوجوب؛ ولأنَّ ارتكاب المنهيِّ عنه معصية، بدليل إطلاق اسم المعصية على قربان الشَّجرة في قِصَّة آدم عليه السلام، حيث قال عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١]، ولا يستحقُّ اسم المعصية إلا بترك الواجب. انظر: المغني في أصول الفقه (ص:٦٧-٦٨).

(٢) أي: فعل الأمر الَّذي يدلُّ بمادَّته على طلب الكفِّ، نحو: (دع)، و(ذر). انظر: إرشاد الفحول (ص:١٨٤-١٩٣)، الإحكام، للآمديِّ (٢/ ٢١٠-٢١٥)، (٣/ ٢٨٥)... إلخ.

(٣) أمَّا بيانُ ذلك من جهةِ اللُّغة فإنَّ من أوجه (لا) أنَّها تكون موضوعةً لطلبِ التَّرك، وتختصُّ بالدُّخول على المضارع، وتقتضي جزمَه واستقباله، سواء كان المطلوب منه مخاطَبًا نحو: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]، أم غائبا نحو: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [آل عمران:٢٨]، أم متكلِّمًا نحو: (لا أَرَيَنَّكَ هاهنا)، فالمتكلِّم ينهى نفسه عن رؤية المخاطَب في مكان قريب منه..انظر: مغني اللَّبيب (ص:٣٢٣)، وانظر: الشَّمني =

ويدلُّ عليه ما سيأتي بيانه مفصَّلًا من بيانٍ لمادَّة: (نهى)، والجمل

= (٢/ ٤٩)، والدُّسوقي (١/ ٢٥٥)، وشرح مغني اللَّبيب، للدُّكتور عبد اللَّطيف محمَّد الخطيب (٣/ ٢٣٠- ٢٣١). وتوكيد الفعل بالنُّون يدلُّ على أنَّ المراد بـ: (لا) الطَّلب، كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾ [إبراهيم: ٤٢]؛ لأنَّ توكيد المنفيِّ مختلفٌ فيه..انظر: مغني اللَّبيب (ص: ٣٢٥)، وانظر: (ص: ٥٦٣)، و(ص: ٨٩١)، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (٣/ ١١٧٢)، [وقد مال أبو حيَّان في (البحر) (٤/ ٤٧٧) إلى الجواز]، ولكنَّ وقوع الطَّلب صفةٌ للنَّكرة ممتنع فوجب إضمار القول، أي: واتقوا فتنةً مقولا فيها ذلك. مغني اللَّبيب (ص: ٣٢٥)، وانظر: (ص: ٥٦٣)، قال الزَّمخشريُّ: «وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول، كأنَّه قيل: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ...﴾ [الأنفال: ٢٥]، ونظيره قوله:

(حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَط جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ؟)

أي: بمذق مقول فيه هذا القول». الكشاف (٢/ ١٥٢)، وانظر: البحر المحيط (٤/ ٤٧٧)، تفسير ابن عادل (٩/ ٤٩١)، (١٢/ ٤٣٨)، (١٣/ ٣٣٤)، (١٦/ ٤٤٧)... إلخ. قائله: قيل ينسب إلى راجز لم يعين اسمه، وقيل: لرؤبة بن العجَّاج وقد نزل ضيفًا بقوم وطال انتظاره للطَّعام حتَّى جاء اللَّيل، ثمَّ أتوه بلبنٍ قليلٍ خلطوه بماءٍ كثير، حتَّى صار لونه مثل لون الذِّئب في الزُّرقة. والشَّاهد فيه قوله: (بمذق هل رأيت الذئب قط) فإنَّ الظاهر يشعر بوقوع الجملة الاستفهاميَّة نعتًا للنكرة، وهو (مذق) وليس كذلك، بل جملة الاستفهام معمولة لقول محذوف هو الواقع نعتًا، والتَّقدير: (بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ؟)..انظر: خزانة الأدب (٢/ ٩٥)، شرح البغدادي (٥/ ٥)، أمالي الشَّجري (٢/ ١٤٩)، الإنصاف (١/ ١١٥)، شواهد العيني (٤/ ٦١). قال الطَّاهر: «وحرف (لا) في قوله عز وجل: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نهيٌ بقرينة اتِّصال مدخولها بنون التَّوكيد المختصَّة بالإثبات في الخبر وبالطَّلب، فالجملة الطَّلبيَّة: إمَّا نعت لـ: (فتنة) بتقدير قولٍ محذوف..وباب حذف القول بابٌ متَّسع، وقد اقتضاه مقام المبالغة في التَّحذير هنا والاتِّقاء من الفتنة، فأكَّد الأمر باتِّقائها بنهيها هي عن إصابتها إيَّاهم؛ لأنَّ هذا النَّهي من أبلغ صيغ النَّهي بأنَّ يُوجِّه النَّهي إلى غير المراد نهيه تنبيهًا له على =

الخبريَّة المستعملة في النَّهي، إلى غير ذلك[1].

والمنهيُّ عنه إمَّا أن يكون فعلًا، أو يكون قولًا، فالأوَّل: كما في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]، ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ﴾ [النساء:٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣]، ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ﴾ [الأنعام:١٢١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ

= تحذيره من الأمر المنهيِّ عنه في اللَّفظ، والمقصودُ تحذير المخاطَب بطريق الكناية؛ لأنَّ نهي ذلك المذكور في صيغة النَّهي يستلزم تحذير المخاطَب فكأنَّ المتكلِّم يجمع بين نهيين، ومنه قول العرب: (لا أعرِفَنَّك تفعل كذا)، فإنَّه في الظَّاهر المتكلِّم نفسه عن فعل المخاطَب، ومنه قوله عز وجل: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف:٢٧]، ويسمَّى هذا (بالنَّهي المحوَّل)، فلا ضمير في النَّعت بالجملة الطَّلبيَّة. ويجوز أن تكون جملة: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نهيًا مستأنفًا تأكيدًا للأمر باتِّقائها مع زيادة التحذير بشمولها مَن لم يكن من الظَّالمين. ولا يصح جعل جملة: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ جوابًا للأمر في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾ ؛ لأنَّه يمنع منه قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ﴾ [الأنفال:٢٥]، وإنما كان يجوز لو قال: (لا تصيبنكم) كما يظهر بالتَّأمُّل، وقد أبطل في (مغني اللَّبيب) جعل (لا) نافية هنا، وردَّ على الزَّمخشريِّ تجويزه ذلك». التَّحرير والتَّنوير (٩/٣١٧-٣١٨)، وانظر: الكشاف (٢/١٥٢).

(١) وهل ما وضعت له هذه الصِّيغة للتَّحريم، أم للكراهة، أم للقدر المشترك بينهما؟ المختار أنَّه للتَّحريم لفهم المنع من الصِّيغ المجرَّدة، ويستعمل في غير التَّحريم مجازًا. انظر: روضة النَّاظر (ص:١٩٢). =

أَحۡسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ [الإسراء:٣٢]، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾ [الإسراء:٣٤].

والثَّاني: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ﴾ [البقرة:١٥٤]، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ [النساء:٩٤]، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ [النساء:١٧١]، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ [النحل:١١٦].

ويقالُ في أكثرِ مسائل النَّهي عكسُ ما يذكر في مسائل الأمر؛ لأنَّ النَّهي يقابل الأمر، ويشتركُ معه في كثيرٍ من المسائل. ولذلك من العلماء من يتركُ الكثيرَ من مسائل النَّهي تفاديًا للتَّكرار(١).

ب. ذكر مواضع الصِّيغ من القرآن الكريم:

١ - مواضع (لا) النَّاهية:

أمَّا مواضع (لا) النَّاهية في القرآن فهي على النَّحو التَّالي:

[البقرة: ١٠٤ - ٢٣٣ - ٣٥٢ - ٢٨٦]، [آل عمران: ٨- ٢٨ - ١١٨- ١٣٠-١٥٦- ١٨٨- ١٩٦]، [النِّساء: ١٩- ٢٩- ٤٣ - ١٤٤ - ١٥٤- ١٧١]، [المائدة: ٢ - ٤١-٥١ - ٧٧ - ٧٨ - ٩٥ -

---

(١) انظر: إتحاف ذوي البصائر (٥/٣٩٨).

١٠١]، [الأعراف: ٢٧ - ٤٧]، [الأنفال: ٢٧]، [التَّوبة: ٢٣ - ٤٠-٦٦ - ٨٠ - ٨١ - ٩٤ - ١٠٨]، [يونس: ٧١ - ٨٥]، [هود: ٥٥ - ٧٠ - ٨٩]، [يوسف: ٥ - ١٠- ٦٧]، [الحجر: ٥٣]، [النَّحل: ٥١]، [الإسراء: ٢٢]، [مريم: ٤٤]، [طه: ٤٦ - ٦١- ٦٨-٩٤]، [الأنبياء: ١٣- ٨٩]، [المؤمنون: ٥٦]، [النُّور: ١١ - ٢١ - ٥٣- ٥٧ - ٦٣]، [الفرقان: ٤]، [النَّمل: ١٠ - ١٨]، [القصص: ٩- ٢٥- ٧٦]، [العنكبوت: ٣٣]، [لقمان: ١٣]، [الأحزاب: ٥٣- ٦٩]، [يس: ٦٠]، [ص: ٢٢]، [الزُّمر: ٥٣]، [فصِّلت: ٢٦-٣٧]، [الدُّخان: ١٩]، [الحجرات: ١ - ١١]، [ق: ٢٨]، [الذَّاريات: ٢٨]، [الطُّور: ١٦]، [الممتحنة: ١ - ٥- ١٢- ١٣]، [المنافقون: ٧ - ٩]، [الطَّلاق: ١]، [التَّحريم: ٧]، [القلم: ٢٤ - ٧١ - ٢٦]، [القيامة: ١٦]، [العلق: ١٩][1].

٢ - أمَّا مواضع (فلا) في الخطاب القرآني فهي على النَّحو التَّالي:

[البقرة: ٢٢ - ١٠٢ - ١٤٧ - ١٥٠ - ٢٢٩ - ٢٣٢]، [آل عمران: ٦٠ - ١٧٥ - ١٨٨]، [النِّساء: ٢٠- ١٥٠ - ١٩٥]، [الأنعام: ١٥٠]، [الأنفال: ١٥]، [التَّوبة: ٢٨ - ٣٦ -٥٥]، [يونس: ٨٨ - ٩٤]، [هود: ١٧ - ٣٦ - ٤٦ - ١٠٩]، [يوسف: ٦٩]، [إبراهيم: ٢٢-٤٧]، [الحجر: ٦٨]، [النَّحل: ١-٧٤]، [الإسراء: ٢٣ - ٣٣]، [الكهف: ٢٢ - ٧٠ - ٧٦]، [مريم: ٨٤]،

---

(١) بتصرُّف عن (دارسات لأسلوب القرآن الكريم) (٢/ ٤٣٩-٤٤٠).

[طه: ١٦- ١١٧]، [الأنبياء: ٣٧]، [الحج: ٦٧]، [المؤمنون: ٩٤]، [النُّور: ٢٨]، [الفرقان: ٥٢]، [الشُّعراء: ٢١٣]، [القصص: ٨٦]، [العنكبوت: ٨]، [لقمان: ١٥ - ٣٣]، [السَّجدة: ٢٣]، [الأحزاب: ٣٢]، [فاطر: ٥]، [يس: ٧٦]، [غافر: ٤]، [الزُّخرف: ٦١]، [محمَّد: ٣٥]، [الذَّاريات: ٥٩]، [النَّجم: ٣٢]، [المجادلة: ٩]، [الممتحنة: ١٠]، [القلم: ٨]، [الجن: ١٨]، [الضُّحى: ٩ - ١٠].

٣ - أمَّا موضع (ولا) في الخطاب القرآني فهو على النَّحو التَّالي:

[البقرة: ٣٥ - ٤١- ٤٢ - ٦٠- ١٥٢- ١٥٤- ١٨٧ - ١٨٨- ١٩٠ - ١٩١-١٩٥ - ١٩٦ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٤ - ٢٣١ - ٢٣٥ - ٢٣٧ - ٢٦٧ - ٢٨٢ -٢٨٣ - ٢٨٦]، [آل عمران: ٧٣ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٣٩ - ١٦٩ - ١٧٦-١٧٨-١٨٠- ١٩٤]، [النِّساء: ٢ - ٥ - ٦ - ٢٢ - ٢٩ - ٣٦ - ٨٩ - ٩٤ - ١٠٤-١٠٥ - ١٠٧ - ١٧١]، المائدة: [٢ - ٨ - ٢١ - ٤٤ - ٤٨- ٧٧]، [الأنعام: ١٤ - ٥٢-١٢١ - ١٤٢ - ١٥٠ - ١٥١م - ١٥٢ - ١٥٣]، [الأعراف: ٣ - ١٩ - ٣١ - ٥٦ -٧٣ - ٧٤ - ٨٥ - ٨٦ - ١٤٢ - ١٥٠ - ٢٠٥]، [الأنفال: ٢٠ - ٢١ - ٤٦- ٤٧- ٥٩]، [التَّوبة: ٤٩ - ٨٤ - ٨٥- ١٢٠]، [يونس: ٦٥ - ٧١ - ٨٩ - ٩٥ - ١٠٥- ١٠٦]، [هود: ٣٧ - ٤٢ - ٥٢ - ٦٤ - ٧٨ - ٨١ - ٨٤ - ٨٥ - ١١٢ - ١١٣]، [يوسف: ٦٠- ٨٧]، [إبراهيم: ٤٢]، [الحجر: ٦٥ - ٦٩- ٨٨]، [النَّحل: ٩١ - ٩٢ - ٩٤- ٩٥ - ١١٦- ١٢٧]، [الإسراء:

٢٣- ٢٦- ٢٩- ٣١- ٣٣- ٣٤ - ٣٦- ٣٧ - ٣٩ -١١٠]، [الكهف: ١٩- ٢٢- ٢٣- ٢٨- ٧٣-١١٠]، [طه: ٢١ - ٤٢- ٤٧- ٨١ - ١١٤ - ١٣١]، [المؤمنون: ٢٧ - ١٠٨]، [النُّور: ٢ - ٤ - ٢١ - ٣٣]، [الشُّعراء: ١٥١- ١٥٦- ١٨١ - ١٨٣]، [النَّمل: ٧٠]، [القصص: ٣١ - ٧٧ - ٨٧ - ٨٨، العنكبوت: ٣٣ - ٣٦ - ٤٦]، [الرُّوم: ٣١-٦٠]، [لقمان: ١٨ - ٣٣]، [الأحزاب: ١- ٣٣- ٤٨]، [فاطر: ٥]، [ص: ٢٢ - ٢٦- ٤٤]، [فصِّلت: ٣٠]، [الشُّورى: ١٣- ١٥]، [الزُّخرف: ٦٢]، [الجاثية: ١٨]، [الأحقاف: ٣٥]، [محمَّد: ٣٣]، [الحجرات: ٢- ١١- ١٢]، [الذَّاريات: ٥١]، [الرَّحمن: ٩]، [الحديد: ٢٣]، [الحشر: ١٠ - ١٩]، [الممتحنة: ١٠-١٢]، [الطَّلاق: ١- ٦]، [القلم: ١٠ - ٤٨]، [نوح: ٢٣- ٢٤- ٢٨]، [المدَّثر: ٦]، [الإنسان: ٢٤][١].



(١) بتصرُّف عن (المصدر نفسه) (ص: ٤٤٠-٤٤١).

المطلبُ الخامس
خروجُ صيغة النَّهي عن معناها الأصلي في الخطاب القرآني

وقد تخرجُ صيغُ النَّهي عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أخرى تستفادُ من سياق الكلام وقرائنِ الأحوال، ومن ذلك:

١ - **الاحتقارُ والتَّقليل**[١]:

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨]، أي: فهو قليل حقير[٢]. وقد قال الله ﷻ ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

٢ - **الإرشاد**:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١][٣].

---

(١) أزواجًا: أي: أصنافًا من النِّعَم.

(٢) انظر: التوضيح (٢/ ٥١)، كشف الأسرار (١/ ٢٥٦)، مختصر البعلي (ص: ١٠٣)، الإحكام، للآمدي (١/ ١٨٧)، المنخول (ص: ١٣٥)، المستصفى (١/ ٤١٨)، فواتح الرَّحموت (١/ ٣٩٥)، مناهج العقول (٢/ ١٦)، نهاية السُّول (٢/ ٦٢)، جمع الجوامع (١/ ٣٩٥).

(٣) انظر: شرح الإسنوي (نهاية السُّول) على منهاج الوصول (١/ ٣٦٥)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٨٠)، حاشية العطَّار (١/ ٤٩٨)، البرهان في أصول الفقه (ص: ٢١٨).

٣ - **الإهـانـة**: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨][1].

٤ - **بيان العاقبة**:

نحو قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقد بيَّن الله ﷻ عاقبة الَّذين اتقوا كما بيَّن عاقبة الَّذين خالفوا أمره في آيات كثيرة. فمن ذلك بيان عاقبة الظَّالمين، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٢- ٤٣][2].

٥ - **التَّأديب**:

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧][3].

٦ - **التَّسلية أو الائتناس**:

نحو قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الحجر: ٨٨]، و[النحل: ١٢٧]، و[النمل: ٧٠]، ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠][4].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٣١)، الإتقان (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٢٢٠)، وانظر: إرشاد الفحول (ص: ١٩٣)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٧٩)، شرح التَّلويح (١/ ٢٨٩).

(٣) انظر: البحر المحيط، للزَّركشي (٢/ ٩٢)، (٢/ ١٥٥)، التَّحبير (٥/ ٢٢٨١)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٨١).

(٤) انظر: شرح الإسنوي (نهاية السُّول) على منهاج الوصول (١/ ٣٢٩- ٣٣٠).

٧ - **التَّسوية:**

﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦][١].

٨ - **التَّفويض:**

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف: ٧٦].

٩ - **الدُّعاء:**

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨][٢].

١٠ - **الكراهة:**

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧][٣]، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، و[لقمان: ١٨][٤].

---

(١) انظر: الإتقان (٢/ ٢٢٠).

(٢) وانظر: [الأعراف: ٤٧]، [يونس: ٨٥]، [الممتحنة: ٥]. انظر: الإتقان (٢/ ٢٢٠)، وانظر: البرهان في أصول الفقه (ص: ٢١٨)، التحبير (٥/ ٢٢٨٠).

(٣) قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾، أي: لا تقصدوا، ﴿الْخَبِيثَ﴾، أي: الرَّديء، ﴿مِنْهُ﴾، أي: المذكور، ﴿تُنفِقُونَ﴾ في الزَّكاة، حال من ضمير تيمموا، ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾، أي: الخبيث، ﴿إِلَّا أَن تُغْمِضُوا﴾، أي: تسامحوا، ﴿فِيهِ﴾ بالحياء مع الكراهة مجاز من أغمض بصره إذا غضَّه. انظر: تفسير السِّراج المنير (١/ ٤٢٧). وانظر: شرح جمع الجوامع، للمحلي (١/ ٢١٣)، البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٥٥)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٧٨).

(٤) قال الله عز وجل بعد ذلك: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٨]، فقد وصف ذلك بمطلق الكراهة مع أنَّ البعض من الكبائر؛ للإيذان بأنَّ مجرَّد الكراهة عنده عز وجل كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك. انظر: تفسير أبي السُّعود (٥/ ١٧٢)، روح =

١١ - **اليأس**:

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ [التوبة: ٦٦]، و[٩٤]، و[التحريم: ٧][1].

= المعاني (١٥/٧٦)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٢٢٠).

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٢٢٠)، وانظر: حاشية العطَّار (١/ ٤٩٨)، شرح الإسنوي (نهاية السُّول) على منهاج الوصول (١/ ٣٣٦)، شرح التَّلويح (١/ ٢٨٩)، إتحاف ذوي البصائر (٥/ ٤٠٢).

المبحث الثَّاني

تنوُّع أساليبِ الأمر والنَّهي والإباحة

- ويتضمَّن:

المطلـــب الأوَّل: تنوُّع أساليب الطَّلب الَّتي يراد بها الوجوب.

المطلـب الثَّاني: تنوُّع أساليب النَّهي.

المطلب الثَّالث: أساليب الطَّلب الَّتي يراد بها الإباحة.

● توطئة

لا بُدَّ أوَّلًا من بيان مدى الاهتمام والعناية في هذا المطلب باستقراء أساليب الطَّلب في الخطاب القرآني، وتوضيحها، وبيان تنوُّعِها، وتنوُّع صيغ الخطاب القرآني فيها، ويأتي ذلك عقب التَّعريف بموضوعات الأمر والنَّهي في الخطاب القرآني.

ويتَّصل ذلك بمحور البحث -وهو الخطاب القرآني من حيث معناه الأخص- من حيث توجُّه الخطاب فيه من المخاطِب إلى المخاطَب بصيغة من صيغ الطَّلب بما يخصُّ الأمر أو النَّهي أو الإباحة.

وإِنْ كان ما يذكر في هذا المطلب يأتي متمِّمًا لما أتيتُ على ذكره في المبحث الأوَّل.

وقد جعلته ثلاثة أقسام على النَّحو التَّالي:

الأوَّل: تنوُّع أساليبِ الطَّلب الَّتي يراد بها الوجوب.

الثَّاني: تنوُّع أساليبِ النَّهي.

الثَّالث: أساليب الطَّلب الَّتي يراد بها الإباحة.

وبيانُ ذلك على النَّحو التَّالي:

المطلب الأول
تنوع أساليب الطلب التي يراد بها الوجوب

أمَّا المطلبُ الأوَّل فيتضمَّن ما يلي:

١ - صريح مادَّة الأمر.
٢ - الإخبار بأنَّ الفعلَ مكتوبٌ على المخاطَبين.
٣ - الإخبار بأنَّ الفعلَ على النَّاس عامَّة، أو على طائفةٍ تتَّصفُ بوصفٍ مخصوص.
٤ - إطلاق الخبر على الطَّلب .
٥ - أن يطلب بصيغة الأمر الطَّلبية.
٦ - التَّعبير بالفرض.
٧ - التَّجوز بجواب الشَّرط عن الأمر.
٨ - ذِكْرُ الفعلِ مقرونًا بلفظ: (خير).
٩ - ذِكْرُ الفعل مقرونًا بوعد.
١٠ - وصفُ الفعل بأنَّه: بِرٌّ، أو موصل للبِرِّ.
١١ - ترتيبُ الفعلِ على شرطٍ قبله.

وبيانُ ذلك يأتي على النَّحو التَّالي:

١ - صريحُ مادَّة الأمر:

وهي على النَّحو التَّالي:

﴿أَمَرَ﴾: [البقرة: ٢٧]، [النِّساء: ١١٤]، [الأعراف: ٢٩]، [يوسف: ٤٠]، [الرَّعد: ٢١]، [الرَّعد: ٢٥]، [العلق: ١٢].

﴿مَآ أَمَرَ﴾: [البقرة: ٢٧]، [الرَّعد: ٢١ - ٢٥].

﴿يَأْمُرُكُمْ﴾: [البقرة: ٦٧ - ٩٣ - ١٦٩- ٢٦٨]، [آل عمران: ٨٠]، [النِّساء: ٥٨].

﴿مَا تُؤْمَرُونَ﴾: [البقرة: ٦٨].

﴿أَمَرَكُمُ﴾: [البقرة: ٢٢٢].

﴿يَأْمُرُونَ﴾: [آل عمران: ٢١ - ١٠٤ - ١١٤]، [النِّساء: ٣٧]، [التَّوبة: ٦٧-٧١]، [الحديد: ٢٤].

﴿تَأْمُرُونَ﴾: [آل عمران: ١١٠]، [الأعراف: ١١٠]، [الشُّعراء: ٣٥].

﴿أُمِرُوٓاْ﴾: [النِّساء: ٦٠]، [التَّوبة: ٣١]، [البيِّنة: ٥].

﴿وَلَأَمُرَنَّهُمْ﴾: [النِّساء: ١١٩، مرَّتين].

﴿أَمَرْتَنِى﴾: [المائدة: ١١٧].

﴿أُمِرْتُ﴾: [الأنعام: ١٤- ١٦٣]، [يونس: ٧٢ - ١٠٤]، [هود: ١١٢]، [الرَّعد: ٣٦]، [النَّمل: ٩١ - ٩١، مرَّتين]، [الزُّمر: ١١]، [الزُّمر: ١٢]، [غافر: ٦٦]، [الشُّورى: ١٥، مرَّتين].

﴿وَأُمِرْنَا﴾: [الأنعام: ٧١].

﴿أَمَرْتُكَ﴾ : [الأعراف: ١٢].

﴿أَمَرَنَا﴾ : [الأعراف: ٢٨].

﴿يَأْمُرُ﴾ : [الأعراف: ٢٨].

﴿وَأْمُرْ﴾: الأعراف: [١٤٥ - ١٩٩]، [طه: ١٣٢]، [لقمان: ١٧].

﴿يَأْمُرُهُم﴾ : [الأعراف: ١٥٧].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ : [التَّوبة: ٣١]، [البيِّنة: ٥].

﴿تَأْمُرُكَ﴾ : [هود: ٨٧].

﴿ءَامُرُهُۥ﴾: [يوسف: ٣٢].

﴿أَمَرَهُمْ﴾ : [يوسف: ٦٨].

﴿تُؤْمَرُ﴾ : [الحجر: ٩٤].

﴿مَا يُؤْمَرُونَ﴾ : [النَّحل: ٥٠]، [التَّحريم: ٦].

﴿وَأَمَرُواْ﴾: [الحج: ٤١].

﴿أَمَرْتَهُمْ﴾ : [النُّور: ٥٣].

﴿تَأْمُرُنَا﴾ : [الفرقان: ٦٠].

﴿تَأْمُرِينَ﴾ : [النَّمل: ٣٣].

﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ : [القصص: ٢٠].

﴿تَأْمُرُونَنَآ﴾ : [سبأ: ٣٣].

﴿تُؤْمَرُ﴾ : [الصَّافات: ١٠٢].

﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ : [الزُّمر: ٦٤].

﴿تَأْمُرُهُم﴾ : [الطُّور: ٣٢ - ٣٢].

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ﴾ : [القمر: ٥٠].

﴿وَأۡتَمِرُواْ﴾ : [الطَّلاق: ٦].

﴿أَمَرَهُۥ﴾ : [عبس: ٢٣].

والأمر قد يكون على لسان نبيٍّ من الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- لقومه، نحو قول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧]، وقد يكون من نبيٍّ من الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- كإسماعيل عليه السلام لأهله: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم: ٥٥]. ومثل هذا الخطاب قد يكون من الشَّيطان في أمره بالسُّوء والفحشاء، والخطاب القرآني فيه تحذير المؤمنين من خطر الشَّيطان: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٩]، ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١] إلى غير ذلك.

والهمزة والميم والرَّاء سواءُ جاءت ماضيًا أو مضارعًا أو أمرًا، فهي طلبٌ على سبيل الوجوب كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الأمر بالمضارع؛ لأنَّ المضارع يفيد الدَّيمومة، وبما أنَّ هذا القرآن باقٍ إلى القيامة فكلمة ﴿يَأۡمُرُكُمۡ﴾ يتكرَّر الأمر فيها إلى يوم القيامة.

وقد وَرَدَ لفظُ: (الأمر) بمشتقاته المختلفة في القرآن الكريم في أكثر من (مائتي موضع)، بين اسم وفعل، وبمعانٍ مختلفة، بحسب السِّياق الَّذي ورد فيه، كقوله عز وجل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٨٣]، وقوله عز وجل: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [الحج:٦٧]، ونحو ذلك من الآيات.

ويتبيَّن من دراسة مادَّة: (أمر) أنَّ لفظ: (الأمر) في القرآن الكريم يأتي على عدَّة معانٍ:

١- بمعنى (الوعد)، ومنه قوله عز وجل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، فـ(الأمر) هنا: (الوعد)، أي: ما وعدهم به من المجازاة، ومثله قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود:٤٠]، أي: جاء وعد الله عز وجل بإرسال الطُّوفان على قوم نوح عليه السلام.

٢ - وجاء (الأمر) في القرآن بمعنى: (الدِّين)، ومنه قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٤٨]، يعني دين الله عز وجل الإسلام[(١)]. ونحوه قوله عز وجل: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [الحج:٦٧]، فـ(الأمر) في الآيتين يراد به: دين الإسلام الَّذي جاء به محمَّد صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٨٨)، وتفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٤)، تفسير السَّمرقندي (٢/ ٥٤).

ومن ذلك: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الأنبياء:٩٣]، ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ﴾ [المؤمنون:٥٣][(١)]

٣ - وجاء (الأمر) في القرآن بمعنى: (الشَّأن والحال والفعل)، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [هود:٩٧]، أي: وما فعل فرعون وشأنه برشيد، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣]، أي: عن سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته، ومنه: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٣]. وعبَّر عن ذلك غير واحد بـ: (أمر الخلق) وقالوا في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ ، يعني: أمور الخلائق[(٢)].

٤ - وجاء (الأمر) بمعنى: (القول)، ومنه قوله ﷻ عن قوم فرعون، حين اختلفت أقوالهم حول موسى عليه السلام، وما جاءهم به: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ [طه:٦٢]، أي: تنازعوا القول بينهم[(٣)]، واختلفوا في أمر موسى عليه السلام، وقوله ﷻ عن (أصحاب الكهف): ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ [الكهف:٢١]، أي: اختلف قول علية القوم في شأن الفتية المؤمنة، الَّذين فرُّوا بدينهم، ولجئوا إلى الكهف.

---

(١) انظر: تفسير السَّمرقندي (٣/ ٣٧٧)، نزهة الأعين النَّواظر (ص:١٧٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٨٩)، ابن عادل (٢/ ٤٢٥)، تفسير مقاتل (٣/ ١٨٣)، فتح القدير (٤/ ٧٧٦)، وانظر: الأسماء والصِّفات، للبيهقيِّ (١/ ٥٥٩) .

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٨٨)، وتفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٥).

ومنه: قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ [المؤمنون:٢٧] يعني: قولنا.

٥ - وجاء (الأمر) بمعنى: (الحساب)، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [إبراهيم:٢٢]، أي: انتهى الحساب، وعلم كلُّ إنسان ما له وما عليه، وقوله ﷻ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [مريم:٣٩]، أي: فُرغ من الحساب، وأدخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّارِ النَّار.

٦ - وجاء (الأمر) بمعنى: (الذَّنب)، ومنه قوله ﷻ: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ﴾ [المائدة:٩٥]، وقوله ﷻ: ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الحشر:١٥]، فـ (الأمر) في الآيتين وما شابههما معناه: (الذَّنب)، أي: نالهم عاقبة ما ارتكبوه من الذُّنوب والمعاصي.

ومن الآيات الَّتي تدلُّ على هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ [التغابن:٥]، ﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا﴾ [الطلاق:٩].

٧ - وجاء (الأمر) بمعنى: (القضاء والقدر)، ومنه قوله ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ [يونس:٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾ [يونس:٣١]، قال مجاهد: يقضيه ويقدره وحده[1].

ومن الآيات الَّتي تدلُّ على هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ

(١) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٢٩٢)، وانظر: تفسير القرطبي (٢/ ٨٨)، وانظر: تفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٥).

وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وذكر ابنُ الجوزي[١] من هذه المعاني:

٨ - «(العذاب)، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [هود: ٤٤]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: ٨٢]، ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢][٢]، ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩].

٩ - (قتل كفَّار مكَّة)، ﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ﴾ [الأنفال: ٤٤]، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [غافر: ٧٨][٣].

١٠ - (فتح مكَّة)، ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [التوبة: ٢٤].

١١ - (قتل بني قريظة، وجلاء بني النَّضير)، ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [البقرة: ١٠٩][٤].

١٢ - (القيامة)، ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١].

---

(١) ذكر ذلك في (نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنَّظائر) (ص: ١٧٣-١٧٦)، وقال القرطبيُّ في (تفسيره): «قال علماؤنا: والأمرُ في القرآن يتصرَّف على (أربعة عشر) وجهًا». القرطبي (٢/ ٨٨)، وهي مندرجة فيما ذكرته هنا..

(٢) قوله عز وجل: ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، يعني لما وجب العذاب بأهل النَّار. انظر: تفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٥).

(٣) نزهة الأعين النَّواظر (ص: ١٧٤). وعبَّر ابنُ عادل في تفسيره بـ (القتل ببدر). انظر تفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٨٩)، وتفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٥).

١٣ - (الوحي)، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ[(١)] مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢][(٢)].

١٤ - (النَّصر)، ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ[(٣)] قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ[(٤)]﴾ [آل عمران: ١٥٤].

١٥ - (الموت)، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٤].

١٦ - (المشورة)، ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأعراف: ١١٠].

١٧ - (الحذر)، ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٥٠].

١٨ - (الغرق)، ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

١٩ - (الخصب)[(٥)]، ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢].

---

(١) «يعنى الوحي». تفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٨٩)، تفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٥)، وذكر هذا المعنى أيضًا: السَّمرقندي في (تفسيره) (٣/ ٣٧٧)، البحر المحيط (٧/ ١٩٣)، وذكر المعنيين -أعني: أنَّه بمعنى: القضاء والقدر، وبمعنى: الوحي- البغويُّ في (تفسيره) (٣/ ٤٩٧)، وكذلك: الماورديُّ في (تفسيره) (٤/ ٣٥٣)، وانظر: تفسير العزِّ بن عبد السَّلام (١/ ٨٨١)، تفسير الرَّازي (١٩/ ٥)، غرائب القرآن (٥/ ٤٣٥).

(٣) يعنون: النَّصر .

(٤) يعني: النَّصر. انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٨٨)، تفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٥) .

(٥) وهو مما قيل في معنى الآية، فقد قيل: المراد: الخَصْبُ والسَّعَة للمُسْلِمِين والرَّخا. انظر: =

٢٠ - (الأمر الَّذي هو استدعاء الفعل)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

٢١ - (الكثرة)، ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، أي: كثَّرناهم. وألحقه بعضهم بقسم الأمر الَّذي هو استدعاء الفعل، فقال: معناه: (أمرنا مترفيها بالطَّاعة ففسقوا فيها)»[(١)].

٢٢ - (عيسى) -عليه الصَّلاة والسَّلام-، قال الله ﷻ: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [مريم: ٣٥]. يعنى: «عيسى -عليه الصَّلاة والسَّلام-، وكان في علمه أن يكون من غير أب..»[(٢)].

٢ - الإخبار بأنَّ الفعل مكتوبٌ على المخاطَبين:

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿كُتِبَ

= تفسير ابن عادل (٧/ ٣٨٢)، وذكر ذلك أيضًا السَّمرقندي في (تفسيره) (١/ ٤٤٣)، وكذلك في (البحر المحيط) (٣/ ٥٢٠)، و(تفسير القرطبي) (٦/ ٢١٨)، و(فتح القدير) (٢/ ٧٤).

(١) نزهة الأعين النَّواظر (ص: ١٧٣-١٧٦).

(٢) ذكر ذلك القرطبيُّ في (تفسيره) (٢/ ٨٨)، وابن عادل (٢/ ٤٢٥).

عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾ [البقرة:٢١٦]، ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ [البقرة:٢٤٦]، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ﴾ [النساء:٧٧]، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ﴾ [النساء:١٢٧]، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ [الحديد: ٢٧]، ومن ذلك أيضًا ما يفهم من قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣]، أي: فرضًا مرتبطًا بوقت، فكلَّما دخل وقت جديد وجبت صلاةٌ جديدة...

٣ - الإخبار بأنَّ الفعل على النَّاس عامَّة، أو على طائفةٍ تتصفُ بوصفٍ مخصوص

نحو: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران:٩٧]، فإن استخدام لفظة: (على) هنا للدِّلالة على الوجوب والفرضيَّة. وقال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [البقرة:٢٣٣]، ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ﴾ [البقرة:٢٣٣]، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة:٢٤١].

٤ - إطلاق الخبر على الطَّلب:

قال السُّيوطيُّ: «إطلاق الخبر على الطَّلب أمرًا أو نهيًا أو دعاءً مبالغةً في الحثِّ عليه حتى كأنَّه وقع وأخبر عنه»(١).

قال الزَّمخشريُّ وغير واحد: «ورود الخبر والمراد: الأمر أو النَّهي أبلغ من صريح الأمر أو النَّهي، كأنَّه سورع فيه إلى الامتثال»(٢).

---

(١) الإتقان (٢/ ١٠٥).

(٢) قال ذلك الزَّمخشريُّ في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣]: «﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ إخبار في معنى النَّهي، كما تقول: (تذهب إلى فلان تقول له كذا)، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنَّهي؛ لأنَّه كأنَّه سورع إلى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه. وتنصره قراءة عبد الله وأبيّ: ﴿لَا تَعْبُدُوٓاْ﴾ ولا بدَّ من إرادة القول، ويدلُّ عليه أيضًا قوله: ﴿وَقُولُواْ﴾. وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إمَّا أن يقدَّر: وتحسنون بالوالدين إحسانًا، أو وأحسنوا». الكشاف (١/ ٢٩٢-٢٩٣)، وانظر: البيضاوي (١/ ٣٥٢). وفي (روح المعاني): «﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ على إرادة القول، أي: قلنا أو قائلين؛ ليرتبط بما قبله، وهو إخبار في معنى النَّهي، كقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكما تقول: (تذهب إلى فلان وتقول له: كيت وكيت)، وإلى ذلك ذهب الفرَّاء، ويرجِّحه أنَّه أبلغ من صريح النَّهي لما فيه من إيهام أنَّ المنهي كأنَّه سارع إلى ذلك، فوقع منه حتى أخبر عنه بالحال أو الماضي. أي: ينبغي أن يكون كذلك فلا يرد أنَّ حال المخبر عنه على خلافه، وأنَّه قرأ ابن مسعود [وأبيُّ ابن كعب]: (لا تعبدوا) على النَّهي، وأن ﴿قُولُواْ﴾ عطف عليه، فيحصل التَّناسب المعنويُّ بينهما في كونهما إنشاء، وإن كان يجوز عطف الإنشاء على الإخبار فيما له محلٌّ من الأعراب". روح المعاني (١/ ٣٠٧)، وقد فصَّل القول في ذلك القرطبيُّ في (تفسيره). ونقل هذا التَّوجيه عن سيبويه. انظر: الكتاب (٢/ ١٠٤). وقال -أي: القرطبيُّ-: اختاره المبرَّد والكسائيُّ والفرَّاء. تفسير القرطبي (٢/ ١٣)، معاني القرآن، للفرَّاء (١/ ٥١-٥٢).

وأخبر عنه نحو: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة:٢٣٣]، ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤]، أي: (ليتربَّصن المتوفَّى عنهنَّ أزواجهنَّ بأنفسهنَّ...)[1].

وقال ﷻ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧]. والمراد من الفعل: الأمر، أي: (آمنوا من دخله، وصونوا من دخل الكعبة)[2].

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف:٤٧]. والمعنى: (ازرعوا سبع سنين)[3]، بدليل قوله ﷻ: ﴿فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ [يوسف:٤٧].

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٢]، أي: (اللهمَّ اغفر لهم)[4].

وممَّا قيل في قوله ﷻ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾ [الصف:١١]، معناه: (آمنوا وجاهدوا)؛ ولذلك أجيب بالجزم في

---

(١) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص:٢٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٤٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٠٣)، وروح المعاني (١٢/ ٢٥٥)، وتفسير الواحدي (١/ ٥٤٨)، والبغوي (٢/ ٤٢٩)، وزاد المسير (٤/ ٢٣٣)، الخازن (٣/ ٢٨٧)، تفسير السَّمعاني (٣/ ٣٦).

(٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص:٢٨)، وانظر: الإتقان (٢/ ١٠٥-١٠٦).

قوله ﷻ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [الصف: ١٢][١].

قال السُّيوطيُّ: وعكسه[٢]: "نحو: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، أي: يمد[٣]. ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، أي: ونحن حاملون، بدليل: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢][٤]، والكذب إنما يرد على الخبر. ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢][٥]".

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٤٩)، الكشاف (٤/ ٩٩-١٠٠)، وروح المعاني (٢٨/ ٨٩)، وتفسير أبي السُّعود (٨/ ٢٤٥)، والبيضاوي (٥/ ٣٣٤)، وانظر: أسرار التَّكرار (ص: ٢٠٤)، وانظر: معاني القرآن، للفرَّاء (٣/ ١٥١-١٥٢). قال الزَّركشيُّ في (البحر المحيط..): «ولا يصحُّ أن يكون جوابًا لـ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ [الصف: ١٠] على حدِّ قوله: (هل تأتيني أكرمك؟)؛ لأنَّ المغفرة وإدخال الجنَّات لا تجب بالدِّلالة، وإنما تجب بالإيمان». البحر المحيط في أصول الفقه (٣/ ٢٩٢)، وينظر التَّفصيل في (البرهان في علوم القرآن) (٣/ ٣٤٩). قال ابنُ عبد السَّلام: «وهذا من مجاز التَّشبيه، شبَّه الطَّلب في تأكده بخبر الصَّادق الَّذي لا بدَّ من وقوعه، وإذا شبَّهه بالماضي كان آكد». الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٧-٢٨).

(٢) أي: وضع الطَّلب موضع الخبر.

(٣) انظر: الدُّر المصون (٤/ ٥٢٢)، تفسير الرَّازي (٢١/ ٥٤١)، ابن عادل (١٣/ ٦٩)، (١٣/ ١٣٠)، التَّحرير والتَّنوير (١٦/ ١٥٦).

(٤) وتمامُ الآية: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [العنكبوت: ١٢].

(٥) الإتقان (٢/ ١٠٥-١٠٦)، وانظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٨)، وينظر التَّفصيل في (البرهان في علوم القرآن) (٣/ ٣٥٠).

٥ - أن يطلب بصيغة الأمر الطَّلبيَّة:

وهي:

أ .**فعل الأمر:**

نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة:٢٣٨]، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الإسراء:٧٨].

ب .**المضارع المجزوم بلام الأمر:**

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج:٢٩]، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

ج .**اسم فعل الأمر:**

نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥].

د. **المصدر النَّائب عن فعله:**

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد:٤]. -وقد سبق بيان ذلك مفصَّلًا-.

٦ - التَّعبير بالفرض:

أ. **فَرَضَ:**

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]، ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [الأحزاب:٣٨]، ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾

[التحريم: ٢].

ب. فَرَضْتُمْ:

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، مرَّتين..

ج. فَرَضْنَا:

نحو: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

د. فَرَضْنَاهَا:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ [النور: ١].

هـ. تفرِضُوا:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]

و. فَرِيضَةً:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةًۚ﴾ [النساء: ٢٤].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِۚ﴾ [النساء: ٢٤].

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٦٠].

ز. مَفْرُوضًا:

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

٧ - التَّجوز بجواب الشَّرط عن الأمر

نحو: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ومن ذلك قوله ﷿: "﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ﴾ [الأنفال: ٦٥]، معناه عند الجمهور: (فليغلبوا مائتين)، ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا﴾ [الأنفال: ٦٥]، (فليغلبوا ألفًا)، ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ﴾ [الأنفال: ٦٦]، (فليغلبوا مائتين)، ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦]، (فليغلبوا ألفين)، والمراد به: التَّأكيد؛ لأنَّه خبر تجوِّز به عن الطَّلب»[1].

٨ - ذِكْرُ الفِعْل مَقْرُونًا بلفظ: (خير):

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌۖ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٩ - ذِكْرُ الفِعْل مَقْرُونًا بوعـد:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، (ص: ٢٨)، وانظر: تاريخ التَّشريع الإسلاميِّ، للشَّيخ محمَّد الخضري بك (ص: ٢٥-٢٦).

كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١].

١٠ - وصف الفعل بأنَّه برٌّ أو موصل للبرِّ:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

١١ - ترتيب الفعل على شرط قبله:

ويأتي في الجواب مصدر أو اسم مصدر، وهذا كلُّه يدلُّ على الوجوب قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فالواجب على المريض والمسافر إذا أفطر صوم عدَّة أيام. والتَّقدير: (فمن كان منكم مريضًا أو على سفرٍ فافطر)[1]، ولا بُدَّ من تقدير: (فافطر)؛ لأنَّه ليس كلُّ مريض أو مسافر يفطر، فقد يصوم المريض أو مسافر وليس عليه قضاء.



(١) انظر: تفسير الطَّبري (٢/ ١٤٩)، البحر المحيط (٢/ ٣٩)، البغوي (١/ ١٤٩)، الثَّعالبي (١/ ١٣٧، ٢٩٨)، الجلالين (ص: ٣٥)، الرَّازي (٥/ ٢٤١)، (٥/ ٢٩٣)... إلخ.

المطلب الثَّاني: تنوُّع أساليب النَّهي

أمَّا المطلب الأوَّل فيتضمَّن ما يلي:

١ - صريح مادَّة النَّهي.

٢ - ما كان بصيغة التَّحريم.

٣ - ما كان فيه تصريحٌ بعدم الحلِّ.

٤ - ما كان بصيغةٍ من صيغِ النَّهي.

٥ - نفي البرِّ عن الفعل.

٦ - نفي الفعل.

٧ - ذكر الفعل مقرونًا باستحقاق الإثم.

٨ - ذكر الفعل مقرونًا بوعيد.

٩- وصف الفعل بأنَّه شرٌّ.

١٠ - إطلاق الخبر وإرادة النَّهي.

١١ - ترتيب وصف بغيض شنيع على ترك الفعل.

١٢ - التجوُّز بلفظ النَّهي عن أشياء ليست مرادة بالنَّهي، وإنَّما المراد بها ما يقاربها أو يلازمها، أو تكون مسبَّبة عنه.

١٣ - التَّجوز بالنَّهي لمن لا يصحُّ نهيه، والمراد به من يصحُّ نهيه.

١٤ - التَّجوز بنهي من يصحُّ نهيه والمنهيُّ في الحقيقة غيره.

١٥- النَّهي لوصف منفكٍّ عن الفعل، ومجاور له.

أمَّا بيان ذلك فهو على النَّحو التَّالي:

١ - صريح مادَّة النَّهي

﴿ٱنتَهَوۡاْ فَإِنِ﴾ : [البقرة: ١٩٢]، [الأنفال: ٣٩].

﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ﴾ : [آل عمران: ١٠٤ - ١١٤]، [التَّوبة: ٦٧ - ٧١].

﴿وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ﴾ : [آل عمران: ١١٠].

﴿تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ : [النِّساء: ٣١].

﴿نُهُواْ عَنۡهُ﴾ : [النِّساء: ١٦١]، [الأنعام: ٢٨]، [الأعراف: ١٦٦]، [المجادلة: ٨].

﴿يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ : [المائدة: ٦٣].

﴿يَنتَهُواْ عَمَّا﴾ : [المائدة: ٧٣].

﴿يَتَنَاهَوۡنَ عَن﴾ : [المائدة: ٧٩].

﴿يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٍ﴾ : [المائدة: ٧٩].

﴿يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ : [الأنعام: ٢٦].

﴿نُهِيتُ أَنۡ﴾ : [الأنعام: ٥٦]، [غافر: ٦٦].

﴿نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ﴾ : [الأنعام: ٥٦]، [غافر: ٦٦].

﴿نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾ : [الأعراف: ٢٠].

﴿أَنۡهَكُمَا عَن﴾ : [الأعراف: ٢٢].

﴿وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ﴾ : [الأعراف: ١٥٧].

﴿يَنۡهَوۡنَ عَنِ﴾ : [الأعراف: ١٦٥]، [هود: ١١٦].

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ﴾ : [التَّوبة: ١١٢].

﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن﴾ : [هود: ٦٢].

﴿أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ : [هود: ٨٨].

﴿نَنْهَكَ عَنِ﴾ : [الحجر: ٧٠].

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ﴾ : [النَّحل: ٩٠].

﴿وَنَهَوْاْ عَنِ﴾ : [الحج: ٤١].

﴿تَنْهَىٰ عَنِ﴾ : العنكبوت: ٤٥.

﴿وَٱنْهَ عَنِ﴾ : [لقمان: ١٧].

﴿نُهُواْ عَنِ﴾ : [المجادلة: ٨].

﴿نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ : [الحشر: ٧].

﴿يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ : [الممتحنة: ٨ - ٩].

٢ - ما كان بصيغة التَّحريم

نحو:

أمَّا ما دلَّ بصريح مادَّته على التَّحريم فهو على النَّحو التَّالي:

﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ : [البقرة: ٨٥].

﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ : [البقرة: ١٧٣]، [الأنعام: ١١٩]، [النَّحل: ١١٥].

﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ﴾ : [البقرة: ١٧٣]، [النَّحل: ١١٥].

﴿ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ : [البقرة: ١٩٦].

﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ : [آل عمران: ٥٠].

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ : [النِّساء: ٢٣]، [المائدة: ٣].

﴿حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ : [النِّساء: ١٦٠]، [الأنعام: ١٤٦].

﴿حُرُمٌۗ إِنَّ﴾ : [المائدة: ١].

﴿ٱلۡحَرَامِ أَن﴾ : [المائدة: ٢].

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ : [المائدة: ٣].

﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ : [المائدة: ٢٦].

﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ : [المائدة: ٧٢]، [الأنعام: ١٥]، [التَّوبة: ٢٩ – ٣٧ – ٣٧]، [الإسراء: ٣٣]، [الفرقان: ٦٨].

﴿حُرُمٞۚ وَمَن﴾ : [المائدة: ٩٥].

﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ : [المائدة: ٩٦].

﴿حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ : [المائدة: ٩٦].

﴿ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ﴾ : [المائدة: ٩٧].

﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ﴾ : [الأنعام: ١٣٩].

﴿وَحَرَّمُواْ مَا﴾ : [الأنعام: ١٤٠].

﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ﴾ : [الأنعام: ١٤٥].

﴿حَرَّمَ رَبُّكُمۡ﴾ : [الأنعام: ١٥١].

﴿حَرَّمَ رَبِّيَ﴾ : [الأعراف: ٣٣].

﴿حَرَّمَهُمَا عَلَى﴾ : [الأعراف: ٥٠].

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ﴾ : [الأعراف: ١٥٧].

﴿ٱلْحَرَامِ وَمَا﴾ : [الأنفال: ٣٤].

﴿ٱلْحَرَامِ فَمَا﴾ : [التَّوبة: ٧].

﴿ٱلْحَرَامِ كَمَنْ﴾ : [التَّوبة: ١٩].

﴿يُحَرِّمُونَ مَا﴾ : [التَّوبة: ٢٩].

﴿حُرُمٌ ذَٰلِكَ﴾ : [التَّوبة: ٣٦].

﴿ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا﴾ : [إبراهيم: ٣٧].

﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ : [النَّحل: ١١٥].

﴿حَرَّمْنَا مَا﴾ : [النَّحل: ١١٨].

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ﴾ : [الأنبياء: ٩٥].

﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ : [الحج: ٣٠].

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ : [النُّور: ٣].

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾ : [القصص: ١٢].

﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ :[القصص: ٥٧]، [العنكبوت: ٦٧].

﴿ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ﴾ : [الفتح: ٢٥].

﴿ٱلْحَرَامَ إِن﴾ : [الفتح: ٢٧].

﴿تُحَرِّمُ مَآ﴾ : [التَّحريم: ١].

٣ - ما كان فيه تصريحٌ بعدم الحلِّ

نحو: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾

[البقرة:٢٢٨]، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٢٩]، ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٠]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء:١٩]، ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب:٥٢]. ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة:٢].

٤ - ما كان بصيغةٍ من صيغ النَّهي

وهي: (المضارع المسبوق بلا النَّاهية)، أو (فعل الأمر الدالُّ على طلب الكفِّ)، وذلك نحو: (دع)، و(ذر). -وقد سبق بيان ذلك مفصَّلًا-...

أمَّا بيان المواضع من القرآن الكريم فيأتي على النَّحو التَّالي:

أ. **المضارع المسبوق بلا النَّاهية:**

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البقرة:١٨٨]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟

مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢، والإسراء: ٣٤]، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢].

ب. فعل الأمر الدالُّ على طلب الكفِّ:

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الأنعام: ٧٠]، ﴿ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢، ١٣٧]، ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة: ٩]. ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ﴾ [الحجر: ٣]، ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤﴾ [المؤمنون: ٥٤]، ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾ [الزخرف: ٨٣]، و[المعارج: ٤٢]، ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥﴾ [الطور: ٤٥]. ومن ذلك أيضا قوله ﷻ: ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٤٨][1].

---

(١) و(يذر) و (يدع) فعلان مضارعان أماتَ العربُ ماضيهما فلم يأتِ منهما إلا المضارع والأمر، ومعناهما التَّرك وقال علماء العربيَّة: إنَّ كلمتي: (ذَرْ) و(دَعْ) أمران في معنى (التَّرك) إلا أنَّ (دَعْ) أمرٌ للمخاطَب بترك الشَّيء قبل العلم به، و(ذَرْ) أمرٌ له بتركه بعدما علمه. روي أن بعضَ الأئمَّة سألَ الإمام الرَّازي عن قوله عز وجل: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾ [الصافات: ١٢٥]. ولم يقل: (وتَدَعُونَ أحسن الخالقين)، وهذا أقربُ من الفصاحة للمجانسة. فقال الإمام: لأنَّهم اتخذوا الأصنام آلهةً وتركوا الله عز وجل =

٥ - نفي البرِّ عن الفعل

نحو: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩].

= بعدما علموا أنَّ اللهَ عز وجل ربُّهم وربُّ آبائهم الأوَّلين استكبارًا، فلذلك قيل في صراح اللُّغة. انظر: الدُّر النَّضيد لمجموعة رسائل ابن الحفيد (ص: ٢٥٥)، وانظر: تفسير الرَّازي (٢٦/ ٣٥٨). وفي (روح المعاني): «ولا تساعده اللُّغة والاشتقاق». روح المعاني (٣٣/ ١٤٠). وذكر الآلوسيُّ أوجهًا في بيان الفرق بينهما.

انظر: روح المعاني (٣٣/ ١٤٠-١٤١)، وحقَّق ذلك الطَّاهر بن عاشور. انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٣/ ١٦٨). والحاصل أنَّه «كان من الممكن أن يُسْتَخْدَم في هذا التَّعبير الجناسُ، بأن يُقالَ: (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وتَدَعُونَ أَحْسَنَ الخالقين). لكنَّ استخدام هذا الجناس يُفَوِّتُ معنىً مقصودًا، والدِّلالة عليه أولى من الاحتفاء بمُحَسِّنٍ لفظيٍّ؛ وذلِكَ لأَنَّ كلمة (تَدَعُون) تدلُّ على أنَّ المتروكَ شيءٌ معتنىً به، بشهادة الاشتقاق؛ إذْ مادَّة الكلمة ليست موضوعةً لمطلَق التَّرْك، بل هو تركٌ مقرونٌ بالاعتناء بحال المتروك، ومنه تركُ الوديعة؛ ولذلك يُختار لها من هو مؤتَمَنٌ عليها، وتُودَعُ لتُسْتعادَ بعد حين. والمخاطَبون عُبَّادُ (بعل) غيْر مهتمِّين ولا معتنين بالله ربِّ العالمين، أحْسَنِ الخالقين. بخلاف عبارة: (تَذَرُونَ) فإنّ مادَّتَها موضوعة لمطلق التَّرك أو للتَّرك مع إعراضٍ وإهمال وعدم اعتناءٍ بالمتروك مطلقا. قال الرَّاغب (المفردات)، كتاب الخاء (ص: ٥١٨): يُقالُ: فلانٌ يَذَرُ الشَّيء، أي: يَقْذِفُه لقلَّة الاعتداد به، ومنه (الوَذْرَة) وهي القطعة الصَّغيرة من اللَّحم لا عظم فيها، لقِلَّة الاعتداد بها. ولمَّا كان سياق النصِّ يُناسبُه معنى: (وَتَذَرُونَ) دون (وتَدَعُونَ) كان الاختيار القرآني مُرَجِّحًا جانب المعنى على جانب المُحَسِّن اللَّفظِيِّ؛ إذْ حالُ المخاطَبين من أهل الشِّرك والكُفر الَّذين كانوا يعبدون بعلا حال المدْبرِ المتولِّي الَّذي بلغ الغاية في تولِّيه عن ربِّه وما جاء به الرَّسول صلى الله عليه وسلم». البلاغة العربيَّة، أسسها وعلومها وفنونها (٢/ ٥٠١-٥٠٢).

٦ - نفي الفعل

نحو: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

٧ - ذكر الفعل مقرونا باستحقاق الإثم

نحو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ [البقرة: ١٨١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢][١].

٨ - ذكر الفعل مقرونًا بوعيد

نحو: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ

(١) وقد وردت مادَّة (الإثم) في القرآن الكريم على النَّحو التَّالي: (بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ): [البقرة: ٨٥]، [المجادلة: ٨، ٩]، (إِثْمُهُ عَلَى): [البقرة: ١٨١]، (إِثْمَ عَلَيْهِ): [البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ٢٠٣]، (إِثْمٌ كَبِيرٌ): [البقرة: ٢١٩]، (وَإِثْمًا مُّبِينًا): [النِّساء: ٢٠، ١١٢]، [الأحزاب: ٥٨]، (إِثْمًا مُّبِينًا): [النِّساء: ٥٠]، (إِثْمًا فَإِنَّمَا): [النِّساء: ١١١]، (لإِثْمٍ فَإِنَّ): [المائدة: ٣] (الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ): [المائدة: ٢، ٦٢]، وما يعنينا هنا (ذكر الفعل مقرونا باستحقاق الإثم). وسيأتي ما يتعلَّق (بنفي الإثم عن الفعل).

ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة: ٣٤]، ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: ٣٥].

٩ - وصف الفعل بأنَّه شرٌّ

نحو: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

١٠ - إطلاق الخبر وإرادة النَّهي

كقوله ﷻ: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣]. ومعناه: (لا تعبدوا)، بدليل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾.

وقوله ﷻ: ﴿لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ [البقرة: ٨٤]، أي: (لا تسفكوا ولا تخرجوا)(١).

وقوله ﷻ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، أي: (لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله ﷻ)(٢).

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٨)، معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (١/ ١٦٤-١٦٥). وينظر: تفسير الطَّبري (١/ ٣٩٨)، تفسير ابن عادل (٢/ ٢٤٥).

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٨)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩١)، وينظر: الكشاف (١/ ٣٩٧)، والبيضاوي (١/ ٥٧٢)، التَّحرير والتَّنوير (٣/ ٧٢).

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] على قراءة الرَّفع(١)، أي: (لا ترفثوا ولا تفسقوا)(٢).

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩]، أي: (لا يمسسه).

١١ - ترتيب وصف بغيض شنيع على ترك الفعل

نحو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝١١﴾ [الحجرات: ١١]، رتَّب وصفًا شنيعًا على ترك الفعل كأنَّه يقول: (توبوا وإلا كنتم ظالمين)...

١٢ - التَّجوز بلفظ النَّهي عن أشياء ليست مرادة بالنَّهي، وإنما المراد بها ما يقاربها أو يلازمها، أو تكون مسببة عنه

وقد ذكر أمثلة على ذلك الإمام العزُّ بن عبد السَّلام رحمه الله في كتابه (الإشارة إلى الإيجاز..)، وأذكرُ من ذلك:

---

(١) «واختلفوا في قوله عز وجل: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ في نصب الثَّاء والقاف بغير تنوين، وضمهما مع التَّنوين. فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ﴾ -بالضمِّ فيهما والتَّنوين- وقرأ الباقون: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ -بالنَّصب بغير تنوين-. ولم يختلفوا في نصب اللام في: ﴿جِدَالَ﴾ من قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ في نفس الآية». السَّبعة في القراءات (ص: ١٨٠)، وانظر: حرز الأماني (ص: ٧٤)، والحجَّة في القراءات السَّبع (ص: ٩٤)، زاد المسير (١/ ٢١٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٤٠٩)، (٤/ ١٤٠)، روح المعاني (٢/ ٨٦)، تفسير الواحدي (١/ ١٥٧)، البغوي (١/ ٤٥)، (١/ ١٧٣)، فتح القدير (١/ ٣٦٣).

قوله ﷻ: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩][١]، «نهيٌ عن البيع في اللَّفظ، وهو مباح، وإرادة ما يلزم عنه من ترك السَّعي الواجب.

وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، النَّهي عن الموت نفسه لا يصحُّ؛ لأنَّه ينافي التَّكليف، لكنَّه تجوز به عما يقاربه من الكفر، فكأنَّه قال: (لا تكفروا عند موتكم). ومن ذلك: (لا أرينَّك ههنا)، معناه: لا تحضرنَّ فأراك، فتجوز برؤيته عن سببها، وهو الحضور»[٢].

١٣ - التَّجوز بالنَّهي لمن لا يصحُّ نهيه، والمراد به من يصحُّ نهيه

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ [آل عمران:١٩٦]. النَّهي في اللفظ للتَّقلُّب، والمراد النَّهي عن الاغترار بالتَّقلُّب[٣]، أي: إنَّ النَّهي في الظَّاهر موجَّه إلى التَّقلب، ولكنَّ المقصود النَّهي عن لازم ذلك الإِسناد وهو الاغترار لمظاهر الحياة. ونظيره كثير في كلام العرب كقولهم: (لا أرَيَنَّك ههنا). وقد سبق ترجيحُ أنَّ الخطاب هنا لكلِّ من سمعه، فيكون المعنى: لا يغرنَّك أيُّها السَّامع تقلُّب الَّذين كفروا في البلاد. وكثيرًا ما يخاطب سيِّد القوم بشيء ويراد أتباعه.

---

(١) وتمام الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص:٢٨).

(٣) المصدر السابق (ص:٢٩).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]. النَّهي للحرج في اللَّفظ، والرَّسول ﷺ منهيٌّ عن ضيق صدره عن الصَّبر بسبب تكذيبه، أو بسبب إبلاغه، أو يجوز بالحرج عن الشكِّ؛ لأنَّه مما يضيق الصَّدر، وتجوِّز بالصَّدر عن القلب فيكون من مجاز الملازمة(١).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. النَّهي لضمير الفتنة في اللَّفظ، والمعنى: ولا تتعرض لإصابة الفتنة إياكم بسبب تقريرها، وترك نكيرها، والتَّقدير: واتقوا تقرير فتنة لا تصيبنَّ عقوبتها وشؤمها ووبالها الَّذين ظلموا منكم خاصّة(٢).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ﴾ [الكهف: ٢٨]. النَّهي في اللَّفظ للعينين، والمراد بذلك ذو العينين، أي: لا تنظر إلى غيرهم، وإسناد الإرادة إلى العينين مجازٌ، وتوحيد الضَّمير للتَّلازم(٣). يعني أنَّه وحَّد

---

(١) المصدر السابق (ص: ٢٩).

(٢) وهذا المعنى من المعاني الجليلة الَّتي قد ذكرها العزُّ بن عبد السَّلام -رحمه الله- في (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) (ص: ٢٩).

(٣) انظر: تفسير أبي السُّعود (٥/ ٢١٩)، كذلك في (فتح القدير) (٣/ ٤٠١)، وانظر: البحر المحيط (٣/ ٩٣). ويوضِّح ذلك من كلام العرب ما قاله امرؤُ القيس يصف قبرًا:

الضَّمير في ﴿تُرِيدُ﴾ ، ولم يقل: (تريدان)؛ لأنَّ نظر كلا العينين يكون إلى شيء واحد..فهو باعتبار المنظور.

وقد بيَّن العلامة محمد الطَّاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ المراد حيث قال: «نَهى العينين عن أن تَعْدُوَا عن الَّذين يدعون ربهم، أي: أن تُجاوزاهم، أي: تبعُدَا عنهم. والمقصود: الإعراض، ولذلك ضُمِّن فعل (العَدْو) معنى: الإعراض[1]، فَعُدِّيَ إلى المفعول بـ: (عن)،

(لِـمَـنْ زُحْـلُـوقـة زل بها العَيْنَان تَنْهَل) [من الهزج]

انظر: تاج العروس، مادَّة: (زلل)(٢٩/ ١٢٩)، ولسان العرب، مادَّة: (ألل)(١١/ ٢٣)، ومادَّة: (زلل)(١١/ ٣٠٦). و(الزحلوقة) آثار تزلج الصِّبيان من فوق إلى أسفل و(أهل العالية) يقولون: (زحلوفة)-بالفاء- وتميم يقولون: (زحلوقة) -بالقاف-. والشَّاهد أنَّه أخبر عن العينين بما يكون خبرًا عن الواحد. فقال: (تنهل)، وكان حقه أن يقول: (تنهلان) لكن العلَّة ما قدَّمت. انظر: خزانة الأدب (٥/ ١٩٥)، (٧/ ٥٢٢)، (٧/ ٥٢٤)، الصِّحاح، للجوهريِّ، مادَّة: (زلل) (٤/ ١٧١٧).

(١) (التَّضمين): هو تضمينُ كلمةٍ معنى كلمةٍ أُخْرى، وجَعْلُ الكلام بعدها مَبْنيًّا على الكلمة غير المذكورة، كالتَّعدية بالحرف المناسب لمعناها، فتكون الجملة بهذا التَّضمين بقوَّة جملتين، دلَّ على إحداهما الكلمة المذكورة الَّتي حُذِف ما يَتَعلَّقُ بها، ويُقَدَّرُ معناه ذهْنًا، ودَلَّ على الأخْرَى الكلمةُ الَّتي جاءتْ بعدها المتعلِّقةُ بالكلمةِ المحذوفةِ المُلاحَظِ مَعْنَاها ذهْنًا. وهذا التَّضمين فَنٌّ رَفيعٌ من فنون الإيجاز في البيان، وهو لا يخضع لقواعد الاستعمالات العربيَّة الجامدة التقليديّة، الّتي قد يتقيَّد بها النُّحاة، بل هو لَمْحٌ ابتكاريٌّ يُلاحظه البَلِيغُ، إذْ يَرى فِعْلَيْنِ مُتَقَارِبَيْنِ، أَوْ نَحْوَهُما، وهو يريد استعمالَ كلٍّ منهما في كلامه، وهذا يقتضي منه أن يصوغَهُما في جُملَتين، وَيُعْطِيَ كُلا مِنْهُما تعديَتهُ الَّتي تلائمه، لكنَّهُ يرَى ما هو أَبْدَعُ من ذلك وأَخْصَرُ، وأرفع أسلوبًا في أداء بيانيٍّ جميل، يُحرِّكُ ذهنَ المتلَقِّي لفهمه، ويُعْجب لَمَّاحي الذَّكَاء من البلغاء، وهو أن يختار أحدَ الفعلَيْنِ بفنِّيَّةٍ، فيذْكُرَهُ بلفْظِه، ثمَّ يأتي بما يتعدَّى إليه الفعلُ الآخر، أو يَعْمَلُ فيه، فَيَذْكُرُه، ويحْذِفُ مَعْمُولَ الفِعْل الَّذِى ذكرَهُ، إذا كان له معمول، سواءٌ

وكان حقَّه أن يتعدَّى إليه بنفسه. يقال: عداه، إذا جاوزه[١]. ومعنى نهي العينين نهي صاحبهما، فيؤول إلى معنى: ولا تعدِّي عينيك عنهم. وهو إيجاز بديع»[٢].

أقول: يعني أنَّ الخطاب موجَّه إلى العينين، والمراد صاحب العينين -كما أسلفت-. ولو أنَّه قال: ولا تعدِّي عينيك عنهم لكان الخطاب موجَّهًا لصاحب العينين، ولكان النَّص قد فَقَدَ بلاغة الإيجاز، وروعة المجاز. ولا يخفى ما في الآية من بلاغة التَّضمين لما قدَّمتُ .

ومن ذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢].

أكان مفعولا به، أمْ غير ذلك، ويَسْتَغْنِي بذكر جُملَةٍ واحدةٍ عن جملتين. ولدى تَحْلِيل التَّضمين يظهر لنا أنَّه صنف من أصناف الحذفِ الَّذِي يتركُ في اللَّفظ ما يَدُلُّ عليه. فالفعلُ المذكور يَدُلُّ بحسب تَعْدِيَتِهِ العربيَّةِ على معموله المحذوف، والمعمول المذكور مع قرائن النصّ يدُلُّ على عامِلِه المحذوف، ويَنْتُجُ عن ذلك أداءٌ مُوجَزٌ بليغ، اعتمد على أسلوبٍ بيانيٍ ذكيٍّ. .ولا بُدَّ أن نُدْرِك أنَّ مثل هذا الإجراء البيانيِّ لا يستقيم بين كلِّ فعلَيْنِ أو ما يَعْمَلُ عمَلَهُما، حتَّى يُطَبَّقَ بغباء، سواءٌ استقام الآداءُ البيانيِّ أمْ لم يستقِم، بل يحتاج من البليغ رؤيَةً فَنّيَّةً بَيَانيَّة، يَصِلُ بها إلَى أنَّهُ لو استخدم هذا الأسلوب في جُملَتِه لأدركه الْبُلَغَاءُ والأذكياء، دون إعنات ذهْنِيٍّ، ويُدْرِكُه الآخَرُون بالتَّدَبُّر والتأمُّل. فمثلا: أُرِيدُ أنْ أقولَ: جَلَسْتُ عَلى فِراشي، وأَمَلْتُ جِسْمِيَ إلى مُتَّكَئِي، فأخْتَصرُ الكلام فأقُولُ: جَلَسْتُ إلى مُتَّكَئِي. ومثل هذا الإيجاز القائم على الحذف والإيصال، أُسْلوبٌ ينهجُه بُلَغاءُ الْعَرب، وتقدير الكلام: جَلَسْتُ مائلا إلى مُتَّكَئِي. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (٢/ ٤٩-٥٠)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٣٨-٣٣٩)، (٣/ ٣٤٣)، وانظر: لسان العرب، مادَّة: (ضمن) (١٣/ ٢٥٧).

(١) يعني أنَّه لم يقل: ولا تعدهم عيناك .

(٢) التَّحرير والتَّنوير (١٥/ ٣٠٥). وقد ذكر الآلوسيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قريبًا من ذلك في (روح المعاني) (١٥/ ٢٦٣)، مع تحقيق ما قيل في ذلك .

من ذلك قوله ﷻ:

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣]، و[فاطر: ٥].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]. النَّهي في اللَّفظ للأموال والأولاد، وفي المعنى لذوي الأموال والأولاد(١).

١٤ - التَّجوز بنهي من يصحُّ نهيه والمنهيُّ في الحقيقة غيره

ومن ذلك قوله ﷻ:

«﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٧]. معناه: (لا تفتتن بفتن الشَّيطان إيَّاكم).

وقوله ﷻ: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، فضمِّن (حقيق) معنى: حريص؛ ليفيد حرصه على ذلك، وكونه حقيقًا به، فعداه تعدية حريص.

ومثاله في الأفعال:

﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣]. ضمِّن (أخبتوا) معنى: تابوا وأنابوا، فعداه بـ: (إلى)؛ ليفيد أنَّهم جمعوا بين التَّوبة والتَّواضع.

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ [طه: ١٦]. معناه: (فلا يصدن).

---

(١) بتصرُّف عن الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٩).

﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ [الحج: ٦٧]. أي: (فلا تنازعهم في الأمر) أو (فلا تسمعنَّ نزاعهم).

﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [النمل: ١٨]. معناه: (لا تلبثن فيحطمونكم).

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٨٧]. معناه: (ولا يصدن عن آيات الله بسبب صدهم إيَّاك).

﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]. معناه: (ولا تستخفن لهم).

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣، فاطر: ٥] معناه: (ولا تغتررن بغروره).

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ﴾ [الزخرف: ٦٢] معناه: (ولا تصدن بصد الشيطان إياكم)»[(١)].

١٥- النَّهي لوصف منفكٍّ عن الفعل، ومجاور له

نحو:

﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فلا يفقد سببيَّته للحكم فيترتَّب عليه حكمه كما يترتَّب على الفعل.

❀ ❀ ❀

(١) بتصرُّفٍ عن (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) (ص: ٢٩-٣٠).

المطلب الثَّالث
أســاليبُ الطَّلب الَّتي يراد بها الإبــاحــة

● **ويتضمَّن:**

١ - لفظ الحلِّ مسندًا إلى الفعل، أو متعلِّقًا به.

٢ - نفي الإثم.

٣ - نفي الجناح.

٤ - ما اختلف في دلالته على الإباحة، وهو (الأمر بعد الحظر).

ولا بدَّ في البداية من بيان المراد من الإباحة، وأنها ترك الأمر للمكلَّف، إن شاء فعل، وإن شاء ترك.

أمَّا ما يدلُّ على الإباحة فإنَّه يأتي على النَّحو التَّالي:

١ - لفظ الحلِّ مسندًا إلى الفعل، أو متعلِّقًا به

نحو:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤]، ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥]، الآية. ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

فإنَّ المباح هو الفعل الَّذي خيَّر الشَّارعُ المكلَّفَ بين الإتيان به، وعدم الإتيان، وذلك كالأكل من طعام أهل الكتاب المدلول على إباحته بقوله ﷻ في الآية السَّابقة: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ .

٢ - نفي الإثم

نحو:

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]،

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة:٢٠٣].

٣ - نفي الجناح

فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:٢٣٠]، وقوله ﷻ: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ﴾ [النور:٢٩].

وانظر الآيات التَّالية الَّتي ورد فيها (نفي الجناح):

[البقرة: ١٥٨- ١٩٨ - ٢٢٩ - ٢٠٣ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٤٠ - ٢٨٢]، [النِّساء: ٢٤ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٢٨]، [المائدة: ٩٣]، [النُّور: ٢٩ - ٥٨ - ٦٠ - ٦١]، [الأحزاب: ٥ - ٥١ - ٥٥]، [الممتحنة: ١٠].

٤- ما اختلف في دلالته على الإباحة

أمَّا ما قد اختلف في دلالته على الإباحة فهو (الأمر بعد الحظر)، فقد اختلف الأصوليُّون في موجب صيغة الأمر الواردة بعد التَّحريم، هل هو للإباحة أو الوجوب؟ والمسألة مبسوطة في كتب الأصول[١]،

(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (١١١/٢) فما بعد، التَّحبير شرح التَّحرير (٢٢٤٦/٥) فما بعد، القواعد والفوائد الأصوليَّة، للبعلِّي (ص:١٦٣- ١٦٩)، الإحكام، لابن حزم (٣٣٣/٣)، البرهان في أصول الفقه (١٨٨/١)، التَّبصرة (ص:٣٨- ٤١).

وأُبرزُ هنا ما له صلة بالإباحة، وأشيرُ إلى غيره إشارةً[(١)].

فالجمهور[(٢)] أنَّه يقتضي الإباحة، وهو الَّذي يعنينا هنا..

واستدلُّوا بأنَّ هذا هو الغالب في استعمال الشَّرع غلبةً جعلت المتبادر إلى الأذهان من ورود صيغة (الأمر بعد الحظر) على لسان الشَّرع إنَّما هو للإباحة، فأصبح (الأمر بعد الحظر) (حقيقةً عرفيَّة)[(٣)]، أي: في عُرْفِ الشَّرع.

والشَّاهد على أنَّ الغالب في استعمال الشَّرع لصيغة (الأمر بعد الحظر) إنَّما هو استعمالها في التَّخيير بين الفعل والتَّرك كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ۚ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ..فالمأمور به بعد الحظر في هذه الآيات فيه التَّخيير بين الفعل والتَّرك، ولم أقف على حظرٍ

---

(١) ومنهم من قال: إنَّه للوجوب، وهو قول عامَّة الحنفيَّة والإمام الرَّازي، والمعتزلة والباقلانيِّ من الشَّافعية. وقد استدلُّوا بأنَّ الأدلَّة الدَّالة على أنَّ الأمر حقيقة في الوجوب لم تفرِّق بين أمر وارد بعد حظر، وبين أمر لم يرد بعد حظر، وبأنَّ المقتضى للوجوب موجود، وهو الصِّيغة، ولا مانع هنا من ترتُّبه عليها، فإنَّه كما يمكن الانتقال من التَّحريم إلى الإباحة كذلك يمكن الانتقالُ من التَّحريم إلى الوجوب. وإذا وجد المقتضى من غير مانع وجب القول به. انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٤٤)، والبحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ١١٢-١١٦)، التَّحبير (٥/ ٢٢٥٢-٢٢٥٣)، المحصول (٢/ ١٥٩-١٦٢)، تيسير التَّحرير (١/ ٣٤٥).

(٢) وهو مذهبُ أحمد، ومالك، وأصحابهما، والشَّافعي، والأكثر. التَّحبير شرح التَّحرير في أصول الفقه (٥/ ٢٢٤٦).

(٣) سيأتي بيان الحقيقة الشَّرعيَّة والحقيقة العرفيَّة والحقيقة اللُّغويَّة (ص: ٨٧٣) .

ورد بعده أمرٌ يفيد الإيجاب إلا في موضعين[١]:

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥] الآية، فإنَّه للوجوب..

وقول النَّبي ﷺ لفاطمةَ بنت أبي حبيش[٢]: «**إذا أقبلت حيضتك فدعي الصَّلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدَّم، ثمَّ صلِّي**»[٣].

قال الشَّيخ محمَّد الأمين الشِّنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «الَّذي يظهرُ لي في هذه المسألة هو ما يشهد له القرآن العظيم، وهو أنَّ الأمر بعد الحظر يدلُّ على رجوع الفعل إلى ما كان عليه قبل الحظر، فإن كان قبله جائزًا رجع إلى الجواز، وان كان قبله واجبًا رجع إلى الوجوب.

فالصَّيد مثلا كان مباحًا، ثمَّ منع للإحرام، ثمَّ أمر به عند الإحلال، فيرجع لما كان عليه قبل التَّحريم. وقتل المشركين كان واجبًا، ثمَّ منع لأجل دخول الأشهر الحرم، ثمَّ أمر به عند انسلاخها في قوله عَزَّ وَجَلَّ

(١) انظر: الموجز في أصول الفقه (ص: ١٠٠).

(٢) هي فاطمةُ بنت أبي حبيش بن المطَّلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشيَّة الأسديَّة، ثبت ذكرها في الصَّحيحين من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: جاءت فاطمةُ بنت أبي حبيش إلى النَّبيِّ ﷺ فقالت: يا رسول الله إني امرأة استحاض فلا أطهر، أفأدع الصَّلاة؟ قال: «لا إنَّما ذلك عرق، وليست الحيضة». الحديث. ورواه المنذر بن المغيرة عن عروة أنَّ فاطمةَ بنت أبي حبيش. وفي لفظ: عن فاطمة. وفي لفظ: حدَّثتني فاطمة حديثه. أخرجه أبو داود والنَّسائي، والأوَّل هو المشهور. الإصابة (٨/ ٦١)، وانظر: الطَّبقات الكبرى، لابن سعد (٨/ ٢٤٥)، الكاشف، للذَّهبي (٢/ ٥١٥).

(٣) أخرجه البخاريُّ [٢٢١]، [٢٩٥]، [٣٠٩]، [٣١٤]، ومسلم [٥٠١]، [٥٠٢].

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ الآية، فيرجع إلى ما كان عليه قبل التَّحريم. وهكذا. وهذا الَّذي اخترنا. قال به بعض الأصوليين(١)، واختاره ابنُ كثير في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ﴾» (٢).

وإلى هذه الأقوال في هذه المسألة أشار في (المراقي) بقوله:

(والأمرُ للوجوب بعدَ الحظْلِ(٣) وبعد سؤال قد أتى للأصلِ)

(أو يقتضي إباحة في الأغلبِ إذا تعلق بمثلِ السببِ)

(إلا فذي المذهب والكثير له إلى إيجابه مصيرُ)(٤).



---

(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ١١٣)، التَّحبير (٥/ ٢٢٥١)، القواعد والفوائد الأصوليَّة، للبعليِّ (ص:١٦٥)، المسودة (ص:١٦).

(٢) انظر ما قاله الحافظُ ابنُ كثير في (تفسيره) (١/ ٢٦١)، (٢/ ٦). مذكرة الشَّيخ محمَّد الأمين الشِّنقيطي (ص:١٩٢-١٩٣).

(٣) (الحظل) معناه: المنع، وهو يفيد معنى الحظر، ولكنَّه أنسب للقافية. انظر في بيان معنى: (الحظل): الإتباع، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ص: ٧٧)، الصِّحاح، مادَّة: (حظل) (٤/ ١٦٧٠)، المحكم والمحيط الأعظم، (٣/ ٢٨٣)، لسان العرب (١١/ ١٥٥).

(٤) مراقي السُّعود، رقم [٢٧٢]، [٢٧٣]، [٢٧٤]، (ص:٣٨-٣٩)، انظر: نشر البنود على مراقي السُّعود (١/ ١٦٣-١٦٤)، وانظر: نثر الورود على مراقي السُّعود من (١/ ١٩٥)، إلى (١/ ١٩٧)، وكذلك أورد ذلك الشَّيخ محمَّد الأمين في (أضواء البيان) (١/ ٣٢٧).

المبحث الثَّالث

الاستفهام والسؤال والدُّعاء والتَّمني والتَّرجِّي والعرض والتَّحضيض في القرآن الكريم

وفي بداية هذا المبحث توطئة تتضمَّن:

أوَّلاً: الصِّلة بين الاستفهام وموضوع البحث.

ثانيًا: تعريف الاستفهام.

ثالثًا: أهميَّته.

رابعًا: فائدة الاستفهام.

خامسًا: وظيفتا الاستفهام.

سادسًا: أنواع الاستفهام.

أمَّا المطالب في هذا المبحث فهي على النَّحو التَّالي:

المطلبُ الأوَّل: استفهام الإنكار في القرآن الكريم.

المطلبُ الثَّاني: استفهام التَّقرير في القرآن الكريم.

المطلبُ الثَّالث: خروج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصليِّ.

المطلبُ الرَّابع: أدوات الاستفهام.

المطلبُ الخامس: السؤال من حيث عموم معناه.

المطلب السَّادس: الدُّعاء في القرآن الكريم.

المطلبُ السَّابع: التَّمني والتَّرجي في القرآن الكريم.

المطلبُ الثَّامن: العرض والتَّحضيض في القرآن الكريم.



وبيانُ ذلك على النَّحو التَّالي:

- **توطئة**

وتتضمَّنُ:

أولاً: الصِّلة بين الاستفهام وموضوع البحث

لا بدَّ أوَّلًا من بيانِ صلة هذا المبحث الوثيقة بالموضوع.

أمَّا صلته بموضوع البحث فإنَّه استكمال لجوانبه المتعدِّدة، وذلك من حيث اشتماله على صيغة من صيغ الخطاب المباشرة، وهي الَّتي قد اصطلحتُ على أنَّها من الخطاب القرآني من حيث معناه الأخص، وهو في اصطلاح البلاغيين من موضوعات الإنشاء الطَّلبي، ولا بدَّ من بيان أهميَّة استقلال كلٍّ موضوع منها بالدِّراسة والبحث.

هذا بالنِّسبة إلى صلة هذا المبحث بموضوع البحث، أمَّا صلته بما سبقه من موضوعات فهي واضحة. فقد سبق الحديث عن الأمر والنَّهي..وهما من الإنشاء الطَّلبي، فكذلك الاستفهام..

ثانيًا: تعريفُ الاستفهام

(الاستفهامُ) لغةً: مصدر استفهمت، أي: طلبتُ الفهم.

يقول ابنُ منظور: «وأفهمه الأمر، وفهمه إيَّاه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشَّيء فأفهمته وفهمته وفهمته تفهيمًا»[١].

---

(١) لسان العرب: مادَّة: (فهم) (١٢/ ٤٥٩). وانظر: المحكم والمحيط الأعظم، مادَّة: (فهم) (٤/ ٣٣٨).

ويقال: «استفهم من فلانٌ عن الأمر»: طلب منه أن يكشف عنه، و(الفهم) حسن تصوُّرِ المعنى وجودة استعداد الذهن للاستنباط»[(١)].

و(الاستفهام) اصطلاحًا: طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، بإحدى أدوات الاستفهام[(٢)]. والسين والتَّاء فيه للطَّلب، أي: طلب الفهم.

وقيل: الاستفهام استعلام ما في ضمير المخاطب. وقيل: هو طلب حصول صورة الشَّيء في الذِّهن، فإن كانت تلك الصُّورة إذعان وقوع نسبة بين الشَّيئين أوَّلًا وقوعها فحصولها هو التَّصديق وإلا فهو التَّصور[(٣)].

ويأتي الاستفهام بمعنى الاستخبار الَّذي هو طلب خبر ما ليس عندك. ومنهم من فرَّق بينهما بأنَّ الاستخبار ما سبق أوَّلًا، ولم يفهم حقَّ الفهم، فإذا سألت عنه ثانيًا كان استفهامًا حكاه ابن فارس في (فقه العربيَّة)[(٤)].

---

(١) المعجم الوسيط، مادَّة: (فهم) (٢/ ٧٠٤).

(٢) قال الأخفش في قوله ﷻ: «﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]؛ لأنَّ كل ما كان من طلب العلم فقد يقع بعده الاستفهام. تقول: (أَزَيْدٌ في الدَّارِ؟) و(لَتَعْلَمَنَّ أَزَيْدٌ فِي الدّار). وقال ﷻ: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢]، أي: لننظر. وقال ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]». معاني القرآن الكريم، للأخفش (ص: ٣٤١)، وانظر: كتاب الكليَّات (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٤٦). سيأتي قريبا بيان معنى كلٍ من (التَّصور) و(التَّصديق) مفصَّلاً . .

(٤) انظر: فقه العربيَّة، لابن فارس (ص: ١٥١-١٥٢)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٦)، الإتقان (٢/ ٢١١، ٢١٢، ٢١٧).

ثالثًا : أهميَّته

إنَّ الاستفهام من أكثر الوظائف اللُّغويَّة استعمالًا؛ لأنَّ الاتِّصال الكلامي يكاد يكون حوارًا بين مستفهم ومجيب، والاستفهامُ طلبُ الفَهم -كما تقرَّر-، ومن ثمَّ فإنَّ جملة الاستفهام جملة طلبيَّة. والاستفهامُ في حقيقته أسلوبٌ حواريٌّ تداوليٌّ، من عناصره: سائلٌ ومسؤولٌ وتعبير لغويٌّ موجَّهٌ بأداة استفهام.

فإذا توفَّرت الأركان الثَّلاثة بشروطها ومواصفاتها المذكورة فذلك الاستفهام الحقيقي.

وإذا غاب ركنٌ أو غاب القيد الوصفيُّ للرُّكن فذلك مؤشِّرٌ على كون المراد غير الاستفهام، فيبحث عن المراد في قرائن السِّياق كالتَّعجب أو السُّخرية أو التَّمني أو التَّوبيخ أو الإرشاد..إلخ، هذه المعاني أو الأغراض المختلفة يسمِّيها الآخرون: الاستلزام الحواريُّ للاستفهام أو خروج الاستفهام عن مقتضاه بتعبير الأوَّلين -وسيأتي بيان ذلك-.

ويعرف بالاستفهام ماهيَّة الشَّيء المسؤول عنه، أو معرفة علَّته، أو تمييز ما عرف منه على وجه الإجمال[1].

رابعًا : فائدة الاستفهام

«**الأولى**: ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب

(١) انظر: النَّجاة (ص:١٠٥-١٠٦)، المستصفى (١/١٢-١٣)، وروضة النَّاظر (ص:١٠)، طرق الاستدلال ومقدِّماتها (ص:١٦٤).

الله ﷻ على معنى أنَّ المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النَّفي حاصل، فيستفهم عنه نفسه تخبره به؛ إذ قد وضعه الله ﷻ عندها، فالإثبات كقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، والنَّفي كقوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان:١]، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود:١٤]، [الأنبياء:١٠٨]، ومعنى ذلك: أنَّه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فإنَّ الرَّب ﷻ لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنما يستفهمهم ليقرِّرهم ويذكِّرهم أنهم قد علموا حقَّ ذلك الشَّيء، فهذا أسلوبٌ بديع انفرد به خطاب القرآن، وهو في كلام البشر مختلف.

الثَّانية: الاستفهام إذا بني عليه أمر قبل ذكر الجواب فُهِم ترتُّب ذلك الأمر على جوابه، أيَّ جوابٍ كان؛ لأنَّ سبقَه على الجواب يشعر بأنَّ ذلك حال من يذكر في الجواب؛ لئلا يكون إيراده قبله عبثًا، فيفيد حينئذٍ تعميمًا، نحو: (مَنْ جَاءك فَأُكْرِمَه؟) -بالنَّصب-[١]، فإنَّه لما قال قبل ذكر جواب الاستفهام (أكرمه) عُلِمَ أنه يكرم من يقول المجيب: إنَّه جاء، أيَّ جَاءٍ كان، وكذا حكم (مَنْ ذا جاءك أكرمْه؟) -بالجزم-.

الثَّالثة: قد يخرج الاستفهام عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام»[٢] -وسيأتي بيان ذلك-.

---

(١) الفاء في (فَأُكْرِمَه) منصوب بأن المضمرة بعد فاء السَّببيَّة الَّتي تقدمها طلب، وهو الاستفهام.
(٢) بقليل من التَّصرف عن (البرهان في علوم القرآن) (٢/ ٣٢٧-٣٢٨)، الإتقان (٢/ ٢١٢).

خامسًا : وظيفتا الاستفهام

وللاستفهام وظيفتان[(١)] :

١ - طلب التَّصديق[(٢)] :

وهو الَّذي يسأل عن الجملة الَّتي بعد كلمة الاستفهام، أصادقة هي أم غير صادقة؟ ولذلك يجاب عنها بـ: (نعم) أو (لا).

ويستعمل في هذه الجملة حرفان: (الهمزة - وهل).

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن الكريم (٤/ ٣٤٧)، بصائر ذوي التَّمييز (٣/ ٣٠٦)، التَّعريفات (ص: ٣٧)، الكليَّات (ص: ١٣٥، ٢٦٠، ١٥٣٥)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣١).

(٢) التَّصديق هو: الاعتراف والاقرار. انظر: روح المعاني (١/ ١١٠)، تفسير أبي السُّعود (١/ ٣٠)، وتفسير البيضاوي (١/ ١٠٦)، وفي (اصطلاح المنطقيين): إدراك وقوع النِّسبة بين الموضوع والمحمول نفيًا أو إثباتًا، كإدراك وقوع القيام في قولنا: (زيد قائم)، أو عدم وقوعه في قولنا: (زيد ليس بقائم). انظر: شرح الكوكب المنير (١/ ٥٨)، إيضاح المبهم (ص: ٦)، طرق الاستدلال ومقدِّماتها عند المناطقة والأصوليين (ص: ٣٣). وعبَّر كثيرٌ من العلماء عن ذلك بالإذعان، فقالوا: العلم إن كان إذعانًا للنِّسبة فتصديق. والمقصود بالإذعان إدراك وقوع النِّسبة أو عدم وقوعها على وجه الجزم أو الظنِّ. انظر: التَّذهيب بحاشية التَّجريد الشَّافي، للدَّردير (ص: ٢٩-٣٠)، طرق الاستدلال (ص: ٣٣)، ونصَّ صاحب (الرِّسالة الشَّمسية) (ص: ٧) على أنَّ التَّصديق: (تصور معه حكم، وهو إسناد أمر إلى أمر آخر إيجابًا أو سلبًا). وتوضيحًا لذلك نذكر أنَّ قولنا: (علي شاعر) وتصوَّر النِّسبة بينهما، وهي تعلُّق المحمول بالموضوع، وتصوُّر وقوعها، فالتَّصديق هو التَّصور الرَّابع، والثَّلاثة قبله شروط له. ويرى بعض العلماء أنَّ التَّصديق هو التَّصورات الأربعة. وبعض العلماء يسمي التَّصور معرفة، والتَّصديق علمًا، ومنهم من يسمي التَّصور مفردًا، والتَّصديق جملة. انظر: إيضاح المبهم (ص: ٦٠)، المستصفى (١/ ١١)، روضة النَّاظر (ص: ٩)، طرق الاستدلال (ص: ٣٤). وسيأتي مزيد من البيان.

٢ - طلب التَّصور[1]:

(١) التَّصور في اللُّغة: هو تخيُّل الشَّيء واستحضار صورته في الذِّهن أو العقل. وفي (اصطلاح المناطقة): (إدراك معنى المفرد). وهذا التَّصور مجرَّد عن الحكم، كتصور (الإنسان) من غير حكم عليه بنفي أو إثبات، وذلك بأن ترتسم صورة منه في الذِّهن يتميَّز بها عن غيره، ويطلَق عليه: (التَّصور السَّاذج). ويستوي في ذلك ما لو أدرك الموضوع وحده، أو المحمول وحده، أو أدركا معا من دون حكم. انظر: الفائق في أصول الفقه (١/ ١٥٣)، طرق الاستدلال (ص:٣٣). ومن العلماء من يرى أنَّ إدراك النِّسبة، ولو من غير إذعان، أي: إدراك وقوعها أو عدمه من باب التَّصديق. انظر: المستصفى (١/ ١١)، روضة النَّاظر (ص:٩)، طرق الاستدلال (ص:٣٣). والخلاصة أنَّ التَّصوُّر هو إدراك معنى مفرد، مثل: (كتاب، محمَّد، طالب)، والإدراك: إحاطة الشَّيء بكماله، والتَّصديق إدراك النِّسبة بين المسند والمسند إليه، أو بين الموضوع والمحمول، فإنَّ إدراك الماهية من غير حكم عليها يسمَّى تصوُّرًا، وهو حصول صورة الشَّيء في الذِّهن، ومع الحكم يسمَّى تصديقًا، فالأوَّل ساذج، أي: مشروط فيه عدم الحكم، والثَّاني مشروط فيه الحكم..وإنما سمِّي التَّصور تصوُّرًا؛ لأخذه من الصُّورة؛ لأنَّه حصول صورة الشَّيء في الذِّهن، وسمِّي التَّصديق تصديقًا؛ لأنَّ فيه حكمًا يصدَّق فيه أو يكذَّب، سمِّي بأشرف لازمي الحكم في النِّسبة. قال ابن مفلح: وقسَّمَ المنطقيون العلم إلى: علم بمفرد يسمَّى: تصوُّرًا، كالعلم بمعنى: الإنسان والكاتب، وعلم بنسبة يسمَّى تصديقًا، وهي: إسناد شيءٍ إلى آخر بالنَّفي أو الإثبات، بمعنى إيقاعها أو انتزاعها، وهو الحكم. كالحكم بأنَّ الإنسان كاتبٌ أو لا.
وأمَّا بمعنى: حصول صورة النِّسبة في العقل، فإنَّه من التَّصور. الكوكب المنير شرح مختصر التَّحرير (١/ ٥٨)، التَّحبير (١/ ٢١٤)، (١/ ٢١٦)، دستور العلماء (١/ ٧٢)، البهجة في شرح التُّحفة (٢/ ١٠٣)، شرح السلم، للملَّويِّ، بحاشية الصَّبان (ص: ٤٥)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١/ ٢٨٣)، شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٦٤). والحاصل أنَّنا إذا قلنا: (زيد قائم)، فقد اشتمل قولنا على تصوُّراتٍ أربعة: ١- تصوُّر الموضوع، وهو زيد. ٢- تصوُّر المحمول، وهو قائم. ٣- تصوُّر النِّسبة بينهما، وهو تعليق المحمول بالموضوع، أي: تصوُّر قيام زيد. ٤- تصوُّر وقوعها: أي: تصوُّر وقوع القيام من زيد. فالتَّصور الرَّابع يسمَّى تصديقًا، والثَّلاثة قبله شروط له. =

وتستخدم فيه الهمزة، وبقية كلمات الاستفهام، ولا يسأل هنا عن صدق الجملة، وإنما عن تصور المستفهم عنه[(١)].

سادسًا: أنواع الاستفهام

ينقسم الاستفهام إلى نوعين:

أ - **الاستفهام المثبت.**

ب - **الاستفهام المنفي.**

ولا فرق بين النَّوعين، إلا أنَّ الأوَّل يخلو من أحرف النَّفي، والثَّاني يكون منفيًّا.

والوارد للنَّفي يسمَّى (استفهام إنكار)، والوارد للإثبات يسمَّى (استفهام تقرير)؛ لأنَّه يطلب بالأوَّل إنكارُ المخاطب، وبالثَّاني إقراره به[(٢)].

= انظر: إيضاح المبهم (ص:٦)، تحرير القواعد المنطقيَّة، للرَّازي (ص:٨) وما بعدها، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١/ ٢٨٣). وسيأتي مزيد من البيان.

(١) انظر: المحصول (٢/ ٥٣٦).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٨)، وانظر: شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (٤/ ٤٦٢)، وانظر: موصل الطُّلاب إلى قواعد الإعراب (ص:١٠٣).

المطلب الأول
استفهام الإنكار في القرآن الكريم

● **توطئة**

وأستعرضُ في هذا المطلب الآيات الَّتي تدلُّ على هذا المعنى من الاستفهام، وأشير إلى أقوال المفسِّرين، والباحثين في علوم القرآن في الحاشية، إلا ما كان معنى الإنكار فيه ظاهرًا، أو له نظائر فإني أكتفي بالإحالة إليها، أو قياس النَّظير على النَّظير.

قال الزَّركشيُّ في بيان أقسام الاستفهام: «هو قسمان: بمعنى الخبر، وبمعنى الإنشاء. الأوَّل: بمعنى الخبر[١]، وهو ضربان: أحدهما: نفيٌ، والثَّاني: إثباتٌ، فالوارد للنَّفي يسمَّى (استفهام إنكار) والوارد للإثبات يسمَّى (استفهام تقرير)؛ لأنَّه يطلب بالأوَّل إنكار المخاطب، وبالثَّاني إقراره به»[٢].

فالأوَّل: المعنى فيه على أنَّ ما بعد الأداة منفيٌّ، ولذلك تصحبه (إلا) كقوله ﷻ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧]. ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥]. ويعطف عليه المنفيُّ، كقوله ﷻ:

---

(١) أمَّا الثَّاني فهو الاستفهام بمعنى الإنشاء، وسيأتي في (خروج صيغة الاستفهام عن معناها الأصليِّ).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٨).

﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩]، أي: لا يهدي. ومنه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]. ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧]، أي: لا نؤمن. ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩]. ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ٢١]، أي: لا يكون هذا. ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]، أي: ما شهدوا ذلك.

وكثيرًا ما يصحبه التَّكذيب، وهو في الماضي بمعنى: (لم يكن)، وفي المستقبل بمعنى: (لا يكون)، نحو: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٤٠] الآية. أي: لم يفعل ذلك. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، أي: لا يكون هذا الإلزام(١).

وقد أتيت على ذكر نماذج الاستفهام الإنكاري ونماذج الاستفهام التقريري من القرآن الكريم، مع تحقيق المعنى.

أ. نماذج الاستفهام الإنكاري من القرآن الكريم

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦](٢).

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

---

(١) بقليل من التَّصرُّف عن (البرهان في علوم القرآن) (٢/ ٣٢٨)، والإتقان (٢/ ٢١٢).

(٢) قيل: (ما) استفهام إنكار مبتدأ، و(ذا) بمعنى: (الَّذي) بصلته خبره، أي: أيُّ فائدة فيه. انظر: السِّراج المنير (٣/ ٢٣٧)، الجلالين (ص: ٧).

[البقرة: ٤٤][1].

أمَّا لفظ (أفلا) فقد ورد في الآيات التَّالية:

[البقرة: ٤٤ - ٧٦]، [آل عمران: ٦٥]، [النِّساء: ٨٢]، [المائدة: ٧٤]، [الأنعام: ٣٢ - ٥٠ - ٨٠]، [الأعراف: ٦٥ - ١٦٩]، [يونس: ٣ - ١٦ - ٣١]، [هود: ٢٤ - ٣٠ - ٥١]، [يوسف: ١٠٩]، [النَّحل: ١٧]، [طه: ٨٩]، [الأنبياء: ١٠ - ٣٠ - ٤٤ - ٦٧]، [المؤمنون: ٢٣ - ٣٢ - ٨٠ - ٨٥ - ٨٧]، [القصص: ٦٠ - ٧١ - ٧٢]، [السَّجدة: ٤ - ٢٦ - ٢٧]، [يس: ٣٥ - ٦٨ - ٧٣]، [الصَّافات: ١٣٨ - ١٥٥]، [الزُّخرف: ٥١]، [الجاثية: ٢٣]، [محمَّد: ٢٤]، [الذَّاريات: ٢١]، [الغاشية: ٧١]، [العاديات: ٩].

﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠][2].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨][3].

---

(١) الهمزة في قوله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري والتَّوبيخ والتَّقريع والتَّعجب من حال هؤلاء، فلا أقبح من أن يأمر الإنسان غيره بخير وهو لا يأتيه. والهمزة في قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ للاستفهام الإنكاريِّ أيضًا، و(الفاء) عاطفة، و(لا) نافية. انظر: إعراب القرآن وبيانه (١/ ٩٤-٩٥)، وانظر: زهرة التَّفاسير (ص: ٣٥٣٥).

(٢) انظر: تفسير أبي السُّعود (١/ ١٤٦)، (١/ ١٦٩)، وانظر الإعراب أيضًا في (تفسير ابن عادل) (٢/ ٥٣١)، البحر المحيط (١/ ٤٤٥)، تفسير الرَّازي (٣/ ٥٥٨). ونحوه: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٤٠].

(٣) ونحوه قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]. قال ابن تيميه -رحمه الله-: «فنفى أن يكون دين أحسن من هذا =

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٩][(١)].

﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩][(٢)].

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٦٦].

﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠][(٣)].

﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦][(٤)].

﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠][(٥)].

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النساء: ٥٣][(٦)].

= الدِّين، وأنكر على من أثبت دينًا أحسن منه، لأنَّ هذا استفهام إنكار، وهو إنكار نهي وذمٍّ لمن جعل دينًا أحسن من هذا». كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٤/ ٤٢٦).
ونحوه قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

(١) انظر: الدُّر المصون (١/ ٣٨٩)، تفسير ابن عادل (٢/ ١٤٢).

(٢) وهو استفهامُ إنكار واستبعاد. انظر: التَّحرير والتَّنوير (٣/ ٣٦).

(٣) هذا استفهام إنكار. انظر: البحر المحيط (٢/ ٥٣١).

(٤) انظر: زهرة التَّفاسير (ص: ١٣٥٠).

(٥) وهذا الاستفهام على سبيل الإنكار، أي: أتفعلون هذا مع ظهور قبحه؟ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض؟ وهذا استفهام إنكار أيضًا. انظر: البحر المحيط (٣/ ٢١٦)، الخازن (١/ ٥٠٠)، الرَّازي (١٠/ ١١).

(٦) وهذا استفهام إنكار، والاستفهامُ الإنكاريُّ حكمه حكم النَّفي، أي: (ليس لهم نصيب من الملك). انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥١٤)، البيضاوي (٢/ ٢٠٢)، النَّسفي (١/ ٣٣٥)، =

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢][1].

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٨٨][2].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ [النساء: ١٣٩].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠][3].

= روح المعاني (٥/ ٥٦)، البحر المديد (٢/ ٥٥)، السِّراج المنير (١/ ٣٥٧)، وانظر معنى (الاستفهام الإنكاريِّ) في هذه الآية مفصَّلا في (التَّحرير والتَّنوير) (٥/ ٨٨). والحاصل أنَّ (أم) عاطفة منقطعة بمعنى: (بل) فهي عطف للإضراب والانتقال من ذمِّهم بتزكيتهم أنفسهم وغيرها إلى ذمِّهم بشيء آخر، وهو ادِّعائهم بأنَّ لهم نصيبًا من الملك.

(١) انظر: تفسير أبي السُّعود (٢/ ٢٠٧). والحاصل أنَّ الهمزة للاستفهام الإنكاريِّ، والفاء عاطفة على مقدَّر، أي: أيعرضون عن القرآن فلا يتدبَّرونه؟..ونحوه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمَّد: ٢٤]. فقوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ «إنكار واستقباح لعدم تدبُّرهم القرآن وإعراضهم عن التَّأمل فيما فيه من موجبات الإيمان. و(تدبُّر الشَّيء): تأمُّله والنَّظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثمَّ استعمل في كلِّ تفكُّر ونظر. والفاء للعطف على مقدَّر، أي: أيعرضون عن القرآن فلا يتأمَّلونَ فيه ليعلموا كونه من عند الله ﷻ بمشاهدة ما فيه من الشَّواهد الَّتي من جملتها هذا الوحي الصَّادق والنَّص النَّاطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه؟». تفسير أبي السُّعود (٢/ ٢٠٧)، القاسمي (٢/ ٤٠٠) .

(٢) «هذا استفهام إنكار، أي: من أراد الله ﷻ ضلاله، لا يريد أحد هدايته لئلَّا تقع إرادته مخالفة لإرادة الله ﷻ، ومَن قضى الله ﷻ عليه بالضَّلال لا يمكن إرشاده». البحر المحيط (٣/ ٣٢٧).

(٣) أي: لا يستويان، فـ: ﴿هَلْ﴾ حرفُ استفهامٍ معناه النَّفي. انظر: تفسير أبي السُّعود (٢/ ٣٦٧)، روح المعاني (٧/ ١٥٦)، (١٢/ ٣٥)، زاد المسير (٤/ ٣٢٠) الخازن (٤/ ١٣)، التَّحرير والتَّنوير (٧/ ٢٤٣). ونحوه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ =

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤][(١)].
﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].
﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤][(٢)].
﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤][(٣)].
﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]، [يونس: ٦٨][(٤)].

= وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرَّعد: ١٦]، ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النَّحل: ٧٦]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: ٩]. فـ (هل) حرفُ استفهام معناه النَّفي، أي: لا يستويان. وقوله ﷻ: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الهمزةُ للاستفهام الإنكاريِّ، والفاء عاطفة، و(لا) نافية، و﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ عطف على مقدَّر محذوف، أي: لا تستمعون مثل هذا الكلام الَّذي يتلى عليكم فلا تتفكَّرون فيه، وتتبيَّنون مغابَّه. انظر: التَّحرير والتَّنوير (٧/ ٢٤٣)، الخازن (٤/ ١٣)، السِّراج المنير (٢/ ١٧١)، زاد المسير (٤/ ٣٢٠).

(١) استفهام إنكار وتوبيخ. انظر: التَّحرير والتَّنوير (٧/ ٣١٢). وفي (البحر): «لما ذكر قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١] ناسب ذكر هذه الآية هنا وكان التَّذكار بقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه أنسب لرجوع العرب إليه إذ هو جدُّهم الأعلى، فذكروا بأنَّ إنكار هذا النَّبي محمَّد صلى الله عليه وسلم عليكم عبادة الأصنام هو مثل إنكار جدِّكم إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه عبادتها. وفي ذلك التَّنبيه على اقتفاء من سلف من صالحي الآباء والأجداد وهم وسائر الطَّوائف معظمون لإبراهيم عليه السلام». البحر المحيط (٤/ ١٦٨)، وانظر: روح المعاني (٧/ ١٩٤).

(٢) الجملةُ عطفٌ على مقدَّر يقتضيه سياقُ الكلام، أي قل لهم: أأميل إلى زخارف الدُّنيا فأبتغي حكما؟ فالهمزة للاستفهام الإنكاريِّ، فهي مقول قول محذوف، وجملة القول مستأنفة..

(٣) وهذا الاستفهامُ هو استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ وتقريع..انظر: البحر المحيط (٤/ ٢٤١)، تفسير الخازن (٢/ ١٩٢)، التَّحرير والتَّنوير (٨/ ٣١٣)، (٨/ ١٣٣-١٣٤)، تفسير أبي السُّعود (٣/ ١٣٩)، إعراب القرآن وبيانه (٣/ ٢٥٤).

(٤) استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ لمن اتَّبع ما لا يعلم...انظر: البحر المحيط (١/ ٤٤٥)، (٥/ ١٧٥).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ [الأعراف: ٣٢][(١)].

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]، [يونس: ٣١]، [المؤمنون: ٢٣-٣٢- ٨٧][(٢)].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الأعراف: ٧٥][(٣)].

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠][(٤)].

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٧٦)، البحر المحيط (٤/ ٢٩٣)، تفسير ابن جزي (٢/ ٣١)، أضواء البيان (٢/ ١٤).

(٢) الهمزةُ للاستفهام الإنكاريِّ والاستبعاد لعدم اتِّقائهم العذاب بعدما علموا ما حلَّ بقوم نوح عليه السلام، أي: أتغفلون فلا تتقون؟..انظر: تفسير أبي السُّعود (٣/ ٢٣٧)، (٤/ ١٤١)، روح المعاني (٨/ ١٥٥)، (١١/ ١١١)، الخازن (٢/ ٢٤٦)، الرَّازي (٢٣/ ٢٧٤).

(٣) وهو استفهام إنكار منهم. انظر: زاد المسير (٣/ ٢٢٥)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزيِّ (ص: ١٨٢).

(٤) ومثله قوله ﷻ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٥﴾ [الشعراء: ١٦٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ٥٤﴾ [النمل: ٥٤]. قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله ﷻ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ «هذا استفهام إنكار ونهي، إنكار ذمٍّ ونهي، كالرَّجل يقول للرَّجل: أتفعل كذا وكذا؟ أما تتقي الله ﷻ؟ ثمَّ قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ [النَّمل: ٥٥]. وهذا استفهامٌ ثانٍ فيه من الذَّم والتَّوبيخ ما فيه، وليس هذا من باب القذف واللَّمز». كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٥/ ٣٣٤). وفي (البحر): «استفهامُ إنكارٍ وتقريع وتوبيخ». البحر المحيط (٧/ ٣٥)، (٧/ ٨٣)، (٧/ ١٤٥)، وانظر: زاد المسير (٣/ ٢٢٧)، إعراب القرآن، لابن سيده (٧/ ٩٤) و(٧/ ١٥٧).

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨][(١)].

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾[الأعراف: ٩٧-٩٨][(٢)].

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ﴾ [الأعراف: ١٥٠][(٣)].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٥][(٤)].

---

(١) قوله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾، أي: ديننا، وغلَّبوا في الخطاب الجمعَ على الواحد؛ لأنَّ شعيبًا لم يكن في ملَّتهم قط، وعلى نحوه أجاب: قال: أنعود فيها؟ ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ﴾ لها، استفهام إنكار..انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٤٥)، تفسير البيضاوي (٣/ ٤٠)، الكليَّات (ص: ٦٥٨).

(٢) ومثله قوله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النَّحل: ٤٥]. انظر: زاد المسير (٤/ ٤٥٠)، تفسير أبي السُّعود (٣/ ٢٤٥)، نظم الدُّرر (٤/ ٢٧٣)، غرائب القرآن الكريم (٤/ ٢٦٢).

(٣) الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريعي..انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٩٣)، والكشاف (٢/ ١١٩)، إعراب القرآن الكريم، لابن سيده (٥/ ١١٨)، غرائب القرآن الكريم.

(٤) استفهام إنكار وتوبيخ لمن اتَّبع ما لا يعلم. انظر: البحر المحيط (٤/ ٤٣٩)، (٤/ ٤٤١)، (٧/ ٣٧٠)، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٦/ ٢٠٨-٢٠٩).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة: ٣٨][(١)].

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [يونس: ٢][(٢)].

﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٨][(٣)].

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ [يونس: ٣٨][(٤)].

﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ۝٥٩﴾ [يونس: ٥٩].

﴿أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧][(٥)].

---

(١) قوله ﷻ: ﴿مَا لَكُمۡ﴾ استفهام فيه معنى الإنكار والتَّوبيخ. انظر: تفسير أبي السُّعود (٤/ ٦٥)، البحر المحيط (٥/ ٤٣)، روح المعاني (١٠/ ٩٤).

(٢) أي: أهل (مكَّة)، استفهام إنكار للتَّعجب. انظر: السِّراج المنير (٢/ ٣)، تفسير الرَّازي (١٧/ ١٨٨)، روح المعاني (١١/ ٩٠)، التَّحرير والتَّنوير (١١/ ٨٣-٨٤).

(٣) ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ﴾، أي: تخبرون ﴿ٱللَّهَ﴾ وهو العالم بكلِّ شيء المحيط بكلِّ محيط. ﴿بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾، أي: لا يوجد له به علم في وقت من الأوقات، استفهام إنكار تهكم بهم. انظر: تفسير السِّراج المنير (٢/ ١١)، وانظر: التَّحرير والتَّنوير (١١/ ١٢٧)، الجلالين (ص: ٢٦٨).

(٤) انظر الآيات: [هود: ١٣-٣٥]، [المؤمنون: ٧٠]، [السَّجدة: ٣]، [الشُّورى: ٢٤]، [الأحقاف: ٨]، [الطُّور: ٣٠]، [القمر: ٤٤]. وجاء في تفسير: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ﴾ [الشورى: ٢٤]: «أضرب عن الكلام المتقدِّم -يعني قوله-: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣] - من غير إبطال، واستفهم استفهام إنكار وتوبيخ على هذه المقالة، أي: مثله لا ينسب إليه الكذب على الله ﷻ، مع اعترافكم له قبل بالصِّدق والأمانة». البحر المحيط (٥/ ١٥٩)، (٧/ ١٩٢)، (٧/ ٤٩٤)، البحر المديد (٥/ ٣٨٥)، التَّحرير والتَّنوير (٢٧/ ٦٥).

(٥) وقوله ﷻ أيضًا: ﴿أَسِحۡرٌ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التَّوبيخي. انظر: تفسير أبي السُّعود (٤/ ١٦٨)، البحر المحيط (٨/ ٣٦٦)، النَّسفي (٢/ ٢٤٧)، روح المعاني (١١/ ١٦٤).

﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١][(١)].

﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [هود: ٧٢][(٢)].

﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [هود: ٧٣][(٣)].

﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٧][(٤)].

---

(١) قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ هذا الخطاب هو استفهام إنكار، أي: آلآن تؤمن، وقد عصيت قبل؟ فأنكر أن يكون هذا الإيمان نافعًا أو مقبولاً، فمن قال: إنَّه نافع مقبول فقد خالف نصَّ القرآن، وخالف سنَّةَ الله ﷻ الَّتي قد خلت في عباده، يبين ذلك أنَّه لو كان إيمانه حينئذٍ مقبولا لدفع عنه العذاب، كما دفع عن قوم يونس عليه السلام، فإنهم لما قبل إيمانهم مُتِّعوا إلى حين، فإنَّ الإغراق هو عذابٌ على كفره، فإذا لم يكن كافرًا لم يستحق عذابًا». مجموع الفتاوى (٢/ ٢٨٤)، دقائق التَّفسير (٢/ ٢٥٧).

(٢) «استفهمت -بقولها أألد؟!- استفهام إنكار وتعجب». البحر المحيط (٥/ ٢٢٤). أقول: والمراد بالاستفهام هنا التَّعجب من أمر عجيب خارق للعادة. .ولم ترد بذلك الإنكار كما ذكر أبو حيَّان في (البحر)، وإنما أرادت التَّعجب. .، ويدلُّ على هذا المعنى قولها: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ . وسيأتي بيان ذلك في (النِّداء).

(٣) «قالوا: أي الملائكة أتعجبين؟ استفهام إنكار لعجبها». البحر المحيط (٥/ ٢٢٤)، والأولى أن يقال: إنَّ الاستفهام هنا مقصود به التَّعجب من أمرٍ عجيب خارقٍ للعادة، بدليل قوله ﷻ: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [هود: ٧٣]. وقد ذكر صاحب (الفريد) في معنى الاستفهام هنا وجهان: «أحدهما: بمعنى التَّعجب، والثَّاني: هو سؤال استعلام، أي: أألد في حال تعجيزي أم أردُّ إلى حالة الشَّباب؟». الفريد (٢/ ٦٤٩). وسيأتي التَّعقيب على أبي حيَّان مفصَّلاً.

(٤) فقوله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟﴾ استفهام إنكار فيه توبيخ وتهديد. . انظر: البحر المحيط (٥/ ٣٤٥).

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ [الرَّعد: ٥](١).

﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرَّعد: ١٦](٢).

---

(١) ونحوه: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ [السَّجدة: ١٠]. «﴿وَقَالُوٓاْ﴾، أي: منكروا البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ غبنا فيها بأن صرنا ترابًا مختلطًا بترابها ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ استفهام إنكار - بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثَّانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين-». الجلالين (ص: ٥٤٦)، وانظر: ابن عادل (١٥/ ٤٨٠)، وقال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧﴾ [سبأ: ٧].

(٢) «﴿قُلۡ﴾ يا محمَّد لقومك: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ أصنامًا تعبدونها، ﴿لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ﴾، وتركتم مالكهما؟ استفهام توبيخ.. ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾، الكافر والمؤمن.. ﴿أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ﴾، الكفر ﴿وَٱلنُّورُۗ﴾، الإيمان؟ لا». انظر: الجلالين (ص: ٣٢٤). وقوله ﷻ: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ الهمزة للإنكار، وقوله ﷻ: ﴿خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ﴾ صفة شركاء، أي: خلقوا سموات وأرضين وشمسًا وقمرًا وجبالا وبحارًا وجنًا وإنسًا.. ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ﴾، أي: خلق الشُّركاء بخلق الله ﷻ. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ من هذا الوجه فلا يدرون ما خلق الله ﷻ، ولا ما خلق آلهتهم، فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم، وهذا استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﷻ. انظر: تفسير السِّراج المنير (٣/ ٣٦٧)، الواحدي (١/ ٥٦٩)، زاد المسير (٤/ ٣٢٠). وفي (أضواء البيان): قوله ﷻ «﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ إنكار ذلك، وأنَّه هو الخالق وحده بدليل قوله بعده: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، أي: وخالق كلِّ شيء هو المستحقُّ؛ لأن يعبد وحده، ويبيِّن هذا المعنى في آيات كثيرة =

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ﴾ [الرَّعد: ٣٣][(١)].

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦][(٢)].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧][(٣)].

= كقوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣]، وقوله ﷻ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١]، وقوله ﷻ: ﴿هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [لقمان: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات؛ لأنَّ المخلوق محتاج إلى خالقه». أضواء البيان (٢/ ٢٣٩).

(١) ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ ، أي: رقيبٌ ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾ ، أي: ما عملت من خير وشر، وهو الله ﷻ، كمن ليس كذلك ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ تخبرون الله ﷻ ﴿بِمَا﴾ ، أي: بشريك، ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ ، أي: بما لا يعلمه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار، أي: لا شريك له إذ لو كان لعلمه ﷻ عن ذلك ﴿أَم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ﴾ بظنٍّ باطل لا حقيقة له في الباطل. انظر: الجلالين (ص: ٣٢٧).

(٢) هو استفهام إنكار في معنى النَّفي. انظر: روح المعاني (١٤/ ٦٢)، التَّحرير والتَّنوير (١٤/ ٦٠)، تفسير أبي السُّعود (١/ ١٦٩).

(٣) «بعد أن أقيمت الدَّلائل على انفراد الله ﷻ بالخلق ابتداء من قوله ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ [النحل: ٣].، وثبتت المنَّة وحقَّ الشُّكر، فرع على ذلك هاتان الجملتان لتكونا كالنَّتيجتين للأدلَّة السَّابقة إنكارا على المشركين. فالاستفهام عن المساواة إنكاري، أي: لا يستوي من يخلق بمن لا يخلق. فالكاف للمماثلة، وهي مورد الإنكار حيث جعلوا الأصنام آلهة شريكة لله ﷻ. ومن مضمون الصِّلتين يعرف أيُّ الموصولين أولى بالإلهية فيظهر مورد الإنكار. وحين كان المراد بمن لا يخلق الأصنام كان إطلاق (من) الغالبة في العاقل مشاكلة لقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ ، وفرع على إنكار التَّسوية استفهامٌ عن عدم التَّذكُّر في انتفائها. فالاستفهام في قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ مستعمل في الإنكار على انتفاء التَّذكر، وذلك يختلف باختلاف المخاطَبين، فهو إنكار على إعراض المشركين عن التَّذكر في ذلك». التَّحرير والتَّنوير (١٤/ ١٢٣).

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢][1].

﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١][2].

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا﴾ [الإسراء: ٤٠][3].

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩][4].

﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١][5].

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٨].

﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧][6].

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) قوله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ ، أي: الَّذي له العظمة كلُّها ﴿تَتَّقُونَ﴾ استفهام إنكار..انظر: تفسير السِّراج المنير (٢/ ٢٦٥)، التَّحرير والتَّنوير (٧/ ١٥٧)، أضواء البيان (٢/ ٣٨٤).

(٢) استفهم عن جحودهم نعمته استفهام إنكار. انظر: البحر المحيط (٥/ ٤٩٩)، وانظر: أضواء البيان (٢/ ٤١٢).

(٣) وهو استفهام إنكارٍ وتوبيخ..انظر: تفسير ابن عادل (١٠/ ٣٠٦)، الدُّر المصون (٣/ ٣٩٣). ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الزُّخرف: ١٦].

(٤) يقول الله ﷻ مخبرًا عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد، القائلين استفهام إنكار منهم لذلك: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا﴾ ..انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥)، البحر المحيط (٦/ ٨٠).

(٥) استفهام إنكار وتعجب. انظر: البحر المحيط (٦/ ٥٤)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٨٧)، زاد المسير (٥/ ٥٦).

(٦) قوله ﷻ: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ حيث أشرك مع الله ﷻ غيره. انظر: البحر المحيط (٦/ ١٢١)، تفسير ابن عادل (١٠/ ٤٦٣).

[مريم: ٢٩].

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [مريم: ٤٦][(١)].

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٨][(٢)].

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣][(٣)].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الأنبياء: ٢٤][(٤)].

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠][(٥)].

﴿أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤][(٦)].

---

(١) استفهام استفهام إنكار، والرَّغبة عن الشَّيء تركه عمدًا..انظر: البحر المحيط (٦/ ١٨٣).

(٢) والمراد: نفي علمه للغيب المدلول عليه بالهمزة كما في قوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [النجم: ٣٥]، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤١]، [القلم: ٤٧].انظر: أضواء البيان (٧/ ٤٦٩)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٧).

(٣) الهمزة في قوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ﴾ للاستفهام الإنكاري..انظر: التَّحرير والتَّنوير (١٦/ ٢٩٢)، الإتقان (٢/ ٢١٣).

(٤) استفهام إنكار وتوبيخ. انظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٤٢)، زاد المسير (٥/ ٣٤٥).

(٥) قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ «استفهام إنكار، وفيه معنى التَّعجب من ضعف عقولهم، والمعنى: أفلا يتدبَّرون هذه الأدلَّة، ويعملوا بمقتضاها، ويتركوا طريقة الشِّرك. وأطلق الإيمان على سببه، وقد انتظمت هذه الآية دليلين من دلائل التَّوحيد، وهي من الأدلة السَّماوية والأرضيَّة». البحر المحيط (٦/ ٢٨٧)، وانظر: تفسير الخازن (٤/ ٢٩٢).

(٦) أي: أفهم، مثل قول الشَّاعر:

(رَفَوْني وقالوا يا خُويلدُ لا تُرَعْ فقلتُ وأنكرتُ الوُجُوهَ هُمُ هُم)

أي: أهم! فهو استفهام إنكار. انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٨٧). والبيت لأبي خراش الهذلي. انظر: فصل المقال، للبكريِّ (ص: ٨٢)، انظر: ديوان الهذليين (٢/ ١٤٤)، خزانة الأدب (١/ ٤١٩)، (١/ ٤٢١)، (٥/ ٨٤)، وأدب الكاتب، لابن قتيبة (ص: ٤١)، وذكره الخليل في (العين)، مادَّة: (رفأ) (٨/ ٢٨١)، لسان العرب =

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء: ٤٢][1].

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٤٣][2].

﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠][3].

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧].

﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المؤمنون: ٨٢][4].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥][5].

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣][6].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا

= (١/ ٥٦)، وفي (مقاييس اللُّغة)، مادَّة: (رفو) (٢/ ٣٤٦)، والصِّحاح، للجوهريِّ، مادَّة: (روع) (٣/ ١٢٢٣).

(١) أي: قل لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم من بأس الرَّحمن إن أراد إنزاله بكم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: لا أحد يفعل ذلك. انظر: معاني القرآن، للزَّجاج (٣/ ٣٩٣)، زاد المسير (٥/ ٣٥٣)، فتح القدير (٣/ ٥٨٥).

(٢) استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٠)، تفسير ابن عادل (١١/ ٢٧٩).

(٣) استفهام إنكار وتوبيخ، وهو خطاب للمشركين. انظر: البحر المحيط (٦/ ٢٩٥)، تفسير ابن عادل (١٣/ ٥١٦).

(٤) أي: أنبعث إذا متنا؟ فهو استفهام إنكار منهم وسخرية، أو يقال: الاستفهام هنا للإنكار الاستبعادي. انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٧١).

(٥) قوله ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ «أي: مهملاً، لا يُؤْمَر ولا يُنْهى. وهذا استفهام إنكار على من جوَّز ذلك على الرَّب». كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٦/ ٢٩٩).

(٦) وهو استفهام إنكار فيه معنى النَّفي. .انظر: التَّحرير والتَّنوير (١٩/ ٣٦)، أضواء البيان (٦/ ٥٩).

۩ ﴿٦٠﴾ [الفرقان: ٦٠][1].

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢][2].

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣][3].

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء: ١١١][4].

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٤]، [الصافات: ١٧٦][5].

---

(١) والاستفهام في ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ إنكار وامتناع، أي: لا نسجد للرَّحمن الَّذي تأمرنا بالسُّجود له. انظر: التَّحرير والتَّنوير (١٩/ ٦٢)، زاد المسير (٦/ ٩٩)، فتح القدير (٤/ ١٢٢).

(٢) قيل: الكلام استفهام بحذف الهمزة، وهو استفهام إنكار..انظر: التَّحرير والتَّنوير (١٩/ ١١٥)، الكشف والبيان (٧/ ١٦١). والتَّحقيق أنهم قد اختلفوا في تأويل: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ : فحملها بعضهم على الإقرار، وبعضهم على الإنكار. وعلى كلا القولين فهو جواب لقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ [الشعراء: ١٨]. فمن قال: هو إقرار، قال: عدَّها موسى عليه السلام نعمة منه عليه حيث ربَّاه ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل، أي: بلى، و﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ ، وتركتني فلم تستعبدني. ومن قال: هو إنكار قال: قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ هو على طريق الاستفهام. . .انظر: تفسير ابن عادل (١٥/ ١٧)، يعني: (أَوَ تِلْكَ نعمة)، فحذفت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. وانظر أوجه الأعراب في (تفسير ابن عادل) (١٥/ ١٧)، تفسير القرطبي (١٣/ ٩٦)، روح المعاني (١٩/ ٧٠). والحاصل أنَّه قيل: إنَّ في الكلام تقدير الاستفهام: أي: أو تلك نعمة؟ قاله الأخفش في (معاني القرآن) (ص: ٥٤٨)، وكذلك أورده الزَّجاج في (معاني القرآن) (٤/ ٨٦- ٨٧)، وأنكره النَّحاس في (معاني القرآن) (٥/ ٧٢). قال الفرَّاء: ومن قال: إنَّ الكلام إنكار قال معناه: أو تلك نعمة؟ معاني القرآن، للفرَّاء (٢/ ٢٧٩)، وانظر: فتح القدير (٤/ ١٣٩).

(٣) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ فرعون إنما استفهم استفهام إنكار وجَحْد». كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٦/ ٣٣٤).

(٤) والمعنى: أنستوي نحن وهم فتعد في عدادهم؟..انظر: الفريد (٣/ ٦٦٠-٦٦١).

(٥) إنكار عليهم، وتهديد لهم..انظر: ابن كثير (٣/ ٣٤٩)، غرائب القرآن (٥/ ٢٨٦).

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩][(١)].

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦][(٢)].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النمل: ٨٤][(٣)].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠][(٤)].

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: ٢][(٥)].

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت: ٤][(٦)].

---

(١) استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله ﷻ آلهة أخرى. .انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٠).

(٢) استفهام إنكار واستقلال. .انظر: البحر المحيط (٧/ ٧١)، تفسير ابن عادل (١٢/ ٣٢٤)، الدُّر المصون (٥/ ٣١٣).

(٣) الهمزة في قوله ﷻ: ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ للاستفهام التَّقريعي التَّوبيخي. انظر: زاد المسير (٦/ ١٩٤)، وانظر: الخازن (٢/ ٢٤٦)، نظم الدُّرر (٥/ ٤٥٣)، إعراب القرآن وبيانه (٧/ ٢٦٢).

(٤) ونحوه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]. فإنَّ (من) استفهامية، والاستفهام إنكار وتعجيب. انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٦/ ١١)، وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٢٧)، تفسير أبي السُّعود (٨/ ٧٨)، البيضاوي (١/ ١٧٧)، روح المعاني (٢٦/ ٦).

(٥) استفهام إنكار، ومعناه: أنَّ الله ﷻ لا بدَّ أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٥).

(٦) ونحوه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [محمَّد: ٢٩]. «(أم) منقطعة تتقدر ببل والهمزة، وهو استفهام إنكار». البحر المحيط (٨/ ٤٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٥)، زاد المسير (٧/ ٣٦١).

﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥][1].

﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [لقمان: ١١][2].

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ [السجدة: ١٠][3].

﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧][4].

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [يس: ٢٣][5].

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الصافات: ٥٣][6].

﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الصافات: ١٥٣][7].

---

(١) قوله ﷻ: ﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا﴾، أي: حجّة، ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾، أي: ينطق ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ﴾. «وهذا استفهام إنكار، أي: لم يكن لهم شيء من ذلك». تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٥)، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٦٩)، زاد المسير (٦/ ٣٠٣).

(٢) (ما) استفهام إنكار مبتدأ، و(ذا) بمعنى: (الذي) بصلته خبره، و(أروني) معلق عن العمل، وما بعده سدّ مسدّ المفعولين. انظر: تفسير السِّراج المنير (٣/ ٢٣٧)، الجلالين (ص: ٥٤١)، أضواء البيان (٢/ ٢٣٩).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٤٩٩).

(٤) **الاستفهام في قوله** ﷻ: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ﴾ إنكاري في معنى النَّفي كما دلَّ عليه الاستثناء. انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٢/ ١٧٣)، الإتقان (٢/ ٢١٢)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٨).

(٥) استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع.. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٩).

(٦) أي: مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار.. انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٨)، السِّراج المنير (٩/ ٢٢٣)، الواحدي (٢/ ١٠٢١).

(٧) استفهام إنكار واستبعاد، و(الاصطفاء) أخذ صفوة الشَّيء.. السِّراج المنير (٣/ ٤٧٦)، البيضاوي (٥/ ٢٩)، ابن عادل (١٦/ ٣٥١)، التَّحرير والتَّنوير (٢٣/ ١٨٢)، الدُّر المصون (٥/ ٥١٤).

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الصافات: ١٥٤][١].

﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥][٢].

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ [ص: ٨][٣].

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨][٤].

﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥][٥].

﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩][٦].

---

(١) «﴿مَا لَكُمْ﴾، أي: أي شيء لكم فيما تزعمون؟ وهو استفهام إنكار عليهم». البحر المحيط (٨/ ٣٠٨). وقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ جملتان استفهاميتان ليس لإحداهما تَعَلُّقٌ بالأُخْرى من حيث الإعرابُ، استفهم أوّلا: عَمَّا استقرَّ لهم وثَبَتَ، استفهامَ إنكار، وثانيًا: استفهامَ تعجيب مِنْ حُكْمِهِم بهذا الحكم الجائرِ». الدُّر المصون (٥/ ٥١٥)، السِّراج المنير (٣/ ٤١)، الجلالين (ص: ٢٧٢)، ابن عادل (١٦/ ٣٥١).

(٢) التَّحرير والتَّنوير (١١/ ٨٧)، (١٧/ ١٧٠)، (٢٣/ ٢١٤)، (٢٣/ ٢٢٥)، تفسير الرَّازي (٢٨/ ١٦٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٢)، إعراب القرآن وبيانه (٨/ ٣٣٠-٣٣١)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٩).

(٤) والاستفهام بـ: (أم) في الموضعين استفهام إنكار، والمعنى: أنَّه لا يستوي عند الله ﷻ من أصلح ومن أفسد، ولا من اتَّقى ومن فجر، وكيف تكون التَّسوية بين من أطاع ومن عصى؟ إذن كان يبطل الجزاء، والجزاء لا محالة واقع، والتَّسوية منتفية.. البحر المحيط (٧/ ٣٧٩)، تفسير أبي السُّعود (٧/ ٢٢٤)، (٨/ ٧٢)، تفسير الرَّازي (٢٦/ ٣٩٦)، (٢٧/ ٦٨١).

(٥) الهمزة في قوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ للاستفهام الإنكاريِّ التَّوبيخي.

(٦) قال الزَّمخشريُّ -رحمه الله- : «أصل الكلام: (أمَّن حقَّ عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه)، جملة شرطيَّة دخل عليها همزة الإنكار، والفاء فاء الجزاء، ثمَّ دخلت الفاء الَّتي في أوَّلها =

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩][(١)].

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٤].

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤][(٢)].

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ [الزُّخرف: ٥][(٣)].

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الزخرف: ١٦][(٤)].

= للعطف على محذوف يدلُّ عليه الخطاب، تقديره: (أأنت مالك أمرهم، فمن حقّ عليه العذاب فأنت تنقذه؟)، والهمزة الثَّانية هي الأولى، كرِّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد". الكشاف (٣/ ٣٩٣)، معاني القرآن، للفرَّاء (٢/ ٤١٨). وقيل: مزيدة؛ لأنَّه لا يجوز أن يأتي بهمزة الاستفهام في الاسم المبتدأ، وهمزة أخرى في الخبر، وكذلك لا يجوز أن يأتي بها في الشَّرط وتعيدها في الجواب؛ لأنَّ الفاء في ﴿أَفَأَنتَ﴾ فاء الجزاء..انظر: الفريد (٤/ ١٨٨)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٩).

(١) وهذا استفهام إنكار، أي: لا يستويان..انظر: تفسير البغوي (٤/ ٧٨)، السِّراج المنير (٢/ ١٧١)، التَّحرير والتَّنوير (٧/ ٢٤٣)، الجلالين (ص: ٣٢٤)، الخازن (٤/ ١٣).

(٢) وهو استفهام إنكار..انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٣٦٩)، السِّراج المنير (٣/ ٦١٩)، الخازن (٦/ ١١٣)، زاد المسير (٧/ ٢٦٣)، إعراب القرآن وبيانه (٨/ ٥٧١).

(٣) وهذا استفهام إنكار، أي: لأجل إسرافكم نترك إنزال الذِّكر، ونعرض عن إرسال الرُّسل. انظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٦/ ٤٩٥)، أضواء البيان (٩/ ٤٣) وللشَّيخ الشِّنقيطي بيان في ذلك. انظر: أضواء البيان (٢/ ٣٨١).

(٤) استفهام إنكار وتوبيخ..انظر: البحر المحيط (٨/ ١٠)، الخازن (٦/ ١٣٢).

﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾ [الزخرف: ١٩][(١)].

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [الزخرف: ٤٠][(٢)].

---

(١) انظر الإعراب في (الفريد) (٤/ ٢٥٤).

(٢) «قد يجيء الإنكار لتعريف المخاطَب أنَّ ذلك المدَّعي ممتنع عليه وليس من قدرته؛ لأنَّ إسماع الصمِّ لا يدَّعيه أحد، بل المعنى: إنَّ إسماعهم لا يمكن؛ لأنهم بمنزلة الصمِّ والعمى. وإنما قدم الاسم في الآية، ولم يقل: (أتسمع الصمَّ)؟ إشارة إلى إنكار موجَّه عن تقدير ظنَّ منه -عليه السَّلام- أنَّه يختصُّ بإسماع من به صمم، وأنَّه ادَّعى القدرة على ذلك. وهذا أبلغ من إنكار الفعل. وفيه دخول الاستفهام على المضارع، فإذا قلت: أتفعل؟ أو أأنت تفعل؟ احتمل وجهين: أحدهما: إنكار وجود الفعل، كقوله ﷻ: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، والمعنى: لسنا بمثابة من يقع منه هذا الإلزام، وإن عبَّرنا بفعل ذلك. جلَّ الله ﷻ عن ذلك، بل المعنى إنكار أصل الإلزام. والثَّاني: قولك لمن يركب الخطر: أتذهب في غير طريق؟ انظر لنفسك واستبصر. فإذا قدَّمت المفعول توجَّه الإنكار إلى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل. كقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤]، والمعنى أغير الله بمثابة مَنْ يتخذ وليًا. ومنه: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر: ٢٤]؛ لأنهم بنوا كفرهم على أنَّه ليس بمثابة من يتبع صيغة المستقبل، إمَّا أن يكون للحال نحو: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ﴾ [يونس: ٩٩]، أو للاستقبال نحو: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾ [الزخرف: ٣٢]. الثاني: قد يصحب الإنكار التَّكذيب للتَّعريض بأنَّ المخاطب ادَّعاه وقصد تكذيبه، كقوله ﷻ: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الصافات: ١٥٣]، ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ٢١]، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ [النمل: ٦٠]، وسواء كان زعمهم له صريحا، مثل: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الطور: ١٥]، أو التزامًا مثل: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾ [الزخرف: ١٩]، فإنهم لما جزموا بذلك جَزم من يشاهد خلق الملائكة كانوا كمن زعم أنه شهد خلقهم. وتسمية هذا استفهام إنكار، من أنكر إذا جحد، وهو إمَّا بمعنى (لم يكن) كقوله ﷻ: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ [الإسراء: ٤٠]، أو بمعنى: (لا يكون) نحو: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ . والحاصل أنَّ الإنكار قسمان: إبطالي وحقيقيٌّ. فالإبطالي أن يكون ما بعدها غيرَ واقع ومدَّعيه كاذبٌ -كما ذكرنا-. والحقيقيُّ يكون ما بعدها واقع وأنَّ فاعله ملوم نحو: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات: ٩٥]، ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً﴾ [الصافات: ٨٦]، =

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥].

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧][١].

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾ [الأحقاف: ٢٨][٢].

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] .

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥][٣].

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠][٤].

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الطور: ١٥][٥].

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩].

= ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الشعراء: ١٦٥]، ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾ [النساء: ٢٠]». بقليلٍ من التَّصرُّف عن (البرهان في علوم القرآن) (٢/ ٣٢٩-٣٣١).

(١) «هذا استفهام إنكار، أي: إنهم مستحقُّون في هذا القول العذاب؛ إذ ليسوا خيرًا من قوم تبَّع عليه السلام، والأمم المهلكة، وإذا أهلكنا أولئك فكذا هؤلاء». تفسير القرطبي (١٦/ ١٤٤).

(٢) معناه: لم ينصروهم. انظر: زاد المسير (٧/ ٣٨٦).

(٣) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٦/ ٢٩٧).

(٤) فقوله ﷻ: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ، أي: قد امتلأت ولم يبق فيَّ موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار. وقيل: بمعنى الاستزادة..وعلى هذا يكون السؤال، وهو قوله ﷻ: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ قبل دخول جميع أهلها فيها. انظر: تفسير السِّراج المنير (٤/ ٧٧)، ابن عادل (١٨/ ٣٧)، تفسير البغوي (٤/ ٢٢٤)، الدُّر المصون (٦/ ١٧٩)، الخازن (٦/ ٢٣٧).

(٥) «أي: هل في المرئيِّ شكٌّ أم هل في بصركم خلل؟ استفهام إنكار، أي: لا واحد منها ثابت، فالَّذي ترونه حقٌّ، وقد كنتم تقولون: إنَّه ليس بحقٍّ». تفسير الرَّازي (٩/ ٣٢٩)، تفسير ابن عادل (١٤/ ٤١٥).

=

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الطور: ٤٠]، [القلم: ٤٦].

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر: ٥][1].

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [القمر: ٤٣-٤٤][2].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الحديد: ٨][3].

﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦][4].

---

(١) نفيٌ للإغناء، فمفعول ﴿تُغْنِ﴾ محذوف، أي: (لم تُغْنِ النذر شيئًا) أو استفهام إنكار، فـ: (ما) منصوبة على أنها مفعول مقدم لتغنى، أي: فأي إغناء تغني النُّذر إذا خالفوا أو كذَّبوا؟ أي: لا تنفع، كقوله ﷻ: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]. انظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٦٤). وبيان ذلك أنَّ الفاء عاطفة، و(ما) نافية أو استفهاميَّة للإنكار، وهي في محلِّ نصبٍ مفعول مطلق، أي: فأيُّ غناء تُغْنِ النُّذر؟!..

(٢) قيل: استفهام، وهو استفهام إنكار، ومعناه النَّفي، أي: ليس كفاركم خيرًا من كفَّار من تقدَّم من الأمم الَّذين أهلكوا بكفرهم. انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ١٤٥)، الخازن (٦/ ٢٧٧)، إعراب القرآن وبيانه (٩/ ٣٨٩).

(٣) هذا استفهام إنكار، والمعنى: أيُّ شيءٍ لكم من الثَّواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله ﷻ، وقد أخذ ميثاقكم؟..انظر: زاد المسير (٨/ ١٦٢).

(٤) «استفهام إنكار وإبطال فهم أحالوا أن يكون بشرٌ مثلهم يهدون بشرًا أمثالهم، وهذا من جهلهم بمراتب النُّفوس البشريَّة ومن يصطفيه الله ﷻ منها، كما قال: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وجهلوا أنَّه لا يصلح لإرشاد النَّاس إلا مَن هو من نوعهم قال ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥]، ولـمَّا أحالوا أن يكون البشر أهلاً لهداية بشر مثله جعلوا ذلك كافيًا في إعراضهم عن قبول القرآن والتَّدبر فيه». بقليلٍ من التَّصرُّف عن (التَّحرير والتَّنوير) (٢٨/ ٢٩٦).

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ [الملك: ٢٠][(١)].

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [القلم: ٤٠].

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾ [الحاقة: ٢٨][(٢)].

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣].

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [القيامة: ٣][(٣)].

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الانشقاق: ٢٠][(٤)].

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل: ١١][(٥)].

---

(١) هو استفهام إنكار، أي: لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله ﷻ من دون الرَّحمن، أي: من سوى الرَّحمن؟. انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢١٨)، تفسير البغوي (٤/ ٣٧٢)، زاد المسير (٨/ ٣٢٣)، إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ١٥٨).

(٢) قوله ﷻ: ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ نافيًا تأسُّفًا على فوات ما كان يرجو من نفعه، والمفعول على هذا التَّقدير محذوف للتَّعميم، أو مستفهمًا استفهام إنكار على نفسه وتوبيخ، حيثُ سوَّلت له ما أثمر له كل سوء، وكل محال منازعة للفطرة الأولى المؤيدة بما أخبرت به الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- حتى أوقعه ذلك التَّسويل في الهلكة». نظم الدُّرر (٨/ ١٣٤)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٨٢)، (٥/ ٥٤٥).

(٣) انظر: التَّحرير والتَّنوير (١٦/ ١٤٤)، (٢٩/ ٣٦٨)، (٣٠/ ٣٥٣)، ابن عادل (١٩/ ٥٤٩)، (١٩/ ٥٥٠)، تفسير الرَّازي (٣٠/ ٧٢٥)، روح المعاني (٢٩/ ١٣٨)، (٢٩/ ١٤٩). ونحوه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]، ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ [البلد: ٥]، ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ [البلد: ٧].

(٤) قوله ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ﴾، أي: الكفار، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استفهام إنكار، أي: أيُّ مانعٍ لهم من الإيمان؟ أو أيُّ حجَّة في تركه بعد وجود براهينه؟..انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٠)، السِّراج المنير (٤/ ٥٨٠)، ابن عادل (٢٠/ ٢٤١)، تفسير البغوي (٤/ ٤٦٥).

(٥) «(مَا) يجوز أن تكون نافية. والتَّقدير: وسَوْف لا يغني عنه ماله إذا سقط في جهنَّم، وتحتمل أن تكون استفهاميَّة وهو استفهام إنكار وتوبيخ. ويجوز على هذا الوجه أن تكون الواو =

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ [العاديات: ٩][1].

وسيأتي بيان السؤال الاستفهامي التوبيخي.

ب. ما يستفاد من الاستفهام الإنكاري

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ أكثر استفهامات القرآن الكريم أو كثيرًا منها، إنما هي استفهام إنكار معناه: (الذَّم والنَّهي) إن كان إنكارًا شرعيًّا، أو معناه (النَّفي والسَّلب) إن كان إنكار وجود ووقوع، كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس: ٧٨]، ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وقوله عَزَّوَجَلَّ في تعديد الآيات: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠-٦٤]، أي: أفعل هذه إله مع الله عَزَّوَجَلَّ؟! والمعنى: ما فعلها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥]، وما معها»[2].

= للاستئناف، والمعنى: وما يغني عنه ماله الَّذي بخل به». التَّحرير والتَّنوير (٣٠/ ٣٨٧)، وانظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٤٩٨).

(١) أي: أفلا يعلم مآله فيستعد له؟ كما في (المحرَّر الوجيز) (٥/ ٥١٥). فالهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للعطف على مقدَّر يقتضيه المقام، أي: أيفعل ما يفعل من المقابح فلا يعلم؟ و(لا) نافية. انظر: إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٥٥٨)، الفريد (٤/ ٧١٨).

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٤/ ٦٣). انظر: الآيات من (سورة الطور) من الآية: [٣٦] إلى الآية: [٤٣].

أقول: ويستفاد من استفهام الإنكار (**إبطال مدَّعى الخصم بإثبات كذبه**).

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠].

أو (**إظهار الخصم بمظهر المعاند الَّذي لا يخضعُ للدَّليل**).

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقًا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقًا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧]. ففي الآية إظهار لطبيعة اليهود الَّذين لا يقبلون الحقَّ، ويتبعون ما تمليه عليهم شهواتهم وأهوائهم.

❊ ❊ ❊

المطلب الثَّاني
في استفهام التَّقرير في القرآن الكريم

أ. التَّعريف وبيان الأهميَّة

أقول: ومن معاني الاستفهام التَّقرير، أي: حمل المخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عنده، وذلك من خلال مقدِّماتٍ واضحة لا يمكن للمخاطَب أن يرفضها تحمله على الإقرار بالمطلوب، وهو نوعٌ دقيقٌ من أنواع الجدل، فما دامت المقدِّمات واضحة في نفسها وعند الخصم أيضًا، فنتائجها ينبغي الإقرار بها عند العاقل..

وحقيقة (استفهام التَّقرير) أنَّه (استفهام إنكار)، والإنكار نفيٌ، وقد دخل على النَّفي، ونفيُ النَّفي إثباتٌ[1].

فإنَّ الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفيًا، كقوله ﷻ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم:١٠]، أي: لا شكَّ فيه. وإذا وقع في النَّفي يجعله إثباتًا، نحو قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الضحى:٦]، لما سبق من أنَّ نفي الإثبات نفي، ونفي النَّفي إثبات

والحاصل أن الإنكار قسمان إبطالي وحقيقي: «فالإبطالي: أن يكون ما بعدها غير واقع ومدعيه كاذب كما ذكرنا، والحقيقي: يكون

---

(١) انظر: الكليَّات (ص:٩٨)، شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٩٤-٢٩٥)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٣١)، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٢١٣)، أضواء البيان (٨/ ٥٧٢).

ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم نحو: ﴿أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]، ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً﴾ [الصافات: ٨٦]، ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، ﴿أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنًا﴾ [النساء: ٢٠].

وأما الثاني: فهو استفهام التقرير، والتقرير: حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده. قال أبو الفتح في (الخاطريات): ولا يستعمل ذلك بـ (هل)[1] وقال في قوله:

(جاؤُوْا بمَذْقٍ هل رَأَيْتَ الذئبَ قَطْ)

و(هل) لا تقع تقريرًا كما يقع غيرها مما هو للاستفهام. وقال الكندي: ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ﴾ [الشعراء: ٧٢] إلى أنَّ (هل) تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ. إلَّا أني رأيت أبا علي أبى ذلك، وهو معذور؛ فإن ذلك من قبيل الإنكار.

ونقل الشيخ أبو حيان عن سيبويه أنَّ استفهام التقرير لا يكون بـ (هل) إنما تستعمل فيه الهمزة[2].

ثم نقل عن بعضهم أن (هل) تأتي تقريرًا في قوله تعالى: ﴿هَلۡ فِي

---

(١) (الخاطريات)، لأبي الفتح عثمان بن جني. حققه وعلق عليه: علي ذو الفقار شاكر، ط: ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان [١٤٠٨هـ]. وانظر: الخصائص (١/ ٦٤).

(٢) صرح سيبويه في موضعين من كتابه (١/ ٥١، ٤٩٢) بأن (هل) تأتي بمعنى (قد). ولم يقف ابن هشام على ذلك فقال في (المغني) (ص: ٤٦٢): سيبويه لم يقل ذلك .وقال ابن مالك: تتعين (هل) أن تكون بمعنى (قد) إذا دخلت عليها همزة الاستفهام. والآيات التي قيل فيها: إن (هل) بمعنى (قد) محتملة لذلك، لا متعينة.

ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر: ٥][١].

والكلام مع التقرير موجب؛ ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب؛ فالأوَّل: كقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٦-٧]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ [الشرح: ١-٢]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ [الفيل: ٢].

والثاني: كقوله: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ [النمل: ٨٤] على ما قرره الجرجانيُّ في النَّظم حيث جعلها مثل قوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

ويجب أن يلي الأداة[٢] الشيء الذي تقرر بها فتقول في تقرير الفعل: (أضربت زيدًا؟)، والفاعل نحو: (أأنت ضربت؟)، أو المفعول (أزيدًا ضربت؟) كما يجب[٣] في الاستفهام الحقيقي.

---

(١) قال أبو حيان: «(هل) هنا في موضع تقديره: إن في ذلك قسما لذي حجر. فهل على هذا في موضع جواب القسم، قول لم يصدر عن تأمل؛ لأن المقسم عليه على تقدير أن يكون التركيب: إن في ذلك قسمًا لذي حجر لم يذكر، فيبقى قسم بلا مقسم عليه؛ لأن الذي قدره من إن في ذلك قسما لذي حجر لا يصح أن يكون مقسمًا عليه، وهل في ذلك تقرير على عظم هذه الأقسام، أي: هل فيها مقنع في القسم لذي عقل فيزدجر ويفكر في آيات الله ﷻ؟» البحر المحيط (٨/ ٤٦٤).

(٢) هذا عند علماء المعاني، أما عند النحويين فهو أَوْلَى، ويجوز أن يليها غيره. ذكر ذلك سيبويه في (الكتاب) (١/ ٤٨٢- ٤٨٣)، ونقله عنه الدماميني (ص: ٣٥)، شرح الدكتور الخطيب على (المغني) (١/ ٩٥).

(٣) أي: يجب أن يلي الهمزة مُسْنَدًا إليه كان أو مُسْنَدًا.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ﴾ [الأنبياء:٦٢] يحتمل الاستفهام الحقيقي بأن يكونوا[١] لم يعلموا أنه[٢] الفاعل، والتقرير بأن يكونوا علموا ولا يكون استفهامًا عن الفعل[٣] ولا تقريرًا له؛ لأنه لم يله[٤]، ولأنه أجاب بالفاعل بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٣].

وجعل الزمخشري منه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦].

وقيل: أراد التقرير بما بعد النفي لا التقرير بالنفي، والأولى أن يجعل على الإنكار أي: ألم تعلم أيها المنكر للنسخ[٥]. وحقيقة

(١) أي: الكفار.

(٢) أي: إبراهيم عليه السلام.

(٣) وهو كَسْرُ الأصنام .

(٤) أي: بحيث يكون مرادهم حمل إبراهيم عليه السلام على الإقرار بأن كَسْرَ الأصنام قد كان؛ لأن الهمزة لم تدخل على الفعل.

(٥) انظر: الكشاف (١/ ٢٣٢). قال ابن هشام في (المغني) (ص:٢٧): «فإن قلت: ما وجه حمل الزَّمخشري الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ على التقرير؛ قلت: قد اعتذر عنه بأن مراده التقرير بما بعد النفي لا التقرير بالنفي. والأولى أن تحمل الآية على الإنكار التوبيخي أو الإبطالي، أي: ألم تعلم أيها الْمُنْكِرُ للنسخ». إشارة إلى أول الآية: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ . انظر: البحر المحيط (٢/ ١٠٦)، المحرر الوجيز (١/ ٤٤١)، شرح الخطيب على (المغني) (١/ ٩٦). وذكر الشهاب الخفاجي في (حاشيته على تفسير البيضاوي) (٢/ ٢٢١): «أن الخطاب عند صاحب (الكشاف) ليس للنبي صلى الله عليه وسلم وحده، بل لكل واقف عليه، والاستفهام حينئذٍ للتقرير. وقول ابن هشام في (المغني) مبني على أن الخطاب لمنكري النسخ لا للنبي ﷺ ولا للعموم، فهو لم يصادف محزه». انظر: شرح د. الخطيب على (المغني) (١/ ٩٦) .

استفهام التقرير أنه استفهام إنكار والإنكار نفي، وقد دخل على المنفي، ونفي المنفي إثبات. والذي يقرر عندك أنَّ معنى التقرير الإثبات قول ابن السراج: فإذا أدخلت على (ليس) ألف الاستفهام كانت تقريرًا ودخلها معنى الإيجاب فلم يحسن معها (أحد)؛ لأن أحدا إنما يجوز مع حقيقة النفي لا تقول: (أليس أحد في الدار)؛ لأن المعنى يؤول إلى قولك: أحد في الدار، و(أحد) لا تستعمل في الواجب اهـ(١).

وأمثلته كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي: أنا ربكم.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة: ٤٠].

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [يس: ٨١].

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٧].

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، [الزمر: ٣٢].

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٥١]. ومنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيَنْقُصُ الرُّطَبُ إذا جَفَّ؟**»(٢)..

---

(١) الأصول في النحو، لابن السراج (١/ ٩٠).

(٢) سئل النبيُّ ﷺ عَنْ بَيْعِ الرُّطَبِ بِالتَّمْرِ، فَقَالَ: «أَيَنْقُصُ الرُّطَبُ إِذَا جَفَّ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَلَا إِذَنْ». أخرجه مالك [١٢٩٣]، وابن أبي شيبة [٣٦٢٤٥]، وأبو داود [٣٣٥٩]، والترمذي [١٢٢٥]، وقال: حسن صحيح.

واعلم أنَّ في جعلهم الآية الأولى من هذا النوع إشكالًا؛ لأنه لو خرج الكلام عن النفي لجاز أن يجاب بنعم، وقد قيل: إنهم لو قالوا: (نعم) كفروا، ولما حسن دخول الباء في الخبر، ولو لم تفد لفظة الهمزة استفهامًا لما استحق الجواب؛ إذ لا سؤال حينئذ.

والجواب يتوقف على مقدِّمة، وهي أنَّ الاستفهام إذا دخل على النفي يدخل بأحد وجهين:

إما أن يكون الاستفهام عن النفي هل وجد أم لا؟ فيبقى النفي على ما كان عليه أو للتقرير كقوله: (ألم أحسن إليك؟)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ ، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ .

فإن كان بالمعنى الأوَّل لم يجز دخول (نعم) في جوابه إذا أردت إيجابه، بل تدخل عليه (بلى)، وإن كان بالمعنى الثَّاني، وهو التقرير فللكلام حينئذ لفظ ومعنى؛ فلفظه: نفيٌ داخلٌ عليه الاستفهام، ومعناه: الإثبات، فبالنظر إلى لفظه تجيبه بـ (بلى)، وبالنظر إلى معناه، وهو كونه إثباتًا تجيبه بـ (نعم).

وقد أنكر الشيخ عبد القاهر[(١)] كون الهمزة للإيجاب؛ لأن الاستفهام يخالف الواجب، وقال: إنها إذا دخلت على (ما) أو (ليس) يكون تقريرًا وتحقيقًا؛ فالتقرير: كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ﴾ »[(٢)].

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز (ص: ١٠٠-١٠١).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٣٢- ٣٣٥)، وانظر: الإتقان (٢/ ٢١٢- ٢١٣)، مغني اللبيب (ص: ٢٦- ٢٧).

ب. نماذج الاستفهام التَّقريري من القرآن الكريم

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٣٣][1].

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦][2].

---

(١) ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]، ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]. وقد جاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف: ٧٢] أنَّ الاستفهام بمعنى النَّفي، ونفي النَّفي إثبات، وهو هنا يفيد الاستنكار والتَّوبيخ. . . . انظر: زهرة التَّفاسير (ص: ٤٥٦٢). وفي (التَّحرير والتَّنوير): «استفهام تقرير وتعريض باللَّوم على عدم الوفاء بما التزم، أي: أَتُقِرُّ أني قلتُ: إنَّك لا تستطيع معي صبرًا». التَّحرير والتَّنوير (١٥/ ٣٧٦)، وانظر: البحر المحيط (١/ ٢٩٩)، ابن عادل (١/ ٥٢٤)، الدُّر المصون (١/ ١٨٥)، وانظر أيضًا استفهام التَّقرير في (الدُّر المصون) تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة: ١٠٨] (١/ ٣٣٩-٣٤٠). ونحوه: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]، ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف: ٧٥]، ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [القلم: ٢٨].

(٢) وانظر: الآيات التَّالية: [البقرة: ١٠٧]، [المائدة: ٤٠]، [الحج: ٧٠]. وقد قيل في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الحج: ٧٠]، أي: وإذ قد علمت يا محمَّد هذا وأيقنت، فاعلم أنَّه يعلم أيضًا ما أنتم مختلفون فيه فهو يحكم بينكم. وقد قيل: إنَّه استفهام تقرير للغير. .انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٩٥). فالهمزة للاستفهام التَّقريري، و(لم) حرف نفي وقلب وجزم. جاء في (زهرة التفاسير) في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [البقرة: ١٠٧]: أنَّ «الهمزة للاستفهام الإنكاري بمعنى النَّفي، أي: إنكار الوقوع، فما بعدها يكون منفيّا بها، و(لم) نافية لما بعدها، فيكون نفي النَّفي، ونفي النَّفي إثبات، كما يقرُّ علماء البيان، والنَّفي على طريقة الاستفهام فيه =

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤][(١)].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] [(٢)].[(٣)].

= تنبيه بليغ؛ لأنَّ الاستفهام في ذاته فيه إثارة للانتباه..». زهرة التَّفاسير (ص: ٣٥٦).

(١) ونحوه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة: ١٦]. أمَّا الإعراب فإنَّ ﴿أَمْ﴾، هنا منقطعة مقدَّرة بـ: (بل والهمزة) فتتضمن إضرابًا، وهو انتقال من كلام إلى كلام، ويدلُّ على استفهام، لكنَّه استفهام تقرير. انظر: البحر المحيط (٢/ ١٤٨)، التَّحرير والتَّنوير (٢/ ٣١٤)، المحرَّر الوجيز (١/ ٢٨٧)، إعراب القرآن الكريم، لابن سيده (١/ ٤٤٩)، القرطبي (١٠/ ٣٥٦).

(٢) والهمزة هنا للاستفهام التَّقريري، والمراد بالاستفهام أن يكون مشوبًا بالعجب والتَّشويق إلى معرفة فحوى القصَّة، واكتناه مغزاها. وانظر الآيات التَّالية: [البقرة: ٢٤٦-٢٥٨]، [آل عمران: ٢٣]، [النِّساء: ٤٤-٤٩ - ٥٠-٦٠-٧٧]، [إبراهيم: ١٩-٢٤-٢٨]، [مريم: ٨٣]، [الحج: [١٨- ٦٣-٦٥]، [النُّور: ٤١- ٤٣]، [الفرقان: ٤٥]، [الشُّعراء: ٢٢٥]، [لقمان: ٢٩-٣١]، [فاطر: ٢٧]، [الزمر: ٢١]، [غافر: ٦٩]، [المجادلة: ٧-٨-١٤]، [الحشر: ١١]، [الفجر: ٦]، [الفيل: ١].

(٣) وأستعرض هنا أهمَّ ما جاء في بيان هذه الآيات، وما له صلة ببيان الاستفهام التَّقريري فقد جاء في (زهرة التَّفاسير) أنَّ «الاستفهام هنا يؤدي في مغزاه معنى التَّقرير والتَّثبت؛ وذلك لأنَّه للإنكار والنَّفي، وقد دخل على منفيٍّ فنفى النَّفي، وبذلك تقرَّر المعنى وثبت؛ لأنَّ نفي النَّفي إثبات؛ فالمعنى: قد رأيت ونظرت وعلمت، والخطاب عامٌّ لكلِّ قارئٍ وسامع إلى يوم القيامة، والرُّؤية بمعنى العلم، فإنَّ (رأى) تكون بمعنى (علم) وبمعنى (أبصر)، أو تكون دائمًا بمعنى: (أبصر)، ولكن الإبصار قد يكون بالبصر، وقد يكون بالبصيرة فيكون علمًا، وقد تتضمَّن الرُّؤية معنى النَّظر، وهو نظر بالبصيرة؛ ولأنها تضمَّنت معنى النَّظر قد تعدَّت بـ: (إلى)». وجاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ =

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ

= إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠] أنَّ هذا التَّعبير القرآني هو استفهام سيق للتَّعجب، والإنكار فيه التَّعجب وتوبيخ الَّذين وقع منهم هذا الفعل. وأداة الاستفهام دخلت على النَّفي، ونفي النَّفي إثبات. والمعنى: قد رأيت الأمر العجب المستنكر الَّذي وقع من أولئك الَّذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. والزَّعم يكون فيمن يقول قولا لا يوجد ما يدلُّ على صدقه، والمعنى: قد رأيت حال أولئك الَّذين يدعون كذبًا أنهم يعتقدون، ويذعنون للَّذي أنزل إليك من شريعة عادلة وحاكمة بين النَّاس بالعدل، وأنهم يؤمنون بالكتب المنزَّلة وما اشتملت عليها، ومع ذلك يتركون الحقَّ الواضح البيِّن الَّذي لا شبهة فيه الَّذي اشتملت عليه شريعتك وما قبلها، ويتحاكمون إلى الطَّاغوت، وهو الطُّغيان الكثير. ولعلَّ المراد به هنا الحكم الَّذي لا يبنى على الحقِّ، ولا يقوم على أساسه، وليس له نظام وقانون مقرَّر ثابت، يعرف فيه كلُّ واحد من الخصمين ما له من حقوقٍ، وما عليه من التزامات. وجاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ١٩] نحو ذلك. وجاء في تفسير: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] أيضا نحو ذلك. وكذلك تفسير: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النحل: ٧٩]. ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الملك: ١٩]. ونحو ذلك تفسير: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣]. وجاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣]: «استفهام تقرير، ولذلك رفع ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ عطف على ﴿أَنزَلَ﴾ إذ لو نصب جوابًا لدلَّ على نفي الاخضرار كما في قولك: (ألم تر أني جئتك فتكرمني)، والمقصود: إثباته، وإنما عدل به عن صيغة الماضي للدِّلالة على بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان». انظر: تفسير البيضاوي (٤/ ١٣٨)، تفسير أبي السُّعود (٦/ ١١٧). وفي (زهرة التَّفاسير) «الاستفهام هنا للتَّنبيه، وقد جاء على صيغة الاستفهام الإنكاريِّ الدالِّ على نفي الوقوع، وهو داخل على (لم) النَّافية، ونفي النَّفي إثبات والمعنى: لقد رأيت بنظرك وعلمك..». ونحو ذلك في تفسير: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي =

تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠][(١)].

﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ﴾ [آل عمران: ١٥][(٢)].

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

= ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥]. وانظر في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾ [النور: ٤٣]. زهرة التَّفاسير (ص: ٨٥٧) (ص: ١٧٣٤) (ص: ٤٠١٢) (١/ ٤٦٨٦). (ص: ٥٠١٧) (ص: ٥٠٢٠) (ص: ٥٢٠٤). وانظر تفسر: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٥]، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾ [فاطر: ٢٧]. والكلام هنا مستأنف مسوق لتقرير ما تقدَّم من ذكر اختلاف أحوال النَّاس، وأنَّه مطَّردٌ في جميع الكائنات، فالهمزة للاستفهام التَّقريري. وجاء في تفسير: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفجر: ٦]: أي: ألم تعلم يا محمَّد علمًا يوازي العيان في الإيقان؟ وهو استفهام تقرير..

(١) وقد نبَّه على ذلك العلامة الطَّاهرُ بن عاشور حيث قال: «قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ﴾ الواو فيه واو الحال، والهمزة استفهام تقريريٌّ على هذه الحالة، وعامل الحال فعل مقدَّر دلَّ عليه قوله: ﴿أَرِنِي﴾، والتَّقدير: (أأريك في حال أنَّك لم تؤمن؟)، وهو تقرير مجازيٌّ مراد به لفت عقله إلى دفع هواجسِ الشَّكِّ، فقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ كلام صدر عن اختباره يقينَه وإلفائه سالما من الشَّكِّ». التَّحرير والتَّنوير (٣/ ٣٨).

(٢) قوله ﷻ: «﴿قُلۡ﴾ يا محمَّد لقومك: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ﴾ المذكور من الشَّهوات استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾. انظر: روح المعاني (٣/ ١٠٠)، البيضاوي (٢/ ١٥)، (٤/ ٤٠٠)، الجلالين (ص: ٦٥). والكلام مستأنف مسوق لتقرير وتحقيق الخبر لما عند الله ﷻ أو أفضليته على شهوات الدُّنيا، والهمزة للاستفهام التَّقريري.

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ [النساء: ٩٧][١].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [النساء: ١٤١][٢].

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٤٧][٣].

وممَّا قيل في قوله ﷻ:

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة: ٨٤][٤].

---

(١) «قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾، وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرَّر عند كلِّ أحدٍ أنَّ أرض الله ﷻ واسعة، فحيثما كان العبد في محلٍّ لا يتمكَّن فيه من إظهار دينه، فإنَّ له متَّسعًا وفسحة من الأرض يتمكَّن فيها من عبادة الله ﷻ.

(٢) معناه أننا كنَّا معكم مؤكِّدين ذلك بالاستفهام، وهو الَّذي يسمَّى: (الاستفهام التَّقريري)، وهو في أصله للنَّفي، وهو داخل على النَّفي، وهو: (لم نكن معكم)، فهو نفي لهذه القضية، ونفي النَّفي إثبات، ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾. انظر: زهرة التَّفاسير (ص: ١٩١٣). ونحوه: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الحديد: ١٤].

(٣) هذا استفهام تقرير معناه: أنَّه ﷻ لا يعذِّب الشَّاكر المؤمن، فإنَّ تعذيبه لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه؛ لأنَه الغنيُّ الَّذي لا يحتاج إلى شيءٍ من ذلك، فإن عاقب أحدًا فإنما يعاقبه لأمرٍ أوجبه العدل والحكمة، فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أنقذتم أنفسكم من عذابه. انظر: تفسير الخازن (١/ ٦١٤)، تفسير ابن عادل (٧/ ٩٤)، تفسير البغوي (١/ ٤٩٣)، تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٦)، فتح القدير (١/ ٥٣٠).

(٤) وبيان ما قيل في تفسيره قوله ﷻ: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، أي: ﴿و﴾ نحن (نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين)، وهي أمَّة محمَّد ﷺ التي هي أفضل الأمم، وهذا منهم استفهامُ إنكار واستبعاد؛ لانتفاء الإيمان مع قيام الدَّاعي، وهو الطَّمع في الانخراط مع الصَّالحين، والدُّخول في مداخلهم. انظر: تفسير البيضاوي (٢/ ٣٥٨)، البحر المديد =

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١٢].

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠][1] .

= (٢/ ٢٠٦- ٢٠٧). وفي (زهرة التَّفاسير) (ص: ٢٣٢٩): «الاستفهام هنا إنكاريٌّ فيه معنى التَّعجب، وهو إنكار للوقوع، فهو بمعنى نفي أن يحدث منهم عدم الإيمان؛ لأنَّ موجب الإيمان قد وجد، وهو الإيمان لله ﷻ، والحق الَّذي جاء إليهم، وخوطبوا به، ولا يوجد أيُّ مانع يمنعهم من الإيمان، فالسَّبب قد تحقَّق ولا مانع، والاستفهام بمعنى النَّفي، وهو داخل على نفي، ونفي النَّفي إثبات، فمعناه إصرار على الإيمان» .

(١) قوله: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ﴾ ، أي: أليس هذا البعث هو الحقُّ الَّذي لا ريب فيه؟ وتكون (الباء) لتأكيد معنى الإنكار الَّذي هو بمعنى النَّفي، وقد دخل على نفي، ونفيُ النَّفي إثبات، ولقد كانت إجابتهم مصدقين. و﴿بَلَىٰ﴾ لنفي ما يكون بعد الاستفهام، أي: نفى ما تضمَّنته (ليس) النَّافية هو تصديق أنَّه الحقُّ. انظر: زهرة التَّفاسير (ص: ٢٤٧٩). وانظر الآيات التَّالية: [الأنعام: ٥٣]، [هود: ٧٨]، [هود: ٨١]، [العنكبوت: ٦٨]، [الزُّمر: ٣٢- ٣٦ - ٣٧ -٦٠]، [الزُّخرف: ٥١]، [الأحقاف: ٣٤]، [القيامة: ٤٠]، [التِّين: ٨]. وقد قيل في قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: فَيَمنُّ عليهم بالإيمان دون الرُّؤساء الَّذين علم الله ﷻ منهم الكفر، وهذا استفهام تقرير، وهو جواب لقولهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ﴾ [الأنعام: ٥٣]. انظر: تفسير القرطبي (٦/ ٤٣٤)، البحر المحيط (٤/ ١٤٢)، وانظر: زهرة التَّفاسير (ص: ٣٧٣٦). وجاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مستقر، وهو استفهام تقرير. انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٣٦٤)، (١٥/ ٢٥٦)، السِّراج المنير (٣/ ٢٠١)، (٣/ ٣٦٧)، القرطبي (١٣/ ٣٦٤)، (١٥/ ٢٥٦)، ابن عادل (١٢/ ٤٧٠)، الدُّر المصون (٣/ ٤٣). وفي (التَّحرير والتَّنوير): «والهمزة في قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ للاستفهام التَّقريري، وأصلها: إمَّا الإنكار بتنزيل المقر منزلة المنكر ليكون إقراره أشدَّ لزوما له، وإمَّا =

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣][(١)].

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ﴾ [الأنعام: ١٣٠][(٢)].

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤][(٣)].

= أن تكون للاستفهام، فلمَّا دخلت على النَّفي أفادت التَّقرير؛ لأنَّ إنكار النَّفي إثباتٌ للمنفي، وهو إثبات مستعمل في التَّقرير على وجه الكناية. وهذا التَّقرير بالهمزة هو غالب استعمال الاستفهام مع النَّفي...». التَّحرير والتَّنوير (٢١/ ٣٦). وقد ذكر هذا المعنى الآلوسيُّ في (تفسيره). انظر: روح المعاني (٢١/ ١٤)، (٢٤/ ١٩)، وانظر: الدُّر المصون (٥/ ٣٦٩)، ابن عادل (١٥/ ٣٧٩)، تفسير أبي السُّعود (٧/ ٤٨)، (٧/ ٢١٦).

(١) ونحوه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، فقوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ﴾، أي: الجامع لصفات الكمال كلِّها المنعوتُ بنعوت العظمة والجلال ﴿بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، استفهام إنكار للنَّفي مبالغة في الإثبات. انظر: تفسير السِّراج المنير (٣/ ٥٣٧). ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [الزُّمر: ٣٧]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التِّين: ٨]، وانظر: تفسير أبي السُّعود (٧/ ٢٥٥)، تفسير البيضاوي (٥/ ٦٧)، والتَّحرير والتَّنوير (٢٤/ ١٣)، البحر المديد (٦/ ٣٩٧).

(٢) قال الحافظ ابنُ كثير: «وهذا أيضا مما يقرع الله به ﷻ كافري الجنِّ والإنس يوم القيامة، حيث يسألهم -وهو أعلم-: هل بلغتهم الرُّسل رسالاته؟ وهذا استفهامُ تقرير: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾» تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٨)، ونحو ذلك الآيات التَّالية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [إبراهيم: ٩]، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الزمر: ٧١]، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ [التَّغابن: ٥]، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨]. وانظر: تفسير السِّراج المنير (٣/ ٤١٠)، الجلالين (ص: ٣٣٠)، زهرة التَّفاسير (ص: ٣٩٩٦).

(٣) قال الشَّيخ محمَّد الأمين في بيان أنَّ الاستفهام في هذه الآية استفهام تقرير.. قال: «وإن زعم بعض العلماء أنَّ هذا استفهام إنكار؛ لأنَّ استقراء القرآن دلَّ على أنَّ الاستفهام المتعلِّق =

﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ [الأعراف: ٣٧][(١)].

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٤٠].

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩][(٢)].

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢][(٣)].

= بالرُّبوبيَّة (استفهام تقرير)، وليس (استفهام إنكار)؛ لأنَّهم لا ينكرون الرُّبوبيَّة، كما رأيت كثرة الآيات الدَّالَّة عليه». أضواء البيان (٣/ ٢١)، وانظر: زاد المسير (٣/ ٢٤٥).

(١) قوله ﷻ حكاية عن قول الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ استفهام تقرير وتوبيخ، وتوقيف على خزي. و﴿تَدْعُونَ﴾ معناه: تعبدون وتؤملون. انظر: تفسير الثَّعالبي (٢/ ١٧)، المحرَّر الوجيز (٢/ ٣٩٨).

(٢) انظر: السِّراج المنير (١/ ٦٠٧)، الجلالين (ص: ٢١٩)، ابن عادل (٩/ ٣٧٢)، تفسير أبي السُّعود (٣/ ٢٨٨).

(٣) انظر: الإتقان (٢/ ٢١٣). قال الزَّركشي في (البرهان): «واعلم أنَّ في جعلهم الآية الأولى [يعني قوله ﷻ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾]، من هذا النَّوع إشكالا؛ لأنَّه لو خرج الكلام عن النَّفي لجاز أن يجاب بنعم، وقد قيل: إنهم لو قالوا: (نعم) كفروا، ولما حسن دخول الباء في الخبر، ولو لم تفد لفظة الهمزة استفهامًا لما استحق الجواب؛ إذ لا سؤال حينئذٍ. والجواب يتوقَّف على مقدِّمة، وهي أنَّ الاستفهام إذا دخل على النَّفي يدخل بأحد وجهين: إمَّا أن يكون الاستفهامُ عن النَّفي، هل وجد أم لا؟ فيبقى النَّفي على ما كان عليه، أو للتَّقرير كقوله: (ألم أحسن إليك؟)، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١]. فإن كان بالمعنى الأوَّل لم يجز دخول (نعم) في جوابه إذا أردت إيجابه، بل تدخل عليه (بلى). وإن كان بالمعنى الثَّاني -وهو التَّقرير- فللكلامُ حينئذٍ لفظ ومعنى، فلفظه نفيٌ داخل عليه الاستفهام، ومعناه الإثبات، فبالنَّظرِ إلى لفظه تجيبه ببلى، وبالنَّظر إلى معناه -وهو كونه إثباتًا- تجيبه بنعم. وقد أنكر عبد القاهر [أي: الجرجاني في (دلائل الإعجاز) (ص: ٨٨-٨٩)] كون الهمزة للإيجاب؛ لأنَّ الاستفهام يخالف الواجب، وقال: إنها إذا دخلت على (ما) أو (ليس) يكـون تقريرًا وتحقيقًا، فالتَّقرير كـقوله ﷻ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ =

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ١٣][1].

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ﴾ [التوبة: ٦٣][2].

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [يونس: ٣١][3].

= هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢]». البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٣٤-٣٣٥). وهنا مسألة، إذا كان الله ﷻ عالما في الأزل بحال المسؤول عنه فما فائدة هذا السُّؤال في قوله ﷻ لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ ؟؟؟ والجواب: هذا استفهام على سبيل التَّقريع للمشركين كما قال لعيسى عليه السلام؛ ولأنَّ أولئك المعبودين لما برَّؤوا أنفسهم، وأحالوا ذلك الضَّلال عليهم صار تبرُّؤ المعبودين عنهم أشدَّ في حسرتهم وحيرتهم. انظر: تفسير الرَّازي (٢٤/ ٤٥٢).

(١) قوله ﷻ: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا﴾ تحريضٌ على القتال بأبلغ وجه؛ لأنَّ الاستفهام فيه للإنكار، والاستفهام الإنكاريُّ في معنى النَّفي، وقد دخل هنا على نفي، ونفيُ النَّفي إثبات. وحيث كان التَّرك منكرًا أفاد بطريق برهاني أن إيجاده أمر مطلوب مرغوب فيه، فيفيد الحثَّ والتَّحريض عليهم بأقوى الأدلَّة، وأسمى الأساليب. .انظر: روح المعاني (١٠/ ٦٠).

(٢) قوله ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الاستفهام هنا للنَّفي والتَّوبيخ، و(لم) نافية، ونفي النَّفي إثبات. انظر: زهرة التَّفاسير (ص: ٣٣٥٥-٣٣٥٦)، وانظر: نظم الدُّرر (٣/ ٣٤١). ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٨]، ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤]. وانظر في بيان ذلك: زهرة التَّفاسير (ص: ٣٣٨٧).

(٣) ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [سبأ: ٢٤] .﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [العنكبوت: ٦١] .﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ =

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: ٣٩][(١)].

﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾ [يوسف: ٨٠][(٢)].

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾ [يوسف: ٩٠][(٣)].

= ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥]، و[لقمان: ٣٨]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩﴾ [الزخرف: ٩]، أي: قل يا محمَّد للكفَّار من ربُّ السَّموات والأرض؟ استفهام تقريرٍ واستنطاق بأنهم يقولون: الله ﷻ، فإذا قالوها..قل: الله، أي: هو كما قلتم. وقيل: فإن أجابوك وإلا قل: الله؛ إذ لا جواب غير هذا انتهى. وهو تلخيص القولين اللَّذين قالهما الزَّمخشريُّ. وقال البغويُّ: روي أنَّه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا: أجب أنت، فأمره الله ﷻ فقال: قل: الله...انظر: البحر المحيط (٥/ ٦٧)، (٥/ ٣٧٠)، الكشاف (٣/ ٤٠)، تفسير البغوي (٣/ ١٢)، روح المعاني (١٣/ ١٢٧)، ابن عادل (٨/ ٤٥)، تفسير أبي السعود (٣/ ١١٥).

(١) هذا استفهام تقرير بعد تخيير، ومقدِّمة لأظهر برهان على التَّوحيد، وكان المصريُّون المخاطَبون به، يعبدون كغيرهم من الأمم أربابا متفرِّقين فى ذواتهم، وفى صفاتهم وفي الأعمال الَّتي يسندونها إليهم بزعمهم، فهو يقول لصاحبيه: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾، أي: عديدون هذا شأنهم في التَّفرق والانقسام خير لكما ولغيركما ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ ». تفسير المنار (١٢/ ٢٥٣).

(٢) الاستفهام هنا إنكاريٌّ بمعنى إنكار الوقوع، ونفي النَّفي إثبات، والمعنى أنَّه عنَّفهم في قوَّة قائلا: لقد علمتم أنَّ أباكم أخذ عليكم عهدًا موثقًا بأيمان الله ﷻ...انظر: زهرة التَّفاسير (ص: ٣٨٤٨).

(٣) فتوسموا أنَّه يوسف عليه السلام، واستفهموه استفهام استخبار. وقيل: استفهام تقرير؛ لأنهم كانوا عرفوه بتلك العلامات، ولذلك حقِّق بأن ودخول اللَّام عليه.. انظر: البحر المحيط (٥/ ٣٣٧)، تفسير البيضاوي (٣/ ٣٠٧)، تفسير السِّراج المنير (٢/ ١٤٨)، روح المعاني (١٣/ ٤٨)، تفسير أبي السُّعود (٤/ ٣٠٤).

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]، و[غافر: ٥][(١)].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾ [الرعد: ٤١][(٢)].

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [إبراهيم: ١٠][(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الواحدي (٢/ ٩٤١)، زاد المسير (٧/ ٢٠٨).

(٢) وانظر الآيات التَّالية: [الأعراف: ١٨٤-٢٦٠]، [إبراهيم: ٤٤]، [الحجر: ٧٠]، [النحل: ٤٨]، [الإسراء: ٩٩]، [طه: ١٣٣]، [الأنبياء: ٣٠]، [الشعراء: ٧ - ١٩٧]، [القصص: ٤٨- ٧٨]، [العنكبوت: ١٩- ٥١- ٦٧]، [الروم: ٨- ٩-٣٧]، [السجدة: ٢٦-٢٧]، [فاطر: ٣٧-٤٤]، [يس: ٧١-٧٧]، [الزمر: ٥٢]، [غافر: ٢١- ٥٠]، [فصلت: ١٥- ٥٣]، [الأحقاف: ٣٣]، [الملك: ١٩]. والاستفهام في هذه الآيات إنكاريٌّ لإنكار الوقوع بمعنى النَّفي، ونفي النَّفي إثبات، فالاستفهام الإنكاريُّ داخل على (لم). .انظر: زهرة التفاسير (ص: ٣٩٧٠). وانظر على سبيل المثال تفسير الآيات التَّالية: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨﴾ [النحل: ٤٨]، فإنَّ الهمزة للاستفهام وهو استفهام إنكار، أي: قد رأوا أمثال هذه الصَّنائع فما بالهم لم يتفكَّروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه؟! و﴿مَا﴾ موصولة مبهمة بمعنى: (الَّذي) و﴿مِن شَيۡءٖ﴾ بيان لها. انظر: تفسير السِّراج المنير (٢/ ٢٦٢)، تفسير البيضاوي (٣/ ٤٠١)، زاد المسير (٤/ ٣٤٩). وكذلك قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ [الملك: ١٩]، ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ﴾ .وكذلك قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا﴾ [القصص: ٥٧].انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٩/ ٣٩)، (٢٠/ ١٤٩). فالهمزة للاستفهام الإنكاريِّ، والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السِّياق، يردُّ دعواهم الَّتي لا أساس لها من الصِّحة بأن مكَّن لهم في الحرم الَّذي آمنه بحرمة البيت، وآمن قطانه بحرمته. انظر في بيان هذه الآيات: البحر المديد (٤/ ٤٧٥)، التَّحرير والتَّنوير (٢٣/ ٦٧)، (٢٤/ ٢٥٧)، البحر المحيط (٥/ ٣٧٥)، (٥/ ٤٢٤)، (٦/ ٨٠)، ابن عادل (٩/ ٤٠٥)، (١٥/ ٣٦٣)، (١٦/ ٢٦٤).

(٣) أي: هل تشكُّون في الله ﷻ؟ وهو استفهام إنكار، أي: لا شكَّ في توحيده للدَّلائل الظَّاهرة عليه. انظر: السِّراج المنير (٢/ ١٩٢)، وانظر: إعراب القرآن وبيانه (٣/ ٧٧). أقول: والتَّحقيق أنَّ نحو قوله ﷻ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ ، وقوله: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وإن زعم بعض العلماء أنَّ هذا استفهام إنكار؛ لأنَّ استقراء القرآن دلَّ =

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٩][1].

﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣][2].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه: ٩][3].

= على أنَّ الاستفهام المتعلِّق بالربُّوبيَّة استفهام تقرير، وليس استفهام إنكار؛ لأنَّهم لا ينكرون الرُّبوبيَّة لكثرة الآيات الدَّالَّة عليه - كما سبق-. انظر: أضواء البيان (٣/ ٢١).

(١) قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ استفهام إنكار وتوبيخ لهم على ما كانوا يستبعدونه من الإعادة..انظر: البحر المحيط (٦/ ٨٠)، وانظر: الخازن (٧/ ١٢٦)، التَّحرير والتَّنوير (٢٩/ ٣٩). والتَّحقيق ما ذكره الشَّيخ محمَّد أبو زهرة في (زهرة التَّفاسير) حيث قال: «(الواو) عاطفة على فعل مقدَّر بما يناسب الكلام، وتقديره: أقالوا ذلك ولم يروا أنَّ الله ﷻ الَّذي خلق السَّموات والأرض قادرٌ على أن يخلق مثلهم، والاستفهام داخل على (لَمْ يَرَوْا)، ومعناه: النَّفي مع التَّنبيه، يعنى قد قالوا قولهم، وقد رأوا أنَّ الَّذي خلق السَّموات والأرض قادرٌ على أن يخلق مثلهم، وإذا كان قادرا على أن يخلق مثلهم، فبالأولى وهو قادر على أن يعيد بعضهم أو كلهم، فهذا إثبات لإعادتهم خلقًا جديدًا بطريق دلالة الأولى، ذكر مقدَّم الدَّليل، وترك لهم أن يأخذوا التَّالي من المقدَّم». زهرة التَّفاسير (ص: ٤٤٦٥). والحاصل أنَّه استفهام الإنكار هنا دخل على نفي، ونفي النَّفي إثبات.

(٢) الاستفهام في قوله ﷻ: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ الظَّاهر أنَّه استفهام تقرير، ليحملوا به ضعفاء المسلمين الَّذين هم في تقشُّفٍ ورثاثة هيئة على أن يقولوا أنتم خير مقامًا وأحسن نديًّا منا. وعلى كلِّ حال فلا خلاف أنَّ مقصودهم بالاستفهام المذكور أنهم -أي: كفَّار قريش- خير مقامًا وأحسنُ نديًّا من أصحاب النَّبي ﷺ، وأنَّ ذلك هو دليلهم على أنهم على الحقِّ، وأنهم أكرم على الله ﷻ من المسلمين انظر: أضواء البيان (٣/ ٤٨٣)، ونحوه: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

(٣) ونحوه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ [ص: ٢١]، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾ [الذاريات: ٢٤]، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾ [النازعات: ١٥]، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧﴾ [البروج: ١٧]، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية: ١]. وهذا استفهام =

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧][1].

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦][2].

= تقرير يحثُّ على الإصغاء لما يلقى إليه وعلى التَّأسي. انظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٧)، (٨/ ٤٤٥)، زاد المسير (٥/ ٢٧١)، تفسير ابن عادل (٢٠/ ٢٨٩)، المحرَّر الوجيز (٥/ ١٧٧)، روح المعاني (٣٠/ ٩٣)، نظم الدُّرر (٧/ ٢٧٨)، تفسير ابن عرفة (٢/ ٢٩٧).

(١) قال ذلك على وجه التَّقرير، أي: أمَّا هذه الَّتي في يمينك عصاك الَّتي تعرفها، فسترى ما نصنع بها الآن، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ استفهام تقرير. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥). أمَّا الإعراب فإنَّ الواو عاطفة، و(ما) اسم استفهام للتَّقرير مبتدأ، و﴿تِلْكَ﴾ خبره.

(٢) قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ «فيه وجهان معروفان عند العلماء: الأوَّل: أنَّ مضارعته تنقلب ماضويّة، ونفيه ينقلب إثباتًا. فيصير قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ﴾ بمعنى وعدكم، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشَّرح: ١]، بمعنى شرحنا، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾ [البلد: ٨]، بمعنى جعلنا له عينين. وهكذا. ووجه انقلاب المضارعة ماضويّة ظاهر؛ لأنَّ (لم) حرف قلب تقلب المضارع من معنى الاستقبال إلى معنى المضي -كما هو معروف-. ووجه انقلاب النَّفي إثباتًا أنَّ الهمزة إنكاريَّة، فهي مضمَّنة معنى النَّفي، فيتسلَّط النَّفيُ الكامن فيها على النَّفي الصَّريح في (لم) فينفيه، ونفي النَّفي إثبات فيؤول إلى معنى الإثبات. الوجه الثَّاني: أنَّ الاستفهام في ذلك للتَّقرير، وهو حمل المخاطَب على أن يقرَّ فيقول: (بلى)، وعليه فالمراد من قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾: حملهم على أن يقرُّوا بذلك فيقولوا: بلى هكذا. ونظير هذا من كلام العرب قول جرير:

(أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا ... وأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاح)».

أضواء البيان (٤/ ٨٢)، (٧/ ٥٤٦)، وانظر: تفسير الطَّبري (٢١/ ١٤)، تفسير القرطبي (٣/ ٣٠٠)، (١٢/ ٢٩٤)، (٢٠/ ١٠٥)، (٢٠/ ١١٧)، روح المعاني (١٨/ ١٩٧)، (٢١/ ١٤). والبيت لجرير بن عطيَّة الخطفي، من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان، ديوانه طبعة الصَّاوي بالقاهرة (ص: ٩٨). و(المطايا): جمع مطيَّة، وهي الإبل يركب مطاها، أي ظهرها في الأسفار. وانظر: الأغاني (٨/ ٩)، (٨/ ٤٦)، (٨/ ٧٢)، (٨/ ٢١٦)، (١٥/ ٩١)، وخزانة الأدب (٢/ ٢١٣)، وانظر: الجُمَل، للخليل (ص: ٧٥)، =

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء: ٦٢][١].

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]، [سبأ: ٤٥]، [فاطر: ٢٦]، [الملك: ١٨][٢].

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٥][٣].

= و(ص: ٢٦٤). وفي (مجاز القرآن الكريم): «جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربَّها، ولكن معناها معنى الإيجاب: أي: أنَّك ستفعل. وقال جرير: فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان:

(أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكبَ المَطايا وأنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاح).

وتقول وأنت تضرب الغلام على الذَّنب: ألستَ الفاعل كذا؟ ليس باستفهام، ولكن تقرير. مجاز القرآن الكريم (١/ ٢٣٦)، وفي موضع آخر من (مجاز القرآن): «لم يستفهم، ولو كان استفهامًا ما أعطاه عبد الملك مائة من الإبل برعاتها». مجاز القرآن الكريم (١/ ١٨٤)، وانظر: المجاز في اللُّغة والقرآن، لعبد العظيم المطيعي (١/ ٣٨-٤١).

(١) قوله ﷻ: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا﴾، أي: التَّكسير، ﴿بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؟ وهذا استفهام تقرير، أي: فما الَّذي جرَّأك، وما الَّذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر؟. انظر: التَّحرير والتَّنوير (١/ ٤٢٠).

(٢) قوله ﷻ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ استفهام تقرير، أي: فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب، أليس كان واقعًا قطعًا؟.. انظر: تفسير ابن عادل (١٤/ ١٠٧)، تفسير الرَّازي (٢٣/ ٤٢-٤٣)، (٢٣/ ٢٣٤)، السِّراج المنير (٤/ ١٤٣)، (١٤/ ١٠٧)، تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٤).

(٣) قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، الاستفهامُ داخلٌ على حرفِ نفيٍ، وهو للإنكار بمعنى عدم الوقوع، ونفيُ النَّفي إثبات، والاستفهامُ مع دلالته على النَّفي فيه توبيخٌ وتذكيرٌ بجرائمهم، وجحودهم بالحقِّ، وهو أبلج، والمعنى: (قد كانت آياتي تتلى عليكم)، والواضح أنَّها آياتُ القرآن؛ لأنَّها هي الَّتي تتلى مرتَّلةً، كما أنزلها الله ﷻ على نبيِّه محمَّد ﷺ. زهرة التَّفاسير (ص: ٥١٢١).

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨][١].

﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [العنكبوت: ١٠][٢].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ [سبأ: ٤٠][٣].

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣][٤].

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ [الصافات: ١١][٥].

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦﴾ [الصافات: ٨٦][٦].

---

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٥٧٢)، ابن عادل (٩/ ٣٧٢)، (١٦/ ١٤٩)، البحر المحيط (١/ ٢٩٩)، (١/ ٥١٥)، السِّراج المنير (٤/ ٦٣٥).

(٢) ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يس: ٨١]. وهذا استفهام تقرير، والمعنى من قدر على ذلك العظيم قدر على هذا اليسير. انظر: زاد المسير (٧/ ٤٢).

(٣) قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ ، يعني المكذبين بك، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الَّذين يدَّعون أنهم يعبدونهم، فإنَّ غاية ما ترتقي إليه منزلتهم أنهم يقولون: نحن نعبد الملائكة والكواكب. قال قتادة: هذا استفهام تقرير. انظر: تفسير الرَّازي (٢٥/ ٢١٣)، تفسير ابن عادل (١٦/ ٧٨-٨٩)، وانظر: تفسير البغوي (٣/ ٥٦١)، تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٤)، زاد المسير (٦/ ٤٦٣).

(٤) أي: لا خالق إلا الله ﷻ، وهو استفهام تقرير وتوبيخ. انظر: تفسير الخازن (٥/ ٢٩٧)، زاد المسير (٦/ ٤٧٤)، الجلالين (ص: ٣٠٩).

(٥) ومما قيل في تفسير الآية: سل أهل (مكَّة): ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يعني من السَّموات والأرض والجبال؟ وهو استفهام تقرير، أي: هذه الأشياء أشدُّ خلقًا. انظر: تفسير الخازن (٦/ ١٩)، ابن عادل (١٦/ ٢٨٣)، السِّراج المنير (٤/ ٣٣٨)، البحر المحيط (٧/ ٣٣٩)، زاد المسير (٧/ ٤٨).

(٦) أجازوا في نصب ﴿أَئِفْكًا﴾ وجوها: أحدها: أن يكون مفعولاً بـ: ﴿تُرِيدُونَ﴾ ، والتَّهديد =

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]. وقد سبق بيان هذه الآية، والإشارة هنا إلى موضعها.

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠][(١)].

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ [الزخرف: ٥٨][(٢)].

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر: ١٦- ١٨- ٢١-٣٠][(٣)].

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٩][(٤)].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[الحديد: ١٦].

= لأمَّته، وهو استفهام تقرير، ولم يذكر ابن عطيَّة في المحرَّر الوجيز (٤/ ٤٧٨) غير هذا الوجه، أي: ذكر أنَّه استفهام بمعنى التَّقرير، أي: أكذبًا ومحالا، وذكره الزَّمخشري. انظر: البحر المحيط (٧/ ٣٥٠)، الكشاف (٣/ ٣٤٤)، المحرَّر الوجيز (٤/ ٤٧٨)، وإعراب القرآن الكريم، لابن سيده (٧/ ٢٥٩)، وانظر: شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٩٧).

(١) استفهم تقريرًا بقوله: ﴿يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾، بإلحاده في آياتنا، ﴿خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا﴾، ولا اشتراك بين الإلقاء في النَّار، والإتيان آمنا، لكنَّه استفهام تقرير. انظر: البحر المحيط (٧/ ٤٧٨)، المحرَّر الوجيز (٥/ ١٨-١٩)، تفسير الثَّعالبي (٤/ ٥٦).

(٢) استفهام تقرير في أنَّ آلهتهم خير..انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ١٠٤).

(٣) قوله ﷻ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾، أي: وجد وتحقَّق ﴿عَذَابِى﴾، أي: لمن كفر وكذَّب رسلي ﴿وَنُذُرِ﴾، أي: إنذاري، استفهام تقرير ﴿فَكَيْفَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، وهي للسُّؤال عن الحال. والمعنى حمل المخاطَبين على الإقرار بوقوع عذابه ﷻ بالمكذِّبين لنوح عليه السلام موقعه. انظر: تفسير السِّراج المنير (٤/ ٩٨)، تفسير الواحدي (٢/ ١٠٤٧)، الجلالين (ص: ٧٠٦). والحاصل أنَّ في الآية تقرير حادثة الطوفان..

(٤) قوله ﷻ: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ «استفهام تقرير، فإنهم لا بدَّ أن يقولوا: أنتم الخالقون، فيقال لهم: إذا كنَّا خلقنا هذا الإنسان الخصيم المبين من تلك النُّطفة الَّتي تمنى في الرَّحم، فكيف تكذبون بقدرتنا على خلقه مرة أخرى، وأنتم تعلمون أنَّ الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من الابتداء؟!». أضواء البيان (٧/ ٥٢٨).

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان:١][(١)].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥﴾ [المرسلات:٢٥][(٢)].

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧﴾ [النازعات:٢٧][(٣)].

﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨﴾ [عبس:١٨][(٤)].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى:٦][(٥)].

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح:١][(٦)].

---

(١) استفهام تقرير وتقريب، ولذلك فُسِّر بـ (قد)، وأصله: (أهل). انظر: الكشاف (٤/ ١٩٤)، معاني القرآن، للفرَّاء (٣/ ٢١٣)، البيضاوي (٥/ ٤٢٥)، تفسير أبي السُّعود (٩/ ٧٠)، روح المعاني (٢٩/ ١٥٠). وسيأتي المعنى مفصَّلا، وكذلك بيان أنَّ (هل) تأتي بمعنى (قد).

(٢) ونحوه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ [النبأ:٦]، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ [البلد:٨]. أي: جعلنا. انظر: الجلالين (ص:٨٠٨)، وانظر: أضواء البيان (٤/ ٨٢)، (٧/ ٥٤٦). وقد تقدَّم الحكم على كلِّ فعل مضارع في القرآن الكريم مجزوم بـ (لم) إذا تقدَّمتها همزة الاستفهام.

(٣) وهو استفهام تقرير ليقرُّوا بأنَّ خلق السَّماء أصعب فيلزمهم بأن يقول لهم: من قدر على الصَّعب الأعسر كيف لا يقدر على إعادتكم وحشركم؟ وهى أسهل وأيسر..انظر ذلك مفصَّلاً في (تفسير الرَّازي) (٣١/ ٤٣-٤٦).

(٤) استفهام تقرير لما يأتي بعده في قوله ﷻ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾ [عبس:١٩]. انظر: تفسير السِّراج المنير (٤/ ٣٥٤)، الجلالين (ص:٧٩٢).

(٥) وهو استفهام تقرير، أي: وجدك يتيمًا. انظر: تفسير السِّراج المنير (٤/ ٦٣٥)، الجلالين (ص:٨١٢)، التَّحرير والتَّنوير (٣٠/ ٥٤٩).

(٦) قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بمعنى شرحنا -لما سبق بيانه (من أنَّ نفي النَّفي إثبات)-؛ وذلك لأنَّ همزة الاستفهام وهي فيها معنى النَّفي دخلت على (لم)، وهي للنَّفي، فترافعا، فبقي الفعل مثبتًا..انظر: أضواء البيان (٨/ ٥٧٢)، تفسير السِّراج المنير (٤/ ٦٤٠)، ابن عادل (١/ ٥٢٤)، (١٦/ ١٤٩)، البحر المحيط (١/ ٢٩٩)، (١/ ٥١٥).

والحاصل أنَّ استفهام التَّقرير يرد في القرآن كثيرًا، ويقدَّر الفعل بفعل ماضٍ مقرون بـ: (قد). ففي قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ فإنَّ المعنى: (قد شرحنا لك صدرك)؛ لأنَّ الله ﷻ يقرِّر أنَّه شرح له صدره، وهكذا جميع ما يمرُّ من استفهام التَّقرير، فإنَّه يقدر بفعل ماضٍ مقرون بـ: (قد)، أمَّا كونه يقدَّر بفعل ماضٍ؛ فلأنَّه قد تمَّ وحصل، وأمَّا كونه مقرونًا بـ: (قد)؛ فلأنَّ (قد) تفيد التَّحقيق إذا دخلت على الماضي، وتفيد التَّقليل إذا دخلت على المضارع. وقد تفيد التَّحقيق، ففي قول النَّاس: (قد يجود البخيل)، فإنَّ (قد) هذه للتَّقليل، لكن في قوله ﷻ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤]، فإنَّ هذه للتَّحقيق ولا شكَّ في ذلك.

❊ ❊ ❊

المطلب الثالث
خروج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي

إنَّ أصل معنى الاستفهام طلبُ فهم ما هو غير مفهوم عند المستفهم، فإذا استعمل في غير هذا المعنى فقد خرج عن أصل المعنى الَّذي وضع له إلى معانٍ أخرى عدَّها العلماءُ من الاستعمال المجازيِّ، وهو من قبيل المجاز المرسل الَّذي علاقته الإطلاق والتَّقييد(١).

أقول: وبيان ذلك أنَّنا أطلقنا الاستفهام عن قيدِ كونه طلب فهم ما هو غير مفهوم عند المستفهم إلى ما هو مطلق استفهام بعلاقة التَّقييد، وذلك باعتبار المعنى المنتقل عنه، ثمَّ قيَّدناه بأحد المعاني الَّتي ستأتي بعلاقة الإطلاق هذه المرَّة.

وقد جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] أنَّ هذه الصِّيغة وإن كان معناها الاستفهام إلا أنَّ المراد بها الإيجاب، أي: إنَّك ستفعل..حيث إنَّ الملائكة لا تستفهم ربَّها ﷻ(٢).

---

(١) انظر: المطوَّل، للسَّعد (ص: ٢٣٥)، وانظر: المجاز في اللُّغة والقرآن، للدُّكتور عبد العظيم المطيعي (١/ ٣٩).

(٢) وفي (مجاز القرآن الكريم): «جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربَّها، ولكن معناها معنى الإيجاب: أي: أنَّك ستفعل. وقال جرير، فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان:

=

وقد ذكر المفسِّرون في تفسير الآية أكثر من تأويل ففي (المحرَّر الوجيز): قوله ﷻ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ : «الآية على جهة الاسترشاد والاستعلام، هل هذا الخليفة هو الَّذي كان أعلمهم به قبل أو غيره؟»[(١)].

وفي (النُّكت والعيون): «اختلفوا في جوابهم هذا، هل هو على طريق الاستفهام أو على طريق الإيجاب؟ على وجهين:

أحدهما: أنهم قالوه استفهامًا واستخبارًا حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فقالوا: يا ربَّنا أَعْلِمْنَا، أجاعل أنت في الأرض من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدِّماء؟ فأجابهم: إني أعلم ما لا تعلمون، ولم يخبرهم.

والثَّاني: أنَّه إيجاب، وإن خرجت الألف مَخْرج الاستفهام، كما قال جرير:

(أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ)

وعلى هذا الوجه في جوابهم بذلك قولان:

أحدُهما: أنَّهم قالوه ظنًّا وتوهُّمًا؛ لأنَّهم رأوا الجنَّ من قبلهم قد

= (أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاح).
[وقد سبق تخرج هذا البيت]. وتقول وأنت تضرب الغلام على الذَّنب: ألستَ الفاعل كذا؟ ليس باستفهام ولكن تقرير». مجاز القرآن الكريم (١/ ٢٣٦)، وقال في موضع آخر: «لم يستفهم، ولو كان استفهاما ما أعطاه عبد الملك مائة من الإبل برعاتها». مجاز القرآن الكريم (١/ ١٨٤).

(١) المحرَّر الوجيز (١/ ١١٧).

أفسدوا في الأرض، وسفكوا الدِّماء، فتصوَّروا أنَّه إن استخلفَ استخلف في الأرض مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّماء.

وفي جوابهم بهذا وجهان:

أحدُهما: أنَّهم قالوه استعظامًا لفعلهم، أي: كيف يفسدون فيها، ويسفكون الدِّماء، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها؟ فقال: إني أعلم ما لا تعلمون.

والثَّاني: أنَّهم قالوه تعجُّبًا من استخلافه لهم[1]، أي: كيف تستخلفهم في الأرض، وقد علمت أنَّهم يفسدون فيها ويسفكون الدِّماء؟؟! فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]»[2].

ونقلَ الآلوسيُّ في المسألة عِدَّةَ وجوهٍ، أقواها عنده أنَّ الاستفهام هنا استكشاف عن الحكمة الخفيَّة، وعمَّا يزيلُ الشُّبهة، وليس استفهامًا عن نفس (الجَعْل والاستخلاف)؛ لأنَّهم قد علموه قبل، فالمسؤول عنه هو (الجعل)، ولكن لا باعتبار ذاته، بل باعتبار حكمته ومزيل شبهته. وأنكر أن تكون الهمزة للإنكار، وعزا هذا القول (للحشويَّة)[3]..

---

(١) واختار الزَّمخشريُّ أنَّه تعجُّبٌ من أن يخلف أهل الطَّاعة أهل المعصية. انظر: الكشاف (١/ ٢٧١).

(٢) تفسير الماوردي (النُّكت والعيون) (١/ ٩٦)، وانظر: تفسير القرطبي (١/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٣) (الحشويَّة) هم قومٌ تمسَّكوا بالظَّواهر، فذهبوا إلى التَّجسيم وغيره، وسمُّوا بذلك؛ لأنَّهم كانوا في حلقة الحسن البصريِّ -رحمه الله- فوجدهم يتكلَّمون كلاما غير كلامه فقال: ردُّوا هؤلاء إلى (حشا الحلقة)، أي: إلى جانب الحلقة، و(الجانب) يسمَّى: حشا، ومنه الأحشاء لجوانب البطن. ويقال: إنهم حَشْوِ الوجود، ليسوا هم النُّخبة، ليسوا هم المتميِّزين، إنما هم حشويَّة لا قيمة لهم، ليسوا معتبَرين مهما قالوا ومهما فعلوا. يقولون مثلا بجواز وُرودِ ما لا =

الَّذين استدلُّوا به على عدم عصمة الملائكة».

وما رجحَّه الآلوسيُّ[١]- من أنَّه سؤالٌ عن الحكمةِ مقرونًا باستعظام الملائكة لما ذكروه من إفساد المستخلف في الأرض، ومن صلاحهم هم وطاعتهم لله ﷻ- هو القول الَّذي أراه راجحًا.

والحاصلُ أنَّ ألفاظ الاستفهام قد تخرج عن معناها الأصليِّ فيستفهم بها عن الشَّيء مع العلم به لأغراضٍ أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته[٢].

ومن أهمِّ ذلك:

١ -الإخبار:

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾

= مَعْنى له فِي الكتاب والسُّنَّةِ، كالُحروفِ فِي أوائِلِ السُّوَرِ، وكذا قال بَعْضُهُمْ...انظر: البرهان، للجوينيِّ (١/ ٢٦)، إجابة السَّائل (ص:٧٨)، الإبهاج (١/ ٣٦١)، التَّقرير والتَّحبير (٤/ ٩٢)، تيسير التَّحرير (٣/ ١٢)، نهاية السُّول (١/ ٣٠٣)، وانظر: المسائل الَّتي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية (ص: ١٨١-١٨٢)، تبيين كذب المفتري (ص:١٤٩-١٥١)، (٣١١، ٣١٧)، حزُّ الغلاصم في إفحام المخاصم (ص: ٢٥، ٨٩، ٩٣)، شرح قصيدة ابن القيِّم (١/ ٢٨٢)، (٢/ ٧٧)، (٢/ ٣٩٨)، قطف الثَّمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص:٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥)...إلخ .

(١) روح المعاني (١/ ٢٢١)، وانظر: البحر المحيط (١/ ٢٩٢)، تفسير الرَّازي (٣/ ٣٨٣)، المجاز في اللُّغة والقرآن، للدُّكتور عبد العظيم المطيعي (١/ ٤٠).

(٢) وأوَّل ما عثر عليه عند أبي عبيد في (مجاز القرآن الكريم) (١/ ٢٣١)، في تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦]. مجاز القرآن الكريم (١/ ٢٣١)، وانظر: المجاز في اللُّغة والقرآن، للدُّكتور عبد العظيم المطيعي (١/ ٣٨-٤١).

[النور: ٥٠]، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١][(١)].

٢ -الاستئناس:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧][(٢)].

٣ - الاستبطاء:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤][(٣)].

---

(١) انظر: الإتقان (٢/ ٢١٧).

(٢) أمَّا (ما) في قوله ﷻ: ﴿وَمَا﴾ فهي استفهامية مبتدأ، و﴿تِلْكَ﴾ خبره، و﴿بِيَمِينِكَ﴾ حال من معنى الإشارة وقوله ﷻ: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ تكرير؛ لأنَّه ذكره قبل في قوله ﷻ: ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: ١١] وبعد في مواضع كـ: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [طه: ١٩] لزيادة الاستئناس والتَّنبيه. انظر: السِّراج المنير (٢/ ٥٠٣)، وانظر: تفسير البيضاوي (٤/ ٤٥). وقال الحافظ ابن كثير: «قال بعض المفسِّرين: إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له. وقيل: إنما قال له ذلك على وجه التَّقرير، أي: أمَّا هذه الَّتي في يمينك -عصاك الَّتي تعرفها- فسترى ما نصنع بها الآن». تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٤٣)، الإتقان (٢/ ٢١٦)، الكليَّات (ص: ٥١٧).

(٣) قال أبو حيَّان في (البحر): «فقيل: ذلك على سبيل الدُّعاء لله ﷻ، والاستعلام لوقت النَّصر، فأجابهم الله ﷻ فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وقيل: ذلك على سبيل الاستبطاء؛ إذ ما حصل لهم من الشِّدَّة والابتلاء والزِّلزال هو الغاية القصوى، وتناهى ذلك وتمادى بالمؤمنين إلى أن نطقوا بهذا الكلام، فقيل: ذلك لهم إجابة لهم إلى طلبهم من تعجيل النَّصر. والَّذي يقتضيه النَّظر أن تكون الجملتان داخلتين تحت القول، وأنَّ الجملة الأولى من قول المؤمنين قالوا ذلك استبطاءً للنَّصر وضجرًا ممَّا نالهم من الشدَّة، والجملة الثَّانية من قول رسولهم إجابة لهم، وإعلامًا بقرب النَّصر، فتعود كلُّ جملة لمن يناسبها، وصحَّ نسبة المجموع للمجموع لا نسبة المجموع لكلِّ نوع من القائلين». البحر المحيط (٢/ ١٤٩)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣٦).

٤ - **الاستبعاد:** ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ [الدخان: ١٣]، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣][(١)].

٥ - **الافتخار:** ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].

٦ - **الأمر:** ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ﴾ [آل عمران: ٢٠]، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١][(٢)].

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]، [الأنبياء: ١٠٨][(٣)]، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ

---

(١) قوله ﷻ: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ رد لكلامهم، واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالإيمان المنبئ عن التَّذكر والاتِّعاظ بما اعتراهم من الدَّاهية. والمراد بالاستفهام الاستبعاد لا حقيقته، وهو ظاهر. أي: كيف يتذكَّرون؟ أو من أين يتذكَّرون؟ ويقولون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ، أي: والحال أنهم شاهدوا من دواعي التَّذكر وموجبات الاتِّعاظ ما هو أعظم منه في إيجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشَّأن، وبيَّن لهم مناهجَ الحقِّ بإظهار آياتٍ ظاهرة ومعجزاتٍ قاهرة تحرِّك صمَّ الجبال. انظر: تفسير أبي السُّعود (٨/ ٦٠)، روح المعاني (٢٥/ ١١٩)، البحر المديد (٧/ ٦٦)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٤٤)، الإتقان (٢/ ٢١٦)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٤١).

(٢) قال الطَّبري في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ﴾ : «فإنَّ قال قائل: وكيف قيل: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ﴾ عقيب الاستفهام؟ وهل يجوز على هذا في الكلام أن يقال لرجل: هل تقوم، فإن تقم أكرمك؟ قيل: ذلك جائز إذا كان الكلام مرادا به الأمر، وإن خرج مخرج الاستفهام كما قال ﷻ: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ يعني: انتهوا، وكما قال ﷻ مخبرًا عن الحواريين أنهم قالوا لعيسى عليه السلام: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾ [المائدة: ١١٢]، وإنما هو مسألة، كما يقول الرَّجل: (هل أنت كافٌّ عنا؟)، بمعنى: اكفف عنا، وكما يقول الرَّجل للرَّجل: (أينَ، أين)، بمعنى: أقم فلا تبرح..». تفسير الطَّبري (٣/ ٢١٤)، تفسير القرطبي (١٣/ ١٩)، (١٥/ ٨٢)، (١٧/ ١٨٢)، التَّحرير والتَّنوير (١٧/ ١٢٢).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٥).

شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠][١]، ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات: ٥٤][٢].

٧ - **الإنكار**: وقد سبق بيانه.

٨ - **التَّأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله**:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزمر: ١٩][٣]. الهمزة الثَّانية هي الأولى، كُرِّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد[٤].

٩ - **التَّجاهل**:

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨].

١٠ - **التَّحضيض**[٥]:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣][٦].

---

(١) «أمرٌ وارد في صورة الاستفهام لما فيه من التَّقريع بالإيماء إلى التَّقصير في الشُّكر والمبالغة بدلالته على أنَّ الشُّكر مستحق الوقوع بدون أمر فسأل عنه هل وقع ذلك الأمر اللَّازم الوقوع أم لا؟». روح المعاني (١٧/ ٧٧)، وانظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٠).

(٢) استفهام، إنما هو بمعنى الأمر، أي: اطَّلعوا..القرطبي (١٥/ ٨٢)، وانظر: (١٧/ ١٨٢، تفسير البيضاوي (٢/ ٣٦٣).

(٣) انظر: الإتقان (٢/ ٢١٦) .

(٤) انظر: الكشاف (٣/ ٣٩٣)، البحر المحيط (٧/ ٤٠٤)، ابن عادل (١٦/ ٤٩٤)، الرَّازي (٢٦/ ٤٥٠)، النَّسفي (٤/ ٨١)، الإتقان (٢/ ٢١٦).

(٥) قد سبق بيان الفرق بين العرض والتَّحضيض مجملا، وسيأتي مفصَّلا في موضعه.

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٨٦)، فتح القدير (٢/ ٤٩٦)، التَّحرير والتَّنوير (١٩/ ١٥٨).

١١ - التَّحقير:

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦](١).

ونحوه: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

١٢ - التَّذكير:

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠].

١٣ - التَّسوية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٦]. الهمزة في قوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ الأصل فيها الاستفهام، وهو هنا غير مراد، إذ المراد التَّسوية(٢). وقوله ﷻ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ

---

(١) قال فيه أبو حيَّان في (البحر) (٨/ ٩٢٧): إنَّه للإنكار والتَّعجيب. قال الشَّيخ الشِّنقيطي -رحمه الله-: «والَّذي يظهر لي أنَّهم يريدون بالاستفهام المذكور التَّحقير بالنَّبي ﷺ، كما تدلُّ عليه قرينة قوله ﷻ: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وقد تقرَّر في فنِّ المعاني أن من الأغراض الَّتي تؤدي بالاستفهام التَّحقير». أضواء البيان (٤/ ١٤٨)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٤٣-٤٤). وأرجِّح هنا ما ذكره الشَّيخ الشِّنقيطيُّ لما ذكره من القرينة، وخير ما يفسَّرُ به القرآن بالقرآن نفسه. وانظر: التَّحرير والتَّنوير (٧/ ٢٥٤)، (١٥/ ١٥١)، (١٦/ ٣٢٠)، (١٧/ ٦٦)، (٢٤/ ٢٧٧).

(٢) انظر: تفسير الطَّبري (١/ ١١١)، ابن عادل (١/ ٣٠٩)، (٩/ ٣٥٤)، تفسير أبي السُّعود (٥/ ٤١)، تفسير ابن عرفة (١/ ١٢٣)، البحر المحيط (١/ ١٧٤)، (٨/ ٢٦٩). وانظر: إعراب القرآن الكريم، للنَّحاس (١/ ١٨٤)، شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب =

﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون:٦].
يعني: «سواء عندهم سُؤال السَّائل عن وقوع الاستغفار لهم، وسؤالُ السَّائل عن عدم وقوعه. وهو استفهام مجازيٌّ مستعمل كناية عن قلَّةِ الاعتناء بكلا الحالين، بقرينة لفظ: (سواء)؛ ولذلك يسمِّي النُّحَاة هذه الهمزة: التَّسوية»[1].

١٤ - التَّشويق:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾ [الذاريات: ٢٤].
الاستفهام هنا للتَّشويق، كأنَّه يشوِّقُك إلى أن تسمع هذا الحديث.

ونظيره في التَّشويق قوله ﷻ:

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠] ليس المراد بهذا الاستفهام أنَّه يستفهم، لكنَّه أراد أن يشوِّق المخاطَبين إلى ذلك..

ونحوه قوله ﷻ:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه: ٩]. فإذا جاء الاستفهام من الله ﷻ فهو استفهام على غير حقيقته، فلا يُرَاد هنا طلب الفهم؛ لأنَّ أخبار محمَّد ﷺ تأتيه من ربِّه ﷻ، فكيف يستفهم منه؟ وإنما المراد بالاستفهام هنا: (التَّشويق لما سيأتي)، كما تقول لصاحبك: (هل

= (٤/ ٤٠٤- ٤١٤)، مغني اللَّبيب (ص:٢٤)، بدائع الفوائد، لابن القيِّم (٣/ ٥٥٧).

(١) التَّحرير والتَّنوير (٢٨/ ٢٤٥)، وانظر: تفسير ابن عادل (١٩/ ١١٢-١١٣)، والبحر المحيط (٨/ ٢٦٩-٢٧٠)، ومغني اللَّبيب (ص:٦١)، الرَّضي على ابن الحاجب (٤/ ٤٠٤). وقال الآلوسيُّ: «اختار غير واحد أنَّ المراد التَّسوية بين الأمرين كما في قوله ﷻ: ﴿أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التَّوبة: ٥٣]». روح المعاني (١٠/ ١٤٧).

بلغك ما حدث بالأمس؟) فيُشوِّقه لسماع ما حدث[١].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النبأ: ١][٢].

(١) هذا الاستفهام أريد به التَّشويق لما يلقى لعظيم فائدته، و﴿هَلْ﴾ هنا بمعنى: (قد) المفيدة للتَّحقيق هي كما في قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]. أي: قد أتى. وقد سبق بيان ذلك. و﴿هَلْ﴾: لفظة استفهام، والمراد به التَّشويق لما يخبره به، أو التَّنبيه. و﴿إِذْ رَءَا﴾ [طه: ١٠]: ظرف للحديث؛ لأنَّ فيه معنى الفعل، أو لمضمر مؤخَّر، أي: حين رأى كان كيت وكيت، أو لأذكر، أي: اذكر وقت رؤيته..الخ. انظر: السِّراج المنير (٤/ ٢٦٣)، البحر المديد (٤/ ٣٨٢)، التَّحرير والتَّنوير (١/ ١١٧). وفي (التَّحرير والتَّنوير) في موضع آخر: «الاستفهام مستعمل في التَّشويق إلى الخبر مجازًا، وليس مستعملا في حقيقته، سواء كانت هذه القصَّة قد قُصَّتْ على النَّبي ﷺ من قبل، أم كان هذا أوَّلَ قصصها عليه. وفي قوله: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ [طه: ١٠]: زيادة في التَّشويق. وأوثر حرف (هَلْ) في هذا المقام لما فيه من معنى التَّحقيق؛ لأنَّ (هل) في الاستفهام مثل (قَد) في الإخبار». التَّحرير والتَّنوير (١٦/ ١٩٣)، وانظر: التَّحرير والتَّنوير أيضًا في تفسير: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ .. التَّحرير والتَّنوير (٢٩/ ٣٧٣).

(٢) جاء كذلك في (التَّحرير والتَّنوير) (٣٠/ ٩): «الاستفهام بـ: (ما) في قوله ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ ليس استفهامًا حقيقيًا، بل هو مستعمل في التَّشويق إلى تلقِّي الخبر، نحو قوله ﷻ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١﴾ [الشعراء: ٢٢١]». وكذلك في تفسير قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧﴾ [البروج: ١٧]، وقوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية: ١] "فإنَّه مستعمل في التَّشويق إلى معرفة هذا الخبر لما يترتَّب عليه من الموعظة. وكونُ الاستفهام بـ (هل) المفيدة معنى: (قد) فيه مزيد تشويق، فهو استفهام صوريٌّ يكنَّى به عن أهميَّة الخبر، بحيث شأنه أن يكون بلَغ السَّامع. ونظيره قوله ﷻ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ [ص: ٢١]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾ [النازعات: ١٥]. بتصرُّف عن (التَّحرير والتَّنوير) (٣٠/ ٢٩٤). وفي (السِّراج): «قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنّ (هل) بمعنى: (قد)، أي: قد جاءك يا أشرف الخلق (حديث الغاشية)، كقوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ =

١٥ - التَّعجب أو التَّعجيب:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]، ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ [البقرة: ١٤٢]، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، وفيه معنى التَّفخيم أيضًا، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، ﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠]، ﴿مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤١].

وقد اجتمع كلٌّ من التَّقرير والتَّوبيخ والتَّعجب في قوله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]. قال الزَّمخشريُّ: «الهمزة للتَّقرير مع التَّوبيخ والتَّعحب من حالهم»[(١)].

١٦ - التَّعظيم:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧]، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [الحديد: ١١].

١٧ - التَّفخيم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩].

= حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ ، قاله: قطرب. والثَّاني: أنَّه استفهام على حاله، وتسميه أهل البيان: (التَّشويق)، والمعنى: (إن لم يكن أتاك حديث الغاشية فقد أتاك)، وهو معنى قول الكلبي". السِّراج المنير (٤/ ٦٠٢)، وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٢).

(١) الكشاف (١/ ٢٧٧).

وفيه معنى التَّعجب أيضًا..- كما سبق -.

١٨ - التَّقرير: وقد سبق بيانه.

١٩ - التَّكثير:

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ [الأعراف: ٤]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النجم: ٢٦][١].

٢٠ - التَّمني:

﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠﴾ [القيامة: ١٠]. «الاستفهام مستعمل في التَّمني، أي: ليت لي فرارًا في مكان نجاة، ولكنَّه لا يستطيعه»[٢].

٢١ - التَّنبه: وهو من أقسام الأمر، نحو: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، أي: انظر[٣].

وهو أنواع:

أ. التَّنبيهُ على الخطأ، كقوله ﷻ: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾ [البقرة: ٦١].

ب. التَّنبيهُ على ضلال الطَّريق، كقوله ﷻ: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝٢٦﴾ [التكوير: ٢٦][٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن عادل (١٤/ ١٠٩)، (١٨/ ١٨٨)، المحرَّر الوجيز (٥/ ٢٠٢)، البحر المحيط (٨/ ١٦١)، تفسير الرَّازي (٩/ ٣٧٩)، فتح القدير (٥/ ١٥٦)، البحر المديد (٧/ ٣٥٢)، وانظر: شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (٣/ ١٥٧).

(٢) التَّحرير والتَّنوير (٢٩/ ٣٤٥).

(٣) انظر: البحر المحيط (٢/ ٢٥٨).

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣٦)، جواهر البلاغة (ص: ٦٣).

ومنه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

ج. **التَّنبيهُ على الباطلِ**، كقوله ﷻ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢]، وانظر الآيات التَّالية: [يونس: ٤٣ - ٩٩]، [الفرقان: ٤٣]، [الزمر: ١٩]، [الزخرف: ٤٠].

٢٢- التَّهديد والوعيد:

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [المرسلات: ١٦]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفجر: ٦].

٢٣ - التَّهكم(١):

﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود: ٨٧](٢).

ومن التَّهكم ما قاله إبراهيم عليه السلام لآلهةِ قومه مِنَ الأوْثان كما حكى الله ﷻ:

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الصافات: ٩١ - ٩٢]، فهو استفهامٌ تَهَكُّمِيٌّ ساخِر.

٢٤ - التَّهويل وعكسه:

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة: ١- ٣](٣).

---

(١) وقد سبق (خطاب التَّهكم) في مبحثٍ مستقلٍّ.

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٥٣)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٤٠)، مغني اللَّبيب (ص: ٢٧)، جواهر البلاغة (ص: ٣٦).

(٣) وقد جاء في بيان ذلك أنَّ افتتاح السُّورة بهذا اللَّفظ ترويعٌ للمشركين. و﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾﴾ مبتدأ =

أَمَّا عكس التَّهويل فهو التَّسهيل والتَّخفيف، نحو: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ

= و﴿مَا﴾ مبتدأ ثان. و﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١﴾ المذكورة ثانيا خبر المبتدأ الثَّاني، والجملة من المبتدأ الثَّاني وخبره خبر المبتدأ الأوَّل. و﴿مَا﴾ اسم استفهام مستعملٌ في (التَّهويل والتَّعظيم) كأنَّه قيل: أتدْري ما الحاقَّة؟ أي: ما هي الحاقة؟ أيْ: شيءٌ عظيمٌ الحاقَّةُ. وإعادة اسم المبتدأ في الجملة الواقعة خبرا عنه تقوم مقام ضميره في ربط الجملة المخبر بها. وهو من الإظهار في مقام الإضمار لقصد ما في الاسم من (التَّهويل). ونظيره في ذلك قوله ﷻ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧﴾ [الواقعة: ٢٧] .وجملة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ يجوز أن تكون معترضة بين جملة: ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢﴾ ، وجملة: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤﴾ [الحاقة: ٤]. والواو اعتراضية. ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على جملة: ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢﴾ . و﴿مَا﴾ الثَّانية استفهاميّة، والاستفهام بها مكنًّى به عن تعذُّر إحاطة علم النَّاس بكنه الحاقَّة؛ لأنَّ الشَّيء الخارج عن الحدِّ المألوف لا يتصوَّر بسهولة، فمن شأنه أن يُتساءل عن فهمه. والخطابُ في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ لغير معيَّن. والمعنى: الحاقَّة أمرٌ عظيم لا تدركون كُنْهَهُ. وتركيب (مَا أدراك كذا) مما جرى مجرى المثل، فلا يغير عن هذا اللَّفظ. وهو تركيب مركَّب من (ما) الاستفهامية وفعل (أدرى) الَّذي يتعدَّى بهمزة التَّعدية إلى ثلاثة مفاعيل من باب: (أعلمَ وأرى)، فصار فاعل فعله المجرَّد وهو (دَرى) مفعولاً أوَّل بسبب التَّعدية. وقد علِّق فعل (أدراك) عن نصب مفعولين بـ: ﴿مَا﴾ الاستفهاميَّة الثَّانية في قوله: ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢﴾ . وأصل الكلام قبل التَّركيب بالاستفهام أن تقول: أدركْتُ الحاقَّة أمرًا عظيما، ثمَّ صار أدْركني فلان الحاقَّة أمرًا عظيمًا. و﴿مَا﴾ الأولى استفهاميَّة مستعملة في (التَّهويل والتَّعظيم) على طريقة المجاز المرسل في الحرف؛ لأنَّ الأمر العظيم من شأنه أن يستفهم عنه فصار التَّعظيم والاستفهام متلازمين. ولك أن تجعل الاستفهام إنكاريًّا، أي: لا يدري أحدٌ كنه هذا الأمر. والمقصود من ذلك على كلا الاعتبارين هو (التَّهويل). هذا السُّؤال كما تقول: علمت هل يسافر فلان؟. و﴿مَا﴾ الثَّالثة علَّقت فعل ﴿أَدۡرَىٰكَ﴾ عن العمل في مفعولين. و(كاف الخطاب) فيه خطاب لغير معين؛ فلذلك لا يقترن بضمير تثنية أو جمع أو تأنيث إذا خوطب به غير المفرد المذكَّر. واستعمال ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ غير استعمال: (ما يدريك) في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشُّورى: ١٧]. روي عن ابن عباس: كلُّ شيءٍ من القرآن من قوله ﷻ: =

ءَامَنُوا﴾ [النساء: ٣٩][1].

٢٥ - **التَّوبيخ:**

وجعله بعضهم من قبيل الإنكار، إلا أن الأوَّل إنكارُ إبطال، وهذا إنكارُ توبيخ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن ينفي، فالنَّفي هنا غير قصديٍّ، والإثبات قصدي، عكس ما تقدَّم، ويعبَّر عن ذلك بالتَّقريع أيضًا، نحو: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣]، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]. وأكثرُ ما يقع التَّوبيخُ في أمرٍ ثابتٍ ووبِّخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع، كقوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ

= ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فقد أدرَاه، وكلُّ شيءٍ من قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فقد طُوي عنه. وقد روي هذا أيضًا عن سفيان بن عيينة، وعن يحيى بين سلام، فإن صحَّ هذا المروي فإنَّ مرادهم أن مفعول ﴿مَآ أَدْرَىٰكَ﴾ محقَّق الوقوع؛ لأنَّ الاستفهام فيه للتَّهويل، وأن مفعول ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ غير محقَّق الوقوع؛ لأنَّ الاستفهام فيه للإنكار وهو في معنى نفي الدِّراية». التَّحرير والتَّنوير (٢٩/ ١١٣-١١٤). ثمَّ نقل الطَّاهر قول الرَّاغب في (مفردات القرآن)، كتاب السِّين (١/ ٤٦١): «كلُّ موضع ذُكر في القرآن ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فقد عقب ببيانه. نحو: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ١٠-١١] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر: ٢-٣]، ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الانفطار: ١٨- ١٩]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ [الحاقة: ٣-٤]». ثمَّ علّق على ذلك بقوله: «وكأنَّه يريد تفسير ما نقل عن ابن عباس وغيره. [قال]: ولم أرَ من اللُّغويين من وفَّ هذا التَّركيب حقَّه من البيان، وبعضهم لم يذكره أصلاً». التَّحرير والتَّنوير (٢٩/ ١١٣-١١٤)، وانظر: (٢٩/ ١٢٤- ١٢٦)، (٣٠/ ٥١١)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٥)، وانظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٧١).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن الكريم (٢/ ٣٣٨)، الإتقان (٢/ ٢١٤).

مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء: ٩٧][1].

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾ [النور: ٢٢].

٢٦ - العرض[2]:

ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾ [النُّور: ٢٢].

أمَّا قوله عز وجل: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: ٩١]، [الذَّاريات: ٢٧]، فيحتمل العرض والحثَّ على الأكل على طريق الأدب إن قاله أوَّل ما وضعه. ويحتمل الإنكار إن قاله حينما رأى إعراضهم[3].

٢٧ - النَّهي:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣]. فإنَّ الاستفهام هنا في معنى النَّهي كأنَّه قيل: لا تخشوهم؛ لأنَّ الله عز وجل أحقُّ بالخشية، وأحرى بالطَّاعة، وهو ناصركم عليهم، بدليل قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤][4].

---

(١) الإتقان (٢/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) أمَّا بيان الفرق بين العرض والتَّحضيض، فإنَّ العرض والتَّحضيض معناهما: طلب الشَّيء، لكنَّ العرض طلبٌ بلينٍ، والتَّحضيض طلبٌ بحثٍّ. انظر: مغني اللَّبيب (ص: ٩٧) - وسيأتي بيان ذلك مفصَّلا-.

(٣) انظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٦)، تفسير الرَّازي (٢٨/ ١٧٨)، الكليَّات (ص: ١٣٤).

(٤) انظر: تفسير النَّيسابوري (٣/ ٤٣٧)، وانظر: الكليَّات (ص: ٩٨)، الإتقان (٢/ ٢١٥)، جواهر البلاغة (ص: ٦٢).

ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦]، أي: لا تغترَّ بربِّك. - وسيأتي بيان بعض المعاني الأخرى في (الأدوات) -.

المطلب الرابع
أدوات الاستفهام في القرآن الكريم

أ. استعمالات ألفاظ الاستفهام

أمَّا ألفاظ الاستفهام الموضوعة له فهي: هل، والهمزة، ومن، وما، ومتى، وإيَّان، وأين، وكيف، وكم، وأنَّي، وأي[1].

وهذه الألفاظ ثلاثة أقسام:

١ - ما يستعملُ لطلبِ التَّصورِ فقط، الألفاظ كلُّها عدا (الهمزة) و(هل).

٢ - ما يستعملُ لطلبِ التَّصديقِ فقط، وهذا القسم هو (هل).

٣ - ما يستعملُ لطلب التَّصور تارةً والتَّصديقِ تارةً أخرى، وهذا القسم هو (الهمزة) الَّتي لم تستعمل مع (أم) المتَّصلة لعراقتها في الاستفهام؛ ولهذا يجوز أن تقع بعد (أم) سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة، ومتى قامت قرينة ناصَّة على أنَّ السُّؤال عن المسند إليه تعيَّنت الجملة الاسميَّة، أو عن المسند تعيَّنت الفعليَّة، وإلا فالأمر على الاحتمال والأرجح الفعليَّة؛ لأنَّ طلب الهمزة للفعل

(١) انظر ذلك مفصَّلا في (شروح تلخيص المفتاح) (مختصر التَّفتازاني على تلخيص المفتاح، ومواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح، وعروس الأفراح، وحاشية الدسوقي على السَّعد) (٢/ ٢٤٧) فمابعد..، وانظر: كتاب المطوَّل في شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيِّد شريف (ص:٢٢٦)، الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربيِّ (ص:١٨).

أقوى فهي به أولى[١].[٢]

ب. تقسيم أدوات الاستفهام

وتنقسمُ أدواتُ الاستفهامِ إلى قسمين:

١ ـ حرفا الاستفهام، وهما: (هل والهمزة).

٢ ـ أسماء الاستفهام، وهي: بقيَّة أدواته الَّتي ذُكِرتْ آنفًا .

أمَّا معاني أدوات الاستفهام وما يطلب به فإنَّ بيانها يأتي على النَّحو التَّالي:

أولاً : حرفا الاستفهام : (هل)، و(الهمزة)

أ ـ **هل**: حرف استفهام يطلب به: التَّصديق الإيجابي دون التَّصور، ودون التَّصديق السَّلبي[٣]، أي: معرفة وقوع النِّسبة أو عدم وقوعها لا

---

(١) ينظر في ذلك: شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٤٧)، وانظر: كتاب المطوَّل في شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيِّد شريف (ص:٢٢٦)، الكليَّات (ص:٩٩-١٠٠)، جواهر البلاغة (ص:٥٧).

(٢) ومن الأدوات ما يستفهم به عن الحدِّ أو الرَّسم على وفق ما ذكره المنطقيُّون والأصوليُّون، فقد جعلوا صيغ الاستفهام أربع فئاتٍ، وهي: (هل، وما، ولم، وأي). وأمَّا سائرُ الصِّيغ كـ: (متى)، و(أين)، و(أيَّان) فهي داخلة في فئةِ (هل). وأمَّا (كيف) فهي للسُّؤال عن الكيفيَّة. انظر: المستصفى (١/ ١٢- ١٣)، روضة النَّاظر (ص:١٠)، النَّجاة، لابن سينا (ص:١٠٥)، معيار العلم (ص:٢٥٩)، طرق الاستدلال (ص:١٦٦).

(٣) أي: أنها لا تدخل على سلب. فيمتنع نحو: (هل زيدا ضربتَ)؛ لأنَّ تقديم الاسم يشعر بحصول التَّصديق بنفس النِّسبة، ونحو: (هل زيد قائم أم عمرو؟) إذا أريد بـ (أم) المتَّصلة، و(هل لم يقم زيد؟). ونظيرها في الاختصاص بطلب التَّصديق (أم) المنقطعة، وعكسهما (أم) المتَّصلة. وجميع أسماء الاستفهام فإنَّهنَّ لطلب التَّصور لا غير. وأعمُّ من الجميع =

غير. نحو: هل جاء فلان؟ والجواب: نعم، أو لا.

ولأجل اختصاصها بطلب التَّصديق لا يذكر معها المعادل بعد (أم) المتَّصلة، ولا يدخل على (منفيٍّ)، ولا على (شرط)، ولا على (إِنَّ) -المكسورة المشدَّدة-، ولا على (اسم فعل) غالبًا، ولا على (عاطف)[(١)].

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقوله ﷻ: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ﴾ [يونس: ٣٥].

وقوله ﷻ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

وقوله ﷻ: ﴿فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقوله ﷻ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠].

والأصلُ في كلمة: (هل) أن تدخلَ على جملةٍ فعليّةٍ، فيليها فعلٌ لفظًا أو تقديرًا.

= (الهمزة) فإنها مشتركة بين الطَّلبين..انظر: مغني اللَّبيب (ص:٤٥٦-٤٥٧)، وانظر: كتاب المطوَّل في شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيِّد شريف (ص:٢٢٦-٢٢٧)، بصائر ذوى التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز، (بصيرة في هل) (٦/ ٣٠٦).

(١) انظر: البلاغة العربيَّة (١/ ٢٦١)، الشَّواهد على القواعد (ص:٢٧٨)، جواهر البلاغة (ص:٥٨- ٥٩)، وانظر: الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربي (ص:١٩)، المطوَّل في شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيِّد شريف (ص:٢٢٨) .أمَّا عدد الآيات الَّتي ورد لفظ الاستفهام: (هل) فهي: [٦٤]، وعدد التَّكرار: [٦٧]، أمَّا (فهل) فإنَّ عدد الآيات: [٢٣]، وعدد التَّكرار: [٢٣]، أمَّا (وهل) فإنَّ عدد الآيات: [٣]، وعدد التَّكرار: [٣].

فإذا عدل عن الجملة الفعليَّة فأدخلت (هل) على الجملة الاسميَّة فذلك لنكتة يلاحظها البلغاء، وهي جعل ما سيحصل كأنَّه حاصل موجود فعلا، اهتمامًا بشأنه، أو تأكيدًا للرَّغبة بتحقق وقوعه، أو حضًّا على الفعل أو أمرًا به..إلخ. وقد كانت العناية والاهتمام في غير موضع ببيان ذلك، أعني: خروج الاستفهام عن معناه الحقيقيِّ إلى أغراضٍ أخرى.

ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]. -وقد سبق بيان ذلك-.

وتنفرد (هل) دون الهمزة بأن يراد بالاستفهام بها النَّفي[(١)]:

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]، وانظر: [الأحقاف: ٣٥][(٢)].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وانظر: [الرَّعد: ١٦]، [النَّحل: ٧٦]، [الزُّمر: ٩][(٣)].

وقوله ﷻ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝﴾ [الرحمن: ٦٠][(٤)].

---

(١) اختصاصها بالإيجاب تقول: (هل زيد قائم)، ويمتنع (هل لم يقم)، بخلاف الهمزة نحو: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح: ١]، ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]..وتفترق هل من الهمزة من عشرة أوجه ذكرها ابن هشام في (المغني) (ص: ٤٥٧)، بصائر ذوى التَّمييز، (بصيرة في هل) (٦/ ٣٠٦).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/ ١٣٦)، (٧/ ٤٢)، تفسير ابن عادل (٨/ ١٥٥)، المحرَّر الوجيز (٢/ ٢٩٣)، تفسير أبي السُّعود (٣/ ١٣٥)، روح المعاني (٧/ ١٥٤)، الثَّعالبي (١/ ٥٢١).

(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٤٥).

(٤) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٠/ ٥٤)، نظم الدُّرر (٧/ ٣٩٦).

وقد وردت (هل) في كثيرٍ من الآيات القرآنيَّة الكريمة، ولكنَّها بمعنى: (قد).

ومنه ما قيل في قوله عَزَّلَجَلَّ:

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾ [الإنسان:١][1]. قال الزَّمخشريُّ: «(هل) بمعنى: (قد) في الاستفهام خاصّة، والأصل: (أهل) بدليل: (أَهَلْ رَأَوْنَا بِسَفْحِ الْقَاعِ ذِي الأَكَمِ)[2]. .

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٣٧٨)، البحر المديد (٨/ ١٩٣)، التَّحرير والتَّنوير (٢/ ٢٨٢)، (٢٩/ ٣٧٢)، الكشاف (٤/ ١٩٤)، ابن عادل (٣/ ٤٨١)، (١١/ ٢٨٣)، (١٨/ ٣٥٣)، (٢٠/ ١٢٧)، (٢٠/ ٢٨٩)، تفسير أبي السُّعود (٩/ ٧٠)، (٩/ ١٤٨).

(٢) وقد ذكر الزَّمخشريُّ ذلك أيضًا في (المفصَّل) (ص:٤٣٧). وجاء في (الخزانة) أنَّ هذا أحد مذاهب أربعة، وهو مذهب الزَّمخشريِّ، فـ: (هل) عنده أبدا بمعنى: (قد)، وأنَّ الاستفهام إنما هو مستفاد من همزةٍ مقدَّرة. وعند سيبويه [(الكتاب) (٣/ ١٨٩)] أنَّ (هل) بمعنى: (قد) إلا أنَّهم تركوا الألف قبلها؛ لأنها لا تقع إلا في الاستفهام. وقد جاء دخولها عليها في قول زيد الخيل (البسيط):

(سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم).

انظر: خزانة الأدب (١١/ ٢٨٠)، وانظر: شرح المعلَّقات السَّبع، للزَّوزني (ص:٢٥). وفي (مغني اللَّبيب) (ص:٤٦٠): «أنها [أي: الهمزة] تأتي بمعنى: (قد)، وذلك مع الفعل. وبذلك فَسَّر قوله عَجَّلَ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ جماعةٌ منهم ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والكسائيُّ والفرَّاء. وقال المبرّد في (المقتضب) (هل) للاستفهام نحو: هل جاء زيد. وقد تكون بمنزلة (قد) نحو: قوله عَجَّلَ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ اهـ. مغني اللَّبيب (ص:٤٦٠)، معاني القرآن، للفرَّاء (٣/ ٢١٣). وانظر: الكشاف (٤/ ١٩٤)، والتَّحرير والتَّنوير (٢/ ٢٨٢)، والكتاب، لسيبويه، بتحقيق عبد السَّلام هارون (٣/ ١٨٩). المقتضب، للمبرّد (١/ ١٨١)، وانظر: كتاب أسرار العربيَّة، لأبي البركات =

فالمعنى: (أقد أتى) على التَّقرير والتَّقريب جميعًا. أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين..»[1].

ومنه قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ [البروج:١٧].

وقوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ [الغاشية:١].

وقد يخرج الاستفهام بـ: (هل) عن حقيقته إلى معانٍ أخرى:

١ - الإنكار: نحو: ﴿وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧].

٢ - الأمر: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

٣ - التَّذكير: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٩].

٤ - التَّرغيب: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ﴾ [الصف:١٠].

٥ - التَّقرير: ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام:١٤٨]، ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [الروم:٢٨][2]، ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر:٥][3].

= الأنباري (ص:٣٣٢)، الجُمَل في النَّحو، للخليل (ص:١٧٩)، الخصائص، لابن جني (٢/ ٤٦٢)، اللُّمع في العربيَّة، لابن جني (ص:٢٣٠)، حروف المعاني، للزَّجاجي (ص:٢)، شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (٤/ ٤٤٦)، همع الهوامع (٢/ ٦٠٩)، الصِّحاح، مادَّة: (هكل) (٥/ ١٨٥١- ١٨٥٣)، وكذلك مادَّة: (هكل) في (تاج العروس) (٣١/ ١٥٧)، لسان العرب (١١/ ٧٠١)، معجم ما استعجم، (الدَّال والنُّون) (٢/ ٥٥٧).

(١) الكشاف (٤/ ١٩٤).

(٢) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص:٢٠).

(٣) انظر: تفسير ابن عادل (٢٠/ ٣١٤)، تفسير السَّمرقندي (٣/ ٤٧٦).

٦ - التَّمني: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ [الأعراف:٥٣].

٧ - النُّصح والإرشاد: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات:١٨].

٨ - النَّفي: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٤٧]، وانظر: [الأحقاف:٣٥].

قال ابن عطيَّة: «ظاهرها: الاستفهام ومعناها التَّسوية المضمنة للنَّفي، ولا تكون التَّسوية بها إلا في النَّفي، وتكون بالألف في نفي وفي إيجاب»[(١)].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، يعني ما ينتظرون إلا أن يأتيهم الله ﷻ في ظُلَلٍ من الغمام. وقوله ﷻ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن:٦٠]. يعني: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان[(٢)].

---

(١) المحرَّر الوجيز (٢/ ٢٩٣)، وانظر: البحر المحيط (٤/ ١٣٦)، (٧/ ٤٢)، ابن عادل (٨/ ١٥٥)،، تفسير أبي السُّعود (٣/ ١٣٥)، روح المعاني (٧/ ١٥٤)، تفسير الثَّعالبي (١/ ٥٢١)، وانظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص:٢٠)، وانظر: كتاب المطوَّل في شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيِّد شريف (ص:٢٢٦-٢٢٧).

(٢) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص:٢٠). خلاصة إجمالية:

١- جاءت (عسى) بعد (هل) في آيتين، وفي هذا دليل على أن (عسى) فعل خبري، لا إنشائي؛ لأن الاستفهام طلب فلا يدخل على الجملة الإنشائية. وقد جاءت (عسى) خبرية واقعة في خبر (إن) وصلة للموصول.

٢- تقع (هل) بعد (أم) المنقطعة ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد:١٦] كما تقع هذا الموضع أدوات الاستفهام الأخرى ما عدا الهمزة.

=

ب ـ **الهمزة** : أوَّلا : يطلب بالاستفهام بها أحد أمرين:

١ - **(التَّصور)**: وهو إدراك المفرد، وذلك إذا كان المستفهم عالما بالنِّسبة الَّتي تضمَّنها الكلام بيد أنَّه متردِّدٌ بين شيئين فيطلب تعيين أحدهما، وفي هذه الحال تأتي الهمزة في هذه الحالة متلوَّة بالمفرد المسؤول عنه، ويذكر له في الغالب معادل بعد (أم)، نحو: (أأنت المسافر أم أخوك؟). وقد سبق بيان معنى (التَّصور) مفصَّلًا.

٢ - **(التَّصديق)**: وهو إدراك النِّسبة، وذلك إذا كان المستفهم

= ٣- تنفرد (هل) دون الهمزة بأن يراد بالاستفهام بها الجحد؛ ولذلك وقعت (إلا) بعدها في آيات كثيرة، كما جاءت للنفي من غير أن تقع بعدها (إلا).

٤- لا تزاد (من) بعد الاستفهام إلا إذا كانت أداة الاستفهام (هل). قيد ذلك أبو حيان وابن هشام، ولم يقيده ابن الناظم والرضي وإن كان تمثيله بهل. زيدت (من) بعد (هل) في المبتدأ كثيرًا وفي الفاعل، وفي المفعول.

٥- صرح سيبويه في موضعين من كتابه بأن (هل) تأتي بمعنى (قد) ولم يقف ابن هشام على ذلك فقال في المغني: سيبويه لم يقل ذلك. وقال ابن مالك: تتعين (هل) أن تكون بمعنى (قد) إذا دخلت عليها همزة الاستفهام. الآيات التي قيل فيها إن (هل) بمعنى (قد) محتملة لذلك، لا متعينة.

٦- لا يقع بعد (هل) اسم بعده فعل في الاختيار، وأجاز ذلك الكسائي ونقل السيوطي عن أبي حيان أنه مع الجمهور في ذلك. ولكنه أجاز في قوله تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾ [فاطر:٣]. أن يكون (يرزقكم) خبر المبتدأ وتبعه السمين.

٧- انفرد مقاتل بأن (هل) تأتي بمعنى (إن).

٨- جاء حذف المبتدأ وحذف الخبر بعد (هل) في آيات.

٩- وقع الفعل المضارع بعد (هل) كثيرًا في القرآن، ثم الجملة الاسمية، ثم الجملة الفعلية التي فعها ماض.

السَّائل متردِّدًا في ثبوت النِّسبة أو نفيها، وتليها في الغالب جملة فعليَّة، وفي هذه الحال يمتنع ذكر المعادل، نحو: أيصدأ الذَّهب؟). وإن جاءت (أم) بعد همزة التَّصور تكون (متَّصلة)، وإن جاءت بعد همزة التَّصديق أو (هل) قدِّرت (منقطعة)، وتكون بمعنى: (بل)[(١)]. وقد سبق بيان معنى (التَّصديق) مفصَّلًا.

وجواب الاستفهام في هذه الحالة يكون بـ: (نَعَم) إن أريد الإثبات، وبـ: (لا) إن أريد النَّفي، وهذا في الاستفهام المثبت، أمَّا الاستفهام المنفي فيجاب فيه بـ: (بلى) في الإثبات، وبـ: (نَعَم) في النَّفي.

ويرادف (نَعَم)، في جميع ما ذكر (أَجل)، و(جَيْر)، و(إِي) قبل القسم كما في قوله ﷻ: ﴿وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ﴾ [يونس: ٥٣].

وإمَّا أن يعرف بالهمزة معرفة مضمون الجملة، وهي مثل (هل) تمامًا.

نحو: أذهبت إلى (مكَّة)؟ أحججت هذا العام؟

ومنه قوله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

---

(١) انظر: حاشية العطَّار على شرح جمع الجوامع (١/ ٤٦٠-٤٦١)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣١-١٣٢)، وجواهر البلاغة (ص: ٥٧)، مختصر المعاني، للسَّعد (ص: ١٢٣)، الكليَّات (ص: ١٣٥)، و(ص: ٢٦٠)، مغني اللَّبيب (ص: ٤٥٧)، الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربيِّ (ص: ١٩).

وقوله ﷻ: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [يونس: ٤٢]، و[الزخرف: ٤٠].

وقوله ﷻ: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقوله ﷻ: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الواقعة: ٨١].

أو يطلب بها: التَّعيين، أي: تعيين أحد أمرين، أو شيئين أرادهما السَّائل في سؤاله، وفي هذه الحالة لا بدَّ من استعمال (أم) العاطفة المعادلة[1].

نحو: أحضرت إلى المدرسة راكبًا أم ماشيًا؟ أمحمَّدًا صافحت أم عليًّا ؟

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤].

ومنه قوله ﷻ: ﴿قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩].

وقوله ﷻ: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ [الصافات: ٦٢].

وقوله ﷻ: ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الطور: ١٥].

ثانيًا: تختصُّ (همزة الاستفهام) عن سائرِ الأدواتِ بالخصائصِ التَّالية:

١ - جواز حذفها وتقديرها ذهنًا كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ

---

(١) انظر: اللُّباب في علل الإعراب والبناء (١/ ٤٣٠)، النَّحو الوافي (٣/ ٥٨٥-٥٩٨)، شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (٤/ ٣٩٥)، (٤/ ٤٠٩).

قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٢٣][(١)].

٢ - أنَّها أداةٌ يطلب بها (التَّصور)، ويطلبُ بها (التَّصديق).

ويكثرُ في طلب (التَّصور) بها أن يذكر لها معادل بعد (أم)، وتسمَّى عندئذٍ: (همزة التَّسوية).

ومن ذلك قوله عَجَّلَ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة: ٦]، وقوله عَجَّلَ: ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

فإذا طلب بها (التَّصديق) امتنع ذكر معادل للمستفهم عنه.

ومن ذلك قوله عَجَّلَ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [النحل: ٤٥].

﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ﴾ [الإسراء: ٦٨].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦][(٢)]...الخ.

٣ - أنها تدخل على الإثبات كما تدخل على النَّفي، وقد سبق التَّمثيل في استفهام الإنكار، واستفهام التَّقرير.

---

(١) وهذا المعنى دلَّ عليه القراءة الأخرى، وخير ما يفسَّر به القرآن الكريم بالقرآن نفسه. فقد قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو: ﴿ءَامِنتُم﴾ -بهمزة ومدَّة- على الاستفهام، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وأبو بكر عن عاصم ﴿ءَامِنتُم﴾، فاستفهموا -بهمزتين الثَّانية ممدودة-. وقرأ حفص عن عاصم: ﴿ءَامِنتُم﴾ على الخبر. انظر: المحرَّر الوجيز (٢/ ٤٤٠)، روح المعاني (٩/ ٢٧)، زاد المسير (٣/ ٢٤٢)، غرائب القرآن الكريم (٥/ ٢٦٢)، وانظر في ذلك: حجَّة القراءات (ص: ٢٩٣).

(٢) انظر: البلاغة العربيَّة (١/ ٢٦٠).

٤ - أنها لا يليها إلا المسؤول عنه.

٥ - أنَّ لها تمام الصَّدارة.

ثالثًا: وقد تخرج (الهمزة) عن الاستفهام الحقيقيِّ فترد لمعانٍ منها:

١ - التَّسوية: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

٢ - الاستبطاء: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

٣ - الأمر: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠].

٤ - الإنكار: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩][1].

٥ - التَّعجب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

٦ - التَّقرير: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

٧ - التَّهكم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧].

٨ - التَّوبيخ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦].

وقد بيَّنتُ (خروج الاستفهام عن حقيقته) مفصَّلًا..

---

(١) وهنا ملاحظة: إذا دخلتْ همزةُ الاستفهام على همزة وصل قرئتا معًا مَدَّةً. انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٤٧)، الشَّواهد على القواعد (ص: ٢٦٩).

ثانيًا : أسماء الاستفهام

جميعها يطلب بها التَّعيين، وهو ما يقصد به طلب التَّصور.

١ - **(ما)**:

أ .**بيان معناها**:

لا بدَّ أوَّلًا من بيان أنَّ (ما) الاستفهاميَّة معناها: (أيُّ شيء)، فإنَّ (ما) اسم استفهام مبني على السُّكون بمعنى: (أيُّ شيء)(١).

(١) انظر: مغني اللَّبيب (ص:٣٩٣). أمَّا ما جاء من أقوال المفسِّرين مما يدلُّ على هذا المعنى فقد جاء مثلاً في تفسير قوله ﷻ: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ﴾ [البقرة:١٣٣]. أنَّ لفظة (ما) لغير العقلاء فكيف أطلقه في المعبود الحقِّ؟ وجوابه من وجهين: الأوَّل: أنَّ (ما) عامٌّ في كلِّ شيء، والمعنى: (أيُّ شيءٍ تعبدون؟). والثَّاني: قوله: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ كقولك عند طلبِ الحدِّ والرَّسم: (ما الإنسان؟). تفسير الرَّازي (٤/ ٦٤). وفي تفسير قوله ﷻ: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الكهف:٤٩]. أنَّ الاستفهام في قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ﴾ مستعمل في التَّعجب. فـ (ما) اسم استفهام، ومعناها: (أيُّ شيء)، و﴿هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ﴾ صفة لـ (ما) الاستفهاميَّة لما فيها من التَّنكير، أي: ما ثبت لهذا الكتاب. التَّحرير والتَّنوير (١٥/ ٣٣٨). وفي تفسير قوله ﷻ: ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤﴾ [الصافات:١٥٤]، وقوله ﷻ: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢﴾ [الصافات: ٩٢] أن (ما) استفهام عن ذات، وهي مبتدأ، و(لكم) خبر. والمعنى كما ذكر الطَّاهر: «أيُّ شيءٍ حصل لكم؟ وهذا إبهام فلذلك كانت كلمة (ما لك) ونحوها في الاستفهام يجب أن يتلى بجملةِ حالٍ تبيِّن الفعل المستفهم عنه نحو: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢﴾، ونحو: ﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:١١]. وقد بيَّنت هنا بما تضمَّنته جملة استفهام: ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤﴾، فإنَّ ﴿كَيۡفَ﴾ اسم استفهام عن الحال، وهي في موضع الحال من ضمير ﴿تَحۡكُمُونَ﴾ قدِّمت لأجل صدارة الاستفهام. وجملة: ﴿تَحۡكُمُونَ﴾ حال من ضمير: (لكم) في قوله ﷻ: ﴿مَا لَكُمۡ﴾ فحصل استفهامان: أحدهما: عن الشَّيء الذي حصل لهم فحكموا هذا الحكم. وثانيهما: عن الحالة الَّتي اتصفوا بها لما حكي هذا الحكم الباطل. وهذا إيجاز حذف؛ إذ التَّقدير: (ما لكم تحكمون هذا =

ولها صدر الكلام كالشَّرط، ويسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته، وعن أجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم[(١)]، أو يقال عن الأجناس مطلقًا، كقولك: (ما اسمك؟)، (وما عندك؟). ومعنى (ما) ها هنا: (أيُّ شيء).

ويطلب بها إيضاح الاسم نحو: (ما العسجد؟)، فيقال: إنَّه ذهب، أو بيان حقيقة المسمَّى نحو: (ما الشَّمس؟)، فيقال: كوكب نهاريٌّ..إلخ، أو بيان الصِّفة، نحو: ما فلان؟ فيقال: طويل أو قصير[(٢)].

= الحكم، كيف تحكمونه؟!). وحذف متعلَّق: ﴿تَحْكُمُونَ﴾ لما دلَّ عليه الاستفهامان من كون ما حكموا به منكرا يحقُّ العجب منه فكلا الاستفهامين إنكار وتعجيب». التَّحرير والتَّنوير (٢٣/ ١٨٢-١٨٣)، وانظر تفسير قول الله ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥﴾ [الصافات: ٢٥] (٢٣/ ١٠٢)، وكذلك تفسير قول الله ﷻ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقة: ١- ٣]. (٢٩/ ١١٣)، وانظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٥٧). وتفسير قوله ﷻ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة: ١- ٣]، وتفسير: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ [القدر: ٢] في (التَّحرير والتَّنوير) (٣٠/ ١٣٨). وتفسير قوله ﷻ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ [الشعراء: ٢٣].. وكذلك يقال في قوله ﷻ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [عبس: ١٧]؛ فإنَّ (ما) هنا استفهاميَّة، أي: أيُّ شيءٍ أكفره؟ ما الَّذي حمله على الكفر؟ وقال بعض العلماء: إنَّ هذا من باب التَّعجب يعني: ما أعظم كفره!..وكذلك جاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧﴾ [الانفطار: ١٧]. أي: (أيُّ شيء جعلك داريًا ما هو يوم الدِّين؟) على أنَّ (ما) الاستفهاميَّة خبر (يوم).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن الكريم (٤/ ٤٠٢)، الإتقان (١/ ٥١٣).

(٢) انظر: مصابيح المعاني في حروف المعاني (ص: ٣٧٠-٣٧١).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [البقرة: ٦٨]، ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ﴾ [النساء: ١٤٧]، ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ [طـه: ١٧]، ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠﴾ [الشعراء: ٧٠].

ومن ذلك أيضًا قوله ﷻ:

﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١]، على قراءة أبي عمرو: ﴿ءَآلسِّحۡرُ﴾ -بمدِّ الألف-(١).

(١) قوله: ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ﴾ اختلفوا في (ما) هل هي استفهاميَّة أم موصولة؟ وقد حقَّق هذه المسألة ابنُ هشام في كتابه (ثلاث رسائل في النَّحو) حيث ذكر «أنَّ هذا مختلف لاختلاف القراءتين في ﴿ٱلسِّحۡرَ﴾. فمن قرأ: ﴿ٱلسِّحۡرَ﴾ بغير استفهام فـ (ما) موصولة مبتدأ، و﴿جِئۡتُم بِهِ﴾ صلة، ﴿ٱلسِّحۡرَ﴾ خبر (ما). والمعنى: (الَّذي جئتم به السِّحرُ). ويفسِّره قراءةُ بعضهم [وهي قراءة عبد الله كما في (الكشاف) (٢/ ٢٤٧-٢٤٨)]: (ما جئتم به سحر). ومن قرأ: (آلسِّحر) بالمدِّ [وهي قراءة مجاهد وأصحابة - كما سيأتي-]، فـ(ما) استفهام، و﴿جِئۡتُم بِهِ﴾ خبر، و﴿ٱلسِّحۡرَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر. والتقدير: أيُّ شيءٍ جئتم به؟ أهو السحرُ؟ أو السحرُ هو؟..». ثلاث رسائل في النَّحو، لابن هشام (ص: ٨١). وقد زاد الفرَّاءُ وجهًا آخر، وهو النَّصب. انظر: معاني القرآن، للفرَّاء (١/ ٤٧٥). أمَّا بيان القراءات في ﴿ٱلسِّحۡرَ﴾ فقد قرأه الجمهور بهمزة وصل في أوَّله هي همزة (أل)، فتكون (ما) في قوله: ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ﴾ اسم موصول، و﴿ٱلسِّحۡرَ﴾ عطفَ بيان لاسم الموصول. وقرأ أبو عمرو ومجاهد وأبو جعفر واليزيدي والشَّنبوذي وأبان عن عاصم وأبو حاتم عن يعقوب (آلسحر) بهمزة استفهام في أوَّله، وبالمدِّ لتسهيل الهمزة الثَّانية، فتكون (ما) في قوله ﷻ: ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ﴾ استفهاميَّة، ويكون (آلسحرَ) استفهامًا مبيِّنًا لِـ (ما) الاستفهاميَّة. وهو مستعمل في التَّحقير. والمعنى: أنَّه أمر هيِّنٌ يستطيعه ناسٌ كثيرون. انظر: التَّحرير والتَّنوير (١١/ ٢٥٦)، وانظر ذلك مفصَّلاً في (الدُّر =

ب. حذف ألف (ما) الاستفهاميَّة:

تحذف ألف (ما) الاستفهاميَّة إذا جُرَّت بأحد حروف الجرِّ، مع بقاء الفتحة دليلًا عليها[1].

كما في قوله ﷻ: ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النساء: ٩٧].

وقوله ﷻ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وقوله ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النبأ: ١][2].

= المصون) (٤/ ٥٧-٦٠)، وانظر: الكشاف (٢/ ٢٤٧-٢٤٨)، تفسير السَّمرقندي (٢/ ١٠٧)، معاني القرآن، للزَّجاج (٣/ ٣٠)، معاني القرآن، للفرَّاء (١/ ٤٧٥).

(١) قال ابن هشام في (المغني): «وعلَّة حذف الألف الفرق بين الاستفهام والخبر فلهذا حذفت في نحو: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣﴾ [النازعات: ٤٣]، ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. وثبتت في ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤]، و[النساء: ١٦٢]. ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]. وكما لا تحذف الألف في الخبر لا تثبت في الاستفهام. وأمَّا قراءة عكرمة وعيسى (عَمَّا يَتَسَاءَلُونَ) [النبأ: ١] فنادر». مغني اللَّبيب (ص: ٣٩٣ -٣٩٤). قرأ عبدُ الله بن مسعود وعكرمة وعيسى بن عمرو وأُبَيُّ بن كعب (عمَّا) - بإثبات الألف- ..وقد حكاه الأخفشُ لغةً، وهو عند ابن جني أضعف اللُّغتين. انظر: المحتسب، لابن جني (٢/ ٣٤٧)، الكشاف (٤/ ٢٠٦)، وانظر: روح المعاني (٢٢/ ٢٢٩)، الدُّر المصون (٦/ ٤٦١)، حاشية الشِّهاب الخفاجي (٨/ ٣٠٠)، وانظر: موصل الطُّلاب، للأزهريِّ (ص: ١٤٩)، الفريد (٤/ ٦٠٧)، حاشية الصَّبان (٤/ ١٨٩)، شرح التَّصريح (٢/ ٣٤٥).

(٢) إنَّ لفظ: ﴿عَمَّ﴾ مركَّب من كلمتين هما حرف (عن) الجار و(مَا) الَّتي هي اسم استفهام بمعنى: (أيُّ شيء)، ويتَعلَّق ﴿عَمَّ﴾ بفعل ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ فهذا مركَّب. وأصل ترتيبه: (يتسَآءلون عَنْ ما)، فقدَّم اسم الاستفهام؛ لأنَّه لا يقع إلا في صدر الكلام المستفهم به، وإذ =

وقوله ﷻ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣﴾ [النازعات: ٤٣].

ج. خروج (ما) عن معناها الأصلي:

١ - الإنكار:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف: ٢][1].

٢ - التَّحقير:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ [الأنبياء: ٥٢][2].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾ [الواقعة: ٩].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾ [الواقعة: ٤١].

٣ - التَّعجب:

ومما قيل: إنَّ الاستفهام جاء فيه بمعنى: (التَّعجب) قوله ﷻ:

= قد كان اسم الاستفهام مقترنًا بحرف الجرِّ الَّذي تعدَّى به الفعل إلى اسم الاستفهام، وكان الحرف لا ينفصل عن مجروره قُدِّما معًا فصار (عَمَّا يتساءلون). وقد جرى الاستعمال الفصيح على أنَّ (ما) الاستفهاميَّة إذا دخل عليها حرف الجرِّ يحذف الألف المختومة هي به تفرقةً بينها وبين (مَا) الموصولة. وعلى ذلك جرى استعمال نُطقهم، فلمَّا كتبوا المصاحف جروا على تلك التَّفرقة في النُّطق فكتبوا (ما) الاستفهاميَّة بدون ألف حيثما وقعت، مثل قوله ﷻ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣﴾ [النازعات: ٤٣]، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]، ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ ، ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]؛ فلذلك لم يقرأها أحد بإثبات الألف إلا في الشَّاذِّ. التَّحرير والتَّنوير (٣٠/ ٧)، وانظر: الكشاف (٤/ ٢٠٦).

(١) انظر: تفسير ابن عادل (١٩/ ٤٧)، القرطبي (١٨/ ٨٠)، التَّحرير والتَّنوير (٢٨/ ١٧٨)، النُّكت والعيون (٤/ ٢٦٧)، البحر المحيط (١/ ٣٤٠)، السِّراج المنير (٤/ ٢٩٠).

(٢) انظر: روح المعاني (١٧/ ٥٩). =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦][١].

٤ - التَّعظيم:

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقة: ١- ٣][٢]. وقد سبق بيان المعنى مفصَّلًا.

﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨﴾ [الواقعة: ٨].

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧﴾ [الواقعة: ٢٧].

٢ - (ماذا)[٣]:

وقد تقرن (ما) بـ: (ذا) الموصولة، وذلك نحو قوله ﷻ:

---

(١) انظر: الكشاف (٤/ ٢٢٨)، تفسير الرَّازي (٣١/ ٧٨)، مفردات ألفاظ القرآن، للرَّاغب (١/ ١١٢)، نظم الدُّرر (٨/ ٣٤٩).

(٢) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٧١).

(٣) وقد عقد ابنُ هشام في (المغني) فصلاً لبيان أوجه (ماذا) وذكر أن منها:

١- أن تكون (ما) استفهاميَّة، و(ذا) إشارة نحو: (ماذا التَّواني؟) و(ماذا الوقوف؟).

٢ - أن تكون (ما) استفهاميَّة، و(ذا) موصولة، كقول لبيد بن ربيعة رضي الله عنه:

(أَلا تسْألان المرء ماذا يحاول أَنَحْبٌ فيُقْضَى أم ضلالٌ وباطلُ).

انظر: ديوان لبيد (ص: ٢٥٤)، القصيدة (ص: ٤١)، مجالس ثعلب (ص: ٤٦٢)، المخصص (١٤/ ١٠٣)، الأزهيَّة (ص: ٢١٦). والشَّاهد فيه مجيء (ما) استفهاما، وهي مبتدأ، و(ذا) اسم موصول خبر (ما)، و(يحاول) صلة الموصول، والتَّقدير: ما الَّذي يحاول..و(النَّحب): الحاجة أو النَّذر، وهي صحيحة المعنى في مثل هذا البيت. يقول: أهي حاجة لا بدَّ منها يقضيها بسعيه أو نذر نذره على نفسه، أم هي أماني باطلة يتمنَّاها لو استغنى عنها وطرحها لما خسر شيئًا، ولسارت به الحياة سيرًا بغير حاجة إلى هذا الجهاد المتواصل، والاحتيال المتطاول؟..انظر: شرح البغداديِّ (٥/ ٢٢٦)، البحر المديد (٥/ ٢٣٧)، الدُّر المصون (١/ ١٦٦)، ومعاني القرآن، للفرَّاء (١/ ١٣٩)، تاريخ =

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

= الطَّبري (٣/ ٥٣٦)، خزانة الأدب (٢/ ٢٢١)، (٦/ ١٣٨)، الأصول في النَّحو (٢/ ٢٦٣)، الجُمَل في النَّحو (ص: ١٨١)، اللَّامات (ص: ٦١). فـ(ما) مبتدأ بدليل إبداله المرفوع منها، و(ذا) موصول بدليل افتقاره للجملة بعده. وهو أرجح الوجهين في ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] فيمن رفع العفو، أي: الَّذي ينفقونه العفو، أي: فالعفو خبر (الَّذي)؛ إذ الأصل أن تجاب الاسميَّة بالاسميَّة والفعليَّة بالفعليَّة، والجملة الاسميَّة هنا هي كون (ما) مبتدأ، و(ذا) موصولا خبرًا، وجاء الجواب جملة اسميَّة على قراءة الرَّفع على جعل العفو خبر مبتدأ محذوف. أمَّا الجملة الفعليَّة هنا على قراءة النَّصب على جعل (ماذا) مفعولا مقدَّمًا لينفقون، فيجيء الجواب جملةً فعليَّة، أي: أنفقوا العفو. الثَّالث: أن يكون (ماذا) كله استفهامًا على التَّركيب كقولك: (لماذا جئت؟)..فتكون (ماذا) اسم استفهام في محلِّ جرٍّ باللَّام، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بالفعل بعده، وهو أرجح الوجهين في الآية في قراءة غير أبي عمرو ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ بالنَّصب. أي: ينفقون العفو..انظر: الأوجه الأخرى في (مغني اللَّبيب) (ص: ٣٩٥-٣٩٧). وقال الخليل في (الجُمَل): «وأمَّا (ماذا) فمنهم من يجعل (ماذا) بمنـزلة (ما) وحده، فيقول: (ماذا رأيت؟)، أي: (ما رأيت؟)، فتقول: زيدًا، أي: رأيت زيدًا كما قال الله ﷻ: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾ [النَّحل: ٣٠] كأنَّه قال: أنزل خيرًا، ومنهم من يجعل (ماذا) بمنـزلة (الَّذي) فيقول: (ماذا رأيت؟)، فتقول: خير، أي: الَّذي رأيت خير. قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: ٢٤] رفع على معنى الَّذي أنزل أساطير الأولين. ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ بالرَّفع معناه: (الَّذي ينفقون العفو)..». الجُمَل (ص: ١٨١-١٨٢). وقد قرأ أبو عمرو وابن كثير في الرِّواية الثَّانية عنه، والحسن وقتادة وابن إسحق والجحدري واليزيدي ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ بالرَّفع على جعل (ما) استفهامًا، و(ذا) موصولا، وجاء الجواب مرفوعًا على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أي: الَّذي ينفقونه العفو..وقرأ ابن كثير في رواية وعاصم وحمزة والكسائيُّ وابن عامر ونافع وأبو جعفر وشيبة: ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ بالنَّصب على جعل (ماذا) اسمًا واحدًا، وهو =

وقوله ﷻ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ﴾ [سبأ: ٢٣].

وتأتي مبتدأ كما في قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١].

وتأتي مفعولًا به كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: ٢٤].

أمَّا ما يتعلَّق بالإعراب فقد جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾ [البقرة: ٢٦]: «قوله ﷻ: ﴿مَاذَآ﴾ يجوز أن تكون (ما) و(ذا) اسمًا واحدًا يكون موضعهما نصبًا، المعنى: أيُّ شيءٍ أراد الله ﷻ بهذا مثلًا. ويجوز أن يكون (ذا) مع (ما) بمنزلة: (الَّذي)، فيكون المعنى: ما الَّذي أراده الله ﷻ بهذا مثلًا؟ أو أيُّ شيءٍ الَّذي أراده الله ﷻ بهذا مثلا؟ ويكون ما هنا رفعا بالابتداء، و(ذا) في معنى: (الَّذي)، وهو خبر الابتداء..»[1].

٣ - (مَنْ):

أ. يستفهم بها عن الأجناس الصَّالحة للخطاب[2]، أو يقال: عن أجناس العقلاء..

= مفعول مقدَّم، أيْ: أيُّ شيءٍ ينفقون، فوقع الجواب منصوبًا بفعل مقدَّر، أي: أنفقوا العفوَ..انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢/ ٣٥٢)، البحر المحيط (٢/ ١٦٨)، القرطبي (٣/ ٦١)، الكشف والبيان (٢/ ١٥٢)، المحرَّر الوجيز (١/ ٢٥٩).. إلى غير ذلك.

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (١/ ١٠٥).

(٢) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٦١).

كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه: ٤٩].
﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢].

ب. وقد يُشرَّب معنى النَّفي، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥][١].

وقد يُشرَّب معنى التَّهويل كما في قراءة ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ﴾ [الدخان: ٣٠-٣١] -بفتح الميم- في قوله: ﴿مِن فِرۡعَوۡنَ﴾ -على لفظ الاستفهام-[٢]، وذلك أنَّه ﷻ لما وصف العذاب بأنَّه مهين لشدَّته وفظاعته، وصف المعذَّب به بأنَّه مفرط في عتوِّه وتجبره وإسرافه تهويلا لعذابه وشأنه[٣].

ج. أمَّا موقعها من الإعراب فقد جاءت في أكثر الآيات مبتدأ، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢].

وتأتي مجرورة بحرف الجرِّ، كما في قوله ﷻ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦].

د. وقد تقرن: (مَنْ) بـ (ذا)، ويستفهم بهما معًا.

---

(١) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٤/ ٩٣)، الدُّر المصون (٢/ ٢١١)، تفسير ابن عادل (٥/ ٥٤٥)، تفسير البيضاوي (٢/ ٩٣)، البرهان في علوم القرآن (٤/ ٤١١).

(٢) انظر: ابن عادل (١٧/ ٣٢٤)، المحرَّر الوجيز (٥/ ٧٤)، الدُّر المصون (٦/ ١١٦)، مختصر المعاني، للسَّعد (ص١٣١) .

(٣) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٦١ - ٣٦٢).

كما في قوله ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وكما في قوله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

و(ذا) في الموقعين السَّابقين اسم إشارة، وليست موصولة. فلا يجوز أن تأتي اسمًا موصولًا يليها موصول آخر، إلا في حالة التَّوكيد المعنوي، وهذا ليس مقامه.

ولم تقع في القرآن إلا مركَّبة وبعدها الاسم الموصول[١].

هـ. تخرج (مَنْ) عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أخرى كالتَّحقير، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الدخان: ٣٠-٣١]، أي: من فرط عتوِّه وتجبُّرِه، وقد قرأ ابن عباس: (مَنْ فرعونُ) بفتح ميم (مَنْ) ورفع (فرعونُ) على الابتداءِ والخبرِ، وهو استفهامُ تحقيرٍ كقولِك: مَنْ أنتَ وزيدًا؟[٢].

٤ - (متى):

المشهور فيها أنها اسم من الظُّروف، يفيد الظرفيَّة الزَّمانيَّة المطلقة. أي: أنَّه غير محدد الزَّمن، وهي اسم مبهم غير متمكِّن، وترد على أوجهٍ منها الاستفهامُ. . .كقوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ

---

(١) انظر: مصابيح المعاني (ص:٣٦٣-٣٦٥)، و(ص:٣٨٢-٣٨٤)، الكليَّات (ص:٨٤٠)، حروف المعاني، للزَّجاجي (ص:١٢).

(٢) انظر: الكشاف (٣/ ٥٠٤)، البحر المحيط (٨/ ٣٨)، انظر: الدُّر المصون (٦/ ١١٦).

مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤][١].

ويستفهم بها عن الزَّمن الماضي والمستقبل، ولم ترد في القرآن إلا للمستقبل، ولم تأت في القرآن إلا خبرًا للمبتدأ كما في الآية السَّابقة، وكما في قوله ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨﴾ [السجدة: ٢٨][٢].

٥ - (أيَّان):

(أيَّان) اسم استفهام للزَّمان المستقبل، أو يقال: هو اسم زمان مبنيٌّ على الفتح، وهو بفتح الهمزة، و(سُلَيْم)[٣] تكسرها، وبها قرأ السلمي[٤]: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١]، و[النمل: ٥٦]. ومنهم من يرى أن أصلها: (أي) و(أن) فحذفت الهمزتان، وجعلت الكلمتان كلمة واحدة، وهي في المعنى كـ: (متى)، وأي حين. قال الله ﷻ: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ، أي: متى يبعثون؟

---

(١) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٨٥)، الجنى الدَّاني (ص: ٥٠٥)، مغني اللَّبيب (ص: ٤٤٠).

(٢) انظر: شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (٣/ ٢٠٥)، الشَّواهد على القواعد (ص: ٨٤)، همع الهوامع (٢/ ٥٤٦).

(٣) إن قبيلة (سُلَيم) العربيَّة (قبيلة الخنساء الشَّاعرة العربيَّة الصَّحابيَّة). وتُعَدُّ قبيلة (سُلَيم) من القبائل المهمَّة السَّاكنة في (الحجاز) في أرضٍ اشتهرت بمعادنها وبخصبها، وبها حرَّة بني سُلَيم، وحرَّة ليلى، وبها مياه استفادت منها القبيلة في الزَّرع. وكانوا على صلاتٍ حسنةٍ باليهود، كما كانوا على صلاتٍ وثيقة بقريش، وتحالف معها أشراف (مكَّة) وكبارها لما لهم من علاقاتٍ اقتصاديَّة بهذه القبيلة. انظر: تاريخ الأدب الجاهلي (ص: ٥٨).

(٤) هو علي بن عبد الرَّحمن بن الحسن بن عبد الملك بن إبراهيم السلمي من أهل (الرَّقة)، ولد سنة [٥٠٨هـ]، وتوفي سنة [٥٧٦هـ]، ولا يعرف له مصنف أو شعر. انظر: معجم الأدباء (١٤/ ١٠-١١)، معجم المؤلِّفين (٧/ ١٢١).

وقال ﷻ: ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذاريات:١٢]، أي: متى يوم الدِّين؟ وعن علي بن عيسى الرَّبعي[١] أنَّ (أيَّان) تستعمل في مواضع التَّفخيم كقوله ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ [القيامة:٦][٢].

«وقد جاءت في القرآن خبرًا لمبتدأ كما في قوله ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ۝٤٢﴾ [الأعراف:١٨٧]، و[النازعات:٤٢][٣]، وقوله: ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦﴾[٤]، وفي محلِّ نصب على الظَّرفيَّة، وذلك ممَّا قيل[٥] في قوله ﷻ: ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ

(١) هو علي بن عيسى بن الفرج بن صالح، أبو الحسن الرَّبعي، عالمٌ بالعربيَّة. أصله من (شيراز) اشتهر وتوفي (ببغداد). له تصانيف في النَّحو، منها كتاب (البديع). قال الأنباري: حسن جدًا، و(شرح مختصر الجرمي)، و(شرح الإيضاح)، لأبي علي الفارسي، و(التَّنبيه على خطأ ابن جني في فسر شعر المتنبي) توفي سنة [٤٢٠هـ]. وهو من أقران أبي يعلى بن السَّراج. انظر: الأعلام (٤/ ٣١٨)، تكملة الإكمال (١/ ٤٩٣)، البلغة (ص:٤٥)، بغية الوعاة (٢/ ١٨١)، تاريخ بغداد (١٢/ ١٧)، سير أعلام النُّبلاء (١٧/ ٣٩٢)، معجم المؤلِّفين (٧/ ١٦٣)، وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٦).

(٢) مصابيح المعاني (ص:١٢٩-١٣٠).

(٣) وفي (الدُّر المصون) (٣/ ٣٧٩): «فيه وجهان أحدهما: أنَّ ﴿أَيَّانَ﴾ خبر مقدَّم، و﴿مُرۡسَىٰهَا﴾ مبتدأ مؤخر. والثَّاني: أنَّ ﴿أَيَّانَ﴾ منصوب على الظَّرف بفعل مضمر، ذلك الفعل رافع لـ: ﴿مُرۡسَىٰهَا﴾ بالفاعلية». وكذلك في (تفسير ابن عادل) (٩/ ٤٠٩)، وانظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٣٠٦).

(٤) ﴿أَيَّانَ﴾ اسم استفهام ظرف زمان متعلِّق بخبر المبتدأ ﴿يَوۡمَ﴾ ، وجملة: ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ﴾ مفعول به للسُّؤال. فإنَّ ﴿أَيَّانَ﴾ ظرف زمان بمعنى: (متى)، وهو مبني، وكان حقَّه الإسكان لكن اجتمع ساكنان الألف والنُّون ففتحت النُّون لالتقاء السَّاكنين. مشكل إعراب القرآن، لمكي (٢/ ٧٧٧)، ومشكل إعراب القرآن، للخراط (ص:٥٧٧).

(٥) انظر: الدُّر المصون (٤/ ٣١٩)، تفسير ابن عادل (١٢/ ٤٠).

يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢١]»[١].

٦ - (أين):

أمَّا (أين) و(أينما) فقد يكونان استفهامًا عن مكانٍ مبهم[٢].

ومنه قوله ﷻ: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التكوير: ٢٦].

وفي (الدُّر المصون): «قوله: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾: (أين) منصوبٌ بـ: ﴿تَذۡهَبُونَ﴾؛ لأنَّه ظرفٌ مُبْهَمٌ. وقال أبو البقاء[٣]: أي: (إلى أين)، فحذف حرفَ الجر كقولك: (ذهبتُ الشَّامَ). ويجوزُ أَنْ يُحْمَلَ على المعنى كأنَّه قال: (أين تؤمنون؟). يعني أنَّه على الحذفِ، أو على التَّضمين. وإليه نحا مكيُّ[٤] أيضًا، ولا حاجة إلى ذلك البتَّة؛ لأنَّه ظرفُ مكانٍ مبهمٌ لا مُخْتَصٌّ[٥].

وتأتي خبرا لمبتدأ كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ﴾ [النحل: ٢٧]، وكما في قوله ﷻ: ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: ١٠]. وفي محل نصب على الظَّرفيَّة المكانيَّة كما في قوله ﷻ السَّابق: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾[٦].

---

(١) انظر: الشَّواهد على القواعد (ص: ٨٤).

(٢) انظر: مصابيح المعاني (ص: ١٢٩)، المخصص، لابن سيده (٤/ ٢٣٤)، الدُّر المصون (٦/ ٤٨٧)، ابن عادل (٢٠/ ١٩١)، السِّراج المنير (٤/ ٥٦١).

(٣) انظر: التِّبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبريِّ (٢/ ٢٨٢).

(٤) انظر ما قاله مكيُّ في (مشكل إعراب القرآن) (٢/ ٨٠٣).

(٥) الدُّر المصون (٦/ ٤٨٧)، وابن عادل (٢٠/ ١٩١)، والسِّراج المنير (٤/ ٥٦١).

(٦) انظر: الشَّواهد على القواعد (ص: ٨٤- ٨٥).

٧ - (أَنَّى):

تأتي بمعنى: (كيف) كما في قوله ﷻ: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩].

وكلمة (أنَّى) اسم لمكان مبهم تبينه جملة مضاف هو إليها، وقد كثر استعماله مجازًا في معنى: (كيف) بتشبيه حال الشيء بمكانه؛ لأنَّ (كيف) اسم للحال المبهمة يبينها عاملها نحو: ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٦][1].

وقد حاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ [الدخان:١٣]: «(أنَّى) اسم استفهام أصله استفهام عن أمكنة حصول الشَّيء، ويتوسَّعون فيها فيجعلونها استفهامًا عن الأحوال بمعنى: (كيف) بتنزيل الأحوال منزلة ظروف في مكان، كما هنا بقرينة قوله ﷻ: ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾. والمعنى: من أين تحصل لهم الذِّكرى والمخافة عند ظهور الدُّخان المبين، وقد سُدَّت عليهم طرقها بطعنهم في الرَّسول ﷺ الَّذي أتاهم بالتَّذكير؟»[2].

---

(١) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢/ ٣٧١-٣٧٢)، (٣/ ٢٤٢)، (٦/ ٢٨٧)، (٢٣/ ٣٣٦)، البحر المديد (١/ ٢٥٨)، الدُّر المصون (١/ ٥٤٥)، (١/ ٦٢٣-٦٢٤)، (٢/ ٨٥)، (٢/ ٢٥٢)، (٢/ ٥١٢)، (٢/ ٥٨٥)، (٣/ ١٤٧)، (٦/ ٣٢١)، ابن عادل (٤/ ٧٨)، (٤/ ٢٦٩)، (٤/ ٣٥٣)، (٥/ ٢٠٢)، (٦/ ٣٦)، (٧/ ٢٨٩)، (٧/ ٤٦٣)، (٨/ ٣٣٩)، (١٩/ ١١٠).
وانظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (١/ ٨٤)، (١/ ٨٥)، (١/ ١٤٦)، نزهة الأعين النَّواظر (ص:١٠٧)، الإيضاح (ص:١٣٦)، حروف المعاني، للزَّجاجي (ص:٦١)، مصابيح المعاني (ص:١٢٨).

(٢) التَّحرير والتَّنوير (٢٥/ ٢٩١)، وانظر أيضًا ما جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤]. (٢٨/ ٢٤٢)، وانظر: =

فهي في هذه الآية بمعنى: الاستبعاد.

وقد يُشرَّب معنى: (الإنكار) كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يس:٦٦].

فإنَّ (أنَّى) استفهام بمعنى: (كيف)، وهو مستعمل في الإِنكار، فتفيد النَّفي، أي: كيف يبصرون وقد طمست أعينهم؟!![1].

وقد يُشرَّب معنى: التَّعجب كما في قوله ﷻ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٢٤٧]، وهي بمعنى: (كيف)، وهو استفهام مستعمل في التَّعجب، تعجبوا من جعل مِثله ملكًا[2].

و(أنَّى) في قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ فيه وجهان: «أحدُهما: أنها بمعنى: (كيف)، وهذا هو الصَّحيحُ. والثَّاني: أنها بمعنى: (مِنْ أين)، أجازه أبو البقاء[3]، وليس المعنى عليه. ومحلُّها النَّصبُ على الحالِ»[4].

وكما في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [غافر:٦٩]، فإنَّ «(أنَّى) بمعنى: (كيف)، وهي مستعملة في التَّعجيب مثل قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [آل عمران:٤٧]، أي: أرأيت عجيبَ انصرافهم عن التَّصديق بالقرآن

= حروف المعاني، للزَّجاجي (ص:٦١- ٦٢)، شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (٣/ ٢٠٣).

(١) انظر: روح المعاني (٢٣/ ٤٥)، التَّحرير والتَّنوير (٢٣/ ٥٢).

(٢) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢/ ٤٩٠)

(٣) انظر ما قاله في (التِّبيان في إعراب القرآن)، لأبي البقاء (١/ ٢٥٦).

(٤) الدُّر المصون (١/ ٦٠١)، تفسير ابن عادل (٤/ ٢٦٩).

بصارفٍ غير بيِّن منشؤه؟؟!! ولذلك بني فعل ﴿يُصْرَفُونَ﴾ للنَّائب؛ لأنَّ سبب صرفهم عن الآيات ليس غير أنفسهم.

ويجوز أن تكون (أنَّى) بمعنى: (أين)، أي: أَلا تعجبُ (من أين) يصرفهم صارف عن الإيمان حتى جادلوا في آيات الله ﷻ مع أن شُبَه انصرافهم عن الإيمان منتفية بما تكرر من دلائل الآفاق وأنفسِهم، وبما شاهدوا من عاقبة الَّذين جادلوا في آيات الله ﷻ ممَّن سبقهم!!

وهذا كما يقول المتعجب من فعل أحد (أين يُذْهَب بك؟!!)»[(١)].

أمَّا ما يتعلَّق بالإعراب فإنَّها تأتي بمعنى: (كيف) فتعرب حاليَّة في محلِّ نصب كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠][(٢)].

وتأتي بمعنى: (من أين) فتعرب ظرف زمان كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧][(٣)].

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (٢٤/ ٢٠٠-٢٠١).

(٢) انظر: ذلك مفصَّلا في (الدُّر المصون) (٢/ ٨٥-٨٦)، تفسير ابن عادل (٥/ ٢٠٢)، وانظر: مشكل إعراب القرآن، للخرَّاط (ص: ٥٥).

(٣) انظر ذلك مفصَّلا في (الدُّر المصون) (٢/ ٧٩)، الكشاف (١/ ٤٢٨)، البحر المحيط (٣/ ١١١)، تفسير القرطبي (٤/ ٧١)، تفسير البغوي (٢/ ٣٢)، تفسير السَّمعاني (١/ ٣١٤)، روح المعاني (٣/ ١٤٠)، معاني القرآن، للنَّحاس (١/ ١٨٩)، المفردات (١/ ٥٤). وفي تفسير قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. الدُّر المصون (٢/ ٢٥٢). وفي (التَّحرير والتَّنوير): «(أنَّى) استفهام بمعنى: (من أين) قصدوا به التعجُّب والإنكار، وجملة: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ﴾ جواب (لـمَّا)، والاستفهام بـ: (أنَّى) هنا مستعمل في التعجُّب". التَّحرير والتَّنوير (٤/ ١٦١)، (٦/ ٢٨٧)، (٧/ ٣٨٩)، (٧/ ٤١١)، (١٨/ ١١٢). وقد أنكر بعضهم ذلك، وقال: معناه: من أيِّ جهة لك هذا؛ لأنَّ =

وتأتي بمعنى: (متى) فتعرب ظرف زمان كما في قوله ﷻ: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وهي كذلك بمعنى: (كيف) فتعرب حالًا كما في (الدُّر المصون)[١].

وقد ذكرت المعاني الثَّلاثة في قوله ﷻ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣][٢].

٨ - **(كيف)**:

أ. يسأل بها عن الأحوال والصِّفات لا عن الذَّوات وغيرها[٣].

ب. وهي من الأسماء[٤].

= (أَنَّى) للسُّؤال عن الجهة، و(أين) للسُّؤال عن المكان. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٦١)، ابن عادل (٥/ ١٨٥)، السَّمعاني (١/ ٣١٤). والجواب عن ذلك ما سبق بيانه من كون (أَنَّى) يستفهم بها عن الحال والمكان، ولذلك قيل: هو بمعنى: (أين) و(كيف) لتضمُّنه معناهما. انظر: المفردات (١/ ٥٤)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٠)، تفسير أبي السُّعود (٢/ ٣٠)، البحر المديد (١/ ٣١١)، غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٢٩).

(١) انظر ذلك مفصَّلا في (الدُّر المصون) (١/ ٦٢٣-٦٢٤)، تفسير ابن عادل (٤/ ٣٥٣)، التِّبيان، للعكبري (١/ ٩٤)، تفسير أبي السُّعود (١/ ٢٥٣)، الكليَّات (ص: ١٩٥).

(٢) انظر: الشَّواهد على القواعد (ص: ٨٥)، وانظر: الدُّر المصون (١/ ٥٤٥)، تفسير ابن عادل (٤/ ٧٨)، وانظر: تفسير الماوردي (١/ ٢٨٤)، التِّبيان، للعكبري (١/ ٩٤)، مصابيح المعاني (ص: ٢٥١).

(٣) انظر: روح المعاني (١١/ ٨٣). قال الجوهريُّ: (كيف) اسمٌ مبهم غير متمكِّن وإنما حرِّك آخره لالتقاء السَّاكنين، وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء، وهو للاستفهام عن الأَحوال، وقد يقع بمعنى التَّعجب. الصِّحاح، للجوهريِّ، مادَّة: (كيف) (٤/ ١٤٢٥)، وانظر: تاج العروس، (٢٤/ ٣٤٩)، لسان العرب، (٩/ ٣١٢)، وسيأتي معنى التَّعجب في (كيف).

(٤) انظر: الدَّليل على اسميَّة (كيف) ما أورده أبو البقاء العكبريُّ في (مسائل خلافيَّة في النَّحو) (ص: ٥٥-٥٧).

ج. أمَّا ما يتعلَّق بالإعراب «فإنها تأتي حالا بعد فعل النَّظر: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ [ق: ٦].

وتأتي خبرًا لكان بعد فعل النَّظر: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]»[١].

د. والاستفهام بـ: (كيف) يكون حقيقيًّا[٢]:

﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

هـ. خروج الاستفهام بـ: (كيف) عن حقيقته:

أوَّلاً: الاستبعاد:

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦﴾ [آل عمران: ٨٦]. (كيف) سؤال عن حال، لكنَّه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للأمر[٣].

---

(١) الشَّواهد على القواعد (ص: ٨٥-٨٦).

(٢) الاستفهام بكيف يكون حقيقيًّا وغير حقيقيٍّ، كقوله ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فإنَّه أُخْرِجَ مخرج التَّعجب. انظر: مغني اللَّبيب (ص: ٢٧١). وفي (البحر): «(كَيْفَ) اسم استفهام عن حال، وصحبه معنى: التَّقرير والتَّوبيخ، فخرج عن حقيقة الاستفهام. وقيل: صحبه الإنكار والتَّعجب». البحر المحيط (١/ ٢٧٥)، وانظر: الكشاف (١/ ٢٦٩).

(٣) انظر: المحرَّر الوجيز (١/ ٤٦٨)، تفسير الثعالبي (١/ ٢٨٧).

وفي (التَّحرير والتَّنوير): «(كيف) استفهامٌ إنكاريٌّ، والمقصود: إنكار أن تحصل لهم هداية خاصَّة، وهي إمَّا الهداية النَّاشئة عن عناية الله ﷻ بالعبد ولطفه به، وإسنادها إلى الله ﷻ ظاهر، وإمَّا الهداية النَّاشئة عن إعمال الأدلَّة والاستنتاج منها، وإسنادُها إلى الله ﷻ؛ لأنّه موجد الأسباب ومسبّباتها. ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملا في الاستبعاد، فإنهم آمنوا وعلموا ما في كتب الله ﷻ، ثمَّ كفروا بعد ذلك بأنبيائهم، إذ عبدَ اليهود الأصنام غير مرَّةٍ، وعبد النَّصارى المسِيح عليه السلام، وقد شهدوا أنَّ محمَّدًا ﷺ صادق لقيام دلائل الصِّدق، ثمَّ كابروا، وشكَّكوا النَّاس. وجاءتهم الآيات فلم يتَّعظوا، فلا مطمع في هديهم بعد هذه الأحوال، وإنما تسري الهداية لمن أنصف وتهيَّأ لإدراك الآيات دون القوم الَّذين ظلموا أنفسهم»[1].

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١]. فقد قيل: إنَّه استفهام مستعمل في الاستبْعَاد استبعادًا لكفرهم ونفيًا له[2]. وقال غيرُ واحد: معنى الاستفهام فيه الإنكار والتَّعجيب، والمعنى: من أين يتطرَّق لكم الكفر؟..إلخ[3].

(١) التَّحرير والتَّنوير (٣/ ٣٠٣)، وانظر: (٤/ ٢٨).
(٢) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٤/ ٢٨).
(٣) الكشاف (١/ ٤٥٠)، وكذلك في (البحر المحيط) (٣/ ١٨)، تفسير أبي السُّعود (٢/ ٦٥)، النَّسفي (١/ ٢٥٩)، تفسير النَّيسابوري (٢/ ٢٢١)، تفسير القاسمي (٢/ ١٠٢).

ثانيًا: الإنكار:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الأنعام:٨١]. «(كيف) استفهامٌ إنكاريٌّ؛ لأنَّهم دعَوه إلى أن يخاف بأس الآلهة فأنكر هو عليهم ذلك، وقلب عليهم الحجَّة، فأنكر عليهم أنَّهم لم يخافوا الله ﷻ حين أشركوا به غيره بدون دليل نصبه لهم فجَمَعَت (كيف) الإنكارَ على الأمرين...إلخ»(١).

ثالثًا: التَّعجيب:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨].

قوله ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ : (كيف) استفهام يسأل به عن الأحوال، وبني لتضمُّنه معنى (الهمزة)، وبني على أخفِّ الحركات، وكان سبيلها أنْ تكون ساكنةً، أنَّ فيها معنى: (الاستفهام) الَّذي معناه: (التَّعجب)(٢). وشذَّ دخول حرف الجرِّ عليها، قالوا: (على كيف تبيعُ الأَحْمَرَيْنِ)(٣). وفي (البحر..): «(كيف): سؤال عن الأحوال، وهي

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (٧/ ٣٣٠).

(٢) تفسير ابن عادل (١/ ٤٨٠)، الدُّر المصون (١/ ١٧٠)، وانظر: الإتقان (٢/ ٢١٤).

(٣) الدُّر المصون (١/ ١٧٠)، تفسير ابن عادل (١/ ٤٨١)، البحر المحيط (٥/ ٤٢٥)، روح المعاني (١٣/ ٢٤٩)، (٣٠/ ١١٦)، وانظر: أسرار العربيَّة، لأبي البركات الأنباري (ص:٣٧)، اللُّباب في علل البناء والإعراب (٢/ ٨٦)، شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (٣/ ٢٠٦)، مسائل خلافيَّة في النَّحو، للعكبريِّ (ص:٥٦)، همع الهوامع (٢/ ٢١٨).

هنا للتَّعجيب والتَّعظيم لكفرهم بعد الإيمان، أي: كيف يستحقُّ الهداية من أتى بما ينافيها بعد التباسه بها ووضوحها؟ فاستبعد حصولها لهم مع شدِّة الجرائم»[١]. وقال الزَّمخشريُّ: «كيف يلطَّف بهم وليسوا من أهل اللُّطف لما علم الله ﷻ من تصميمهم على كفرهم؟»[٢].

والحاصل أنَّ (كيف) استفهام في معنى التَّعجب، وهذا التَّعجب إنما هو للخلق والمؤمنين، أَي: اعجَبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجَّة الله عليهم؟![٣].

وقيل: هو في معنى التَّقرير والتَّوبيخ[٤].

وقد سبق بيان ما قاله غير واحد في قوله ﷻ:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١]. ونحوه قوله ﷻ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: ٤٣][٥].

---

(١) البحر المحيط (٢/ ٥٤١) .

(٢) الكشاف (١/ ٢٦٨).

(٣) انظر: معاني القرآن، للزَّجاج (١/ ١٠٧)، وانظر: الصِّحاح، للجوهريِّ، مادَّة: (كيف) (٤/ ١٤٢٥)، تاج العروس (كيف) (٢٤/ ٣٤٩)، لسان العرب (٩/ ٣١٢) .

(٤) وفي (البحر): «(كَيْفَ): قد تقدَّم أنَّه اسم استفهام عن حال، وصحبه معنى التَّقرير والتَّوبيخ، فخرج عن حقيقة الاستفهام. وقيل: صحبه الإنكار والتَّعجب». البحر المحيط (١/ ٢٧٥)، زاد المسير (١/ ٥٧)..حيث ذكر أيضًا القولين. .

(٥) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٦/ ٢٠٦).

ونحو ذلك ما قيل في قوله ﷿:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٥]. فقوله ﷿: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ استفهام آخر للإنكار والتَّعجب، أي: كيف تحكمون بالباطل الَّذي يأباه صريح العقل ويحكم ببطلانه من اتخاذ الشُّركاء لله جلَّ وعلا؟!! والفاء لترتيب الإنكار على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي..[١].

رابعًا: التَّعظيم:

فمن ذلك قوله ﷿:

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد: ٣٢][٢].

ومن ذلك قوله ﷿:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾ [القمر: ١٨-٢١]. ذكر ههنا: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾ مرَّتين، فالأوَّل سؤال، كقول المعلِّم للمتعلِّم: (كيف المسْأَلَةُ الفُلَانِيَّة؟)، ثمَّ بيَّن فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا﴾ ، والثَّاني: بمعنى التَّعظيم

---

(١) روح المعاني (١١/ ١١٥).

(٢) ونحو ذلك الآيات التَّالية: [الحج: ٤٤]، [غافر: ٥]، [سبأ: ٤٥]، [فاطر: ٢٦]، [الملك: ١٨].

والتَّهويل[١].

خامسًا: التَّقرير والتَّوبيخ:

كما قيل في قوله ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٩]. وقد سبق بيانه.

سادسًا: التَّهديد والوعيد:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٨٦]. هذا تهديد لهم، وتذكير بعاقبة من أفسد قبلهم، وتمثيل لهم بمن حلَّ به العذاب من قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السَّلام..[٢].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: ٢٥][٣].

سابعًا: النَّفي:

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٣][٤].

---

(١) انظر: تفسير الرازي (٢٩/ ٣٠٥)، غرائب القرآن (٦/ ٢١٩)، تفسير ابن عادل (١٨/ ٢٥٣).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/ ٣٤٢).

(٣) ويفهم هذا المعنى بالنَّظر إلى الآية الَّتي قبلها، وهي قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران: ٢٣].

(٤) فهو استفهام بمعنى النَّفي كما في (الجلالين) (ص:٢٠٧).

٩ - (أي):

أمَّا (أَي) -بفتح الهمزة وتشديد الياء- وقد تخفَّف، كقول الشَّاعر:

(تَنَظَّرْتُ نَصْرًا والسِّماكَيْنِ أَيْهُما   عليَّ من الغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مواطِرُهْ)[1].

فإنها اسم يأتي على أوجه، منها:

الاستفهام الحقيقي عن تمييز أحد الأمرين المتشاركين، وتكون ملازمةً للإضافة، كقوله ﷻ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وهي في هذا الوجه لا يعمل فيها إلا ما بعدها؛ لأنَّ لها صدر الكلام، كقوله ﷻ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فنصبها بـ: (ينقلبون) لا بالفعل المتقدِّم. قال ﷻ: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ [الكهف: ١٢].

ولا تقع قبلها في هذا الوجه من الأفعال إلا أفعال الشكِّ واليقين، نحو: (علمت) و(ظننت)..، وهي معربة أيضًا..[2].

والحاصل أنَّ (أي) الاستفهاميَّة معربة دائمًا رفعًا ونصبًا وجرًّا...

فالرَّفع نحو قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الأنعام: ١٩].

والنَّصب نحو قوله ﷻ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ .

---

(١) والبيت للفرزدق في (ديوانه) (١/ ٢٨١)، وهو من (الطَّويل)، وانظر: أيضًا: شرح شواهد المغني (١/ ٢٣٦)، والجنى الدَّاني (ص: ٢٣٤)، شرح البغدادي (٢/ ١٤٦)، المحتسب (١/ ٤١)، (١/ ١٠٨)، (٢/ ١٥٠-١٥٢)، شواهد الكشاف (ص: ٩٠)، و(نصر) هو نصر بن سيار، و(السماكان) نجمان مشهوران، وهما: الأعزل والرَّامح. وانظر أيضًا: الدُّر المصون (٥/ ٣٣٩-٣٤٠)، الكشاف (٣/ ١٧٤)، المحرَّر الوجيز (١/ ٥١٩).

(٢) انظر ذلك مفصَّلا في (مصابيح المعاني) (ص: ١٣٣-١٣٤).

والجرُّ نحو قوله ﷻ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [عبس: ١٨]. ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٨].

وتأتي (أي) ويراد بها (الاستفهام التَّوبيخي). قال صاحب (مصابيح المعاني)[١]: «ولم أر أحدًا ذكره، ولكنَّه ظاهر كقول الله ﷻ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥]، وإن سمِّي هذا المعنى بالاستبعاد كان حسنًا..»[٢].

١٠ - (كم):

(كم) اسم استفهام مبني على السُّكون[٣]، يفيد العدد.

وذلك نحو: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ [البقرة:٢٥٩].

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف:١٩].

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المؤمنون:١١٢].

---

(١) هو الإمام محمَّد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب، أبو عبد الله، الشَّهير بابن نور الدِّين، ويعرف بالموزعي.. مفسِّر، عالم بالأصول توفي [نحو٨٢٠ هـ]. انظر: الأعلام (٦/ ٢٨٧).

(٢) مصابيح المعاني (ص:١٣٥).

(٣) انظر: الجنى الدَّاني (ص:٢٦١).

فرع في بيان الاستفهام المثبت والاستفهام المنفي

أوَّلاً: أجوبة الاستفهام المثبت:

أ. إذا كان الاستفهام يطلب به معرفة مضمون الجملة؛ لأنَّ السَّائل يجهله، سواء أكان الاستفهام بـ: (هل)، كقوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية: ١]، أم كان الاستفهام بـ: (الهمزة). نحو قوله ﷻ: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [يس: ٢٣]، فالجواب حينئذٍ: (نعم) في الإثبات، و(لا) في النَّفي. فيقال على سبيل المثال: (نعم أتاني حديث الغاشية)، و(نعم اتخذ من دونه آلهة).

أو يقال في حالة النَّفي: (لم يأتني حديث الغاشية)، أو (لم أتخذ من دونه آلهة).

ب. أمَّا إذا كان الاستفهام يطلب به التَّعيين، فلا يحتاج الجواب إلى استخدام حروف الإجابة، وإنما يكون الجواب بتعيين أحد الشَّيئين اللَّذين يسأل عنهما السَّائل، أو بتعيين الأمر المستفسر عنه، نحو: أتفضل التَّخصصَ في التَّفسير أم الحديث؟

وتكون الإجابة بتعيين أحد الشَّيئين المذكورين في السُّؤال.

وأمَّا تعيين الشَّيء المستفسر عنه فمثاله من القرآن قوله الله ﷻ: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [آل عمران: ٣٧].

ثانيا: أجوبة الاستفهام المنفي:

الاستفهام المنفيُّ هو الاستفهام المثبت ذاته، ولكن يأتي بعد أداة الاستفهام حرف نفي، أو ما يدلُّ على النَّفي -وقد سبق بيان لك-.

والجواب حينئذ يكون (بلى) في الإثبات، و(نعم) منفيَّة في النَّفي. نحو قوله ﷻ:

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ونحو الآيات التالية:

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٣٠].

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [غافر: ٥٠].

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأحقاف: ٣٤].

﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الحديد: ١٤].

﴿... أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الملك: ٨-٩].

ومثال النَّفي: ألم تتأخر اليوم عن الحضور؟ الجواب: نعم لم أتأخر.

ولم أجد له مثالًا في القرآن الكريم.

- **خاتمة في إجمال النَّتائج**

وممَّا سبق يتبيَّن مدى أهميَّة الاستفهام، وموقعه من موضوعات البحث، وبيان فائدته، ووظيفته. وبيان الموضوعات ذات الصِّلة. وبيان أنَّ أكثر استفهامات القرآن الكريم إنَّما هي استفهام إنكار معناه: (الذَّم والنَّهي) إن كان إنكارًا شرعيًّا، أو معناه: (النَّفي والسَّلب) إن كان إنكار وجود ووقوع..

ويستفاد من استفهام الإنكار: **(إبطال مدَّعى الخصم بإثبات كذبه)**، أو **(إظهار الخصم بمظهر المعاند الَّذي لا يخضعُ للدَّليل)**..

ومن استفهام التَّقرير: **(حمل المخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرَّ عنده، وذلك من خلال مقدِّمات واضحة لا يمكن للمخاطَب أن يرفضها)**..وقد سبق بيان ذلك مفصَّلا.

كما أنَّ ألفاظ الاستفهام قد تخرج عن معناها الأصليِّ فيستفهم بها عن الشَّيء مع العلم به؛ لأغراضٍ أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته، وقد أتيتُ على بيان تنوُّع هذه الأغراض، كذلك أتيتُ على تنوُّع الاستفهام من خلال اختلاف أدواته، وما لكلِّ أداة من الخصائص، وذلك كلُّه من خلال نصوص القرآن الكريم..إلى غير ذلك من الموضوعات ذات الصِّلة.

❊ ❊ ❊

المطلب الخامس
السؤال في القرآن الكريم من حيث عموم معناه

أ. تعريف السؤال:

السُؤْلُ ما يسأله الإنسان وقرئ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه:٣٦] بالهمز وبغيره[(١)]. وسَأَلَهُ الشيء وسأله عن الشيء سُؤَالًا ومَسْأَلَةً. وقوله ﷻ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾، [المعارج:١]، أي: عن عذاب واقع. قال الأخفش: يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان، وقد تخفف همزته، فيقال: سأل يسأل، والأمر منه: سل، ومن الأول: اسأل. ورجل سُؤَلَةٌ: كثير السُؤَال، وتَسَاءَلُوا: سأل بعضهم بعضًا[(٢)].

والسّؤال: استدعاء معرفة أَو ما يؤدّى إِلى المعرفة، واستدعاءُ مال، أَو ما يؤدّى إِلى المال. فاستدعاءُ المعرفة جوابُه باللسان، واليدُ خليفة له بالكتابة، أَو الإِشارة. واستدعاءُ المال جوابه باليد، واللسانُ خليفة

---

(١) ﴿سُؤْلَكَ﴾ «بالواو: أبو عمرو غير شجاع ويزيد والأعشى والأصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف. الآخرون بالهمزة». تفسير النيسابوري (٤/ ٥١٤). وانظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (٣٨٣). قال الإمام النسفي (٣/ ٥٤): «أعطيت مسئولك، فالسؤال الطلبة، فعل بمعنى مفعول، كخبر بمعنى مخبور. ﴿سولك﴾ بلا همز أبو عمرو».

(٢) تنظر مادة: (سأل) في (مختار الصحاح) (ص:٣٢٦)، وينظر ذلك مفصلاً في (الصحاح)، للجوهري (٥/ ١٧٢٣)، ولسان العرب (١١/ ٣١٨)، مقاييس اللغة (٣/ ١٢٤).

لها إِمّا بوعد، أَو بَرَدٍّ. تقول: سأَلته عن الشيء سؤالًا ومسأَلة. وقال الأَخفش: يقال: خرجنا نسأَل عن فلان وبفلان[(١)].

وقد تخفَّف همزته فيقال: سال يَسال. وقرأَ أَبو جعفر: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج:١] بتخفيف الهمزة.

قال الشاعر:

(ومُـرْهَـقٍ سـالَ إمْـتـاعًـا بـأُصْـدَتِـهِ لم يَسْتَعِنْ وحَوامي الموتِ تَغْشاهُ)[(٢)].

والأَمر منه[(٣)]: سَلْ، ومن الأَوّل[(٤)]: اسْأَل.

وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥]، يقال: إِنّه خوطب به ليلة أُسري به، فجُمع بينه وبين الأَنبياءِ -صولات الله عليهم- فأَمَّهم، وصلَّى بهم، فقيل له: فسَلْهُمْ. وقيل: معناه: سل أُمَم مَنْ أَرسلنا، فيكون السّؤال ههنا على جهة التقرير. وقيل: الخطاب للنبيِّ ﷺ والمراد به الأُمَة، أَي: وسلوا، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق:١].

---

(١) انظر: تنظر مادة: (سأل) في (مختار الصحاح) (ص:٣٢٦)، الصحاح، للجوهري (٥/١٧٢٣)، ولسان العرب (١١/٣١٨). تفسير القرطبي (١٨/٢٧٩-٢٨٠)، التحرير والتنوير (٢٩/١٥٥)، مجمع البحرين، للعالم المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي (٢/٤٤٩).

(٢) الشاهد في (الصحاح)، مادة: (سأل) (٥/١٧٢٣)، واللسان (١١/٣١٨). تاج العروس، مادة: (أصد) (٧/٣٨٨)، (وصد) (٩/٣٠٢)، ومادة: (سأل)..وانظر: المصادر السابقة .

(٣) يعني: مِن سَالَ -بالتخفيف- .

(٤) يعني: من سَأَلَ -بالهمز- .

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن:٣٩]، أَي: لا يسأَل سؤال استعلام، لكن سؤال تقرير وإِيجاب للحجّة عليهم. وقوله تعالى: ﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ [الفرقان:١٢٦] هو قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ [غافر:٨]، وقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ [المعارج: ١]، أَي: دعا داعٍ، يعني قولَ نَضْر بن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية [الأنفال:٣٢][1]. والباءُ في (بعَذَاب) بمعنى: عن، أَي: عن عذاب.

و(رجل سُؤَلة) -مثال تُؤدَة-: كثير السّؤال. و(أَسأَلته سؤْلته ومسأَلته): أَي: قضيت حاجته. و(تساءَلوا)، أَي: سأَل بعضهم بعضًا. وقرأَ الكوفيون: ﴿تَسَآءَلُونَ﴾ [النساء:١] بالتخفيف، والباقون بالتَّشديد أَي: تتساءَلون[2]، أَي: الَّذي تطلبون به حقوقكم، وهو

(١) قال البيضاوي في (تفسيره) (٣/ ١٠٤): «هو قول النضر بن الحارث، وإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم؛ فإنه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه الصلاة والسلام. وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم؛ إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين، ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصًا في باب البيان». وانظر: البحر المديد (٣/ ٢٤)، بحر العلوم (٢/ ١٨-١٩)، وانظر: تفسير مقاتل (٢/ ١٥)، أضواء البيان (٣/ ٥٥)، (٧/ ١٦٢)، (٨/ ٢٦٥)، المنار (٩/ ٥٤٥).

(٢) قرأ ابن كثير، و نافع، وابن عامر، والبرجمي، عن أبي بكر، عن عاصم. واليزيدي، وشجاع، والجعفي، وعبد الوارث. عن أبي عمرو: ﴿تَسَّآءَلُونَ﴾ بالتشديد. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وكثير من أصحاب أبي عمرو عنه بالتخفيف. قال الزجاج: الأصل: =

كقولك: (نَشَدتك بالله)، أَي: سأَلتك بالله. فإِن قلت: كيف يصحّ أَن يقال: السّؤال استدعاء المعرفة، ومعلوم أَنَّ الله تعالى يَسأَل عبادهُ؟ قيل: إِنَّ ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيتهم، لا لتعريف الله تعالى؛ فإِنَّهُ علَّام الغيوب، فليس يخرج من كونه سؤال المعرفة، والسؤال للمعرفة قد يكون تارة للاستعلام، وتارة للتبكيت، وتارة لتعريف المسؤول وتنبيهه، لا ليخبِر ويُعلم، وهذا ظاهر. وعلى التبكيت قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ [التكوير:٨].

والسّؤال إِذا كان للتعريف تعدّى إِلى المفعول الثَّاني تارة بنفسه، وتارة بالجارّ، نحو: سأَلته كذا، وسأَلته عن كذا، وبكذا، وبعن أَكثر نحو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأَمَّا إِذا كان السّؤال لاستدعاءِ مالٍ فَإِنَّهُ يتعدَّى بنفسه، وبمن؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقوله: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢]. ويعبّر عن الفقير إِذا كان مستدعِيًا لشيءٍ بالسّائل، نحو قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى:١٠][1].

= تتساءلون، فمن قرأ بالتشديد. أدغم التاء في السين؛ لقرب مكان هذه من هذه، ومن قرأ بالتخفيف، حذف التاء الثانية؛ لاجتماع التاءين». زاد المسير (٣/ ٣٥)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٦). قال في (النشر) (٢/ ٢٤٧): «﴿تَسَآءَلُونَ﴾ فقرأ الكُوفيُّون بتخفيف السِّين، وقرأ الباقون بتشديدها».

(١) بصائر ذوي التمييز، بصيرة في السؤال (٣/ ٧٥-٧٨)

ب. أهمية السؤال وبيان حكمه وأنواعه في القرآن الكريم:

إن (مبحث السؤال في القرآن) حقيقٌ بأن يفرد بالتأليف والبحث؛ لتنوعه؛ ولما فيه من الخصائص والمميزات.

وحيث إن الإنسان مدنيٌّ بالطبع فهو بحاجة إلى التواصل مع الآخرين من أبناء جنسه، وله سبل منها: السؤال، وهو من أهم وسائل التواصل، فهو وسيلة تخاطب وحوار وتفاهم وتبادل للأفكار والمصالح.

ولا يقتصر في السؤال والمحاورة على أبناء الجنس فحسب، بل هناك أسئلة أخرى مع غير أبناء الجنس، كسؤال الملكين في القبر، وسؤال المحاسبة يوم القيامة..إلخ.

والقرآن الكريم يعلمنا: أدب السؤال، والصيغة الصحيحة له، وأنها تختلف باختلاف المخاطَبين، وكيف ينبغي أن يكون توجيه السؤال؟ وقد بينت طرفًا من ذلك في (الدعاء).

والنظر في السؤال أمرٌ، والجواب عنه أمرٌ آخر.

والجواب عن السؤال في القرآن الكريم منهج عظيم ودقيق يُعنى بمصلحة المخاطَب -بفتح الطاء المهملة-، وهو حقيق كذلك بالبحث.

كذلك فإن فائدة توجيه السؤال والجواب عنه تعمُّ المخاطَبين.

وينظر فيه إلى السبب، والمنهج، والموضوع، والهدف، والقيمة المعرفية، والحوار في إحقاق الحق، وإبطال الباطل والمعتقدات الفاسدة، ونحو ذلك، وأثره في تطوير وسائل المعرفة.

وكذلك ينظر إلى تنوع أساليب السؤال وجوابه، كأن يكون تشريعيًا أو كونيًا أو طبيعيًا أو تاريخيًا. . .الخ.

وكذلك ينظر إلى مدى التوافق التام مع حال المخاطَبين، كما في السؤال المكي، والسؤال المدني، حيث يفترقان من حيث الخصائص والمميزات كما بينت ذلك في (الخطاب المكي والخطاب المدني).

قال ابن الأثير: «(سأل) فيه (للسَّائل حقٌّ وإنْ جاءَ على فَرَس). السائِلُ: الطَّالبُ. مَعناه: الأمرُ بحُسن الظَّن بالسَّائل إذا تعرَّض لك، وأن لا تَجْبَهَه بالتَّكذيب والرَّدِّ مع إمْكانِ الصِّدْق، أي: لا تُخَيّب السَّائِل، وإن رابك منْظَرُه وجَاء رَاكبًا على فَرَس فإنَّه قد يكونُ له فرسٌ ووراءهُ عائلةٌ أو دين يجوزُ معه أخذ الصَّدَقة، أو يكون من الغُزَاة، أو من الغَارِمين وله في الصَّدقة سَهْم.

وفيه: «**أعظَمُ المسلمين في المسلمين جُرْمًا من سأَلَ عن أمر لم يحرَّم فحرِّم على النَّاس من أجْل مَسْألته**»[(١)].

ثم بين رحمه الله (**حكم السؤال**) فقال:

السؤالُ في كتاب اللّه والحديث نوعَانِ:

أحدُهُما: ما كان على وجْهِ التَّبيِين والتَّعلُّم ممَّا تَمَسُّ الحاجةُ إليه فهو مُبَاَحٌ، أو منْدُوبٌ، أو مأمورٌ به.

والآخر: ما كانَ على طَريق التَّكلُّف والتعنُّت، فهو مكرُوه ومَنْهيٌّ عنه. فكُلّ ما كان من هذا الوَجْه ووقع السكوتُ عن جَوَابه فإنما هُو

(١) صحيح البخاري [٦٨٥٩]، ومسلم [٢٣٥٨].

رَدْع وزَجْر للسَّائل، وإن وقَعَ الجَوابُ عنه فهو عُقُوبَةٌ وتغليظٌ، ومنه الحديث: أنه نهى عن كَثْرة السُّؤَال[(١)]. قيل: هو من هذا. وقيل: هو سُؤَالُ الناس أمْوالَهُم من غير حاجَة.

ومنه الحديث الآخر: أنه كَرِه المَسائل وعابَها[(٢)] أرادَ المسائل الدَّقِيقة التي لا يُحْتاج إليها»[(٣)].

وجاء النهي عن سؤال من أجل السؤال من غير فائدة تترتب عليه، فقال ﷻ:

﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة:١٠١].

وقد أكثر بنو إسرائيل سؤال موسى عليه السلام من غير فائدة، وكان ذلك من أسباب ضلالهم وكفرهم، قال الله ﷻ:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨﴾ [البقرة:١٠٨][(٤)].

---

(١) والنهي عن كثرة السؤال ورد في روايات منها ما أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (١/ ٢٠) بإسناد صحيح، قال: «حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن وراد كاتب المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إليَّ بما سمعت من رسول الله ﷺ، قال وراد: فأملى عليَّ وكتبت بيدي: إني سمعته ينهى عن كثرة السؤال وإضاعة المال وعن قيل وقال. وأخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) [٤٩٨١]، وفي (مسند الإمام أحمد) [١٨٢٥٨]. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح .

(٢) والحديث له أطراف كثيرة، انظر: صحيح البخاري [٤٤٦٨]، [٦٨٧٤]، ومسلم [٣٨١٦].

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (سأل) (٢/ ٨٢٦).

(٤) انظر الآيات من [سورة البقرة:٦٧ - ٧١].

كما أن كلَّ رسول كان يخاطِب قومه ويبلِّغهم ما يحتاجونه، فينبغي أن يحرص قومه على الاستفادة، دون هدرٍ منهم لوقته في القيل والقال، وكثرة السؤال. قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ واخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»(١).

ويأتي السؤال بمعنى التعنت والاستكبار كما في قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

وليس في الكتاب والسنَّة تنفير من السؤال النَّافع، بل حثٌّ عليه كما جاء الآيات كما في قوله ﷻ: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١] ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ﴾ [يونس: ٩٤]، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وكما في قوله ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**»(٢)، «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟**»(٣).

وقوله ﷺ: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء**

---

(١) صحيح البخاري [٦٨٥٨]، ومسلم [١٣٣٧].

(٢) صحيح مسلم [٦٧٤٤].

(٣) صحيح البخاري [٣٧٧١].

العي: السؤال»[١].

ولذلك جاء المنهج القرآني معلِّمًا للمخاطَبين أن يسألوا سؤالًا نافعًا فنهى عن سؤال لا نفع فيه، وكان التوجيه كذلك من خلال الجواب على طريقة: (أسلوب الحكيم)، كما في قوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وهو تَلَقِّي الْمُخَاطَبِ بغير ما يَتَرَقَّبُهُ، إِمَّا بتَرْكِ سؤالِهِ والإجابةِ عن سؤالٍ لم يَسْأَلْهُ، وإِمَّا بحَمْلِ كلامِهِ عَلَى غير ما كانَ يَقْصِدُ، إشارَةً إلى أَنَّهُ كان يَنْبَغي له أَن يَسْأَلَ هذا السؤال أَوْ يَقْصِدَ هذا الْمَعْنَى.

فقد سأل أصحاب الرسول ﷺ عن الأَهلة، لِمَ تبْدو صغيرةً ثمْ تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا تُرى؟ وهذه مسألة من مسائل علم الفلك يُحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة، فَصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهلة وسائِل للتوْقيت في المعاملات والعبادات؛ إشارة منه إلى أن الأَولى بهم أن يسألوه عن هذا.

وللسؤال أهمية كبيرة في طلب العلم. قال ابن القيم رحمه الله: «ومفتاح العلم: حسن السؤال، وحسن الإصغاء»[٢]. وقال: «وللعلم ست مراتب، أولها: حسن السؤال، الثانية: حسن الانصات والاستماع، الثالثة: حسن الفهم، الرابعة: الحفظ، الخامسة: التعليم، السادسة: وهي ثمرته، وهي العمل به ومراعاة حدوده. فمن

---

(١) والحديث حسن أخرجه أبو داود [٣٣٦]، والدارقطني (١/ ١٨٩) عن جابر رضي الله عنه
(٢) حادي الأرواح (ص: ٤٨).

الناس من يحرم العلم؛ لعدم حسن سؤاله؛ إما لأنه لا يسأل بحال؛ أو يسأل عن شيء وغيره أهم إليه منه، كمن يسأل عن فضوله التي لا يضر جهله بها، ويدع ما لا غنى له عن معرفته، وهذه حال كثير من الجهال المتعلمين»(١).

وقد ذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب (الحياء في العلم) قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر. وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: نعم النساءُ نساء الأنصار لم يمنعهنَّ الحياء أن يتفقهن في الدين(٢).

وقد كان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- يحرصون على التعلم والسؤال حتى ممن هو دونهم، كما في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام.

وقد ذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (باب مَا ذُكِرَ في ذهاب موسى صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم في البحر إلى الْخَضِرِ)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ عن ابن عبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى هو والْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هو خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فقال: إنِّي تَمَارَيْتُ أنا وصاحبي هذا في صاحب مُوسَى الذي سأل مُوسَى السَّبِيلَ إلى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قال: نعم سمعتُ رسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ**

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٦٩).
(٢) صحيح البخاري [٥٠].

مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لا، فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى مُوسَى: بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً. وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾، ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾، **فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ»»**[(١)].

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): «هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم؛ لأن ما يغتبط به تحتمل المشقة فيه؛ ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البر والبحر لأجله»[(٢)].

وهذا ما كان عليه السَّلف الصالح فقد كانوا يحرصون على التعلم، ويحتملون المشاقَّ من أجل سؤال أهل العلم .

أما أنواعه فقد ورد السؤال في القرآن على عشرين وجهًا:

الأوّل: سؤال التعجّب: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [البقرة: ٨٢].

الثاني: سؤال الاسترشاد: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

الثَّالث: سؤال الاقتباس[(٣)]: ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾

---

(١) صحيح البخاري [١٦].

(٢) فتح الباري (١/١٦٨) .

(٣) أقول: بمعنى أنَّ النبي ﷺ سيقول لهم: ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ الذي جاء =

[الفرقان: ٧٧].

الرّابع: سؤال الانبساط: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧].

الخامس: سؤال العطاءِ والهِبَة: ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ [آل عمران: ٣٨].

السّادس: سؤال العَوْن والنُّصْرة: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

السابع: سؤال الاستغاثة: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

الثامن: سؤال الشفاءِ والنَّجاة: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

التَّاسع: سؤال الاستعانة: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩].

العاشر: سؤال القُرْبَة: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

الحادي عشر: سؤال العذاب والهلاك: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [نوح: ٢٦].

الثاني عشر: سؤال المغفرة: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى﴾ [إبراهيم: ٤١].

الثالث عشر: سؤال الاستماع للسائل والمحروم: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ١٠].

الرابع عشر: سؤال المعاودة والمراجعة لنوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦]، ولمحمّد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]، وللصّحابة: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

= مسبوقًا بـ: ﴿قُلِ﴾ مقتبسًا هذا من القرآن الكريم.

الخامس عشر: سؤال الطَّلب وعَرْض الحاجة: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النساء: ٣٢].

السادس عشر: سؤال المحاسبة والمناقشة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢﴾ [الحجر: ٩٢]، ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ٦].

السّابع عشر: سؤال المخاصمة: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١﴾ [النبأ: ١]، ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾ [الصافات: ٢٧]، أَي: يتخاصمون.

الثامن عشر: سؤال الإِجابة والاستجابة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [البقرة: ١٨٦].

التَّاسع عشر: سؤال التعنُّت: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ [الإسراء: ٨٥].

العشرون: سؤال الاستفتاءِ والمصلحة، وذلك على وجوه مختلفة: تارة من حَيْض العيال: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وتارةً من نفقة الأَموال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ [البقرة: ٢١٩]. وتارة عن حكم الهلال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ [البقرة: ١٨٩].. وتارة عن القيامة وما فيها من الأَهوال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وتارة عن حال الجبال: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥].

وتارة عن الحرب والقتال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وتارة عن الحرام والحلال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٤]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وتارة عن اليتيم وإِصلاح ما لَهُ من المال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وتارة عن الغنائم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

وتارة عن العذاب والنكال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ [المعارج: ١].

وتارة عن العاقبة والمآل: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

وتارة عن المبالغة في الجدال ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وتارة عن كرم ذي الجلال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].. قال الشاعر:

(إذا كنت فى بلد قاطنًا وللعلم مقتبسًا فسأَلِ)
(فإِن السّؤال شفاءُ العباد كما قيل فى الزَّمن الأوّل)[1].

ج. مادة سأل في القرآن الكريم:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: ١٠٨].

﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

---

(١) بصائر ذوي التمييز، بصيرة في السؤال (٣/ ٧٥-٧٨)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ﴾ [البقرة: ١٨٩، ٢١٧، ٢١٩] [الأعراف: ١٨٧]، [الأنفال: ١]، [النازعات: ٤٢] .

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١]

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ﴾ [البقرة: ٢١٥]، [المائدة: ٤].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ﴾ [البقرة: ٢٢٠، ٢٢٢]، [الإسراء: ٨٥]، [الكهف: ٨٣] [طه: ١٠٥].

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ [المائدة: ١٠١].

﴿أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٠]، [هود: ٢٩، ٥١]، [الفرقان: ٥٧]، [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠]، [ص: ٨٦]، [الشورى: ٢٣].

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦].

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، [النازعات: ٤٢].

﴿سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾ [التوبة: ٦٥].

﴿سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ [يونس: ٧٢]، [سبأ: ٤٧].

﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦].

﴿أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧].

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠].

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٠٤].

﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]، [الأنبياء: ٧].

﴿لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا﴾ [النحل: ٥٦].

﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا﴾ [النحل: ٩٣].

﴿مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤، ٣٦]، [الفرقان: ١٦]، [الأحزاب: ١٥].

﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ١٠١]

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن﴾ [الكهف: ٧٠].

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ﴾ [الكهف: ٧٦].

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦].

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٣].

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، [القصص: ٦٦]، [الصافات: ٢٧، ٥٠]، [الطور: ٢٥]، [المدثر: ٤٠]، [النبأ: ١].

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

﴿يُسْـَٔلُ عَن﴾ [القصص: ٧٨]، [الرحمن: ٣٩].

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [العنكبوت: ١٣].

﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ﴾ [العنكبوت: ٦١،٦٣]، [لقمان: ٢٥]، [الزمر: ٣٨]، [الزخرف: ٩، ٨٧].

﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ: ٢٥].

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ [يس: ٢١].

﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤].

﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ [الذاريات: ١٢]

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ١٩]، [المعارج: ٢٥].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور: ٤٠]، [القلم: ٤٦].

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٢٩].

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الممتحنة: ١٠].

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [القلم: ٤٠].

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ [المعارج: ١].

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦﴾ [القيامة: ٦].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ [التكوير: ٨].

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ١٠].

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

د. السؤال الاستفهامي:

السؤال الاستفهامي قد يكون باستخدام أداة من أدوات الاستفهام الآنفة الذكر، نحو قوله ﷻ على لسان الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠].

وكما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ﴾ [آل عمران:٤٠]، [مريم:٨]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧]، [مريم: ٢٠].

وقد ورد التساؤل بكلمة: (أَلَم) في سبعة وسبعين موضعًا، وبـ: (هل) في سبعة وستين موضعًا، وبكلمة (أَمَّن) في عشرة مواضع.

وقد يكون باستخدام مادة: (سأل) كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى﴾ [البقرة:١٨٦]، وكما في ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ [البقرة:١٨٩، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩]، [المائدة: ٤]، [الأعراف:١٨٧]، [الأنفال:١]، [النازعات:٤٢].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ [البقرة:٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢]، [الإسراء:٨٥]، [الكهف:٨٣]، [طه:١٠٥].

وكما في قوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ [التوبة:٦٥]،

[العنكبوت: ٦١، ٦٣]، [لقمان: ٢٥]، [الزمر: ٣٨]، [الزخرف: ٩، ٨٧].

وكما في قوله ﷻ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥].

وكما في قوله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلْ﴾ [يونس: ٩٤]، [الإسراء: ١٠١]، [المؤمنون: ١١٣]، [الفرقان: ٥٩].

وكما في قوله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]، [الأنبياء: ٧].

وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

وقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى﴾ [الكهف: ٧٠].

وقوله ﷻ: ﴿سَأَلْتُكَ﴾ [الكهف: ٧٦].

وقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١].

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [القصص: ٦٦].

وقوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، ٥٠]، [الطور: ٢٥].

﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، [فصلت: ١٠].

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ [الذاريات: ١٢].

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النبأ: ١].

هـ. السؤال الاستفهامي الإنكاري:

وقد سبق بيانه.

و. السؤال الاستفهامي التقريري:

وقد سبق بيانه.

ز. السؤال الاستفهامي التوبيخي:

فمن ذلك قوله عز وجل:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨].

ومن ذلك الآيات التالية:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة: ٧٥].

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ [النساء: ٢١].

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٣﴾ [المائدة: ٤٣]

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [يونس: ٣٥].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨].
﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف: ٧٢].
﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف: ٧٤].
﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف: ٧٥].
﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣].

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الصافات: ١٥٤]، [القلم: ٣٦].
﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل: ١٧].
﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨-٩] .
وقد تحقيق المعنى في الاستفهام الإنكاري، مع بيان ما فيه توبيخ.

ح. سؤال الحساب:

سؤال الإنسان على ما قدم من عمل أمر مقطوع به في القرآن والسنة، وأحوال الآخرة من الغيب لا تعرف إلا بخبر صادق من القرآن والسنة، واعتقاد هذه الأحوال يكون عن نص قطعي الثبوت والدلالة، وما وراء ذلك يدخل في دائرة الاجتهاد الذي لا يلزم اعتقاد نتيجته، ولا يكفر من لا يصدقه.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]. وهو سؤال عن التبليغ لا عن الأعمال التي يمارسها كل مؤمن ليجازى عليها، فذلك ما يطلق عليه اسم الحساب الذي يتصل به عرض الكتاب وقراءته: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ

ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]. غير أن هناك استثناءات من الحساب جاء بعضها في الحديث المتفق عليه أنَّ سبعين ألفًا من أمة النبي ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وعينهم بقوله ﷺ: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»(١).

ومن المعلوم أن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- قد عصمهم الله ﷻ من الذنوب وغفر لهم ما عسى أن يكون قد صدر عنهم في صورة ذنب وهو ليس بذنب، وما دام الله ﷻ قد غفر لهم فعلى أي شيء يحاسبهم حساب مناقشة؟ وإذا كان المذكورون من السبعين ألفًا لا يرقون إلى درجة الأنبياء والرسل قد أعفاهم الله من الحساب، فهل يكون للأنبياء والرسل حساب؟ نعم سيسألون عن تبليغ الرسالة كشهادة على أممهم، أما سؤال الحساب وما يترتب عليه من جزاء فلا.

وأعظم ما يسأل عنه العباد يوم القيامة هو كفرهم وشركهم، قال الله ﷻ: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء: ٩٢ - ٩٣].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢]. ويسأل العبد عن أعماله في الدنيا، قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ

(١) صحيح البخاري [٥٣٧٨]، [٥٤٢٠]، [٦١٠٧]، [٦١٧٥]، صحيح مسلم [٥٤٧]، [٥٤٩].

أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣].

ويسأل الله ﷻ عباده عن النَّعيم الذي أنعم به عليهم في الدنيا، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨]. والنَّعيم: شبع البطون، وبارد الماء، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النَّوم. قال سعيد بن جبير: حتى عن شربة عسل. وقال الحسن البصري: نعيم الغداء والعشاء، وقال أبو قِلابة: من النعيم: أكل العسل والسمن بالخبز النقي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار وغير ذلك من أصناف النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى(١). قال الله ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]. وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا. وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «**إنَّ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح لك جسمك وأروك من الماء البارد؟**»(٢).

فمن نعم الله ﷻ العظيمة: شربةُ الماء ولقمة الطعام وغير ذلك.

أما ترتيب آيات سؤال الحساب فهي على النحو التالي:

﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَـٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٧)، تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٢-٥٨٣)، الكشف والبيان (١٠/ ٢٨٢)، البغوي (٨/ ٥٢٠).

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرك) [٧٢٠٣]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والحديث أخرجه كذلك الترمذي [٣٣٥٨] وقال: غريب، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٤٦٠٧]، والديلمي [١٩].

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤]، [١٤١].

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢].

﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣].

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿لَا تَرْكُضُوا وَٱرْجِعُوٓا إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٣].

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [القصص: ٦٥-٦٦].

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣]

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨].

﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب: ١٥].

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ: ٢٥].

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤].

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩]

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤].

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩].

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨].

ط. السؤال الطلبي:

﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: ٦١].

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٨].

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ [النساء: ١].

﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ﴾ [النساء: ٣٢].

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾ [الأنعام: ٩٠]، [هود: ٥١]،

[الكهف: ٧٧]، [الشورى: ٢٣].

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ [يونس: ٧٢].

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود: ٢٩].

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦].

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [يوسف: ١٠٤].

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦].

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ [طه: ١٣٢].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧]، [ص: ٨٦].

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠].

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا﴾ [الأحزاب: ١٤].

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ [سبأ: ٤٧].

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ [يس: ٢١].

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤].

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [محمد: ٣٦-٣٧].

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ١٩]، [المعارج: ٢٥].
﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور: ٤٠]، [القلم: ٤٦].
﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٢٩].
﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الممتحنة: ١٠]
﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج: ١٠].
﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ١٠].

● **خلاصة إجمالية:**

والحاصل أن السؤال المحمود وسيلة تَخَاطُب تدفع إلى الحوار وإعمال العقل، ويصل السائل من خلالها إلى الحقائق.

كما أن السؤال من وسائل التواصل والمشاركة والارتقاء، يثير الأفكار العقلية، ويحفِّز على سبر أعماق المسائل، والإحاطة بجوانب الموضوع، فإن الأسئلة مفاتيح العلوم -كما سبق-، وذلك مما يعزز الثقة بالنفس، ويزيد التقدم والنمو.

وللسؤال آداب، وهو يتنوع باختلاف المخاطَبين، فينبغي التلطُّف فيه، وأن يكون السائلُ حكيمًا ليِّنًا متواضعًا، بعيدًا عن الزهو والمراء والمجادلة بالباطل، قال الله ﷻ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وأن يكون المجيب حكيمًا على دراية بالجواب يملك الحجة والبرهان .

والسؤال المذموم تعنت وتخلف واستكبار وأنفة عن قبول الحق. ولا ينبغي أن يكون السؤال فيما لا نفع فيه، وأن لا يكون كذلك على

سبيل الاستهزاء والعناد، كما أن السؤال في الحوار والمناظرة نافع في استدراج الخصم، وإلزامه بالحجة إذا كان منضبطًا بآداب وشروط البحث والمناظرة..إلى غير ذلك.

❁ ❁ ❁

المطــــلب السادس
الـــدُّعــــاء في القرآن الكريم

- **التَّعريف مع بيان الصِّلة بموضوعات البحث**

الـدُّعاء: الرَّغبة إلى الله ﷻ[(١)]. وقد دعا يدعو دُعاءً ودَعْوَى، والـدُّعاءُ كالنِّـداءِ[(٢)] لكن النِّداءُ قد يقال إذا قيل: (يَا) و(أَيَا) ونحو ذلك من غير أَن يُضمَّ إليه الاسم، والدُّعاءُ لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يستعمل كلٌّ واحد منهما موضع الآخر[(٣)].

قال ﷻ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١]، وهو من الإنشاء الطَّلبيِّ. قال صاحب (الكليَّات): «والطَّلب إن كان بطريق العلو سواء كان عاليًا حقيقة أو لا فهو أمر[(٤)]، وإن كان

---

(١) انظر: الكليَّات (ص: ٤٤٧)، بصائر ذوي التَّمييز (٢/ ٣٨٨)، لسان العرب، مادَّة: (دعا) (١٤/ ٢٥٧)، المحكم والمحيط الأعظم، مادَّة: (دعو) (٢/ ٣٢٥)، وكذلك في (تاج العروس) (٣٨/ ٤٦)، القاموس المحيط (ص: ١٦٥٥).

(٢) سيأتي بيان ذلك في تعريف النِّداء في (الفصل الثَّالث).

(٣) بصائر ذوي التَّمييز (٢/ ٣٨٨)، المفردات، للرَّاغب (١/ ٣٤٧).

(٤) (ما كان عاليًا حقيقة) كقول السَّيد لعبده: افعل كذا. (أو لا) كقول العبد لسيِّده: افعل كذا -حال كونه طالبًا للعلو- فخرج الدُّعاء والالتماس؛ لأنَّ الأوَّل من الأدنى، والثَّاني من المساوي، بخلاف الأمر؛ فإنَّه يشترط فيه طلب الآمر العلوَّ. والمراد بطلبه العلوَّ أن يعدَّ نفسه عاليًا بإظهار حاله العالي، وذلك بأن يكون كلامه على جهة الغلظة والقوَّة لا على جهة التَّواضع والانخفاض، فسمِّي ميله في كلامه إلى العلوِّ طلبًا له سواء كان عاليًا في نفسه أو =

على طريق السُّفل سواء كان سافلًا في الواقعِ أم لا فدعاء»[١]. وقيل: من الأعلى أمرٌ، ومن الأدنى دعاءٌ[٢]. قال ابنُ عرفة في تفسير قوله ﷻ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦]: «الطَّلب من

= لا. انظر: شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٣٠٩-٣١٠). وفي (الكتاب): «إنَّ أصل الدُّعاء أن يكون على لفظ (الأمر)، وإنما استعظم أن يقال: أمرٌ، والأمر لمن دونَك، والدُّعاء لمن فوقك، وإذا قلت: (اللهمَّ اغفر لي) فهو كلفظك إذا أمرت فقلت: (يا زيدُ أكرم عمرًا)، وكذلك إذا عرضت فقلت: (انزل) فهو على لفظ: (اضربْ). وقد يجيء الأمر والنَّهي والدُّعاء على لفظ الخبر إذا لم يلبس، تقول: (أطالَ الله بقاءهُ) فاللَّفظُ لفظ الخبر، والمعنى دعاءٌ، ولم يلبسْ؛ لأنَّك لا تعلم أنَّ الله ﷻ قد أطالَ بقاءهُ لا محالة، فمتى أُلبسَ شيءٌ مِنْ ذَا بالخبر لم يجز حتَّى يبينَ، فتقول على ذا: (لا يغفر الله لَهُ ولا يرحمهُ)، فإن قلتَ: (لا يغفرُ الله لَهُ ويقطعُ يدهُ) لم يجز أن تجزم (يقطعُ)؛ لأنَّهُ لا يشاكل الأوَّل؛ لأنَّ الأوَّل دعاءٌ عليه. وإذا جزمتَ (يقطعُ) فقد أردت: (ولا يقطعُ) الله ﷻ، فهذا دعاء له فلا يتَّفق المعنى، وإذا لم يتَّفق لم يجز النَّسق. واعلم أنَّ الدُّعاء بمنـزلة الأمر والنَّهي، وإنما قيل: (دعاء)؛ لأنَّه استعظم أن يقال: أمر أو نهي. وذلك قولك: اللهمَّ زيدًا فاغفر ذنبه، وزيدًا فأصلح شأنه، وعمرًا ليجزه الله خيرًا. وتقول: زيدا قطع الله يده، وزيدًا أمر الله عليه العيش؛ لأنَّ معناه معنى: (زيدًا ليقطع الله يده)». الكتاب، لسيبويه (٢/ ١٣٠)، وانظر: الأصول في النَّحو، لابن السَّراج، فصل من مسائل الدُّعاء والأمر والنَّهي (٢/ ١٧٠-١٧١).

(١) الكليَّات (ص:٥٨٢).

(٢) انظر: حاشية الجرجانيِّ على الكشاف (١/ ٦٧)، ابن عادل (١/ ٢٠٣)، البهجة في شرح التُّحفة (١/ ٢٦)، الجنى الدَّاني (ص:١١٠)، والتَّصريح (٢/ ٢٤٦). قال الأخضريُّ:

(أَمْرٌ مَعَ اسْتِعْلا وَعَكْسُهُ دُعا وَفي التَّساوِي فَالْتِماسٌ وَقَعا)

فالأمرُ ما دلَّ على الفعل بذاته كاضرب، وقوله: (مَعَ اسْتِعْلا)، أي: مع إظهار الطَّالب العلوَّ على المطلوب منه. (وَعَكْسُهُ)، أي: طلبُ الفعلِ لا مع استعلاء، بل مع خضوع وإظهار الطَّالب الانخفاض عن المطلوب منه دعاء، وفي التَّساوي: التماس، كقول بعض الخدمة لبعض: أعطني عمامتي. السلَّم بشرح الشَّيخ درويش القويسني (ص:١٧).

الأدنى للأعلى سؤال عند المنطقيين ودعاء عند النَّحويين. ومنهم من قال: إن كان لله ﷻ فهو دعاء، وإن كان لغيره فهو أمر»[١].

وقد حقَّق صاحبُ (الكليَّات) أنَّ الطَّلب مع الخضوع مطلقًا ليس بدعاء، بل الدُّعاء مخصوصٌ بالطَّلب من الله ﷻ في العرف وفي جميع الاصطلاحات[٢]، كما حقَّق أنَّ الالتماس لا يستعمل إلا في مقام التَّواضع[٣]، وأمَّا السُّؤال فهو أعمُّ منه..والمطلوب به إن كان ممَّا

---

(١) تفسير ابن عرفة (١/ ١٠٢) .

(٢) يعنى أنَّ الدُّعاء مخصوصٌ بالطَّلب من الله ﷻ في (الاصطلاح الشَّرعي)، وكذلك في (الاصطلاح العرفيِّ)، وكذلك في (الاصطلاح اللُّغوي). وقد نبَّه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (مجموع الفتاوى): أنَّ «استعمال الدُّعاء في العبادة والمسألة من استعمال اللَّفظ في حقيقته الواحدة، ليس من المشترك، ولا المتواطئ، ولا المجاز». مجموع الفتاوى (١٥/ ١١). وسيأتي بيانُ قول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. والدُّعاء لَوْنٌ من الطَّلب، إلا أنَّ الطَّلب يختلف باختلاف الطَّالب والمطلوب منه، فإنْ كان الطالبُ أدنى من المطلوب منه لا يُقال له فعل أمر. بل يقال له: دعاء. وينبغي أن نلحظ ذلك أثناءَ الإعراب فإنْ كان المطلوب هو من الأدْنى إلى الأعلى فلا يقال: فِعْل أمر، بل فعلُ دعاء.

(٣) (الالتماس): الطَّلب مع التَّساوي بين الآمر والمأمور في الرُّتبة. وقال العلاَّمة التَّفتازانيُّ: في العرف إنما يطلق على ما يكون مع تواضع ما لا مع التَّساوي. وقيل: الالتماس هو اللَّفظُ الدَّالُّ على طلب الشَّيء دلالة وضعيَّة مع التَّساوي. دستور العلماء (١/ ١١٢)، انظر: مختصر العلاَّمة سعد الدِّين التَّفتازاني على تلخيص المفتاح (٢/ ٣٠٩)، شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٣٠٩-٣١٠)، التَّعريفات (ص: ٥١)، التَّوقيف على مهمات التَّعاريف (ص: ٨٧). والفرق بين الالتماس والطَّلب أنَّ الالتماس طلبٌ باللَّمس، ثمَّ سُمِّي كلُّ طلبٍ: التماسًا مجازًا. الفروق اللُّغويَّة (ص: ٦٥). أقول: ومع التَّساوي في الرُّتبة فقد نبَّه العلاَّمة السَّعد وكذلك صاحب (الكليَّات) إلى أنَّ ثمَّة فرقًا بين الالتماس والسُّؤال، فالالتماسُ يستعملُ في مقام التَّواضع، والسُّؤال أعمُّ. أقول: وعلى ذلك فكلُّ التماس سؤال، وليس كلُّ سؤال التماسًا فبينهما عموم وخصوص مطلق.

لا يمكن فهو التَّمني، وإن كان ممكنًا، فإن كان حصول أمر في ذهن الطَّالب فهو الاستفهام، وإن كان حصول أمرٍ في الخارج، فإن كان ذلك الأمرُ انتفاء فعل فهو النَّهي، وإن كان ثبوته فإن كان بأحد حروف النِّداء فهو النِّداء، وإلا فهو الأمر. والطَّلبُ فعلٌ اختياريٌّ لا يتأتَّى إلا بإرادةٍ متعلِّقةٍ بخصوصيَّة المطلوب موقوفة على امتيازه عمَّا عداه.

والطَّلب من الله ﷻ يجوزُ بلفظ الماضي والمضارع، وبصيغة الأمر على اصطلاح الأدباء، وكذا الثَّناء مثل: (صلى الله عليه وسلم) و(حمدت الله)، و(أحمده)، بخلاف: (أضرب)، و(أبيع)، والفرق إمكان الوعد فيه، وعدم إمكان الوعد في الثَّناء على الله ﷻ والطَّلب منه إلا إذا قام دليل مثل: سأستغفر الله ﷻ، فإنَّ حرف التَّنفيس دليل الوعد»[١].

والحاصل أنَّهم فرَّقوا بين (الأمر) و(الدُّعاء) و(الالتماس) في الصِّيغة الواحدة، وذلك بالنَّظر إلى المخاطِب -بكسر الطاء المهملة- والمخاطَب -بفتح الطاء المهملة-.

ولكن ينبغي أن نلحظ أنَّ الطَّلب من غير الله ﷻ وإن كان معه خضوعٌ وانكسارٌ وذلٌّ فليس بدعاءٍ، وإنَّما هو سؤالٌ والتماسٌ ورجاءٌ -كما تقرَّر-.

وما سبق يصدق أيضًا على (لا النَّاهية). فما كان الأعلى إلى الأدنى يسمَّى: نهيًا، وبالعكس يسمَّى: دعاءً، ومن المساوي يسمَّى: التماسًا،

---

(١) الكليَّات (ص: ٥٨٢).

وذلك مع ملاحظة الاعتبارات السَّابقة.

فقوله ﷻ مثلًا على لسان لقمان عليه السلام:

﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان:١٣] نهيٌ حقيقيٌّ.

وقوله ﷻ على لسان المخاطَبين:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦] ليس نهيا حقيقيّا، وإنَّما هو دعاءٌ.

أمَّا (الالتماسُ) فكقولكَ لصاحبكَ أو زميلكَ أو أخيكَ أو مَن يساويكَ في الرُّتبة: (لا تقلقْ يا أخي فالامتحانُ سهلٌ)، أو ما إلى ذلك من الأفعال الَّتي تتحدَّث بها مع ندِّك؛ فإنَّها حينئذٍ تسمَّى التماسًا.

ولكن يجري ذلك الخلاف الَّذي لوَّحتُ إليه غير مرَّة من حيثُ كونُ الالتماس يستعملُ في مقام التَّواضع، فلا يقال عن المثال الآنف الذِّكر: إنَّه التماس.

وينبغي أن نميِّز بين الدُّعاء في اصطلاحه الشَّرعي، وبين الاصطلاح اللُّغوي، يقال: «دعا المؤمن ربَّه ﷻ، إذا ناداه وطلبَ منه تحقيقَ نفعٍ أو دفع ضرٍّ من أمور الدُّنيا، أو أمور الآخرة. ودعا الوثنيُّ معْبُوده، إذا ناداه، وطلب أمرًا من أمور الدُّنيا. واشتهر الدُّعاء بأحد معانيه اللُّغويَّة، وهو المعنى الدِّيني له، مع توسُّع شملَ كلَّ ذكرٍ لله ﷻ، وثناءٍ عليه بصفاته وأسمائه الحسنى؛ لأنَّ ذِكْرَ الله ﷻ يُرجَى منه رضوان الله ﷻ وثوابه، فهو ذو دلالةٍ طلبيَّةٍ، ويتضمَّن غالبًا نداء اللهِ ﷻ بحمده والثَّناء عليه.

فمن دعاء الله ﷻ ما هو مُطْلَقُ ذِكْرٍ له، ومن دعاء اللهِ ﷻ ما هو نداءٌ له بطلب يتضمَّن اسْتِجْداءَ تحقيقِ مرغوبٍ فيه من خيرات الدُّنيا، أو خيراتِ الآخرة، أو دفعِ مكروهٍ من أُمور الدُّنيا أو أمور الآخرة.

ويكون الدُّعاء بصِيغٍ كثيرةٍ تشملُ: صيغَ الأمرِ والنَّهي، وصيغَ الجُمَل الخبريَّة، والأصل فيه: النِّداء مع طلبٍ بصِيَغ الأَمْرِ أو النَّهْي، وكثيرًا ما يُحْذَفُ حَرْفُ النِّداء.

وكثيرًا ما يُدْعَى بصيغةٍ خَبَرِيَّة، مثل: (رَحِمَ الله فلانًا وغَفَرَ له)، أو (يَرْحَمُ الله فُلانًا ويَغْفِر له).

والدُّعاءُ الموجَّه لله ﷻ من أجَلِّ العبادات، والدُّعاءُ وفْقَ المعنى الدِّيني الموجَّه لغير الله ﷻ شرْكٌ بالله ﷻ، والله ﷻ لا يغفرُ أن يُشْرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

يقول الله ﷻ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤].

ويقول سبحانه: ﴿... وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣- ١٤].

وقد يتأدَّب الدَّاعي مع ربِّه في طلب بعض حاجاته الدُّنيويَّة، كما فعل موسَى عليه السلام، وهو عند (ماءِ مَدْين)، إذْ قال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وتأدُّب رسولُ الله محمَّد ﷺ مع ربِّه، وفي نفسه أن يُحَوِّل الله ﷻ القبلة إلى (الكعبة المشرَّفة)، فجعل يقلِّب وجْهَهُ في السَّماء، فقال الله ﷻ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٤٤]»[١].

وحيث إنَّ الدُّعاء قد اشتهر بمعناه الشَّرعي، والَّذي هو أحد معاني الدُّعاء اللُّغويَّة فإنَّ العناية والاهتمام هنا بما قد اشتهر..-وسيأتي في الفصل الَّذي يتناول (النِّداء) كلُّ ما يتعلَّق به-.

وقد نبَّه ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنَّ استعمالَ الدُّعاء في العبادة والمسألة من استعمال اللَّفظ في حقيقته الواحدة، ليس من المشترك[٢]، ولا

---

(١) بتصرُّفٍ عن (البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها) (١/ ٢٥٥- ٢٥٧).

(٢) (المشترك): هو اللَّفظةُ الموضوعةُ لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعا أوَّلاً من حيث هما كذلك). فخرج بـ: (الوضع): ما يدلُّ على الشَّيء بالحقيقة، وعلى غيره بالمجاز، وخرج بقيد: (أوَّلاً) المنقول، وخرج بقيد (الحيثيَّة): المتواطئ فإنَّه يتناول الماهيَّات المختلفة، لكن لا من حيث هي كذلك، بل من حيث إنَّها مشتركة في معنى واحد. إرشاد الفحول (١/ ٥٧)، المحصول (١/ ٣٥٩-٣٦١)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (١/ ٦٠).
قال الأخضريُّ في (السُّلَّم):

(وَنِسْبَةُ الأَلْفاظِ لِلْمَعاني خَمْسَةُ أَقْسَامٍ بلا نُقْصانِ)
(تَواطُؤٌ تَشَاكُكٌ تَخَالُفُ وَالاشْتِراكُ عَكْسُهُ التَّرادُفُ).

قوله: (تَواطُؤٌ)..وهو القسم الأوَّل من الخمسة كالإنسان؛ فإنَّ معناه لا يختلفُ في أفراده، ويسمَّى ذلك المعنى متواطئا لتواطئ أفراده، أي: توافقها فيه؛ فإنَّ أفراد الإنسان كلَّها متوافقةٌ في معناه من الحيوانيّة والنَّاطقيّة، وإنَّما الاختلافُ بينهما بعوارضٍ خارجةٍ كالبياض والسَّواد والطُّول والقصر. فإن كان معناه مختلفًا في أفراده كالنُّور؛ فإنَّ معناه في الشَّمس أقوى منه في القمر. وكالبياض؛ فإنَّ معناه في العاج أقوى منه في الثَّوب، فالنِّسبة بينه وبين أفراده تشاكُكٌ. ويقال للمعنى مشكك؛ لأنَّ النَّاظر إذا نظر في =

المتواطئ، ولا المجاز حيث قال: كلُّ دعاءٍ مسألة متضمِّن لدعاء العبادة. وعلى هذا فقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] يتناولُ نوعي الدُّعاء. وبكلٍّ منهما فُسِّرتْ الآية. قيل: أعطيه إذا سألني. وقيل: أثيبه إذا عبدني. والقولان متلازمان. وليس هذا من استعمال اللَّفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللَّفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمِّنةِ للأمرين جميعًا. فتأمَّلْه فإنَّه موضوعٌ عظيمُ النفع، وقلَّ ما يفطن له[١].

وهو يعني أنَّ العبارة الواحدة تطلق إطلاقًا حقيقيًّا على جميع الحقائق فتكون حقيقة (شرعيَّة) و(لغويَّة) و(عرفيَّة)[٢]، ولا يكون ذلك

= الأفراد باعتبار أصل المعنى ظنَّه متواطئًا، وإذا نظر باعتبار التَّفاوت ظنَّه مشتركًا فحصل له التَّشكك. ويسمَّى اللَّفظ متواطئا كمعناه، وفي الثَّاني مشككًا كمعناه. وإذا نظر بين معنى اللَّفظ وبين لفظ آخر فإن لم يصدق أحدهما على شيءٍ مما يصدقُ عليه الآخر، فالنِّسبة بينهما تخالف، أي: تباين، كالإنسان والفرس..واللَّفظ إن تعدد معناه كعين الباصرة والجارية فالنِّسبة بينه وبين ما له من المعاني الاشتراك؛ لاشتراك المعنيين في اللَّفظ الواحد. وإن تعدَّد المعنى كالإنسان والبشر فالنِّسبة بين اللَّفظين التَّرادف..انظر: (شرح الشَّيخ درويش القويسني على السُّلَّم المنورق) (ص:١٧).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١١)، بدائع الفوائد (٣/ ٥١٤).

(٢) (الحقيقة اللُّغويَّة): وهو ما وضعها واضع اللُّغة، كالدابَّة لكلِّ ما دبَّ على وجه الأرض، والصَّلاة للدُّعاء..، والحقيقة الشَّرعيَّة وهي ما وصفها الشَّارع، كالصَّلاة نقلها الشَّارع من الدُّعاء للعبادة المخصوصة، وهي الأقوال والأفعال المعلومة المفتتحة بالتَّكبير المختتمة بالتَّسليم، فتحمل في كلام أهل الشَّرع على ذلك. والعرفيَّة الخاصَّة، وهي ما وضعها أهل =

الإطلاقُ من المشترك ولا من المتواطئ ولا من المجاز.

وقد فُسِّر قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦]، بدعاء المسألة، ودعاء العبادة. «فهاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدُّعاء، دعاء العبادة، ودعاء المسألة؛ فإن الدُّعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان؛ فإنَّ دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الدَّاعي، وطلب كشف ما يضرُّه أو دفعه، وكلُّ من يملك الضُّر والنَّفع فإنَّه هو المعبود حقًّا، والمعبود لا بدَّ أن يكون مالكًا للنَّفع والضَّرر»(١).

«وذلك كثيرٌ في القرآن كقوله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس:١٨]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ

= عرف خاصٍّ، وهم طائفة مخصوصة منسوبون لحرفة، كالنَّحويين نقلوا الفعل مثلاً من الأمر والشَّأن للفظ الدَّالِّ على معنى في نفسه مقترنٍ بأحدِ الأزمنة الثَّلاثة؛ لاشتمال اللَّفظ المذكور على الأمر والشَّأن. والعرفيَّة العامَّة وهي ما وضعها أهل العرفِ العامِّ، أي: ما كان النَّاقل لها من جميع الطَّوائف، ككونه داخلاً في جملة أهل البلد بحيث لا يتوقَّف على أمر يضبط أهلها، كالدَّابَّةِ نقلها العرف العامِّ من كلِّ ما يدبُّ على الأرض وخصَّها بذات الحوافر..الفرس والحمار والبغل، وأهل (العراق) بالفرس، وأهل (مصر) بالحمار. ولا يشترط العلم بشخص النَّاقل في هذه الثَّلاثة الأخيرة. انظر: الفروق (١/ ٣١٣)، الأشباه والنَّظائر، لابن نجيم (ص:٩٣)، نهاية السُّول (١/ ٢٤٦)، الأصول من علم الأصول (ص:٢٠)، المعتمد في أصول الفقه (٢/ ٤٠٥)...الخ .

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠)، وكذلك في (بدائع الفوائد) (٣/ ٥١٣) .

مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦﴾ [المائدة:٧٦]، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء:٦٦-٦٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان:٣]، وقال ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ [الفرقان:٥٥]، فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه: النَّفع والضر القاصر والمتعدي، فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعابديهم، وهذا في القرآن كثير بيد أنَّ المعبود لا بدَّ أن يكون مالكًا للنَّفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعى خوفًا ورجاءً دعاء العبادة، فعلم أنَّ النَّوعين متلازمان، فكلُّ دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكلُّ دعاء مسألة متضمِّن لدعاء العبادة، وعلى هذا فقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة:١٨٦]، يتناول نوعي الدُّعاء»[١] - كما سبق-.

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٥)، بدائع الفوائد (٣/٥١٣).

وقد تناولتُ الدُّعاء من حيث معناه الدِّيني من (أربعة) محاور:

الأوَّل: ما صُرِّح فيه بمادَّة الدُّعاء .

الثَّاني: ما صُرِّح فيه بمادَّة النِّداء والمراد منها: الدُّعاء من حيث معناه الدِّيني.

وأمَّا **الثَّالث** فهو ما كان دعاءً من المخاطَب باستخدام أداة الخطاب -ظاهرة أو مقدَّرة- لأجلِ تحقيقِ مرغوبٍ فيه، أو دفع مكروهٍ من أُمور الدُّنيا أو أمور الآخرة.

أمَّا **المحور الرَّابع** فهو (بيانُ الجُمَلِ الخبريَّة المراد منها: إنشاء الدُّعاء).

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

أوَّلا: ما صُرِّح فيه بمادَّة الدُّعاء

أمَّا صُرِّح فيه بمادة الدُّعاء[1] فقد ذكر أهل التَّفسير أنَّه يأتي في القرآن على أوجه:

أحدها: **القول**: ومنه قوله ﷻ: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الأعراف: ٥][2]، ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ

---

(١) انظر: مادَّة: (دعا) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمَّد فؤاد عبد الباقي من (ص: ٣١٦) إلى (٣٢٠) .

(٢) وفي (الكشاف): «ويجوز: فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا؛ لأنه لا يستغاثُ من اللَّهِ ﷻ بغيره، من قولهم: (دعواهم يا لكعب)». الكشاف (٢/ ٦٧)، تفسير ابن عادل (٩/ ١٨)، البحر المحيط (٤/ ٢٧٠)، تفسير السَّمرقندي (١/ ٥٣١)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٢). وفي (مجاز القرآن): «لها موضعان، أحدهما: قولهم ودعواهم، والآخر ادِّعاؤهم». مجاز القرآن =

ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠]، ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ [الأنبياء: ١٥].

والثَّاني: **العبادة**: ومنه قوله ﷻ: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١][(١)]، ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦][(٢)]، ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨][(٣)]، ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾ [الفرقان: ٧٧][(٤)]..

= (١/ ٢١٠)، وقال الطَّبري: «وللدَّعوى في كلام العرب وجهان: أحدهما: الدُّعاء، والآخر: الادِّعاء للحقِّ. ومن الدَّعوى الَّتي معناها الدُّعاء قول الله ﷻ: ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ ..». تفسير الطَّبري (٨/ ١١٩).

(١) قوله ﷻ: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ﴾، أي: أنعبد مِن دُونِ اللَّهِ ﷻ. انظر: الكشاف (٢/ ٢٨)، تفسير الواحدي (١/ ٣٦١)، تفسير الخازن (٢/ ١٤٦)، زاد المسير (٣/ ٦٦)، الإتقان (١/ ٤١٦).

(٢) قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾، أي: ولا تعبد من دون الله ﷻ ما لا ينفعك إن أطعته، ولا يضرُّك إن عصيته. انظر: الكشف والبيان (٥/ ١٥٤)، تفسير القرطبي (٨/ ٣٨٨)، تفسير ابن عادل (١٠/ ٤٢٣)، السَّمرقندي (٢/ ١١٤)، تفسير مقاتل (٢/ ١٠٦).

(٣) قوله ﷻ: ﴿لَا يَدۡعُونَ﴾، أي: لا يعبدون. انظر: تفسير أبي السُّعود (٦/ ٢٢٩)، تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٢).

(٤) قيل في قوله ﷻ: ﴿لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾، أي: عبادتكم له وحده ﷻ، وعلى هذا القول فالخطاب عامٌّ للكافرين والمؤمنين، ثمَّ أفرد الكافرين دون المؤمنين بقوله: ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾. أضواء البيان (٦/ ٨٢)، الكشاف (٣/ ١٠٣)، المحرَّر الوجيز (٤/ ٢٢٣)، تفسير أبي السُّعود (٦/ ٢٣٢)، البحر المحيط (٦/ ٤٧٤)، الثَّعالبي (٣/ ١٤٣)، الخازن (٥/ ١١١). وقد أجمل ابنُ جزي في (تفسيره) خلاصة ما قيل من معنى الدُّعاء في الآية حيث قال: «وفي معنى (الدُّعاء) هنا ثلاثة أقوال:

الأوَّل: أنَّ المعنى أنَّ الله ﷻ لا يبالي بكم لولا عبادتكم له، فالدُّعاء بمعنى العبادة. =

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٢][(١)].

والثَّالث: النِّداء: ومنه قوله ﷻ: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ﴾

= وهذا قريب من معنى قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذَّاريات: ٥٦].

الثَّاني: أنَّ الدُّعاء بمعنى الاستغاثة والسُّؤال، والمعنى لا يبالي الله ﷻ بكم، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه، ويكون على هذين القولين خطابًا لجميع النَّاس من المؤمنين والكافرين؛ لأنَّ فيهم من يعبد الله ﷻ ويدعوه، أو خطابًا للمؤمنين خاصّة؛ لأنهم هم الَّذين يدعون الله ﷻ ويعبدونه، ولكن يضعف هذا بقوله ﷻ: ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾.

الثَّالث: أنَّه خطاب للكفَّار خاصّة، والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم لولا أن يدعوكم إلى دينه، والدُّعاء على هذا بمعنى الأمر بالدُّخول في الدِّين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، وأمَّا على القول الأوَّل والثَّاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل». تفسير ابن جزي (٣/ ٨٢).

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤٦)، السِّراج المنير (١/ ٣٨٤)، الجلالين (ص: ١٢٢). وقيل أيضًا في قوله ﷻ: ﴿مَا يَدۡعُونَ﴾، أي: يعبد المشركون، ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، أي: غير الله ﷻ. وكذلك قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، فقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، أي: الثَّابت، ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ﴾ - بالياء والتَّاء - يعبدون. انظر: الجلالين (ص: ٤٤٢)، و(ص: ٥٤٣)، تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٨)، (٣/ ٢٤)، زاد المسير (٥/ ٤٤٧)، نظم الدُّرر (٢/ ٣٢٠). وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ [غافر: ٢٠]، فقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾، أي: يعبدون. انظر: السِّراج المنير (١/ ٣٨٤)، (٣/ ٥٦٩). وما كان من هذا القبيل، فقد قيل فيه ذلك، نحو قوله ﷻ: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ۝١١٧﴾ [النِّساء: ١١٧]، ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٦]، ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ﴾ [هود: ١٠١]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ [غافر: ٢٠]، ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ [الزُّخرف: ٨٦].

[الإسراء: ٥٢][(١)]، ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [الأنبياء: ٤٥][(٢)]، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦][(٣)]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: ١٠].

والرَّابع: **الاستعانة**: ومنه قوله ﷻ: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣][(٤)]، ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٨][(٥)]، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾

---

(١) قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ ، أي: يناديكم من قبوركم على لسان إسرافيل عليه السلام. انظر: أيسر التَّفاسير (٣/ ٢٠١)، البحر المديد (٤/ ٩٩)، الجلالين (ص: ٣٧١)، نظم الدُّرر (٤/ ٣٩٢)، الإتقان (١/ ٤١٦).

(٢) يعني: الكفَّار الَّذين هم بمنزلة الصمِّ، ولا يسمعون النِّداء إذا أعرضوا. انظر: تفسير الواحدي (٢/ ٨٠٩)، تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٥)، (٣/ ١٦)، البحر المحيط (٦/ ٢٩٤). ونحوه قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [الروم: ٥٢].

(٣) أي: يوم ينادي المناد، يفسِّره قوله ﷻ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١]. انظر: الكشف والبيان (٣/ ٤٠٦)، تفسير ابن عادل (١٨/ ٢٣٦)، السِّراج المنير (٤/ ١٤٠)، تفسير الرَّازي (٢١/ ٣٥٤)، (٢٩/ ٢٩٣).

(٤) انظر: الإتقان (١/ ٤١٦).

(٥) قوله ﷻ: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ ، أي: استعينوا بمن شئتم. أو استعينوا بآلهتكم الَّتي تعبدونها من دون الله ﷻ، والمعنى: إن كان الأمر -كما تقولون- أنها تستحقُّ العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمَّد ﷺ ، وإلا فاعلموا أنَّكم مبطلون في دعواكم أنها إلهة. أو استعينوا بأعوانكم وأربابكم من دون الله ﷻ. انظر: الكشاف (٢/ ٢٣٧)، روح المعاني (١٢/ ٢١)، تفسير السَّمرقندي (٢/ ٩٩)، الخازن (١/ ٣٩).

[غافر: ٢٦][(١)].

والخامس: **السُّؤال**: ومنه قوله ﷻ: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦][(٢)]، ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤][(٣)]، ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [غافر: ٤٩]، ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الزخرف: ٤٩].

والسَّادس: **الاستفهام والاستعلام**: ومنه قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَۚ﴾ [البقرة: ٦٨]، أي: استفهم[(٤)].

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ [الكهف: ٥٢]، أي: استفهموهم أأنتم آلهة؟!!.

والسَّابع: **العذاب**: ومنه قوله ﷻ: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ [المعارج: ١٦- ١٧]، أي: تُعَذِّبُ[(٥)]"[(٦)].

---

(١) قوله ﷻ: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ﴾ فيه وجهان: أحدهما: وليسألْ ربَّه؛ فإنَّه لا يجاب. الثَّاني: وليستعنْ به؛ فإنَّه لا يعان. النُّكت والعيون (٥/ ١٥١)، وكذلك في (تفسير العز بن عبد السَّلام) (١/ ١٠٢٦).

(٢) انظر: الخازن (١/ ١٥٩)، تفسير الرَّازي (٥/ ٢٦٠)، دقائق التَّفسير (٢/ ٣٥٩)، البحر المحيط (٢/ ٥٣)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٩)، جلاء الأفهام (ص: ١٥٥)، الإتقان (١/ ٤١٦).

(٣) أي: سله. انظر: المفردات، للرَّاغب، مادَّة: (دعا) (١/ ٣٤٧).

(٤) يعني: هل هي كبيرة أو صغيرة أو متوسِّطة؟...

(٥) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٣٩٤)، تفسير السَّمعاني (٦/ ٤٧)، وانظر: لسان العرب، مادَّة: (دعا) (١٤/ ٢٦٠).

(٦) بتصرُّف عن (نزهة الأعين النَّواظر) (ص: ٢٩٣ -٢٩٥)، وبصائر ذوي التَّمييز (٢/ ٣٨٨-٣٨٩).

الثَّامن: **التَّسمية**: ومنه قوله ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ [النور: ٦٣][١].

التَّاسع: **العَرْض**: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر: ٤١]. قيل: أي: أَعرضها عليكم، ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤١]. قيل: أي: تعرضونها عليَّ[٢].

ثانيا: ما صُرِّح فيه بمادة النِّداء والمراد منها الدُّعاء من حيث معناه الدِّيني:

فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم: ٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩]، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤١]، ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] .فمن الواضح أنَّ (نادى) هنا بمعنى: (دعا)، وهي من دعاء المخلوق للخالق ﷻ.

---

(١) «ويستعمل أَيضًا استعمال التَّسمية نحو: دعوت ابني زيدًا، أَي: سمَّيته. قال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ [النُّور: ٦٣]، حثًّا على تعظيمه صلى الله عليه وسلم، وذلك مخاطبة لمن يقول: (يا محمَّد)». المفردات، للرَّاغب، مادَّة: (دعا) (ص: ١٧٠)، بصائر ذوي التَّمييز (٢/ ٨٨)، وانظر: الإتقان (١/ ٤١٦)، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٩٤) .

(٢) انظر: بصائر ذوى التَّمييز (٢/ ٣٨٩) .

ثالثا: ما كان دعاءً من المخاطَب باستخدام داة الخطاب ظاهرةأو مقدَّرة:

وأداة الخطاب المستخدمة في الدُّعاء هي أداة النِّداء (يا) ظاهرة أو مقدَّرة. .

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

أ. ما كانت فيه أداة النِّداء ظاهرة:

وأتناول هنا صيغة: (يا ربِّ)، وقد ورد في (موضعين):

﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزخرف: ٨٨].

ب. ما كانت فيه أداة النِّداء مقدَّرة

وأتناول هنا صيغ: (ربِّ)، (ربَّنا)، (اللهمَّ)..

وتأتي على النَّحو التَّالي:

١- ربِّ

إنَّ تصدير الدُّعاء بـ (رب) فيه من الاستعطاف ما لا يخفى؛ ولذا كثر تصدير الدُّعاء به .

وإنَّ الدُّعاء بتكرير النِّداء ينبئ عن كمال الضَّراعة والابتهال، واستدعاء الإجابة، وفي ذلك إشارة إلى كمال التَّوجُّه إلى الله ﷻ، وعدم الغفلة عنه، مع إظهار كمال الضَّراعة والابتهال إلى معود الإحسان والإفضال.

وأمَّا الآيات فهي على النَّحو التَّالي:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ﴾ [آل عمران: ٤١].

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٢٥].

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود: ٤٧].

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف: ٣٣] .

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] .

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾ [الحجر: ٣٦].

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤].

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ [الإسراء: ٨٠] .

﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ [مريم: ٦].

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ﴾ [مريم: ١٠].

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾ [طه: ٢٥].

﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ [الأنبياء: ٨٩].

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ [المؤمنون: ٢٦].

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩].

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾ [المؤمنون: ٣٩].

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون: ٩٤].

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧].

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٨].

﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: ٨٣].

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨].

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشعراء: ١٦٩].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٠].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠].

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [ص: ٧٩].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ [المنافقون: ١٠].

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتٗا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنٗا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

٢ - ربَّنا

إنَّ تصدير الدُّعاء بـ(ربنا) من الاستعطاف ما لا يخفى - كسابقه -؛ ولذا كثر تصدير الدُّعاء به، والنِّداء المكرر؛ للمبالغة في الجؤار واستدعاء الإجابة[1].

وأمَّا الآيات فهي على النَّحو التَّالي:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسْلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولٗا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرٗا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ

---

(١) انظر: روح المعاني (٢٤/ ٤٧).

ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] .

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] .

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [طه: ١٣٤].

﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧].

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٨].

﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩].

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].

﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦١].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [غافر: ٨].

﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [فصلت: ٢٩].

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان: ١٢].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ [الممتحنة: ٥].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ [التحريم: ٨].

٣ - اللهمَّ

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾ [المائدة: ١١٤].

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ [الأنفال: ٣٢][١].

وسيأتي بيان وتفصيل الدُّعاء بهذه الصِّيغة في (النِّداء).

ولكن من الملاحظ هنا أنَّ عيسى عليه السلام قد جمع في دعاءه بين وصف الله ﷻ بالألوهيَّة، ووصفه بالرُّبوبيَّة، حيث ناداه سبحانه وتعالى مرَّتين، مرّةً بوصف الألوهيَّة الجامعةِ لجميع الكمالات، ومرّةً بوصف الرُّبوبية المنْبئةِ عن التَّربية؛ إظهارا لغاية التَّضرُّع، ومبالغةً في الاستدعاء[٢].

---

(١) أمَّا قوله ﷻ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠]. وقوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]. فما كان نحو هذه الصِّيغ الَّتي تدلُّ على الدُّعاء من حيث مفهومه العامِّ فسيأتي في (النِّداء).

(٢) انظر: تفسير أبي السُّعود (٢/ ١٣٧).

رابعا: الجمل الخبريَّة المراد منها إنشاء الــدُّعــاء:

- **النَّماذج والأمثلة:**

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩]. (وَيْلٌ) مبتدأ، وجاز الابتداء به، وإن كانَ نكرةً؛ لأنَّه دعاءٌ عليهم، والدُّعاءُ من المسوِّغاتِ سواءً كان دعاءً له نحو: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [الأنعام:٥٤]، أو عليه كهذه الآية[١].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران:٣٦]. وقد تقدَّم بيان هذه الآية في (الفصل الأوَّل) فيما يتعلَّق بحال الإنسان ومشاعره وأحاسيسه، وذلك ببيان الخبر الَّذي يراد منه: (إنشاء التَّحسر). وما يعنينا هنا قولها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ، فقد تكرر التَّأكيد في: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا﴾ ، ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ ؛ «لأنَّ حال كراهيتها يؤذن بأنها ستعْرض عنها فلا تشتغل بها، وكأنها أكَّدت هذا الخبر إظهارًا للرِّضا بما قدَّر الله ﷻ؛ ولذلك انتقلت إلى الدُّعاء لها، الدَّالِّ على الرِّضا والمحبَّة، وأكَّدت

---

(١) انظر: البحر المحيط (١/ ٤٤٣)، الدُّر المصون (١/ ٢٧٠)، تفسير ابن عادل (٢/ ٢٠٦) .

جملة: ﴿أُعِيذُهَا﴾ مع أنها مستعملة في إنشاء الدُّعاء؛ لأنَّ الخبر مستعمل في الإنشاء برمَّته التي كان عليها وقتَ الخبريَّة»[١].

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، [التوبة:١٠٠]، [المجادلة:٢٢]، [البينة:٨]. فإنَّ قوله ﷻ: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ..قيل: معناه: الدعاءُ[٢].

وقيل في قوله ﷻ:

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٨]: يجوز أن يكون دعاءً مستأنفًا، وأن يكون خبرًا ثانيًا، وأن يكون حالًا ثانيًا بإضمار (قَد)[٣] .

ومثال الصِّيغة الخبريَّة المقصود منها إنشاء الدُّعاء قوله ﷻ:

﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود:٧٣].

ومن الخبر المسوقِ للدُّعاء قوله ﷻ حكاية لما قال يوسف عليه السلام لإِخوته:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف:٩٢]. فقوله: ﴿يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ : المعنى الأصلي

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (٣/ ٢٣٤) .

(٢) انظر: الدُّر المصون (٢/ ٦٦٠)، تفسير ابن عادل (٧/ ٦٢٨).

(٣) انظر: تفسير ابن عادل (٢٠/ ٤٤٣)، الدُّر المصون (٦/ ٥٥٣).

الَّذي تدلُّ عليه الصِّيغة: (الإِخبار)، وقد استعملتْ مجازًا في (الدُّعاء)، والعلاقة السَّببيَّة على سبيل التَّفاؤل والطَّمع بكرم الله ﷻ وفضله؛ إذ الدُّعاء الَّذي هو إنشاء طلبٍ من الله ﷻ سبب في تحقيق الاستجابة بمشيئة الله ﷻ على سبيل التَّفاؤل والرَّجاء. والحاصلُ أنَّ قوله: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ جملةٌ خَبَرِيَّةٌ أُرِيدَ منها الدُّعَاءُ لهم بأَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ.

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١]. فإنَّ جملة: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ من قبيل الخبر في إنشاء الدُّعاء، وإن أمكن حمله على الإخبار بالنِّسبة لولاية الدُّنيا، قيل لإثباته ذلك الشَّيء لولاية الآخرة. فالمعنى: (كن وليي في الدُّنيا والآخرة)[1].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾ [ص: ٥٩-٦٠]. دعاء منهم على أتباعهم. تقول لمن تدعو له: مرحبًا، أي: أتيت رحبًا من البلاد لا ضيِّقًا، أو رحبت بلادك رحبًا، ثمَّ تدخل عليه (لا) في دعاء السُّوء[2].

---

(١) انظر: التَّحرير والتَّنوير (١٣/ ٥٩).

(٢) انظر: الكشاف (٣/ ٣٧٩)، البحر المديد (٦/ ٢٢٧)، تفسير الرَّازي (٢٦/ ٤١٦)، تفسير النَّيسابوري (٥/ ٦٠٥)، روح المعاني (٢٣/ ٢١٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٢)، النَّسفي (٤/ ٦٦)، وقد فصَّل هذا المعنى الطَّاهر بن عاشور في (التَّحرير والتَّنوير) (٢٣/ ٢٩٠).

ومما قيل في قوله ﷻ:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ [محمد:٨]. وقد ذكر الفرَّاء أنَّ قوله ﷻ: ﴿فَتَعْسًا﴾ نصب على المصدر على سبيل الدُّعاء. قال: «كأنَّه قال: (فأتعسهم الله ﷻ وأضلَّ أعمالهم)؛ لأنَّ الدُّعاء قد يجرى مجرى الأمر والنَّهي. ألا ترى أنَّ ﴿أَضَلَّ﴾ (فعل)، وأنها مردودة على التَّعس، وهو (اسم)؛ لأنَّ فيه معنى: أتعسهم»[1]. وفي (تفسير الطَّبري): «ردَّ قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ على قوله: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ وهو فعل ماض، و(التَّعس) اسم؛ لأنَّ (التَّعس) وإن كان اسمًا ففي معنى الفعل لما فيه من معنى الدُّعاء، فهو بمعنى: (أتعسهم الله)؛ فلذلك صلح ردُّ أضلَّ عليه؛ لأنَّ الدُّعاء يجري مجرى الأمر والنَّهي..»[2]. وقال العلامة محمد الطَّاهر: «يجوز أن يكون ﴿تعسا لهم﴾ مستعملًا في الدُّعاء عليهم؛ لقصد التَّحقير والتَّفظيع، وذلك من استعمالات هذا المركب مثل: (سقيا له)، و(رعيا له)، و(تبًا له)، و(ويحًا له)، وحينئذ يتعيَّن في الآية فعل قول محذوف تقديره: (فقال الله تعسًا لهم)، أو فيقال: (تعسًا لهم). ودخلت الفاء على ﴿تعسا﴾ وهو خبر الموصول لمعاملة الموصول معاملة الشَّرط»[3].

---

(١) معاني القرآن، للفرَّاء (٣/ ٥٨)، وانظر: القرطبي (١٦/ ٢٣٢)، روح المعاني (٢٦/ ٤٤)، تفسير البغوي (٤/ ١٨٠)، تفسير السَّمعاني (٥/ ١٧١).

(٢) تفسير الطَّبري (٢٦/ ٤٥)، وانظر: معاني القرآن، للنَّحاس (٦/ ٤٦٧)، معاني القرآن، للفرَّاء (٣/ ٥٨) .

(٣) التَّحرير والتَّنوير (٢٦/ ٨٦).

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩﴾ [المدثر: ١٩]. قوله ﷻ: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩﴾ كلام معترض بين ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾ [المدثر: ١٨]، وبين ﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ [المدثر: ٢١]. وهو إنشاءُ شتمٍ مفرَّع على الإِخبار عنه بأنَّه فكر وقدَّر؛ لأنَّ الَّذي ذكر يوجب الغضب عليه. فقوله ﷻ: ﴿فَقُتِلَ﴾ دعاءٌ عليه بأن يقتله قَاتل، أي: دعاء عليه بتعجيل مَوته؛ لأنَّ حياته حياة سيِّئة. كقوله ﷻ: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [التوبة: ٣٠]، [المنافقون: ٤]، وقولهم: (عَدِمْتُك)، و(ثَكلتْه أُمُّه)..»[1].

أقول: والحاصلُ أنَّه تعليم للمخاطَبين بإنشاء الدُّعاء عليه، أي: قولوا ذلك، فهو مصروفٌ إلى الخلق؛ لإعلامهم بأنهم أهل لأن يدعى عليهم. أو هو من قبيل الإخبار بما يؤول إليه حاله.

أقول: والفائدة عدم اقتفاء أثر من كان حاله كذلك، والتَّحذير من سلوك طريقه، وفي ذكر المآل والعاقبة عبرة للمعتبر...والقرآن إنما يعنى بالمقاصد العامَّة، فليس الأمر مجرَّد إنشاء للدُّعاء على فلان من الناس؛ فلذلك فإنَّ القرآن لا يعنى بذكر غالبًا -بذكر أشخاص ولا أماكن ولا أزمنة- لأن ذلك لا علاقة له بالحدث، وإنما يعنى بموضع العبرة.

(١) المصدر السابق (٢٩/٣٠٨).

=

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد:١][(١)]..وبالرُّجوع إلى معنى: ﴿تَبَّتْ﴾ ، وإلى سبب النُّزول يتبيَّن أنَّ الجملة دعائيَّة لا محلَّ لها. أو تكون في موضع الحال، والواو واو الحال، ولا تكون دعاء،

(١) وقد بيَّن ذلك غير واحد من المفسِّرين، فمن ذلك ما قاله الطَّاهر بن عاشور في (تفسيره) من أنَّ «إسناد (التبِّ) إلى اليدين؛ لما روي من أنَّ أبا لهب لَّما قال للنَّبي ﷺ: (تبًّا لك سائرَ اليوم ألهذا جمعتنا؟) أخذ بيد حجرًا ليرميه به. [انظر: صحيح البخاريِّ [١٣٠٧]، ومسلم [٣٠٧]، وكونه قد أخذ حجرًا..إلخ. انظر في ذلك: السِّيرة الحلبيَّة (١/ ٤٥٨)، وذكر ذلك من المفسِّرين أبو السُّعود (٩/ ٢١٠)، وانظر: البحر المديد (٨/ ٣٦٧)، تفسير البيضاوي (٥/ ٥٤٤)]. وروي عن طارق المحاربي قال: بينا أنا بسوق (ذي المجاز) إذا أنا برجل حديث السِّنِّ يقول: أيُّها النَّاس قولوا: (لا إله إلا الله) تفلحوا، وإذا رجلٌ خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه يقول: يا أيُّها النَّاس إنَّه كذَّاب فلا تصدِّقوه. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا محمَّد يزعم أنَّه نبيٌّ، وهذا عمُّه أبو لهب، فوقع الدُّعاء على يديه؛ لأنهما سبب أذى النَّبي ﷺ...انظر: حديث طارق المحاربي في (المستدرك)، للحاكم مع تعليقات الذَّهبي حيث قال في آخره: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذَّهبي. المستدرك مع تعليقات الذَّهبي (٢/ ٦٦٨)، [٤٢١٩]، السُّنن الكبرى، للبيهقيِّ، وفي ذيله الجوهر النَّقي [٣٦١]، [١١٤٢٤]، سنن الدَّارقطني [١٨٦]، صحيح ابن حبَّان [٦٥٦٢]، صحيح ابن خزيمة [١٥٩]، مُصنف ابن أبي شيبة [٣٧٧٢٠]. وجملة: ﴿وَتَبَّ﴾ إمَّا معطوفة على جملة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ عطف الدُّعاء على الدُّعاء إذا كان إسناد التَّبات إلى اليدين؛ لأنَّهما آلة الأذى بالرَّمي في الحجارة، كما في خبر طارق المحاربي، فأعيد الدُّعاء على جميعه إغلاظًا له في الشَّتم والتَّقريع، وتفيد بذلك تأكيدًا لجملة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ ؛ لأنها بمعناها، وإنما اختلفا في الكليَّة والجزئيَّة، وذلك الاختلاف هو مقتضى عطفها، وإلا لكان التَّوكيد غير معطوف، لأنَّ التَّوكيد اللَّفظي لا يعطف بالواو. وإمَّا أن تكون في موضع الحال، والواو واو الحال، ولا تكون دعاء، وإنَّما هي تحقيق لما دعي عليه به. بتصرُّفٍ عن (التَّحرير والتَّنوير) (٣٠/ ٦٠١-٦٠٣).

وإنما هي تحقيق لحصول ما دعي عليه به. فإنَّ (التَّباب) هو: الهلاك. ومنه قولهم: (أشابَّة أم تابَّة؟) أي: هالكة من الهرم والتَّعجيز. والمعنى: هلكت يداه؛ لأنَّه فيما يروى: أخذ حجرًا ليرمي به رسول الله ﷺ. ﴿وَتَبَّ﴾ وهلك كله. أو جعلت يداه هالكتين. والمراد: هلاك جملته، كقوله ﷻ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]. ومعنى: ﴿وَتَبَّ﴾ : وكان ذلك وحصل[1].

قال الشَّيخ الشِّنقيطيُّ في (أضواء البيان): «ولقد كان ﷺ مع قومه في (مكَّة) ملاطفًا حليمًا فكيف جابه عمه بهذا الدُّعاء ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ ؟ والجواب: أنَّه كان يلاطفهم ما دام يطمع في إسلامهم، فلمَّا يئس من ذلك كان هذا الدُّعاء في محلِّه كما وقع من إبراهيم عليه السلام كان يلاطف أباه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [مريم: ٤٤]، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم: ٤٣]، فلمَّا يئس منه تبرّأ منه كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٤]. أمَّا مجيء قوله ﷻ: ﴿وَتَبَّ﴾ بعد قوله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ مع أنها كافية سواء كانت إنشاء للدُّعاء عليه، أو إخبارًا بوقوع ذلك منه. والجواب -والله تعالى أعلم- أنَّ الأوَّل لما كان محتملًا الخبر، وقد يمحو الله ﷻ ما يشاء ويثبت، أو إنشاء وقد لا ينفذ كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ [عبس: ١٧]، أو يحمل على الذَّم فقط والتَّقبيح

(١) انظر: الكشاف (٤/ ٢٩٥ - ٢٩٦)، البحر المحيط (٨/ ٥٢٦)، روح المعاني (٣٠/ ٢٦٠)، السِّراج المنير (٤/٧٠٨)، النَّسفي (٤/ ٥٦٩).

فجاء: ﴿وَتَبَّ﴾؛ لبيان أنَّه واقع به لا محالة وأنَّه ممن حقَّت عليهم كلمات ربِّك ليبأس ﷺ والمسلمون من إسلامه، وتنقطع الملاطفة معه -والله تعالى أعلم-»[١]. وذكره الشَّيخ الشِّنقيطيُّ في (تفسيره) أنَّ فائدة قوله ﷻ: ﴿وَتَبَّ﴾ قطع الاحتمال الَّذي قد يرد في الأولى بالنِّسبة للوعيد في الآخرة[٢]، فقطع في الثَّانية أنَّ الوعيد واقع به لا محالة. والحاصل أنَّ

---

(١) أضواء البيان (٩/ ١٥٤).

(٢) وهذا يجري على ما قاله الواحديُّ في (البسيط) في تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩] أنَّه «يجوز أن يُحْمَل هذا على ميعاد الأولياء، دون وعيد الأعداء؛ لأنَّ خُلْفَ الوعيد كرمٌ عند العرب؛ لأنهم يمدحون بذلك». انظر: تفسير ابن عادل (٥/ ٤٨)، البحر المحيط (٢/ ٤٠٤)، السِّراج المنير (١/ ٢٢٣)، تفسير السَّمعاني (١/ ٤٦٥). وقد صنَّف الواحدي التَّفاسير الثَّلاثة: (البسيط) و(الوسيط) و(الوجيز). انظر: طبقات المفسِّرين، للأدنرويِّ (ص: ١٢٨)، طبقات المفسِّرين، للسُّيوطي (ص: ٩٧)، كشف الظُّنون (١/ ٤٦٠)، (١/ ٦٢٩)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨٦)، الأعلام (٤/ ٢٥٥)، بغية الوعاة (٢/ ١٤٥). ولم أجد (البسيط) مطبوعًا، وقد اعتمدتُ من هذه التَّفاسير: (الوجيز) وأشارت إليه في غير موضع. «وروى المناظرة الَّتي دارت بين أبي عمرو بن العلاء، وبين عمرو بن عبيد، قال أبو عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد: ما تقول في أصحاب الكبائر؟ قال: أقول إنَّ الله ﷻ وعد وعدًا، وأوعد إيعادًا، فهو منجز إيعاده، كما هو منجز وعده، فقال أبو عمرو بن العلاء: إنَّك رجل أعجم، لا أقول أعجم اللِّسان ولكن أعجم القلب، إنَّ العربَ تعدُّ الرُّجوع عن الوعد لؤمًا، وعن الإيعاد كرمًا، وأنشد:

(وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمكذب إيعادي ومنجز موعدي)

[قال الرَّازي]: واعلم أنَّ المعتزلة حكوا أنَّ أبا عمرو بن العلاء لما قال هذا الكلام قال له عمرو بن عبيد: يا أبا عمرو فهل يسمَّى الله ﷻ مكذِّب نفسه؟ فقال: لا، فقال عمرو بن عبيد: فقد سقطت حجَّتك، قالوا: فانقطع أبو عمرو بن العلاء. [قال الرَّازي]: وعندي أنَّه كان لأبي عمرو بن العلاء أن يجيب عن هذا السُّؤال فيقول: إنَّك

الأُولى دعاء عليه، والثَّانية فيها بيان أنَّ من كان جديرًا ومستحقًّا للدُّعاء عليه بما ذكر، فإنَّ ذلك الوعيد واقع به. وقد هلك وخسر[١]، وكان عاقبة أمره أنَّه ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد:٣]، وهذه عاقبة المكذِّبين الكافرين...فهذه مؤكِّدات أنَّ ذلك واقع به. وفي (الفريد) قوله ﷻ: ﴿وَتَبَّ﴾ «خبر محض بمعنى: (وقد تبَّ)، أمَّا الأوَّل فهو دعاء»[٢]، وكذلك في (معاني القرآن) للفرَّاء[٣]. وقوله ﷻ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [عبس:١٧]، والإنسان: للجنس الكافر، فهو من باب (الكل)،

قستَ الوعيد على الوعد، وأنا إنما ذكرت هذا لبيان الفرق بين البابين؛ وذلك لأنَّ الوعد حقٌّ عليه، والوعيد حقٌّ له، ومن أسقط حقَّ نفسه فقد أتى بالجود والكرم، ومن أسقط حقَّ غيره فذلك هو اللُّؤم، فظهر الفرق بين الوعد والوعيد، وبطل قياسك، وإنما ذكرت هذا الشعر لإيضاح هذا الفرق، فأمَّا قولك: لو لم يفعل لصار كاذبا ومكذِّبا نفسه، فجوابه: أنَّ هذا إنما يلزم لو كان الوعيد ثابتًا جزمًا من غير شرط، وعندي جميع الوعيدات مشروطة بعدم العفو، فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله ﷻ، فهذا ما يتعلَّق بهذه الحكاية - والله أعلم-». تفسير الرَّازي (٧/ ١٥٠)، وانظر: تفسير النَّيسابوري (٢/ ١١١)، ابن عادل (٥/ ٤٨). وانظر: قرى الضَّيف (٢/ ١٥٧)، نهاية الأرب (٦/ ٩٠)، والشِّعر لعامر بن الطُّفيل العامري كما في (لسان العرب)، مادَّة: (ختأ) (١/ ٣٦)، وتاج العروس (١/ ٢٠٧)، (٣٧/ ٥٣٥)، وانظر: إسفار الفصيح، للهرويِّ (١/ ٤٦٦)، الزَّاهر (٢/ ١٠٥).

(١) قال الفرَّاء: «وفي قراءة عبد الله: (وقد تبَّ)، فالأوَّل: دعاء، والثَّاني: خبر .﴿وَتَبَّ﴾ خسر، كما تقول للرَّجل: (أهلكك الله، وقد أهلكك)، أو تقول: (جعلك الله صالحًا، وقد جعلك»). معاني القرآن، للفرَّاء (٣/ ٢٩٨).

(٢) الفريد (٤/ ٧٤٥).

(٣) انظر: معاني القرآن، للفرَّاء (٣/ ٢٩٨).

أي: الحكم على الكلِّ المجموع، وليس من باب (الكليَّة)[١]، أي: ليس من باب الحكم على كلِّ فرد من الإنسان، أو يقال: هو عموم يراد به الخصوص، والمعنى: قتل الإنسانُ الكافر. ولكنهم قالوا: ليس المراد حقيقة القتل، كما قد يفهم من ظاهر قول الشَّيخ[٢].

وما ينبغي التَّنبهُ له هنا أنَّه لا نسخَ في الأخبار، وهذه مسألة أخرى.

---

(١) أعني قوله الآنف الذِّكر. انظر بيان مصطلح (الكلِّ) ومصطلح (الكلِّيَّة)..في نهاية السُّول شرح منهاج الوصول، للإسنويِّ (١/ ٣٨٠)، التَّحبير شرح التَّحرير (٥/ ٢٣٣٨)، الفروق، للقرافيِّ (٢/ ١٧٨)، شرح الكوكب المنير (٣/ ١١٣).
وقال الأخضريُّ في (السلَّم):
(الكُلُّ حُكْمُنا عَلى المَجْمُوعِ   كُـلِّ ذاكَ لَـيْـسَ ذا وُقُـوعِ)
(وَحَيْثُـما لِكُلِّ فَرْدٍ حُكِـما   فَـإِنَّـهُ كُـلِّـيَّـةٌ قَـدْ عُـلِـمـا).
السلَّم بشرح الشَّيخ درويش القويسني (ص: ١٨-١٩).

(٢) قال الطَّبري: قوله ﷻ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ يقول تعالى ذكره: لعن الإنسان الكافر ما أكفره؟! وبنحو الَّذي قلنا في ذلك قال مجاهد. وعن مجاهد قال: ما كان في القرآن: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أو (فعل بالإنسان) فإنما عني به الكافر. وعن سفيان: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ بلغني أنَّه الكافر..بتصرُّف عن (تفسير الطَّبري) (٣٠/ ٥٤). وقد أجمل الأقوال في بيان المراد ابن الجوزيِّ في (زاد المسير) حيث قال: قوله ﷻ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، أي: لعن، والمراد بالإنسان ها هنا: الكافر، وفيمن عنى بهذا القول ثلاثة أقوال، أحدها: أنَّه أشار إلى كلِّ كافر. قاله مجاهد. والثَّاني: أنَّه أميَّة بن خلف. قاله الضَّحاك. والثَّالث: عتبة بن أبي لهب. قاله مقاتل. وفي قوله ﷻ: ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ ثلاثة أقوال، أحدها: ما أشدَّ كفره! قاله ابن جريج. والثَّاني: أيُّ شيءٍ أكفره؟ قاله السُّديُّ. فعلى هذا يكون استفهام توبيخ. الثَّالث أنَّه على وجه التَّعجب، وهذا التَّعجب يؤمر به الآدميون والمعنى: (اعجبوا أنتم من كفره). قاله الزَّجاج. انظر: زاد المسير (٩/ ٣٠-٣١). وانظر: الدُّر المنثور (٨/ ٤١٩)، تفسير مجاهد (٢/ ٦١٦)، تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٢)، معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٥/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

قال القرطبيُّ في (تفسيره): «والصَّحيح أنَّه لا نسخ في الأخبار»[١]. وكذلك قال الزَّمخشريُّ في (الكشاف)[٢]. وقال ابن عطيَّة في (تفسيره): «النَّسخ في الإخبار لا يتصوَّر» [٣]. وذكر الآلوسيُّ أنَّه [أي: عدم جواز النَّسخ في الأخبار] هو المختار[٤]. وقال السُّيوطيُّ: «دعوى النَّسخ في الخبر جهلٌ بقواعد الأصول»[٥]. وقال الحارث المحاسبي: «إن النَّسخ في الأخبار يوجب بالخبر الثَّاني الكذب في الخبر الأوَّل كما يلزم منه البداء، والبداء من الجهل، وذو البدوات جاهلٌ بما يكون فيما يستقبل، والله ﷻ يقول: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الأنعام:١١٥]»[٦]. وأيضا شنَّع السَّرخسيُّ في (أصوله) على من قال بالنَّسخ في الأخبار، حيث قال: «ما يقوله أهل الزَّيغ من احتمال النَّسخ في الأخبار الَّتي تكون في المستقبل..»، وردَّ ذلك في كلام مطوَّل[٧].

وعلى أيَّة حالٍ فإنَّ المسألة مبسوطة في مظانِّها، وإنما أشرتُ إلى ذلك بإيجاز للحاجة إلى استيفاء ما نحن بصدد بيانه.

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٤٥).
(٢) الكشاف (٤/ ٥٣).
(٣) المحرَّر الوجيز (٥/ ٢٦)، وهو قول الثَّعالبي في (تفسيره) (٤/ ١٠٠).
(٤) انظر: روح المعاني (٢٧/ ١٣٥).
(٥) الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التَّفسير والحديث ..، للسُّيوطي (١/ ٣٥٣).
(٦) فهم القرآن، للحارث المحاسبي (ص: ٢٤٩).
(٧) انظر: أصول السَّرخسي (٢/ ٥٩-٦٠)، وانظر: مذكَّرة الشَّيخ الشِّنقيطي على روضة النَّاظر (ص: ٦٩).

وما يعنينا هنا أنَّ منع النَّسخ في الأخبار يقطع بعدم إيمانه وتوبته في الدُّنيا.

والحاصل أنَّ الآية تعليمٌ للمخاطَبين بإنشاء الدُّعاء عليه، أي: قولوا ذلك، فهو مصروفٌ إلى الخلق؛ لإعلامهم بأنَّه أهلٌ لأنَّ يُدْعى عليه.

أو هو من قبيل الإخبار بما يؤول إليه حاله.

أقول: والفائدةُ عدم اقتفاء أثر من كان حاله كذلك، والتَّحذير من سلوك طريقه. وفي ذكر المآل والعاقبة عبرة للمعتبر. .والقرآن إنما يعنى بالمقاصد، فليس الأمر مجرَّد إنشاء للدُّعاء عليه. وإذا كان القرآن الكريم لا يعنى غالبًا بذكر أشخاص ولا زمن ولا مكان ولا مسافات مما لا صلة بالحدث، فعندما يذكر فرعون -مثلًا- وهو لقب لملوك مصر في تلك الحقبة من الزمن لا يذكر من هو على وجه التحديد. وإذا نصَّ القرآن الكريم في القليلِ النَّادر على ذلك فإنما يكون لقصد عظيم.

والملاحظ هنا أنه جرى ذكر أبي لهب لفائدة، وهي أن الآية تتضمن الإعجاز والتَّحدي، فمن الَّذي يملك أن يطلق هذا التَّهديد على صفحات الدَّهر، والقطع بأنه لن يتوب في حياته، فلو أنَّ أبا لهب قال: آمنت ولو كذبًا؛ ليثبت أنَّه قد محى أسباب شقائه، أو بقصد تشكيك النَّاس بصحَّة هذا الإخبار لكان نسخًا للخبر، وقد علمتَ ما فيه. وفهم ذلك الإعجاز المشافهون بالخطاب وقت تنزله، ومن أتى بعدهم إلى قيام الساعة، فكانت الفائدة جليلة، دالة دلالة واضحة على أن القرآن الكريم إنما وحي الله تعالى، لا مبدل لكلماته.

خامسا: ألفاظ السَّلام هل هي من قبيل الإنشاء أم الخبر؟

أمَّا الآيات الَّتي هي موضع البحث من (ألفاظ السَّلام) فهي على النَّحو التَّالي:

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قوله ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ، وجاز الابتداء به -وإن كان نكرةً-؛ لأنَّه دعاءٌ، والدُّعاء من المسوِّغات[١].

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [هود: ٦٩].

وسلامُ الملائكةِ دعاءٌ[٢]. وهنا لطيفة فقد قالوا: إنَّ سلام الخليل عليه السلام أبلغُ من سلام الملائكة حيث قال: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾؛ فإنَّ نصب ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ إنما يكون على إرادة الفعل، أي: (سلَّمنا سلامًا)، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التَّسليم منهم؛ إذ الفعل تأخَّر عن وجود الفاعل، بخلاف سلام إبراهيم عليه السلام؛ فإنَّه مرتفع بالابتداء، فاقتضى الثُّبوت على الإطلاق، وهو أولى بما يعرض له الثبوت، فكأنَّه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيَّوه به اقتداء بقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء: ٨٦][٣].

---

(١) انظر: الدُّر المصون (٣/ ٧٣)، تفسير ابن عادل (٨/ ١٧٣)، (٢٠/ ٧٠)، السِّراج المنير (٤/ ٥٢٠).

(٢) انظر: المحرَّر الوجيز (٣/ ١٨٨)، وانظر: أيسر التَّفاسير (٣/ ٥٤).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٤/ ٧١)، والمحرَّر الوجيز (٣/ ١٨٨).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل: ٣٢].

قوله ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ، والجارُّ متعلِّق بالخبر، وجاز الابتداء بالنَّكرة؛ لأنها دعاء[(١)].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم: ٤٧] .ومعنى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ : أدعو الله ﷻ لك بالهداية والمغفرة[(٢)]. وكانت هـذه المقالة منه لأبيه قبل أن يوحى إليه أنَّه عدوٌّ لله ﷻ، وذلك أنَّه إنما تبيَّن له في أبيه أنَّه عدو لله ﷻ بأحد وجهين: إمَّا بموته على الكفر، وإمَّا أن يوحى إليه الحتم عليه[(٣)].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [القصص: ٥٥]. .متاركة لهم وتوديعًا ودعاء لهم بالسَّلامة عمَّا هم فيه، لا سلام تحيَّة وإكرام. ونظير ذلك: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟

---

(١) انظر: الدُّر المصون (٣/ ٧٣)، تفسير ابن عادل (٨/ ١٧٣)، (٢٠/ ٧٠)، السِّراج المنير (٤/ ٥٢٠)، تفسير النَّيسابوري (٢/ ٤٦٠).

(٢) انظر: تفسير العزِّ بن عبد السَّلام (١/ ٦٤٨)، البحر المحيط (٦/ ١٨٤).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٨٤)، المحرَّر الوجيز (٤/ ١٩).

سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣][١]، أي: متاركة لهم وتوديعًا أو دعاء لهم بالسَّلامة عمَّا هم فيه[٢]. وقال الآلوسيُّ: «قالوه توديعًا لهم لا تحيَّة أو هو للمتاركة»[٣]. وفي (معاني القرآن) للزَّجاج: «ليس يريدون بقولهم ههنا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ التَّحية. المعنى فيه: أعرضوا عنه وقالوا: سلام عليكم، أي: بيننا وبينكم المتاركة والتَّسَلُّمُ»[٤].

ومن ذلك ما سبقت الإشارة إليه ممَّا قيل في قوله عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان:٦٣]. وهذا يدلُّ على جواز متاركة المنصوح إذا ظهر منه اللجاج، وعلى أنَّه يحسن مقابلة الإساءة بالإحسان. ويجوز أن يكون دعاء له بالسَّلامة استمالة[٥].

وممَّا قيل في قوله عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات:٧٨-٧٩].

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾، أي: «من الأمم هذه الكلمة، وهي:

---

(١) انظر: روح المعاني (٢٠/ ٩٥)، السِّراج المنير (٣/ ١٥٦)، تفسير البيضاوي (٤/ ٢٩٨).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٤/ ٢٩٨).

(٣) روح المعاني (٢٠/ ٩٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٤/ ١٤٩).

(٥) انظر: الكشاف (٢/ ٥١٣)، تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم:٤٧] تفسير الرَّازي (٢١/ ٥٤٧)، تفسير ابن عادل (١٣/ ٧٩)، السِّراج المنير (٢/ ٤٧٤)، فتح القدير (٣/ ٤٨٠)، تفسير النَّيسابوري (٤/ ٤٩٢)، تفسير القاسمي (٥/ ٨٢).

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ ، يعني: يسلِّمون عليه تسليمًا، ويدعون له، وهو من الكلام المحكي، كقولك: (قرأت ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١])»[1]. «ومعلوم أنَّ هذا السَّلام فيهم هو سلام العالمين عليه، كلُّهم يسلِّم عليه، ويثني عليه، ويدعو له، فذكره بالسَّلام عليه فيهم. وأمَّا سلام الله ﷻ عليه فليس مقيَّدًا بهم؛ ولهذا لا يشرع أن يسأل الله ﷻ مثل ذلك، فلا يقال: (السَّلام على رسول الله في العالمين)، ولا: (اللهمَّ صلِّ وسلم على رسولك في العالمين)، ولو كان هذا هو سلام الله ﷻ لشرع أن يطلب من الله ﷻ على الوجه الَّذي سلَّم به. وأمَّا قولهم: إنَّ الله ﷻ سلَّم عليه في العالمين، وترك عليه في الآخرين، فالله ﷻ أبقى على أنبيائه ورسله -عليهم الصَّلاة والسَّلام- سلامًا وثناءً حسنًا فيمن تأخَّر بعدهم جزاء على صبرهم وتبليغهم رسالاتِ ربهم، واحتمالهم للأذى من أممهم في الله ﷻ. وأخبر أنَّ هذا المتروك على نوح عليه السلام هو عامٌّ في العالمين، وأنَّ هذه التَّحية ثابتة فيهم جميعًا لا يخلون منها، فأدامها عليه في الملائكة والثَّقلين طبقًا بعد طبق، وعالما بعد عالم، مجازاة لنوح عليه السلام بصبره وقيامه بحقِّ ربِّه، وبأنَّه أوَّل رسول أرسله الله ﷻ إلى أهل الأرض، وكلُّ المرسلين بعده بعثوا بدينه كما قال ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]»[2].

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٤٣).

(٢) جلاء الأفهام، لابن القيِّم (١/ ٤٦١-٤٦٢).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذَّاريات: ٢٥].

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٥] .وقد اختلف في معنى ﴿سَلَامٌ﴾ هنا؟ «فقيل: إنَّه من السَّلام. وقيل: إنَّه من التَّحية؛ لأنَّ الملائكة يسلِّمون على المؤمنين القائمين فيها»[1]. وقال العلامة محمد الطَّاهر بن عاشور: «والسَّلام [هنا] بمعنى: التَّحية..»[2]. ومن الخير العظيم: سلام الملائكة على المؤمنين[3]. والحاصل في جواب السُّؤال الَّذي قد يرد، أعني: هل صيغة (السَّلام عليكم) من قبيل الإنشاء أم من قبيل الخبر؟ فقد أجاب ابن القيِّم رحمه الله عن ذلك، وعن الإشكال الَّذي قد يفهم من قول سيبويه[4] الآتي بكلامٍ جِدُّ نفيس حيث قال:

الجواب: «إنَّ قول المسلم: (سلام عليكم) ونحوه من ألفاظ الدُّعاء متضمِّن للإنشاء والإخبار، فجهة الخبريَّة فيه لا تناقض جهة الإنشائيَّة، وهذا موضعٌ بديعٌ يحتاج إلى كشف وإيضاح فنقول: الكلامُ له نسبتان نسبة إلى المتكلَّم به نفسه، ونسبة إلى المتكلَّم فيه إمَّا طلبًا، وإمَّا خبرًا، وله نسبةٌ ثالثة إلى المخاطَب لا يتعلَّق بها هذا الغرض، وإنما يتعلَّق

(١) تفسير ابن جزي (٤/ ٢١١).

(٢) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٣٠/ ٤٦٥).

(٣) انظر: أضواء البيان (٩/ ٣٨).

(٤) انظر: الكتاب، لسيبويه (١/ ٣٣٣-٣٣٤). وسيأتي بيان قول سيبويه بتمامه في (الاستفتاح بالدُّعاء في القرآن).

تحقيقه بالنِّسبتين الأوليين، فباعتبار تينك النِّسبتين نشأ التَّقسيم إلى الخبر والإنشاء، ويعلم أين يجتمعان، وأين يفترقان، فله بنسبته إلى قصد المتكلِّم وإرادته لثبوت مضمونه وصف الإنشاء. وله بنسبته إلى المتكلَّم فيه والإعلام بتحقُّقه في الخارج وصف الإخبار، ثمَّ تجتمع النسبتان في موضع، وتفترقان في موضع، فكلُّ موضعٍ كان المعنى فيه حاصلا بقصد المتكلِّم وإرادته فقط فإنَّه لا يجامع فيه الخبر الإنشاء، نحو قوله: (بعتك كذا) و(وهبتكه) و(أعتقت) و(طلقت)، فإنَّ هذه المعاني لم يثبت لها وجود خارجي إلا بإرادة المتكلِّم وقصده، فهي إنشاءات وخبريَّتها من جهة أخرى، وهي تضمُّنها إخبار المتكلِّم عن ثبوت هذه النِّسبة في ذهنه، لكن ليست هذه هي الخبريَّة الَّتي وضع لها لفظ الخبر.

وكل موضع كان المعنى حاصلًا فيه من غير جهة المتكلم، وليس للمتكلم إلا دعاؤه بحصوله ومحبته فالخبر فيه لا يناقض الإنشاء، وهذا نحو: (سلام عليكم)؛ فإن السَّلامة المطلوبة لم تحصل بفعل المسلم، وليس للمسلم إلا الدُّعاء بها ومحبتها، فإذا قال: (سلام عليكم) تضمُّن الإخبار بحصول السَّلامة والإنشاء للدُّعاء بها وإرادتها وتمنيها. وكذلك: (ويل له) قال سيبويه: هو دعاء وخبر(١). ولم يفهم كثيرٌ من النَّاس قول سيبويه على وجهه، بل حرَّفوه عمَّا أراده به، وإنمَّا أراد سيبويه هذا المعنى أنها تتضمَّن الإخبار بحصول (الويل) له مع الدُّعاء

---

(١) الكتاب، لسيبويه (١/ ٣٣٣ - ٣٣٤) .

به. فتدبَّر هذه النُّكتة الَّتي لا تجدها محرَّرة في غير هذا الموضع هكذا، بل تجدهم يطلقون تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، من غير تحرير وبيان لمواضع اجتماعهما وافتراقهما.

وقد عرفت بهذا أن قولهم: (سلام عليكم)، و(ويل له) وما أشبه هذا أبلغ من إخراج الكلام في صورة الطَّلب المجرد نحو: (اللهمَّ سلِّمه)[١].

سادسًا: ألفاظ الصَّلاة الَّتي هي من قبيل الدُّعاء

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٩٩].

ومعنى: ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ﴾ استغفاره ودعاؤه. والصَّلاة تقع على ضروب، فالصَّلاة من الله ﷻ الرَّحمة والخير والبركة[٢]، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب:٤٣]، والصَّلاة من الملائكة الدُّعاء، وكذلك هي من النَّبي ﷺ، كما قال: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾ [التوبة:١٠٣]، أي: دعاؤك تثبيت لهم وطمأنينة»[٣]. ويعلم الفرق أيضًا بين الصَّلاة من الله ﷻ، وبين صلاة الملائكة، وبين صلاة المخاطَبين من قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيِّم (٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨).

(٢) وذلك كما في قوله ﷻ: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ﴾ [البقرة: ١٥٧].

(٣) تفسير القرطبي (٨/ ٢٣٥).

يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]؛ فإنَّ الصَّلاة من الله ﷻ ثناؤه على العبد عند الملائكة. وقيل: الصَّلاة من الله ﷻ الرَّحمة -وسيأتي التَّعقيب على هذا القول- ومن الملائكة الاستغفار والدُّعاء، ومن الآدميين الدُّعاء(١).

أقول: أمَّا ما قيل: إنَّ الصَّلاة من الله ﷻ: الرَّحمة فهو قول مرجوح، وذلك لما ذكره البخاريُّ في (صحيحه)، «باب قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال أبُو الْعَالِيَة: **صَلاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلائِكَةِ، وَصَلاةُ الْمَلائِكَةِ: الدُّعَاءُ**»(٢). **فصلاتنا على الرَّسول** ﷺ هو دعاؤنا وسؤالنا الله ﷻ بأن يصلِّي عليه، والصَّلاة من الله ﷻ: ثناؤه على عبده في الملائكة، ولنبيِّنا ﷺ من ثناء الله ﷻ أكمل ما أثنى الله ﷻ به على عبدٍ من عباده؛ لأنَّه ﷺ أفضل الخلق، وهو سيِّد ولد آدم عليه السلام، فحظُّه من صلاة الله ﷻ، ومن ثناء الله ﷻ هو

---

(١) وينظر ذلك مفصَّلاً في (تفسير ابن عادل) (١/ ٢٩٠)، (٥/ ٩٥)، (١٥/ ٥٦٠-٥٦١)، (١٥/ ٥٨٦)، تفسير أبي السُّعود (٧/ ١١٣)، الخازن (٥/ ٢٦٦)، (٥/ ٢٧٤)، السِّراج المنير (٣/ ٣١٤)، تفسير السلمي (٢/ ١٥٠)، تفسير السَّمعاني (١/ ٤٤)، (١/ ١٥٧)، إلى غير ذلك.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٨٠٢)، وانظر: فتح الباري (٨/ ٥٣٣). وقال الحافظ ابن كثير: «والصَّلاة من الله ﷻ ثناؤه على العبد عند الملائكة، حكاه البخاريُّ عن أبي العالية. ورواه أبو جعفر الرَّازي عن الرَّبيع بن أنس عنه. وقال غيره: الصَّلاة من الله الرَّحمة». تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٦).

أوفر حظٍّ ونصيب. فالصَّلاة من الله ﷻ على الرَّسول ﷺ، وعلى الأنبياء والمرسلين وعلى المؤمنين كما قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، والصَّلاة من الله ﷻ بمعنى: الثَّناء، يعني: يُثني على نبيِّه ﷺ في الملإ الأعلى. ويكون معنى قولنا: (اللهم صلِّ على محمَّد) يعني: (اللهم أثْنِ على محمَّد ﷺ في الملإ الأعلى بما هو أهله). والصَّلاة من الملائكة على المؤمنين هو الدُّعاء لهم والاستغفار كما قال ﷻ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]. والصَّلاة من العبد للعبد: (اللهمَّ صلِّ على فلان) يعني: (اللهمَّ أثنِ على فلان). يقال: (صليتُ عليك أو لك)، يعني: دعوت لك، وقد قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ويدلُّ على صحَّة ما تقدَّم ما دلَّ عليه قول الله ﷻ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ﴾ [البقرة: ١٥٧]، فعطف الرَّحمة على الصَّلوات، والأصل في العطف المغايرة؛ لأنَّ الرَّحمة تكون لكلِّ أحد؛ ولهذا أجمع العلماء على أنَّه يجوز أن تقول: (فلان رحمه الله)، واختلفوا: هل يجوز أن تقول: (فلان صلى الله عليه؟)[1].

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ١٥٦)، القول المفيد على كتاب التَّوحيد (١/ ٤٤٨)، الكليَّات =

سابعًا: الاستفتاح بالدُّعاء في القرآن

أمَّا الاستفتاح[(١)] بالدُّعاء في القرآن فقد ورد في (ثلاث) سور:

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١].

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١].

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١].

قال سيبويه: وهذا دعاء وخبر[(٢)].

وقال: «وأمَّا قوله تعالى جدُّه: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المرسلات: ١٥]، و﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، فإنَّه لا ينبغي أن تقول: إنَّه دعاء ههنا؛ لأنَّ الكلام بذلك قبيح، واللَّفظ به قبيح، ولكن العباد إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون،

= (ص: ٥٥٣-٥٥٤)، مجموعة الرَّسائل والمسائل والفتاوى، لحمد بن ناصر بن عثمان آل معمر التَّميمي الحنبلي (١/ ١٦٧)، وانظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيِّم، لأحمد بن إبراهيم (١/ ٢٠-٢١).

(١) المراد بالاستفتاح هنا: استفتاح (السُّور)، وليس الآيات. أمَّا استفتاح (الآيات) فانظر الآيات التَّالية: ﴿وَيۡلٞ﴾ [الجاثية: ٧]، [المرسلات: ١٥- ١٩-٢٤- ٢٨- ٣٤ - ٣٧ -٤٠ - ٤٥ - ٤٧- ٤٩]، [المطففين: ١- ١٠]، [الهمزة: ١]، ﴿فَوَيۡلٞ﴾ [البقرة: ٧٩]، [الذَّاريات: ٦٠]، [الطُّور: ١١]، [الماعون: ٤]. وأمَّا قوله ﷻ: ﴿وَوَيۡلٞ﴾ فلم ترد في أوائل السُّور أو الآيات، وإنما وردت في أثنائها.

(٢) انظر: الكتاب، لسيبويه (١/ ٣٣٣- ٣٣٤)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٦)، بدائع الفوائد، لابن القيِّم (٢/ ٣٦٧- ٣٦٨). ومنهم من أنكر كونه دعاء لاستحالته هنا، وأجاب الزَّركشي أنَّه مصروف للخلق وإعلامهم بأنهم أهلٌ لأن يُدعى عليهم. انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٦).

فكأنَّه -والله أعلم- قيل لهم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ ، و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ ، أي: هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشَّر والهلكلة، فقيل: هؤلاء ممَّن دخل في الشَّر والهلكة ووجب لهم هذا. ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه:٤٤]، فالعلم قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما ومبلغكما من العلم، وليس لهما أكثر من ذا ما لم يعلما. ومثله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٣٠]، [المنافقون:٤] ، فإنما أجري هذا على كلام العباد وبه أنزل القرآن»[١].

وقد يشكل قول سيبويه، وقد سبق بيان الجواب عن ذلك يما يزيل الإشكال.

ثامنًا: الأهداف والمقاصد

١ - الدُّعاءُ وسيلةٌ من وسائل الاتِّصال بين المخاطِب -بكسر الطاء المهملة- والمخاطَب -بفتح الطاء المهملة-.

٢ - إنَّ التَّعرُّف على صيغ الدُّعاء في الخطاب القرآني هو من التَّعرف على أسمى صيغه، وأكثرها بلاغة، وأجمعها للمعاني.

٣ - إنَّ صيغ الدُّعاء من جملة صيغ الإنشاء الطَّلبيِّ.

٤ - إنَّ الدُّعاء بمعناه الشَّرعي هو أخصُّ من الدُّعاء من حيث معناه

(١) الكتاب، لسيبويه (١/ ٣٣٣-٣٣٤) .

اللُّغوي العام.

٥ - إنَّ إخلاص الدُّعاء لله ﷻ فيه الخير العظيم للمخاطَب -بفتح الطاء المهملة-، حيث يشعر بلذَّة القرب والمناجاة، وهي وسيلة من وسائل الظَّفر بالمرغوب، ودفع المكروه..

٦ - قال الإمام الغزالي رحمه الله: فإن قيل: فما فائدة الدُّعَاء مع أنَّ القضاء لا مَرَدَّ لهُ؟ فاعْلَمْ أنَّ من جُمْلَة القضاء: رَدُّ الْبَلاء بالدُّعَاء، فإنَّ الدُّعَاء سَبَب رَدِّ الْبَلاء، وَوُجُود الرَّحْمَة، كما أَنَّ الْبَذْر سبب لِخُرُوجِ النَّبَات من الأَرْض، وكما أنَّ التُّرْسَ يَدْفَع السَّهْم كذلك الدُّعَاء يَرُدُّ البلاء..[(١)].

ولا تتوقَّف فائدة الدُّعاء على ما ذكره الغزاليُّ رحمه الله بل يضاف إليه ما ذكرته هنا من المقاصد، وكونه عبادة وطاعة، وقد أمر به العبدُ.

٧ - لا بدَّ أن يكون الدُّعاء مقرونًا بالتَّضرع والإخفاء، بعيدًا عن الرِّياء كما في قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥- ٥٦].

وذلكَ أنَّ من فائدة الدُّعاء:

١ - الخوف من العقاب..وهو محفِّز إلى فعل المأمور، واجتناب المحظور.

---

(١) انظر ما قاله الغزاليُّ مفصَّلاً في (إحياء علوم الدِّين) (١/٣٢٨- ٣٢٩)، وانظر: تفسير الثَّعالبي (١/ ١٤٣)، (٢/ ٢١٢)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٤٠).

٢ - الطَّمع في الثَّواب، وهو كذلك محفِّزٌ...

فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾، أي: ادعوه سبحانه خائفين من عقابه، طامعين في ثوابه. ثمَّ إنَّه بيَّن فائدة الدُّعاء، وعلَّل سبب طلبه، فقال: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، أي: إنَّ رحمته قريبةٌ من كلِّ محسنٍ، وهي أكيدةٌ محقَّقة. والجزاء من جنس العلم، فمن أحسن في عبادته نال حُسن الثَّواب، ومن أحسن في الدُّعاء نال خيرًا مما طَلَب.

وقال ابن عادل في (تفسيره): «إن قلت: قال في أوَّل الآية: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾، وقال هنا: ﴿وَٱدۡعُوهُ﴾، وهذا هو عطف الشَّيء على نفسه، فما فائدة ذلك؟ قلتُ: الفائدة فيه أنَّ المراد بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾، أي: ليكن الدُّعاء مقرونًا بالتَّضرع والإخبات، وقوله: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ أنَّ فائدة الدُّعاء أحدُ هذين الأمرين، فكانت الآية الأولى في بيان شرط صحَّة الدُّعاء، والآية الثَّانية في بيان فائدة الدُّعاء. وقيل: معناه: كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرَّجاء في أعمالكم كلِّها، ولا تطمعوا أنكم وفيتم حقَّ الله عَزَّوَجَلَّ في العبادة والدُّعاء، وإن اجتهدتم فيهما.

الثَّانية: في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ الآية، ترجيحٌ للطَّمع على الخوف؛ لأنَّ المؤمن بين الرَّجاء والخوف، ولكنَّه إذا رأى سعة رحمته

وسبقها، غلب الرَّجاء عليه»[١].

وليست حالة في الطَّاعات أشرف من حال الدُّعاء؛ لأنَّ الإنسان ربما يُشغل قلبه في جميع العبادات، في الصَّلاة والصَّوم وغيرها، فأمَّا في حالة الدُّعاء فيلزم جوارحه ويضطر إليه، فأيُّ حالة أحسن من هذا؟[٢].

❊ ❊ ❊

(١) تفسير ابن عادل (٩/ ١٦٠)، الرَّازي (١٤/ ٢٨٦)، الخازن (٢/ ٢٤٢)، النَّيسابوري (٣/ ٢٥٨).

(٢) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، للكلاباذي (ص: ٢٢٦).

المطلب السابع
التَّمني والتَّرجي في الخطاب القرآني

ويتضمَّن ما يلي:

● **أوَّلا: التَّعريف والأدوات**

أ. **التَّعريف:**

التَّمني: التَّشهي والرَّغبة في حصول الشَّيء، وأداته: (ليت)، و(لو)، فإن كان مع زوال المرغوب فيه عن شخص؛ ليحصل للمتمني فهو الحسد(١).

والتَّمني نوع من الإرادة يتعلَّق بالمستقبل، وإذا شاهد الإنسان أنواع الفضائل حاصلةً لإنسان، ووجد نفسه خاليًا عن جملتها، أو عن أكثرها، فحينئذٍ يتألَّمُ قلبه، ثمَّ يعرض له ها هنا حالتان:

إحداهما: أن يتمنى زوال تلك السَّعادات عن ذلك الإنسان.

والأخرى: لا يتمنَّى ذلك، بل يتمنَّى حصول مثلها له.

فالأوَّل هو الحسدُ المذموم، والثَّاني هو الغِبْطَة، فأمَّا كون الحسد مذمومًا؛ فلأنَّ الله ﷻ لما دبَّر هذا العالم، وأفاضَ أنواعَ الكرم عليهم، فمن تمنَّى زوال ذلك، فكأنَّه اعترض على الله ﷻ في فعله، وفي حكمته، وربَّما اعتقد في نفسه أنَّه أحقُّ بتلك النِّعم من ذلك

---

(١) أو يقال: التَّمني: طلب حصول شيء على سبيل المحبَّة. شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٣٨).

الإنسان، فيكون هذا اعتراضًا على الله ﷻ وقَدْحًا في حكمته، وكلُّ ذلك ممَّا يلقيه في الكفر، وفساد الدِّين، ويزيل عن قلبه نور الإيمان، وكما أنَّ الحسد سبب للفساد في الدِّين، فكذلك هو السَّبب للفساد في الدُّنيا؛ فإنَّه يقطع المودَّة والمحبَّة والموالاة، ويقلب كلَّ ذلك إلى أضَّدادها[1]. وهذا المعنى مستفاد من قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [النساء: ٣٢].

وفي (تفسير الخازن): «أصل التَّمني: إرادة الشَّيء وتشهِّي حصول ذلك الأمر المرغوب فيه، ومنه: حديث النَّفس بما يكون وبما لا يكون. وقيل: التَّمني تقدير الشَّيء في النَّفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظنٍّ، وقد يكون عن رؤيَّة. وأكثر التَّمني تصورٌّ ما لا حقيقة له. وقيل: التَّمني عبارة عن إرادة ما يعلم أو يظنُّ أنَّه لا يكون»[2].

والحاصل أنَّ الحسد هو تمني زوالَ النِّعمةِ عن المحسود وإن لم يَصِرْ للحاسد مثلها، وتفارقه الغِبْطَة فإنَّها تمني مثلها من غير حبِّ زوالها عن الإنسانِ المغبوط.

ومن هنا يمكن النَّظرُ إلى التَّمني من شقِّه المحمود الَّذي يحفِّز المكلَّف على النُّهوض بحاله، كما يمكن النَّظرُ إليه من شقِّه المذموم ليحترز المكلَّف عنه، فإنَّ ما يؤاخذ المكلَّف عليه ما يظهر له أثرٌ يلحق

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٦٢- ١٦٣)، تفسير ابن عادل (٦/ ٣٥٠)، تفسير الرَّازي (١٠/ ٦٤)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٥).

(٢) تفسير الخازن (١/ ٥١٥-٥١٦).

الأذى بالمحسود، أو يجر أسباب المحنة إليه، والسَّبب هو العلمُ بحسن حال الأخيار..

وقد ذكر العلماء أسبابًا كثيرة للحسد تنظر في مظانِّها[(١)]. أهمها: العداوة والبغضاء، فإن من آذاه شخص لسبب من الأسباب، أو خالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه، وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد الذي يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، وربما يفضي إلى التنازع والتقاتل والسعي إلى إزالة النعمة بالطرق الخبيثة، والحيل القبيحة. ومنها: الخوف من فوت المقاصد، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، كتحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين؛ للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال. ومنها: حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى مقصود، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر، وفريد العصر في فنه، وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك، وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه المنزلة، من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به، ويفرح بسبب تفرده، وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود

(١) انظر: إحياء علوم الدِّين (٣/ ٢٠٥-٢٠٦).

ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد..إلى غير ذلك.

والحسدُ إمَّا أن يكون على أمرٍ دنيويٍّ..أو على أمرٍ أخرويٍّ، فإن كان على أمر دنيويٍّ، فإنَّ ما شاء الله ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يردُّه كراهيةُ كارهٍ كَرِهَ حكم الله ﷻ، وقسمته في عباده، وذلك ابتلاء من الله ﷻ للعبد..

وإن كان في أمرٍ أخرويٍّ وكان قد سعى إليه فلم يبلغْه، فلا ينبغي أن يجزع إذا سبقه أحدٌ إلى ذلك جزعًا يترتَّب عليه أثرٌ يضرُّ بمن سبقه إلى ذلك..فإنَّما الأعمالُ بالنِّيات[(١)]، فما دام قد نوى فقد حصَّل الأجر..، والإنسان دائمًا يسعى إلى النُّهوض والرُّقي، وإنَّ التَّشبه بأصحاب الهمم والصَّالحين والأخيار وعدم الرِّضا عن النَّفس سُلَّمٌ إلى الكمال..[(٢)].

ولذلك فإنَّ المنافسة في الطَّاعات أمرٌ محمود كما قال الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ

---

(١) حديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» أخرجه البخاريُّ عن عمر بن الخَطَّابِ رضي الله عنه [١].

(٢) ويتبينَّ ممَّا سبقَ أنَّ علاجَ الحسد أن يعلم أنَّ كلَّ شيءٍ بقضاءِ الله ﷻ وقدره..-كما سبق- وأنَّه لا ضَرَرَ على المحسودِ في دنياه؛ لأنَّ النِّعمة لا تزولُ عنه بحسد الحاسد، بل ينتفع؛ لأنَّه مظلومٌ من جهة الحاسد فيثيبه الله ﷻ على ذلك. بل قد ينتفع في دنياه من جهة أنَّ الحاسد قد قصد إلى إلحاق الضَّرر به، ولكنَّ الضَّرر يرتدُّ عليه، فلا تزال همومه وأحزانه تزداد إلى أن يفضي به ذلك إلى الدَّنف أو التَّلف. ولقد أحسن من قال:

(اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله)
(فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله).

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

كما بيَّن النَّبي ﷺ أنَّ من الحسد ما ليس بمحرَّم، بل هو في حقيقته ليس بحسد، وإنما من (الغِبْطَة)، وقد أورد ما يدلُّ على ذلك الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث ذكر في (باب الاغتباط في العلم والحكمة) من حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**لا حَسَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

ومن أنواع الإنشاء: التَّمني والتَّرجي(٢). أمَّا التَّمني فهو طلب أمرٍ

(١) أخرجه البخاريُّ، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم [٧١].

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٣٩٥). وفي (مختصر المعاني): «وأنواعه، أي: الطَّلب كثيرة منها: التَّمني..». مختصر المعاني، للسَّعد (١٢١-١٢٣)، وانظر: الكليَّات (ص: ٤٦٩). وفي (التَّحبير): «هذه الأربعةُ، وهي: العرضُ والتَّحضيضُ والتَّمنِّي والتَّرجي ليس طلبًا صريحًا، بل إيماء إلى الطَّلب، فهي شبيه بالطَّلب الصَّريح، ولكونه ليس طلبًا بالوضع جعله قوم -كالبيضاويِّ- قسيمًا له، [انظر: نهاية السُّول شرح منهاج الأصول (١/ ١٩٠)] بحيث قال: إنَّ الكلام إمَّا أن يفيد طلبًا بالوضع، وهو الأمر والنَّهي، والاستفهام، أو لا، فما لا يحتمل الصِّدق والكذب تَنْبِيهٌ وَإِنْشَاءٌ، وَمُحْتَمِلُهُمَا الخبر. فقوله: (فما لا يحتمل)، [أي]: منه (الصِّدق والكذب) فيما دلَّ عليه (تَنْبِيهٌ وَإِنْشَاءٌ) أي: يُسَمَّى بِكُلٍّ من هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ سَوَاءٌ لَمْ يُفِدْ طَلَبًا، نَحْوُ: (أَنْتِ طَالِقٌ) أَمْ أَفَادَ طَلَبًا بِاللاَّزِم كَالتَّمَنِّي وَالتَّرَجِّي نَحْوُ: (لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ). و(لَعَلَّ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَعْفُوَ عَنِّي). (وَمُحْتَمِلُهُمَا)، أَيْ: الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ مِنْ حَيْثُ هُوَ (الْخَبَرُ) وقد يقطع بصدقه أو كذبه لأمور خارجة. انظر: حاشية العطَّار على جمع الجوامع (٢/ ١٣٦)، التَّحبير (٤/ ١٧١٠-١٧١٢). =

محبوبٍ أو مرغوب فيه لكن لا يرجى حصوله في اعتقاد المتمني؛ لاستحالته في تصوُّره، أو هو لا يطمع في الحصول عليه؛ إذ يراه متعذِّرًا بعيدَ المنال[(١)].

أمَّا التَّرجي فهو طلبُ أمرٍ محبوبٍ أو مرغوبٍ فيه ممَّا يرى طالبه أنَّه مطموع فيه، وهو يترقَّب الظَّفر به، أو الحصول عليه، وقد ترد صيغته لمجرَّد التَّوقع، ولو كان توقُّعَ أمرٍ محذور منه، ويسمَّى حينئذٍ: (إشفاقًا)، كما في قوله ﷻ: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى:١٧]. وقد نَقَلَ القرافيُّ[(٢)] في (الفروق)[(٣)] الإجماعَ على أنَّه [أي:

= وانظر: شرح الرَّضي على الكافية (٤/ ٣٣٢)، شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٣٨-٢٣٩).

(١) انظر الفرق بين التَّمني والتَّرجي مفصَّلاً في (شروح تلخيص المفتاح) (٢/ ٢٣٨) إلى (ص:٢٤٥). وانظر: الإبهاج (١/ ٢٢٠)، نهاية السُّول، للإسنويِّ (١/ ١٩١)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢/ ٣٩٧). وفي (التَّحبير): «الفرق بين التَّرجي والتَّمني أنَّ التَّرجي لا يستعمل إلا في الممكن بخلاف التَّمني فإنَّه يستعمل في الممكن والمستحيل، تقول: (ليتَ الشَّبابَ يعودُ)، ولا تقول: (لعلَّ الشَّباب يعود)". التَّحبير (٤/ ١٧١٠-١٧١٢)، وانظر: دستور العلماء (١/ ٢٣٨)، وينظر: المعجم الوسيط، مادَّة: (لعلَّ)، (٢/ ٨٢٩)، النَّحو الوافي، للدُّكتور عباس حسن (٤/ ٣٧٠)، درَّة الغوَّاص في أوهام الخواص (ص: ٢٣٦).

(٢) هو أبو العباس، شهابُ الدِّين الصَّنهاجي القرافي، من علماء المالكيَّة، فقيهٌ، أصوليٌّ، مفسِّر، نسبته إلى قبيلة (صنهاجة) -من برابرة (المغرب)- وإلى (القرافة) -المحلَّة المجاورة لقبر الإمام الشَّافعي (بالقاهرة)- وهو مصريُّ المولد والمنشأ والوفاة. له مصنَّفات جليلة في الفقه والأصول. توفي [٦٨٤هـ]. انظر: الأعلام (١/ ٩٥)، معجم المؤلِّفين (١/ ١٥٨)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الذَّهبي (٥١/ ١٧٦).

(٣) انظر: الفروق، للقرافي (١/ ٤١- ٤٩). وقال السَّعد في (مختصر المعاني) (١/ ١٢١): «وأنواعه - أي: الطَّلب- كثيرة منها: التَّمني، وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبَّة، واللَّفظ الموضوع له: (ليت)، ولا يشترط إمكان المتمنى بخلاف التَّرجي» اهـ.

التَّرجي] إنشاء، وفرَّق بينه وبين التَّمني بأنَّه في الممكن، والتَّمني فيه وفي المستحيل، وبأنَّ التَّرجي في القريب، والتَّمني في البعيد، وبأنَّ التَّرجي في المتوقَّع والتَّمني في غيره، وبأنَّ التَّمني في المشفوق للنَّفس، والتَّرجي في غيره[(١)].

قال السُّيوطيُّ: «سمعت شيخنا العلَّامة الكافيجي[(٢)] يقول: الفرقُ بين التَّمني وبين العَرض هو الفرق بينه وبين التَّرجي، وحرف التَّرجي: (لعلَّ) و(عسى) وقد ترد مجازًا؛ لتوقُّع محذور، ويسمَّى: (الإشفاق) نحو: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ »[(٣)].

والحاصل أنَّ التَّمني هو طلب الشَّيء المحبوب الَّذي لا يرجى حصوله.

إمَّا لكونه مستحيلًا، كقوله ﷻ حكاية عن الَّذين وقفوا على النَّار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧][(٤)].

---

(١) انظر: الفروق (١/ ٤١-٤٩).

(٢) هو محمَّد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرُّوميِّ الحنفيِّ محيي الدِّين، أبو عبد الله الكافيجي، من كبار العلماء بالمعقولات. روميُّ الأصل. اشتهر (بمصر)، ولازمه السُّيوطيُّ [١٤] سنة. وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النَّحو. ولي وظائف، منها: مشيخة الخانقاه الشَّيخونية. وانتهت إليه رياسة الحنفيَّة (بمصر)، توفي [٨٧٩هـ]. الأعلام (٦/ ١٥٠)، وانظر: بغية الوعاة (١/ ١١٧)، معجم المؤلِّفين (١٠/ ٥١).

(٣) الإتقان (٢/ ٢٢٢).

(٤) أمَّا قوله ﷻ: ﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ففيه مسائل: المسألة الأولى: قوله: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ يدلُّ على أنَّهم قد تمنوا أن يردُّوا إلى الدُّنيا. فأمَّا قوله: ﴿وَلَا =

ب. وإمَّا لكونه ممكنًا غير مطموع في نيله كقوله ﷻ: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ [القصص: ٧٩].

وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجيًا. ويعبر فيه بـ: (عسى) و(لعلَّ)، كما في قوله ﷻ: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا﴾ [الطلاق: ١٠]، ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢].

= نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: أنَّه داخل في التَّمني والتَّقدير: أنَّهم تمنُّوا أن يردُّوا إلى الدُّنيا، ولا يكونوا مكذِّبين، وأن يكونوا مؤمنين. فإن قالوا هذا باطل؛ لأنَّه ﷻ حكم عليهم بكونهم كاذبين بقوله في آخر الآية: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، والمتمني لا يوصف بكونه كاذبًا. قلنا: لا نسلِّم أنَّ المتمني لا يوصف بكونه كاذبًا؛ لأنَّ من أظهر التَّمني فقد أخبر ضمنًا كونه مريدًا لذلك الشَّيء، فلم يبعد تكذيبه فيه، ومثاله أن يقول الرَّجل: (ليت الله يرزقني مالا فأحسن إليك)، فهذا تمن في حكم الوعد، فلو رزق مالاً ولم يحسن إلى صاحبه لقيل: إنَّه كذب في وعده .القول الثَّاني: أنَّ التَّمني تمَّ عند قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ ، وأمَّا قوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فهذا الكلام مبتدأ، وقوله ﷻ في آخر الآية: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ عائد إليه. وتقدير الكلام: (يا ليتنا نرد)، ثمَّ قالوا: ولو رددنا لم نكذِّب بالدِّين، وكنَّا من المؤمنين، ثمَّ إنَّه ﷻ كذَّبهم، وبيَّن أنهم لو ردُّوا لكذبوا، ولأعرضوا عن الإيمان» .«فإن قيل: كيف يحسن منهم تمني الرَّد مع أنهم يعلمون أنَّ الردَّ لا يحصل ألبتَّة؟ والجواب من وجوه: الأوَّل: لعلَّهم لم يعلموا أنَّ الردَّ لا يحصل. والثَّاني: أنهم وإن علموا أنَّ ذلك لا يحصل إلا أنَّ هذا العلم لا يمنع من حصول إرادة الردِّ كقوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [المائدة: ٣٧]، وكقوله: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ٥٠]، فلمَّا صحَّ أن يريدوا هذه الأشياء مع العلم بأنها لا تحصل، فبأن يتمنَّوه أقرب؛ لأنَّ باب التَّمني أوسع؛ لأنَّه يصح أن يتمنى ما لا يصح أن يريد». تفسير الرَّازي (١٢/ ٥٠٧).

ب .**الأدوات**:

وللتَّمني أربع أدوات، واحدة منها أصليَّة، وهي الأداة الأمُّ الَّتي وضعت للتَّمني، وهي (ليت).-وستأتي دراسة (ليت) في القرآن الكريم-.

وثلاث غير أصليَّة نائبة عنها، ويتمنى بها لغرض بلاغيٍّ[(١)]، وهي:

١ - **(هل)** كقوله ﷻ: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣].

ونكتة العدول عن (ليت) إلى (هل): إبرازُ المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الَّذي لا يجزم بانتفائه، وهو المستفهم عنه[(٢)]. جملة: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ من الإنشاء الطَّلبي، والمطلوب نوع من التَّمني في أمر مرغوب فيه لا يطمعون في الحصول عليه. والأداة المستخدمة هي: (هل)، والاستفهام هنا مستخدم في التَّمني؛ لأنهم يعلمون أنَّه لا يشفع أحدٌ يومئذٍ إلا بإذن الله ﷻ، ولا يردون إلى الدُّنيا..

٢ - **(لو)** وتأتي بها إذا كان المتمنى عزيزًا، صعب الوقوع، بعيد المنال كقوله ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البقرة: ١٠٩]. فإنَّ (لو) في معنى: التَّمني[(٣)].

---

(١) انظر: جواهر البلاغة (ص: ٦٥).

(٢) انظر: مختصر المعاني، للسَّعد (ص: ١٢٢) .

(٣) تفسير أبي السُّعود (١/ ١٤٥). وقد قالوا: إنها تأتي للتَّمني مثل (ليت) في المعنى لا في اللَّفظ =

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩]، حيث قال: ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ ، ولم يقل: (أن يضلوكم)؛ لأنَّ (لو) للتَّمني. فإنَّ قولك: (لو كان كذا) يفيد التَّمني. ونظيره قوله ﷻ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦][1].

والدَّليل على كون المتمنَّى صعبًا وبعيدَ المنال ما جاء في تمام الآية من قوله ﷻ: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]، وما تفيده (لو) من معنى التَّمني الذي أشرتُ إليه.

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٧].

ومن ذلك قوله ﷻ حكاية عن لوط عليه السلام:

﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠]. وقال الله ﷻ: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء: ١٠٢] [2].

= والعمل. انظر: رصف المباني (ص: ٢٩١)، الجنى الدَّاني (ص: ٢٨٨-٢٨٩).

(١) انظر: تفسير الرَّازي (٨/ ٢٤٥)، تفسير ابن عادل (٥/ ٣١١).

(٢) « أي: فليت لنا كرَّة، ولهذا نصب ﴿فَنَكُونَ﴾ في جوابها كما انتصب ﴿فَأَفُوزَ﴾ في جواب (ليت) في ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ [النساء: ٧٣]، ولا دليل في هذا لجواز أن يكون النَّصب في ﴿فَنَكُونَ﴾ مثله في ﴿إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] ...انظر: مغني اللَّبيب (ص: ٣٥١). [أي: من باب عطف الفعل في قوله: ﴿فَنَكُونَ﴾ على الاسم في قوله: ﴿كَرَّةً﴾]. انظر الإعراب مفصَّلا في (البحر المحيط) (٧/ ٥٠٤)، الدُّر المصون (٦/ ٨٨)، تفسير ابن عادل (١٧/ ٢٢١ - ٢٢٢)، الكشاف (٣/ ١١٩)، (٣/ ٤٧٥)، تفسير القرطبي (١٦/ ٥٣). «واختلف في (لو) هذه =

ويقال في نكتة العدول ما قيل في (هل)..[1].

٣ - **(لعلَّ)**.. يقال: (لعلِّي أحجُّ فأزورَكَ) بالنَّصب إذا كنت بمستبعد الحصول الموجود[2]. وكما قيل في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ

= [أي: الَّتي للتَّمني] فقيل: هي قسمٌ برأسها لا تحتاج إلى جواب كجواب الشَّرط، ولكن قد يؤتى لها بجواب منصوب كجواب (ليت). وقال بعضهم: هي (لو) الشَّرطيَّة أُشربت معنى التَّمني بدليل أنَّهم جمعوا لها بين جوابين جواب منصوب بعد الفاء، وجواب باللام . . . .وقال ابن مالك [في (التَّسهيل) (١/ ٢٣٠)]: هي لو المصدريَّة أغنت عن فعل التَّمني، وذلك أنَّه [أي: ابن مالك] أوردَ قولَ الزَّمخشريِّ [في كتابه (المفصَّل في صنعة الإعراب) (ص: ٤٤٣)]: وقد تجيءُ (لو) في معنى التَّمني في نحو: (لو تأتيني فتحدثني) فقال: إن أراد أنَّ الأصل: (وددت لو تأتيني فتحدثني) فحذف فعل التَّمني لدلالة (لو) عليه، فأشبهت (ليت) في الإشعار بمعنى التَّمني فكان لها جواب كجوابها فصحيح، أو أنها حرف وضع للتَّمني كـ: (ليت) فممنوع؛ لاستلزامه منع الجمع بينها وبين فعل التَّمني، كما لا يجمع بينه وبين (ليت)» اهـ. بتصرُّف عن (مغني اللَّبيب) (ص: ٣٥١-٣٥٢)، وانظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٢٤)، الكشاف (٣/ ١١٩)، (٣/ ٤٧٥)، البحر المحيط (٧/ ١٩٦)، روح المعاني (١/ ٣٣٠)، ابن عادل (١٥/ ٤٨٢)، همع الهوامع (٢/ ٥٧٤)، المفصَّل في صنعة الإعراب (ص: ٤٤٣)، شرح الأشمونيِّ على ألفيَّة ابن مالك (٤/ ٣٢- ٣٣)، وكذلك الصبَّان على الأشموني (٤/ ٣٢-٣٣)، التَّسهيل (١/ ٢٣٠).

(١) والدَّليل على أنَّ (لو) للتَّمني، وأنَّها خرجت عن أصلِ الوضع أنَّ الفعل المضارع ينصب بعدها. ففي الآية الكريمة: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ جاء الفعل المضارع (نكون) منصوبًا، ولو أنها بقيت على أصلها. أي: حرف امتناع لامتناع لم ينصب المضارع بعدها. تقول: (لو زرتني أكرمك) برفع المضارع؛ لأنَّك لم تقصد التَّمني. انظر: البلاغة فنونها وأفنانها (ص: ١٦٤) .

(٢) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٠٤).

مُوسَىٰ﴾ [غافر:٣٦-٣٧]. على قراءة من قرأ بالنَّصب[(١)]. وهو بالرَّفع عطف على ﴿أَبۡلُغَ﴾ وبالنَّصف بإضمار (أن) في جواب (لعلَّ)؛ لأنَّ التَّرجِّي غير واجب، فهو كالتَّمني في انتصاب جوابه.

وأميل في التَّرجيح إلى قول ابن جزي حيث قال في (تفسيره): «ولا نقول: إنَّ (لعلَّ) أُشربت معنى: (ليت) كما قال بعض النُّحاة»[(٢)]؛ وذلك لأنَّ (لعلَّ) للتَّوقع، وهو ترجِّي المحبوب، والإشفاق من المكروه نحو: (لعلَّ الحبيب واصل)، و(لعلَّ الرَّقيب حاصل)، وتختصُّ بالممكن. وقول فرعون: ﴿... لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إنما قاله جهلًا أو مخرقةً وإفكًا[(٣)].

ج. ما وَرَدَ بصورةِ التَّرجِّي مع تعذُّرِ حصوله:

أمَّا ما ورد بصورةِ التَّرجي مع تعذُّرِ حصوله، أو يقال: ما يُظنُّ أنَّه ممكن، ثمَّ يتبيَّن تعذُّره فذلك كقوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ

---

(١) وهي قراءةُ حفص عن عاصم فقد قرأه حفص بالنَصب على جواب التَّمني، والباقي بالرَّفع عطفًا على ﴿أَبۡلُغُ﴾. انظر: حجَّة القراءات (ص:٦٣١)، إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٨٦).

(٢) تفسير ابن جزي (٦/٤). وانظر: تفسير ابن عادل (١٤٦/٣)، (٣٨٤/٧)، وانظر: البحر المحيط (٤٤٦/٧)، روح المعاني (٦٩/٢٤)، إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٨٦)، الإتقان (٢٢١/٢)، البرهان في علوم القرآن (٣٢٢/٢)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (١٢٦٠/٣)، البلاغة فنونها وأفنانها (ص:١٦٥).

(٣) انظر: مغني اللَّبيب (ص:٣٧٩).

وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:٩٩- ١٠٠]. فإنَّ «قولهم: ﴿لَعَلِّيٓ﴾ ليس المراد به الشَّك، وإنَّما هو كقول المقصِّر: (مكِّنوني لعلِّي أتدارك) مع كونه جازمًا بأنَّه سيتدارك. ويحتمل أنَّهم وإن كانوا جازمين بذلك إلا أنَّ أمر المستقبل مبنيٌّ على الظنِّ والتَّخمين دون اليقين؛ فلذلك أوردوا الكلام بصورة التَّرجِّي. ثمَّ ردعهم بقوله: ﴿كَلَّآۚ﴾ ، أي: ليس الأمر على ما توهَّموه من إمكان الرَّجعة .﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ والمراد بها: طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض، وهي قوله: ﴿... رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا﴾ »[1].

د. استعمال لفظ: (ليت) في التَّرجي لغرضٍ بلاغيٍّ:

وقد يستعملُ في التَّرجي لفظُ: (ليت) الَّذي للتَّمني لغرضٍ بلاغيٍّ، وهو إبرازُ المرجو في صورة المستحيل أو المتعذِّر بعيد المنال؛ للمبالغة في بيان بعد الحصول عليه أو تحقيقه. ويلاحظ أنَّ مجيءَ عبارات التَّرجِّي أو الدُّعاء في كلام اللهِ ﷻ هو على معنى أنَّ مقتضى الحال يلائمه من البشر التَّرجِّي أو الدُّعاء، فقول الله ﷻ: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٣-٤٤]. ينبغي أن نفهمَ التَّرجِّي فيه على معنى: (اذْهَبَا إلى فرعون راجِيَيْنِ وطامِعَيْنِ في أن يتذكَّر أو يخشَى)؛ إذ لو ذهبا إليه وهما يائسَانِ من استجابَتِه، لَمْ تندفعْ أنفسهما للقيام بمهمَّةِ رسَالَتِهما على

---

(١) تفسير النَّيسابوري (غرائب القرآن) (٥/ ١٣٥) .

الْوَجْهِ الأمثَلِ المطلوب منهما[(١)].

هـ. **بيان معنى كلٍّ من (عسى ولعلَّ) في القرآن:**

أمَّا عسى فإنَّها من أفعال الرَّجاء. وأخواتها: (حرى) و(اخلولق). ولم يرد في القرآن إلا (عسى) .

وتستعمل للتَّرجي وللإشفاق كما في قوله ﷻ:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦]. قيل: (عسى) الأولى للإشفاق، والثَّانية للتَّرجي. وقيل العكس .

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

قال أبو حيَّان في (البحر) في ترجيح الوجه الأوَّل: «(عسى) الأولى للإشفاق، والثَّانية للرَّجاء. عسى هنا [أي: الأولى] للإشفاق لا للتَّرجي، ومجيئها للإشفاقِ قليلٌ، وهي هنا تامَّة لا تحتاج إلى خبر، ولو كانت ناقصةً لكانت مثل قوله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟﴾ [محمد: ٢٢]. فقوله: ﴿أَن تَكْرَهُوا۟﴾ ، في موضع رفع بعسى»[(٢)].

أقول: وقد تعقَّبَ ابنُ عرفة في (تفسيره) قولَ أبي حيَّان حيث قال: «المناسب العكس؛ فإنَّ المستقبل في الأولى خَيرٌ، وانتظاره رجاءٌ،

(١) انظر: البلاغة العربيَّة، للميداني (١/ ٢٥٢) .
(٢) البحر المحيط (٢/ ١٥٢).

والمستقبل في الثَّانية شرٌّ، فانتظاره إشفاقٌ وخوفٌ.

قيل لابن عرفة: إنَّما المعتبرُ ما دخلت عليه (أن)؟ فقال: نعم لكن بصفته وقيده، والأوَّل مقيَّدٌ بأنَّه يعقبه خيرٌ، والثَّاني مقيَّدٌ بأنَّه يعقبه الشَّرُّ. قيل لابن عرفة: المستقبلُ غير معلومٍ للإنسان، وإنَّما يُعْلمُ الحاضرُ، فيعسر عليه المستقبل، فإن كان الحاضر خيرًا ترجَّى دوامه، وإن كان شرًّا أشفق وخاف من دوامه»(١).

وقال أبو حيَّان: «وكلُّ (عسى) في القرآن للتَّحقيق يعنون به الوقوع إلا قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]»(٢).

أقول: وتعقَّبَ ابنُ عرفة أيضًا قول أبي حيَّان حيث قال: «بل هي أيضًا للتَّحقيق لما تقدَّم من أنَّ القضية الشَّرطيَّة تقتضي صحَّة ملزوميَّة الجزاءِ للشَّرط، ولا تقتضي الثُّبوت والوقوع، والقضيةُ الحمليَّة تقتضي الثُّبوتَ والوقوع، أو يفهم الوقوع في الآية باعتبار المتكلِّم بهذا الشَّرط، والرَّجاء واقع من الله ﷻ»(٣).

أقول: وذلك لأنَّ الجزاءَ إنما يقع عند وقوع الشَّرط، فإذا قال قائل لزوجته: (أنت طالق إن ذهبت إلى أهلك)، لا تتحقَّق ملزوميَّة الجزاء إلا عند تحقق الشَّرط..أمَّا القضيةُ الحمليَّة فهي واقعةٌ لا محالة..وبيان

---

(١) تفسير ابن عرفة (٢/ ٦١٧).
(٢) البحر المحيط (٣/ ١٥٣)، وانظر: تفسير ابن عادل (٣/ ٥٢٧)، وتفسير الثَّعالبي (١/ ١٦٦).
(٣) تفسير ابن عرفة (٢/ ٦١٧-٦١٨)

ذلك أنَّ القضية الشَّرطيَّة هي الَّتي يحكم فيها بالتَّلازم أو العناد[(١)] بين شيئين، أو بنفيه فيها. أو القضية الَّتي قُيِّد الحكم فيها بشرط، نحو: (إن كانت الشَّمس طالعة فالنَّهار موجود)، فقد حكمنا بالتَّلازم بين وجود النَّهار وطلوع الشَّمس. ونحو: العددُ إمَّا أن يكون زوجًا أو فردًا، فقد حكمنا بالتَّنافي والعناد بين زوجيَّة العدد وفرديَّته. ولا بدَّ أن تكون كلُّ قضيَّةٍ شرطيَّة من جزأين على الأقلِّ، هما: (المقدَّم)، و(التَّالي). ففي قولنا: (إن كانت الشَّمس طالعة فالنَّهار موجود)، فإنَّ عبارة: (الشَّمس طالعة) هي المقدَّم، وعبارة: (النَّهار موجود) التَّالي. أمَّا القضيَّة الحمليَّة هي الَّتي يحكم فيها بثبوتِ شيءٍ لشيء أو نفيه عنه، نحو: (كلُّ السَّلاحف بطيئة، ولا شيء من الأسماك طائر)، ويسمَّى الجزء الأوَّل: موضوعًا؛ لأنَّه وضع ليحمل عليه الثَّاني أو ليحكم عليه بشيء. والجزء

---

(١) (العناد) لغةً: الاعوجاجُ والخلاف. وقيل: المبالغة في الإعراض ومخالفة الحقِّ. وعند المنطقيين قضية يكون الحكم فيها بالتَّنافي لذاتِ الجزئيين مع قطع النَّظر عن الواقع كما بين الفرد والزَّوج، والشَّجر والحجر، وبين إمَّا أن يكون زيد في البحر وإمَّا أن لا يغرق، أي: وإمَّا أن لا يكون في البحر، ويلزمه أن لا يغرق. أو يقال: إمَّا أن يكون زيدٌ في البحر وإمَّا أن لا يغرق لكنَّه ليس في البحر فلا يغرق، أو لكنَّه غرق فيكون في البحر. وتسمَّى الأخيرة مانعة الخلو. فالجمع أن يكون في البحر ولا يغرق، والخلو يغرق لا في البحر. أمَّا مانعة الجمع فنحو: (هذا العدد إمَّا مساو لذلك أو أكثر)، وأمَّا مانعتهما فنحو: (العدد إمَّا زوج أو فرد). انظر: الإشارات والتَّنبيهات (ص:٢٥٢)، كتاب المواقف، عضد الدِّين بن أحمد الإيجي (١/١٨٣)، الكليَّات (ص:٧١٢)، التَّعريفات، للجرجاني (ص:٢٠٣)، التَّوقيف على مهمات التَّعاريف، فصل النُّون، (ص:٥٢٨)، دستور العلماء، باب العين مع النُّون (٢/٢٧١)، (٣/٢٣٨).

الثَّاني يسمَّى: محمولا[(١)]...

ولكلٍّ من القضيَّة الشَّرطيَّة والحمليَّة أحكامٌ تنظرُ في مظانِّها..

وعلى أيَّةِ حالٍ فإنَّ مصطلح (الموضوع والمحمول) هو مصطلحٌ عند المنطقيين، ويعبَّر عنه عند البلاغيين بـ: (المسند والمسند إليه)، وفي الفقه والأصول بـ: (المحكوم به والمحكوم عليه)، وعند النَّحويين: الموضوع هو المبتدأُ أو الفاعلُ أو نائبُ الفاعل وأسماء النواسخ، والمحمولُ هو الخبرُ أو الفعل التام، واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر، وأخبار النواسخ، والمصدر النائب عن الفعل.

والحاصل أنَّه لا تتحقَّق ملزوميَّة الجزاء هنا إلا عند تحقق الشَّرط..ومن المعلوم أنَّ ذلك لم يتحقَّق..، ولكن كما قال ابن عرفة: إنَّ القضية الشَّرطية تقتضي صحَّة ملزوميَّة الجزاء للشَّرط، ولا تقتضي الثُّبوت والوقوع، والقضيةُ الحمليَّة تقتضي الثُّبوت والوقوع..وهو الَّذي يترجَّحُ على قولِ أبي حيَّان.

وفي الغالبِ يقترنُ خبرُ (عسى) بـ: (أن). ولم يرد في القرآن غير ذلك.

وتأتي ناقصةً كما في قوله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء: ٨].

(١) انظر: شرح التَّهذيب بحاشية العطَّار (ص: ١١٧)، الإشارات والتَّنبيهات، لابن سينا (ص: ٢٦٠)، الجديد في الحكمة، سعيد بن منصور بن كمونة (ص: ١٦١)، غاية المرام في علم الكلام، للآمديِّ (ص: ٥٣)، الكليَّات (ص: ١١٣٢)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرُّسوم، للسُّيوطي (ص: ١٢٠)، تحرير القواعد المنطقيَّة (ص: ٨٣، ١١١)، وسيف الغلاب (ص: ١٠١)، وطرق الاستدلال ومقدماتها (ص: ١٧٧-١٨٠).

وتامّةً، وهي الَّتي تكتفي بمرفوعها فيكون فاعلًا كما في قوله ﷻ: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤](١).

وأمَّا مواضع (عسى) في القرآن فهو على النَّحو التَّالي:

[النِّساء: ٨٤ - ٩٩]، [الأعراف: ١٨٥]، [التَّوبة: ١٠٢]، [يوسف: ٢١ - ٨٣]، [الإسراء: ٨ - ٥١ - ٧٩]، [الكهف: ٢٤]، [مريم: ٤٨]، [النَّمل: ٧٢]، [القصص: ٩ - ٢٢]، [الحجرات: ١١]، [الممتحنة: ٧]، [التَّحريم: ٥ - ٨]، [القلم: ٣٢].

أمَّا عدد الآيات فهو: [٢٠].

وعدد التَّكرار: [٢١].

ثانيا: دارسةُ (ليت) في الخطاب القرآني

إنَّ (ليت) حرف تمنٍّ يتعلَّق بالمستحيل(٢) غالبًا(٣). والإنسان قد يتمنَّى شيئًا مع علمه بتعذُّره(٤) كقول القائل:

(فيا ليتَ الشَّبابَ يعودُ يومًا فأُخبرَهُ بما فَعَلَ المشيبُ)(٥).

(١) انظر: الشَّواهد على القواعد (ص: ١٧٧). فإنَّ (عسى) تامَّة، والمصدر ﴿أَن يَهْدِيَنِ﴾ فاعل (عسى)، و﴿يَهْدِيَنِ﴾ فعل مضارع منصوب، والنُّون للوقاية، والياء المقدَّرة مفعول به...

(٢) أو يقال: هو طلبُ ما لا طمعَ فيه، أو فيه عسرٌ (ليت لي مالا فأتصدَّق منه). انظر: حاشية الآجروميَّة، لابن قاسم (ص: ٧٦).

(٣) مغني اللَّبيب (ص: ٣٧٥).

(٤) وفي (الإيضاح): «ولا يشترط في التَّمني الإمكان. تقول: (ليت زيدًا يجيء)، و(ليت الشَّباب يعود)». الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣٠)، وانظر: شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٣٩).

(٥) قاله أبو العتاهية. انظر: ديوان أبي العتاهية (ص: ٥٠)، شرح الشَّواهد للبغداديِّ (٥/ ١٦٣)، مجالس ثعلب (ص: ٢٤٦)، انظر: البيان والتَّبيين (ص: ٤٢٩)، نهاية الأرب في فنون الأدب =

وبالممكن قليلًا نحو: (ليتَ المسافرَ حاضرٌ)...

وحكمه أن ينصب الاسم، ويرفع الخبر[1].

قال الفرَّاء وبعض أصحابه[2]: وقد ينصبهما كقوله:

(يا ليتَ أيَّام الصِّبا رواجعا)[3]

أمَّا مواضع (ليت) في القرآن الكريم فهي على النَّحو التَّالي:

١ - ﴿يَٰلَيۡتَ﴾ [القصص:٧٩] في (ثلاثة) مواضع:

[القصص:٧٩]، [يس: ٢٦]، [الزُّخرف:٣٨].

﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾.

﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾.

= (٢/ ٣٢). و(الشَّبابَ): اسمُ (ليت) منصوب، والشَّاهد أنَّه قد جاء استعمال (ليت) في تمني المستحيل، وطلبِ ما لا يُطمَع فيه، فما ينقضي من العمر لا يرجع!!

(١) مغني اللَّبيب (ص:٣٧٥-٣٧٦)، هو الرَّاجح.. انظر: الإتقان (١/ ٥١٢)، الجنى الدَّاني (ص:٤٩١- ٤٩٣)، موصل الطُّلاب إلى قواعد الإعراب، للأزهريِّ (ص:١٦٥).

(٢) انظر: معاني القرآن، للفرَّاء (١/ ٤١٠)، (٢/ ٣٥٢).

(٣) هذا شطر من (الرَّجز) للشَّاعر العجاج بن رؤبة، وهو من الشَّواهد المشهورة عند النَّحويين، وهو من شواهد سيبويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر الكتاب (٢/ ١٤٢)، وانظر: طبقات فحول الشُّعراء، لابن سلام الجمحي (١/ ٧٨)، وملحقات ديوان العجاج بن رؤبة (ص:٨٢)، خزانة الأدب (١٠/ ٢٥٣-٢٥٤)، أسرار العربيَّة (ص:٢٥٩)، الجُمَل في النَّحو (ص:٢٣٤). والشَّاهد فيه: (أيامَ الصِّبا رواجعا) فقد نصبت (ليت) الاسم والخبر. انظر: الدُّر المصون (٣/ ٣٨٥)، ابن عادل (٩/ ٤٢٦)، البحر المحيط (٤/ ٤٤٠)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص:١٣٠)، دلائل الإعجاز (ص:٢٤٧).

٢ - ﴿يَٰلَيۡتَنِي﴾ [النساء:٧٣] في (سبعة) مواضع:

[النِّساء:٧٣]، [الكهف:٤٢]، [مريم:٢٣]، [الفرقان:٢٧]، [الحاقَّة:٢٥]، [النَّبأ:٤٠]، [الفجر:٢٤].

﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾.

﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾.

﴿قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾.

﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧﴾[1].

﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾.

﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾.

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾.

٣ - ﴿يَٰلَيۡتَنَا﴾ في موضعين:

[الأنعام:٢٧]، [الأحزاب:٦٦].

﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

---

(١) و«﴿يَٰلَيۡتَنِي﴾ نداءٌ للكلامِ الدَّالِّ على التَّمني بتنزيل الكلمة منزلة العاقل الَّذي يطلب حضوره؛ لأنَّ الحاجة تدعو إليه في حالة النَّدامة، كأنَّه يقول: (هذا مقامُك فاحضري)، على نحو قوله ﷻ: ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعام:٣١]. وهذا النِّداء يزيد المتمني استبعادًا للحصول. وكذلك قوله: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ﴾ [الفرقان:٢٨] هو تحسُّر بطريق نداء (الويل). و(الويل): سوء الحال، والألف عوض عن ياء المتكلِّم، وهو تعويض مشهور في نداء المضاف إلى ياء المتكلِّم». التَّحرير والتَّنوير (١٣/١٩).

وقوله: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ﴾ المنادى محذوف، أي: يا قوم، و﴿مِثۡلَ﴾ اسم (ليت)، والخبر ﴿لَنَا﴾ ..ويقاس عليه غيره، وهذا وجه، ولم يذكر الوجه الآخر، ولعلَّه قد استغنى عن ذلك بسبب ذكره في مواضع أخرى..[(١)].

«وحرف النِّداء في قوله ﷻ: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ مستعمل في التَّحسُّر؛ لأنَّ النِّداء يقتضي بُعْد المنادى، فاستعمل في التَّحسُّر؛ لأنَّ المتمنَّى صار بعيدًا عنهم، أي: غير مفيد لهم، كقوله ﷻ: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦].

ومعنى ﴿نُرَدُّ﴾: نرجع إلى الدُّنيا، وعطف عليه: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ »[(٢)].

«وحرف النِّداء مستعمل في التَّلهف. و﴿لَيۡتَنِي﴾ تمنٍ مراد به التَّندُّم. وأصل قولهم: (يا لَيْتَنِي) أنَّه تنزيل للكلمة منزلة من يعقل، كأنَّه يخاطب كلمة (ليت) يقول: (احضُري فهذا أوانك)، ومثله قوله ﷻ: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ . وهذا ندمٌ على الإشراك فيما مضى، وهو يؤذن بأنَّه آمن بالله ﷻ وحده حينئذٍ»[(٣)].

«برفع الفعلين بعد (لا) النَّافية في قراءة الجمهور عطفًا على ﴿نُرَدُّ﴾ ، فيكون من جملة ما تمنَّوه؛ ولذلك لم ينصب في جواب التمنِّي؛ إذ

---

(١) انظر: الفريد (١/ ٧٦٠)، (٣/ ٧٢٥).

(٢) التَّحرير والتَّنوير (٧/ ١٨٤).

(٣) المصدر السابق (١٥/ ٣٢٧).

ليس المقصود الجزاء؛ ولأنَّ اعتبار الجزاء مع الواو غير مشهور، بخلافه مع الفاء؛ لأنَّ الفاء متأصِّلة في السَّببية. والردُّ غير مقصود لذاته، وإنّما تمنَّوه لما يقع معه من الإيمان وترك التَّكذيب. وإنَّما قدِّم في الذِّكر ترك التَّكذيب على الإيمان؛ لأنَّه الأصل في تحصيل المتمنَّى على اعتبار الواو للمعيَّة واقعة موقع فاء السَّببيّة في جواب التَّمني. وقرأه حمزة والكسائيُّ: ﴿ نكذب، ونكون ﴾ -بنصب الفعلين-[1]، على أنَّهما منصوبان في جواب التمنِّي..

وقرأ ابنُ عامر[2]: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ بالرَّفع كالجمهور،على معنى أنَّ انتفاء التَّكذيب حاصل في حين كلامهم، فليس بمستقبل حتى يكون بتقدير (أن) المفيدة للاستقبال. وقرأ: ﴿وَنَكُونَ﴾ بالنصب على جواب التمنِّي، أي: نكون من القوم الذين يعرفون بالمؤمنين»[3] .

والحاصل أنَّ (يا) إذا دخلت على حرف أو فعل تكون حرف تنبيه، وإذا عددناها حرف نداء نقدر المنادَى محذوفًا؛ لأنَّ المنادَى لا يكون

(١) «وقرأ حمزة إلا العجلي، وحفص عن عاصم ويعقوب بنصب الباء من ﴿نُكَذِّبُ﴾ ، والنُّون من ﴿وَنَكُونَ﴾ . قال مكيُّ بن أبي طالب- [مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٢٥٠)]- : وهذا النَّصب على جواب التَّمني وذلك بإضمار (أن) حملا على مصدر ﴿نُرَدُّ﴾ ، فأضمرت (أن) لتكون مع الفعل مصدرًا، فعطف بالواو مصدرًا على مصدر، وتقديره: (يا ليت لنا ردًّا وانتفاءًا من التَّكذيب، وكونًا من المؤمنين) .وقرأ ابنُ عامر برفع الباء من ﴿نُكَذِّبُ﴾ ، ونصب النُّون من ﴿وَنَكُونَ﴾ . فالرفع قد بينا علَّته، والنَّصب على جواب التَّمني. زاد المسير (٣/ ٢٣)، انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٣٧)، تفسير القرطبي (٦/ ٤٠٩)، تفسير النَّسفي (٢/ ١٣).

(٢) انظر: المصادر السَّابقة.

(٣) التَّحرير والتَّنوير (٧/ ١٨٥).

إلا اسمًا..

وأنَّ (ليت) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، ومعناه: التَّمني، وأنها تفيد تأكيده.

وفي (البحر): «الأصح أنَّ (يا) في قوله ﷻ ﴿يَـٰلَيۡتَنَآ﴾ حرف تنبيه لا حرف نداء»[(١)]. وليس في الكلام منادَى محذوف، وعلَّل ذلك بأنَّ كونها للنِّداء والمنادَى محذوف فيه إجحاف كبير؛ لأنَّ في ذلك حذف جملة النِّداء، وحذف متعلَّقه[(٢)]. وكذلك سيبويه في (الكتاب) جعلها للتَّنبيه[(٣)].

وفي (التَّسهيل) لابن مالك: «إن وليها (ليت) أو (ربَّ) أو (حبَّذا) فهي للتَّنبيه لا للنِّداء»[(٤)].

❊ ❊ ❊

(١) البحر المحيط (٤/ ١٠٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٠٣)، وانظر: روح المعاني (٥/ ٨١).

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه (٢/ ٣٠٧).

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٣/ ٦١١)، التَّسهيل، لابن مالك (٣/ ٣٥٨).

المطلب الثامن
العرض والتَّحضيض في القرآن

أ. التَّعريف:

(العَرْضُ): طلب شيءٍ في رفق ولين. أمَّا **(الحضُّ أو التَّحضيض)** فهو الطَّلب في قوَّةٍ وحثٍّ وإلحاح[1]، فهو أشدُّ توكيدًا من العرض. والفرق بينهما أنَّك في (العَرْضِ) تعرض عليه الشَّيء لينظر فيه، وفي التَّحضيض تقول: الأولى لك أن تفعل، فلا يفوتَنَّك[2].

و(ألا) -بالفتح والتَّخفيف- لها معانٍ[3] منها ما كنتُ بصدد بيانه من العَرْض والتَّحضيض[4].

---

(١) وهو مبالغة من (الحضِّ)، يقال: حضَّه على كذا، أي: رغَّبه في فعله، فإذا أُريد تأكيد التَّرغيب والمبالغة قيل: حضضه. انظر: حاشية الصَّبان (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزَّركشي (٣/ ٢٩٤)، التَّحبير شرح التَّحرير (٢/ ٦٨٦)، حاشية العطَّار على جمع الجوامع (١/ ٤٥٦)، شرح الكوكب المنير (٢/ ٣٠٨)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢/ ٣٩٠)، الجنى الدَّاني (ص: ٣٨٢-٣٨٣).

(٣) انظر المراجع السَّابقة.

(٤) تختصُّ (ألا) هذه [أي: الَّتي للعرض والتَّحضيض] بالفعليَّة؛ لأنَّها للطَّلب، وتكون مختصّةً بالمضارع نحو قول الله ﷻ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النُّور: ٢٢]، ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ [التَّوبة: ١٣]. انظر: مغني اللَّبيب (ص: ٩٧). قال الدَّماميني: «وكأنَّ الأولى مثال للعرض، والثَّانية مثال للتَّحضيض». الدَّماميني (١/ ١٥٠)، وكذلك في (البرهان في علوم القرآن) ذكر أنَّ الأولى للعَرْض، والثَّانية للتَّحضيض. انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٤٢)، وانظر: الإتقان (٢/ ٢١٥)، وانظر ما يدلُّ على =

و(ألَّا) بالفتح والتَّشديد -[أي: بفتح الهمزة، وتشديد اللام]- تستعمل على وجهين: مفردةً ومركَّبة. أمَّا المفردة فهي تختصُّ بالجمل الفعليّة[١] الخبريّة[٢] كسائر أدوات التَّحضيض. وقد تبدل همزتها هاءً كما في قول الشَّاعر:

= معنى الحضِّ في قوله ﷻ: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ﴾ في (البحر المحيط) (١٨/٥)، والسِّراج المنير (٦٧٦/١)، تفسير النَّسفي (١٧٠/٢)، زاد المسير (٤٠٥/٣). ولفظ (ألا) يحتمل أن يكون مجموع حرفين: هما همزة الاستفهام و(لا) النَّافية، ويحتمل أن يكون حرفًا واحدًا للتَّحضيض مثل قوله ﷻ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فعلى الاحتمال الأوَّل يجوز أن يكون الاستفهام إنكاريًّا على انتفاء مقاتلة المشركين، وهو ما ذهب إليه البيضاويُّ [انظر: تفسير البيضاوي (١٣٤/٣)] فيكون دفعًا لأن يتوهَّم المسلمون حرمةً لتلك العهود. ويجوز أن يكون الاستفهام تقريريًّا، وهو ظاهر ما حمله عليه صاحبُ (الكشاف) تقريرًا على النَّفي تنزيلاً لهم منزلة من ترك القتال، فاستوجب طلب إقراره بتركه [انظر: الكشاف (١٧٧/٢)، وانظر: حاشية الشِّهاب الخفاجي (٣٠٧/٤)]. قال في (الكشاف): ومعناه: الحضُّ على القتال على سبيل المبالغة. [الكشاف (١٧٧/٢)]. وفي (مغني اللَّبيب) أنَّ (ألا) الَّتي للاستفهام عن النَّفي تختصُّ بالدُّخول على الجملة الاسميَّة...[انظر: مغني اللَّبيب (ص: ٩٧)]، ولا يخفى أنَّ كلام الزَّمخشري في (الكشاف) ينادي على خلافه..وعلى الاحتمال الثَّاني أن يكون (ألَّا) حرفًا واحدًا للتَّحضيض فهو تحضيض على القتال». التَّحرير والتَّنوير (١٨/٥).

(١) وقد جاء اختصاصه بالجمل الفعليّة؛ لأنَّ التَّحضيض إنما هو طلب لأمرٍ يتجدَّد. وفي (شرح المفصَّل): «حروف التَّحضيض حيث حصل فيها معنى التَّحضيض جَرَت مجرى حروف الشَّرط في اقتضائها الأفعال، فلا يقع بعدها مبتدأ، ولا غيره من الأسماء». شرح المفصَّل (١٤٤/٨). وانظر: شرح مغني اللَّبيب، للدُّكتور عبد اللَّطيف الخطيب (٢٨٤/١) .

(٢) وقد خص ذلك بالجملة الخبريّة، واستبعد الطلبيّة؛ لأنَّه لا يطلب إلا ما يحصل في الخارج، والإنشاء ليس كذلك؛ لأنَّه لا خارج له، هذا شيء، ثمَّ أدوات التَّحضيض تفيد الطَّلب، وطلبُ الطَّلبِ محال كما في (الدَّماميني) (ص: ١٦٠)، وشرح الدُّسوقي (٧٩/١) .

(يقولونَ ليلى أرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إليَّ فَهلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُها)[١].

أمَّا المركَّبة فنحو قوله ﷻ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقوله ﷻ: ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ﴾ [النمل: ٣١].

وهي مركَّبةٌ من (أن) و(لا)[٢]، فقد تكون (أَنْ) -المخفَّفة-، وقد تكون النَّاصبة للفعل، وقد تكون المفسرة. وقد تكون (لا) النَّاهية، وقد تكون (لا) النَّافية، وقد تكون الزَّائدة كما في (مصابيح المعاني)[٣].

---

(١) البيتُ ينسبُ لمجنون ليلى (قيس بن الملوَّح) في ديوانه (ص: ١٥٤)، ولإبراهيم الصُّولي في (ديوانه) (ص: ١٨٥)، ولابن الدُّمينة في ملحق (ديوانه) (ص: ٢٠٦)، وقيل: للصُّمة بن عبد الله القشيري، وقيل غير ذلك. انظر: شرح البغدادي (٢/ ١١٩)، شواهد المغني (١/ ٢٢١)، الخزانة (٣/ ٥٩)، (١٠/ ٢٤٧)، (١١/ ٢٦١)، نهاية الأرب في فنون الأدب. والشَّاهد في البيت قوله: (فهلاَّ) حيث أبدل الهمزة هاء، والأصل: (ألا). وفيه شاهد آخر حيث أضمر فيه ضمير (كان) الشَّأنية، والتَّقدير: فهلاَّ كان نفس ليلى شفيعها، فاسم (كان) ضمير الشَّأن المحذوف، وخبرها الجملةُ الفعليّة، وذلك أنَّ (هلاَّ) تختصُّ بالجمل الفعليّة. انظر: حاشية محمَّد الأمير (١/ ٧٠)، الدَّماميني والشَّمني (١/ ١٦٠)، شرح الأشمونيِّ مع حاشية الصَّبان (٤/ ٥٢)..-وسيأتي مزيد من البيان لذلك-.

(٢) جاء في (شرح المفصل): «و(ألَّا) في معناها مركَّبة من (أَنْ) و(لا)، ومعناها كلُّها: التَّحضيض والحثُّ، إذا وليهنَّ المستقبل كنَّ تحضيضًا، وإذا وليهنَّ الماضي كنَّ لومًا وتوبيخًا فيما تركه المخاطَب، أو يقدر فيه التَّرك، نحو قول القائل: أكرمتُ زيدا، فتقول: هلاَّ خالدًا، كأنَّكَ تصرفه إلى إكرام خالدٍ أو تحثُّه عليه، أو تلومه على ترك إكرامه». شرح المفصَّل (٨/ ١٤٤)، الدَّماميني (٢/ ٣٨٧). وذلك أنَّ أدوات التَّحضيض إنما هي لطلب الفعل والحضِّ عليه، وهذا ظاهر إذا كان الفعل مضارعًا، أمَّا إذا كان ماضيًا فإنها تدخل إليه على معنى اللَّوم على تركه، ولا يكون اللَّوم على تركه إلا وهو مطلوب، فأشبهت (لام الأمر)، فلذلك اختصَّت بالفعل كما اختصَّت (لام الأمر) به لكونها للطَّلب. انظر: الدَّماميني (١/ ١٦٠)، إيضاح ابن الحاجب (٢/ ٢٣٤)، شرح مغني اللَّبيب، للدُّكتور عبد اللَّطيف الخطيب (١/ ٤٨٢).

(٣) مصابيح المعاني (ص: ٤٧-٤٨).

والحاصل أنها ليست هنا للتَّحضيض، بل هي كلمتان: (أن) النَّاصبة، و(لا) النافية أو (أن) المفسرة و(لا) النَّاهية.. وسيأتي بيان ما له من أدوات التَّحضيض ذكر في القرآن الكريم.

ب. حروف التَّحضيض:

حروفُ التَّحضيض هي: (هلَّا)، و(ألَّا)، و(لولا)، و(لو ما) لها صدرُ الكلامِ، وتلزم الفعل لفظًا أو تقديرًا[(١)]، ويكون معناها إذا دخلت في الماضي: (التَّوبيخ واللَّوم على ترك الفعل)، ومعناها في المضارع: (الحضُّ على الفعل والطَّلب له)، فهي في المضارع بمعنى الأمر، ولا يكون التَّحضيض في الماضي الَّذي قد فات، إلا أنَّها تستعمل كثيرًا في لومِ المخاطب على أنَّه ترك في الماضي شيئًا يمكنه تداركه في المستقبل، فكأنَّها من حيث المعنى للتَّحضيض على فعل مثل ما فات. وقلَّما تستعمل في المضارع أيضًا إلا في موضع التَّوبيخ واللَّوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطَب قبل أن يطلب منه، فإن خلا الكلام من التَّوبيخ، فهو العَرْض، فتكون هذه الأحرف للعرض[(٢)].

وتستعمل في ذلك المعنى: (ألا) مخفَّفة، أيضًا، و(لو) الَّتي فيها معنى التَّمني، نحو: (لو نزلت فأكلت)، و(أما) نحو: (أما تعطف عليَّ)، قوله: (وتلزم الفعل لفظًا)، نحو: ﴿لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ﴾

---

(١) انظر: الجنى الدَّاني (ص:٥٠٩)، رصف المباني (ص:٧٩).

(٢) قال الصَّبان: «ولا يبعد عندي أنهنَّ بالاشتراك إذا دخلن على الماضي كُنَّ توبيخًا على ترك الفعل في الماضي، وتحضيضًا على فعل مثله في المستقبل فتدبَّر». حاشية الصَّبان (٤/ ٥٠- ٥١).

[طه: ١٣٤]، و[القصص: ٤٧]. و﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا﴾ [الحجر: ٧] أو تقديرًا نحو قول الشَّاعر:

(**تَعُدُّون عَقْرَ النّيبِ أَفْضَل مَجْدِكُم بَنِي ضَوْطَرَى لولا الكميَّ المقَنَّعا**)(١).

ويجوز: (هلَّا زيدًا ضربته).

وجاءت الاسميَّة بعدها في ضرورة الشِّعر، نحو قوله -الآنف الذِّكر-:

(**يقولونَ ليلى أرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إليَّ فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُها**).

وإذا وليها الظرف فهو منتصب بالفعل الَّذي بعده، لا بمقدر قبله، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٩]؛ لأنَّ الظَّرف يتسع فيه. وأمَّا إذا كان الفاصل منصوبًا غير الظَّرف، نحو: (هلَّا زيدًا ضربت) فهو على الخلاف الَّذي مضى، ولزومها صدر الكلام لما مرَّ»(٢).

---

(١) وهو من قول جرير يهجو الفرزدق. انظر: ديوان جرير رقم [٢] (ص: ٩٠٧)، الكامل في اللُّغة والأدب، للمبرّد (١/ ٢٢١)، خزانة الأدب (١/ ٢٦٢)، (٣/ ٥٥-٥٩)، (١١/ ٢٦٠). «على أنَّ الفعل مقدَّر بعد (لولا) التَّحضيضية. أي: لولا تعدُّون. و(الكمي): الشُّجاع مفعول أوَّل لهذا المقدَّر بتقدير مضاف. والمفعول الثَّاني محذوف، والتَّقدير: لولا تعدُّون عقر الكمي أفضل مجدكم. و(المقنع): الَّذي وضع على رأسه البيضة والمغفر، و(بني ضوطرى) منادى، وهي كلمة سبٍّ وذمٍّ. خزانة الأدب (١١/ ٢٦٠)، شرح الأشموني مع حاشية الصَّبان (٤/ ٥١). ومعنى (بَنُو ضَوْطَرى) قيل: حَيٌّ معروف أو قبيلة، وقيل: (الضَّوْطَرَى) الحَمْقى قال ابن سيده: وهو الصَّحيح. ويقال للقوم -إذا كانوا لا يَغْنون غَناءً: بَنُو ضَوطَرَى. لسان العرب، مادَّة: (ضطر) (٤/ ٤٨٩)، المخصص، لابن سيده (٤/ ١٣٠)، (٤/ ٤٩٦)، وانظر: تهذيب اللُّغة، للأزهريِّ (١٥/ ٤٣٣).

(٢) شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (٤/ ٤٤٣-٤٤٤).

وفي (الفروق): «والتَّحضيض، وصيغه أربع، وهي: (ألَّا) بالتشديد، نحو: (ألَّا تشتغل بالعلم)، و(هلَّا)، و(لو ما)، و(لولا) نحو: (هلَّا أو لو ما أو لولا اشتغلت به)، فإنَّ هذه الصيغ كلُّها إمَّا للطَّلب أو يتبعها الطَّلب، ويترتَّب عليها، ولا يلزمها صدق ولا كذب، فهي كالأوامر والنَّواهي إنشاء»[١].

وتأتي (لولا) للدِّلالة على امتناعِ شيءٍ لوجود غيره، وهو كثيرٌ جدًّا كقول عامر بن الأكوع رضي الله عنه[٢]:

(تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا)[٣].

وما يعنينا هنا هو دلالة (لولا) على التَّحضيض...

وأمَّا (هل) فلم تركب إلا مع (لا) وحدها للتَّحضيض.

ج. (لولا) التَّحضيضية في القرآن:

وبعد أن ذكرتُ أدوات التَّحضيض، وما لها من المعنى، وبعد أن

---

(١) الفروق، للقرافي (١/ ٤١)، وانظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (١/ ١٧٠)، (٣/ ١٣٠٨)، ومغني اللَّبيب (ص: ٧٩)، وتنظر أدوات التَّحضيض أيضًا في (تفسير الرَّازي) (٢٩/ ٤٣٨).

(٢) هو عامر بن سنان الأنصاري عم سلمة بن عمرو بن الأكوع استشهد عامر بن سنان يوم (خيبر). الاستيعاب، (٢/ ٧٨٥)، الطَّبقات الكبرى، لابن سعد (٤/ ٣٠٣)، الإصابة (٣/ ٥٧٦)، وانظر: إيضاح الإشكال، للمقدسيِّ (ص: ٩٠).

(٣) انظر: الاكتفاء بما تضمَّنه من مغازي رسول الله ﷺ والثَّلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (٢/ ١٦٤)، السِّيرة النَّبوية، لابن كثير (٣/ ٣٤٦-٣٤٧)، زاد المعاد (٣/ ٢٨١)، سبل الهدى والرَّشاد (٥/ ١١٦)، البداية والنِّهاية (٤/ ٢٠٨)، الاستيعاب (٢/ ٧٨٦).

أتيتُ على بيان ذلك مجملا فإني أنتقل هنا إلى التَّحليل والتَّفصيل من حيث مواضع هذه الأدوات من القرآن الكريم، حيث يعتبر ما يأتي هنا بمثابة النَّماذج التَّطبيقية لما قُرِّر آنفًا. وأعرض في هذه الفقرة الأداة الأولى من أدوات التَّحضيض، وهي (لولا) ثمَّ أنتقل إلى الأدوات الأخرى.

ولا بدَّ أوَّلًا من بيان أنَّ (لولا) للتَّحضيض[1]، فهي بمعنى: (هلَّا)[2]:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨][3].

---

(١) قال ابنُ هشام في (المغني) (ص: ٣٦١) في بيان معنى (لولا): «وتكون بمعنى التَّحضيض والعرض فتختصُّ بالمضارع [كقوله ﷻ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ [النَّمل: ٤٦]، أو ما في تأويله [أقول: أي: ماضيا لفظًا، ومستقبلاً من حيث المعنى، وذلك كقوله ﷻ: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١]، وقوله ﷻ: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]». وانظر الآيات: [الأنعام: ٨]، [يونس: ٢٠]، [هود: ١٢]، [الرَّعد: ٧ - ٢٧]، [الفرقان: ٧]، [العنكبوت: ٥٠]. قال ابن يعيش: «فقد وليه الماضي، إلا أنَّ الماضي هنا في تأويل المستقبل؛ لأنَّه في معناه، والتَّقدير: (إن أخَّرتني أصَّدَّق)، ولذلك جزم ﴿وَأَكُن﴾ [المنافقون: ١٠]، بالعطف على موضع فأَصَّدَّق.». انظر: شرح المفصَّل، لابن يعيش (٨/ ١٤٤)، وانظر: الكليَّات (ص: ٧٩٠)، شرح الأشموني على الألفيَّة مع حاشية الصَّبان (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٧/ ١٤٣)، (٢٨/ ٣٢)، البحر المحيط (٥/ ١٩٢)، التَّسهيل، لابن مالك (٤/ ١١٢- ١١٣).

(٣) (لولا) هنا للتَّحضيض، وحروف التَّحضيض إذا دخلت على الماضي كان معناها: (التَّوبيخ واللوم على ترك الفعل)، بمعنى: (لم يفعله). ومعناها في المضارع: (تحضيض الفاعل على الفعل والطَّلب له في المضارع)، بمعنى الأمر، والمعنى: هلاَّ يكلمنا الله. انظر: تفسير ابن جزي (١/ ١٨٢).

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧][(١)].

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣][(٢)].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨][(٣)].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الأنعام: ٣٧].

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٣][(٤)].

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢][(٥)].

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨][(٦)].

---

(١) (لولا) للتَّحضيض بمعنى: هلاَّ، وهي كثيرة في القرآن. انظر: البحر المحيط (٣/ ٣١٠).

(٢) ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ﴾ عرض وتحضيض وتقريع. انظر: تفسير ابن جزي (١/ ١٨٢).

(٣) ﴿لَوْلَآ﴾ هنا تحضيضية، أي: هلاَّ أنزل إليه ملك. انظر: الدُّر المصون (٣/ ١٤)، تفسير ابن عادل (١٤/ ٤٨٣)، البحر المحيط (٤/ ٨٢).

(٤) ﴿فَلَوْلَآ﴾ هذا عرض وتحضيض. انظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٩).

(٥) «والمقصود أن ﴿نَفَرَ﴾ في الآية ماض، وإنما يفهم منه الاستقبال؛ لأنَّ التحضيض يؤذن به. والتَّحقيق في هذا الموضع أنَّ لفظة: (لولا) و(هلاَّ) إن تجرَّد للتَّوبيخ لم يتغيَّر الماضي عن وضعه، وإن تجرَّد للتَّحضيض تغيَّر إلى الاستقبال، وإن كان توبيخا مشربًا معنى التَّحضيض صلح للأمرين..». بدائع الفوائد، لابن القيِّم (٤/ ٩٩٥- ٩٩٦).

(٦) (لولا) هنا للتَّحضيض بمعنى: هلاَّ. انظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٩٩)، البحر المحيط (١/ ٤٠٣)، =

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢].

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [الرعد: ٧]، [الرعد: ٢٧].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥][1].

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩][2].

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [طه: ١٣٣].

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا

= وانظر: المحرَّر الوجيز (٣/ ١٤٤). وقد ذكروا أنَّها -أعني: (لولا)- تكون نافية بمعنى: (لم)، وجعل منه قوله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ ، ولكنَّ الظَّاهر أَنَّ المعنى على التَّوبيخ، أَي: فهلاَّ كانت قريةٌ واحدةٌ من القرى المهلَكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك. انظر: ذلك مفصَّلا في (بصائر ذوي التَّمييز) (٦/ ٣٦)، الإتقان (١/ ٥١١). وسيأتي أنَّ (لولا) هنا للتَّوبيخ والتَّنديم. انظر: (مجيءُ أدوات التَّحضيض للتَّوبيخ والتَّنديم) من البحث.

(١) قوله ﷻ: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾ تحضيض فيه معنى الإنكار والتَّعجيز، أي: هلاَّ يأتون عليهم على ألوهيتهم أو على صحَّة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بيِّن. [أي:] بحجَّة ظاهرة الدِّلالة على مُدَّعاهم. وهو تبكيت لهم وإلقام حجر. انظر: تفسير أبي السُّعود (٥/ ٢١٠)، تفسير القرطبي (١٠/ ٣٦٦)، وانظر: الكشاف (٢/ ٤٧٤)، تفسير السَّمرقندي (٢/ ٢٩٣).

(٢) (لولا) للتَّحضيض، أي: هلاَّ إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدتَ الله ﷻ على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ ، ولهذا قال بعض السَّلف: من أعجبه شيءٌ من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ . انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٨٥)، المحرَّر الوجيز (٣/ ٥١٨)، تفسير الثَّعالبي (٢/ ٣٨١)، تفسير أبي السُّعود (٥/ ٢٢٣)، البحر المديد (٤/ ١٦٠).

فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤][١].

﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾﴾ [النُّور: ١٢][٢].

﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ﴾ [النور: ١٣] .

﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦].

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان: ٧][٣].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ [الفرقان: ٢١].

---

(١) و(لولا) هذه هي التَّحضيضية، أي: هلاَّ أرسلت إلينا رسولا من عندك. .انظر: البحر المحيط (٧/ ١١٧)، تفسير أبي السُّعود (٧/ ١٧)، روح المعاني (٢٠/ ٩٠)، فتح القدير (٤/ ٢٥٢).

(٢) ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ تلوينٌ للخطاب، وصرفٌ له عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وذويهِ إلى الخائضينَ بطريق الالتفاتِ لتشديد ما في (لولا) التَّحضيضيةِ من التَّوبيخِ. انظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٣١)، وانظر: تفسير النيسابوري (٥/ ١٦٧). وفي (روح المعاني) (١٨/ ١١٧): «﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ التفات إلى خطاب الخائضين ما عدا من تولى كبره منهم. واستظهر أبو حيان [في (البحر المحيط) (٦/ ٤٠٢)] كون الخطاب للمؤمنين دونه [أي: من تولى كبره]، واختير الخطاب لتشديد ما في (لولا) التَّحضيضية من التَّوبيخ، ولتأكيد التَّوبيخ عدل إلى الغيبة في قوله ﷻ: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ [النُّور: ١٢] لكن لا بطريق الإعراض عن المخاطبين وحكاية جناياتهم لغيرهم، بل بالتَّوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب الإتيان بالمحضِّ عليه، ويقتضيه اقتضاء تامًّا، ويزجرهم عن ضده زجرًا بليغًا». وانظر: غرائب القرآن (٥/ ١٦٧)، والسِّراج المنير (٢/ ٦٧٣).

(٣) أي: هلاَّ، وتأتي للتَّوبيخ. انظر: الكشاف (٣/ ٨٣)، نظم الدُّرر (٥/ ٢٩٨)، تفسير أبي السُّعود (٣/ ١١٢)، روح المعاني (٧/ ٩٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣١١).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل: ٤٦].

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [القصص: ٤٧][1].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٤٨].

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤][2].

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣].

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

---

(١) أي: هلاَّ أرسلت إلينا رسولاً. انظر: البحر المحيط (٧/ ١١٧)، فتح القدير (٤/ ٢٥٢).
﴿لَّوْلَا﴾ هنا حرف امتناع، و﴿لَوْلَآ﴾ الثَّانية عرض وتحضيض. انظر: تفسير ابن جزي (٣/ ١٠٧).

(٢) ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض بمعنى: هلاَّ، وحرف التَّحضيض إذا دخل على الماضي كان معناه: اللَّوم والتَّوبيخ على ترك الفعل، فهو في الماضي بمعنى الإنكار. انظر: روح المعاني (٢٤/ ١٢٩).

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾ [محمد: ٢٠][(١)].

﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾ [الواقعة: ٥٧].

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [الواقعة: ٦٢].

﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ۝٧٠﴾ [الواقعة: ٧٠].

﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣﴾ [الواقعة: ٨٣].

﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ۝٨٦﴾ [الواقعة: ٨٦][(٢)].

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة: ٨].

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ [المنافقون: ١٠][(٣)].

﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨﴾ [القلم: ٢٨].

د. (لوما) التَّحضيضية في القرآن:

جاءت (لوما)[(٤)] التَّحضيضية في (آية واحدة): ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي

---

(١) «(لولا) حرف مستعمل هنا في التَّمني، وأصل معناه: التَّخصيص فأطلق وأريد به التَّمني لأنَّ التَّمني يستلزم الحرصَ، والحرصُ يدعو إلى التَّحضيض». التَّحرير والتَّنوير (٢٦/ ١٠٧).

(٢) ويقال في الآية ما قيل في الآية السَّابقة.

(٣) أي: هلاَّ أمهلتني فلولا للتَّحضيض. وقيل: (لا) زائدة للتَّأكيد، و(لو) للتَّمني بمعنى: (لو أخرتني). انظر: روح المعاني (٤/ ٣٥١)، تفسير البغوي (٤/ ٣٥١)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٣)، الخازن (٧/ ١٠٢)، الرَّازي (٣٠/ ٥٥٢)، فتح القدير (٥/ ٣٢٧).

(٤) و«(لوما) بمنـزلة (لولا) تقول: (لوما زيد لأكرمتك)، قال الله ﷻ: ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾. وزعم المالقيُّ [في رصف المباني (ص: ٢٩٧)] أنَّها لم تأت إلا للتَّحضيض. ويردُّه قول الشَّاعر:
(لو ما الإضاخة للوشاة لكان لي … من بعد سخطك في رضاك رجاء).
انظر: مغني اللَّبيب (ص: ٣٦٤). ولم أهتد لقائل البيت. انظر البيت في شرح الشَّواهد، =

نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾ [الحجر: ٦- ٧].

أي: هلَّا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك[1].

فإنَّ ﴿لَّوْ مَا﴾، في هذه الآية الكريمة للتَّحضيض، وهو طلب الفعل طلبًا حثيثًا[2]، ومعنى الآية: أنَّ الكفَّار طلبوا من النَّبي ﷺ طلبَ تحضيض أن يأتيهم بالملائكة؛ ليكون إتيان الملائكة معه دليلا على صدقه أنَّه رسول الله ﷺ.

وإنَّ (لو) تركَّب مع (لا) و(ما) لمعنيين.

الأوَّل منهما: التَّحضيض، ولا يليه إلا فعل ظاهر أو مضمر. ومثاله قوله ﷻ: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

والثَّاني: أنَّها تأتي للدِّلالة على امتناع شيء لوجود غيره، فيختصُّ بالأسماء، ويرتفع الاسم بعده بالابتداء، نحو قولنا: (لوما زيد لأكرمتك).

وفي (أسرار التَّكرار): «قوله ﷻ: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ وفي غيرها: ﴿لَّوْلَا﴾ لأنَّ (لولا) تأتي على وجهين:

= للبغداديِّ (٥/ ١٣١)، والشَّاهد فيه أنَّ (لوما) امتناعيّة، وهذا يبطل قول من زعم أنَّها لا تأتي إلا للتَّحضيض. وانظر أيضًا شواهد أخرى غير هذا البيت في (تفسير الطَّبري) (١٤/ ٦)، الكشاف (١/ ٣٨٧)، معاني القرآن، للفرَّاء (٢/ ٨٤). وما يعنينا هنا ما يدلُّ على التَّحضيض.

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٣٨٧)، تفسير ابن عادل (١١/ ٤٣٠)، تفسير النَّسفي (٢/ ٣٨٧).

(٢) أضواء البيان (٢/ ٢٥٤)، وانظر: التَّحرير والتَّنوير (٧/ ١٤٣)، الكشاف (٢/ ٣٨٧).

أحدهما: امتناع الشَّيء لوجود غيره، وهو الأكثر.

والثَّاني: بمعنى: هلَّا، وهو للتَّحضيض، ويختصُّ بالفعل و(لولا) بمعناه. وخُصَّت هذه السُّورة بـ: ﴿لَّوْ مَا﴾ موافقة لقوله ﷻ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝﴾ [الحجر: ٢]، فإنها أيضًا ممَّا خُصَّت به هذه السُّورة»[١].

هـ. مجيءُ أدوات التَّحضيض للتَّوبيخ والتَّنديم:

وقد ترد أدوات التَّحضيض للتَّوبيخ والتَّنديم، فتختصُّ بالماضي أو ما في تأويله[٢] نحو: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ

(١) أسرار التَّكرار، للكرماني (ص: ١١٨).

(٢) وقد سبق (في بيان حروف التَّحضيض) أنَّها إذا وليها الماضي كان فيها معنى التَّوبيخ..انظر: الجنى الدَّاني (ص: ٦٠٦). وقال ابن هشام في (المغني) في بيان معنى: (لولا): «وتكون للتَّوبيخ والتنديم فتختصُّ بالماضي، نحو: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ١٣]، ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ [الأحقاف: ٢٨]. ومنه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾ [النُّور: ١٦]، إلا أنَّ الفعل أُخِّر [أي: عن (لولا)، وفُصل بينهما بـ: ﴿إِذْ﴾، والظُّروف يتوسَّع بها]..وقد فُصِلت [(لولا)] من الفعل [الموبَّخ] بـ: (إذ) و(إذا) معمولين له [أي: في حال كونهما معمولين للفعل المتأخِّر عنهما]، وبجملة شرطيَّة معترضة، فالأوَّل نحو: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾، ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: ٤٣]، والثَّاني والثَّالث نحو: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَآ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧]. المعنى: فهلاَّ تُرجعون الرُّوح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مربوبين، وحالتكم أنَّكم تشاهدون ذلك، ونحن أقرب إلى المُحْتَضر منكم بعلمنا، أو بالملائكة ولكنَّكم لا تشاهدون ذلك، و(لولا) الثَّانية تكرار للأولى. مغني اللَّبيب (ص: ٣٦٢)، وكذلك في (الفريد) (٤/ ٤٢٣). وانظر: حاشية الصَّبان على الأشموني (٤/ ٥١). وقال أبو حيَّان: «و﴿إِذَآ﴾ ليست شرطًا، بل ظرفًا يعمل فيها ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ المحذوف بعد ﴿فَلَوْلَآ﴾ لدلالة =

يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨]. وقوله ﷻ: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ١٣]. وقوله: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

وفي (البحر): «(لولا) هنا هي التَّحضيضية الَّتي صحبها التَّوبيخ، وكثيرًا ما جاءت في القرآن للتَّحضيض، فهي بمعنى: (هلَّا»)[1].

وتأتي وفيها معنى الإنكار كما في قوله ﷻ: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥] تحضيضٌ فيه معنى الإنكار[2]. وقد سبق أنَّ حرف التَّحضيض إذا دخل على الماضي كان معناه: اللَّوم والتَّوبيخ على ترك الفعل، فهو في الماضي بمعنى الإنكار.

و. (ألا) أداة عرض وتحضيض:

وهي قسمان:

الأوَّل: (أَلا) - بالفتح والتَّخفيف - أداة عرض وتحضيض.

= ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ في التَّحضيض الثَّاني عليه، فجاء التَّحضيض الأوَّل مقيَّدًا بوقت بلوغ الحلقوم، وجاء التَّحضيض الثَّاني معلَّقًا على انتفاء مربوبيتهم، وهم لا يقدرون على رجوعها؛ إذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهُورون، لا قدرة لهم». البحر المحيط (٨/ ٢١٥)، تفسير ابن عادل (١٨/ ٤٤٥). وقوله ﷻ: ﴿فَلَوْلَآ﴾ للتَّحضيض لإظهار عجزهم. انظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٧/ ٣٤٥)، أسرار التَّكرار، للكرمانيِّ (ص: ١٥١). وما يترجَّح لديَّ أنَّ ما ذكر من معنى التَّحضيض في (لولا) هنا هو تحضيض يؤول أمره إلى التَّعجيز، وذلك أنَّهم لا يستطيعون ذلك حتمًا. وذلك على حدِّ قوله ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ . [البقرة: ٢٣]. والحكم في (لو ما) هو كالحكم في (لولا)..

(١) البحر المحيط (٥/ ١٩٢)، وانظر: فتح القدير (٢/ ٦٨٦).

(٢) انظر: تفسير أبي السُّعود (٥/ ٢١٠)، وتفسير ابن عادل (١٢/ ٤٣٨).

والثَّاني: (ألَّا) - بالفتح والتَّشديد - الدَّالَّة على التَّحضيض.

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

أوَّلا: (أَلا) - بالفتح والتَّخفيف - أداة عرض وتحضيض:

وتختصُّ بالمضارع[١].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ [التوبة:١٣]. (ألا) حرف عرض، ومعناه هنا: الحضُّ على قتالهم. وزعموا[٢] أنها مركَّبة من همزة الاستفهام، و(لا) النَّافية، فصار فيها معنى التَّخصيص[٣]. قال الزَّجاج: هذا على وجه التَّوبيخ، ومعناه: الحضُّ على قتالهم[٤]. وقال الزَّمخشريُّ: «دخلت الهمزة على ﴿لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ تقريرًا بانتفاء المقاتلة، ومعناه: الحضُّ عليها على سبيل المبالغة»[٥].

وقال البقاعيُّ في (نظم الدُّرر): قال الله ﷻ: «﴿أَلَآ﴾ هو حرف عرض، ومعناه هنا: الحضُّ لدخول همزة الإنكار على النَّافي فنفته، فصار مدخولها مثبتًا على سبيل الحثِّ عليه، فهو أبلغ مما لو أثبت بغير هذا الأسلوب»[٦].

---

(١) انظر: روح المعاني (١٨/ ٢٣٨)، البحر المحيط (١/ ١٩٢)، دراسات لأسلوب القرآن (١/ ١٩٦).

(٢) سبق بيان ذلك مفصَّلاً.

(٣) البحر المحيط (٥/ ١٨)، وانظر: المحرَّر الوجيز (٣/ ١٣)، الكشاف (٢/ ١٧٧).

(٤) معاني القرآن، للزَّجاج (٢/ ٤٣٦)، وانظر: زاد المسير (٣/ ٤٠٥).

(٥) الكشاف (٢/ ١٧٧).

(٦) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور (٣/ ٢٧٧).

وقال الله ﷻ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢][1].

وقال الله ﷻ: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الصافات: ٩١].

وقال: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٧]. فإنَّ الهمزة في قوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ للإنكار عليهم في عدم أكلهم، أو للعرض، أو للتَّحضيض[2]. وفي (التَّحرير والتَّنوير): «﴿أَلَا﴾ كلمة واحدة، وهي حرف عَرْض، أي: رغبة في حصول الفعل الَّذي تدخل عليه. وهي هنا متعيِّنة للعَرض لوقوع فعل القول بدلا من فعل: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾، ولا يحسن جعلها كلمتين من همزة استفهام للإنكار مع (لا) النَّافية. والعرض على الضَّيف عقب وضع الطَّعام بين يديه زيادة في الإكرام بإظهار الحرص على ما ينفع الضَّيف، وإن كان وضع الطعام بين يديه كافيًا في تمكينه منه. وقد اعتبر ذلك إذنًا عند الفقهاء في الدَّعوة إلى الولائم، بخلاف مجرَّد وجود مائدة طعام أو سُفرة؛ إذ يجوز أن تكون قد أعدت لغير المدعوِّ»[3].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٤٢)، الإتقان (٢/ ٢١٥)، مصابيح المعاني (ص: ٤٦).
وفي (التَّحرير والتَّنوير): «الاستفهام في قوله ﷻ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ إنكاريٌّ مستعمل في التَّحضيض على السَّعي فيما به المغفرة، وذلك العفو والصَّفح في قوله ﷻ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور: ٢٢]». التَّحرير والتَّنوير (١٨/ ١٨٩).

(٢) انظر: الدُّر المصون (٦/ ١٨٩)، تفسير ابن عادل (١٨/ ٨٥)، وكذلك في (تفسير السِّراج المنير) (٤/ ٩٠).

(٣) التَّحرير والتَّنوير (٢٦/ ٣٥٩-٣٦٠)، وانظر: تفسير البيضاوي (١/ ٢٣٨).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾ [الشعراء: ١٠-١١]. قال الزَّمخشريُّ: «وفي ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾: -بالياء وكسر النُّون- وجه آخر، وهو أن يكون المعنى: (ألا يا ناس اتقون)، كقوله: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾ [النمل: ٢٥]»[1].

قال أبو حيَّان تعقيبًا على ما قاله الزَّمخشريُّ: «يعني: وحذف ألف (يا) خطًّا ونطقًا؛ لالتقاء السَّاكنين، وهذا تخريجٌ بعيد. والظَّاهر أنَّ ﴿أَلَآ﴾ للعرض المضمَّن الحضَّ على التَّقوى، وقول من قال: إنها للتَّنبيه لا يصحُّ، وكذلك قول الزَّمخشريِّ: إنها للنَّفي دخلت عليها همزة الإنكار»[2]. والحاصل أنَّ ﴿قَوۡمَ﴾ بدل، وجملة: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ مستأنفة، و﴿أَلَا﴾ أداة عرض.

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ۝٢٥﴾ [الشعراء: ٢٥]. قوله: ﴿حَوۡلَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلِّق بالصِّلة المقدَّرة. و﴿أَلَآ﴾ أداة عرض.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٠٦). فقد قُرئ بكسرِ النُّونِ اكتفاءً به عن ياء المتكلِّم..انظر: تفسير أبي السُّعود (٦/ ٢٣٦)، البحر المحيط (٧/ ٨)، تفسير البيضاوي (٤/ ٢٣٣)، تفسير الرَّازي (٢٤/ ٤٩٥)، روح المعاني (١٩/ ٦٤).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٨). وانظر ذلك مفصَّلا في (روح المعاني) (١٩/ ٦٤)، وانظر ما دلَّت عليه الآية من التَّحضيض في (البرهان في علوم القرآن) (٢/ ٣٤٢). وانظر: مشكل إعراب القرآن، للخرَّاط (ص: ٣٦٧).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الشعراء: ١٠٦].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الشعراء: ١٢٤].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الشعراء: ١٤٢].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الشعراء: ١٦١].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء: ١٧٧].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الصافات: ١٢٤]. وبيان ذلك أن يقال: إنَّ قوله ﷻ حكاية عن الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- في مجموع هذه الآيات: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عرض رقيق وتلطُّف كما قال ﷻ: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النازعات: ١٨][(١)]. وفي (البحر): «عرض عليهم برفق تقوى الله ﷻ»[(٢)].

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾ [المطففين: ٤]. فقد قيل: الظَّاهر أنَّها: ﴿أَلَا﴾ التَّحضيضية، حضَّهم على ذلك، ويكون (الظنُّ) بمعنى: اليقين[(٣)]. «﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المطففون الموصوفون بذلك الوصف الشَّنيع الهائل. فقوله: ﴿أَلَا﴾ ليست هي الَّتي للتَّنبيه؛ لأنَّ ما

---

(١) انظر: المحرَّر الوجيز (٤/ ٢٤٢)، وانظر: تفسير الثَّعالبي (٣/ ١٥١)، ومشكل إعراب القرآن، للخرَّاط (ص: ٣٧١)، وينظر: إعراب القرآن وبيانه (٧/ ٩٩)، (٧/ ١٠٩).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٢٩) .

(٣) انظر: الكشاف (٤/ ٢٣١)، تفسير ابن عادل (٢٠/ ٢٠٩)، مفردات القرآن، مادَّة: (ظنَّ) (ص: ٣١٧)، السِّراج المنير (٤/ ٥٦٨)، الرَّازي (٢٨/ ٢٣١)، القرطبي (١٩/ ٢٥٤).

بعد حرف التَّنبيه مثبتٌ، وهنا منفيٌّ؛ لأنَّ ﴿أَلَا﴾ التَّنبيهيَّة إذا حذفت لا يختلُّ المعنى، نحو: (ألا إنَّهم لفي سكرتهم يعمهون)، وإذا حذفت ﴿أَلَا﴾ هذه اختلَّ المعنى، بل الهمزة الاستفهاميَّة الإنكاريَّة داخلة على (لا) النَّافية. وجوَّز أن تكون للعرض والتَّحضيض على الظنِّ»[١].

أقول: ولعلَّ الأقرب أنَّها للإنكار والتَّعجيب من عظيم حالهم في الاجتراء على التَّطفيف كأنَّهم لا يعتقدون ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [٢]، وهو الَّذي يترجَّحُ لديَّ، فهو الأقرب إلى ما يفهم من ظاهر النَّص.

ثانيًا: (ألَّا) - بالفتح والتَّشديد - الدَّالة على التَّحضيض:

إنَّ (ألَّا) -المشدَّدة المفتوحة- ليس لها في الكلام إلا موضع واحد، وهي أن تكون تحضيضًا، ولا عمل لها، وتليها الأفعال لا غير؛ لأنها تطلبُها. وإن وليها الأسماء فعلى تقدير الفعل. فإن قلت: (ألا زيدًا) فعلى إضمارِ فعلٍ دلَّ عليه الكلام. وتبدلُ همزتها هاءً[٣]، فيقال: هلَّا تقوم، هلَّا تضرب زيدًا..[٤].

وقد مثَّلوا لـ (ألَّا) المشدَّدة من القرآن الكريم بقول الله ﷻ:

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥].

ولم أجد في القرآن إلا هذا المثال لـ: (ألَّا) المشدَّدة الدَّالَّة على التَّحضيض.

---

(١) روح البيان (١٠/ ٣٦٣).

(٢) ولم يذكر الزَّمخشري غيره. انظر: الكشاف (٤/ ٢٣١).

(٣) انظر: الجنى الدَّاني (ص: ٣٨٣).

(٤) رصف المباني (ص: ٨٤).

أمَّا قوله ﷻ: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ [النمل: ٣١]، فإنَّ (ألَّا) هنا ليست للتَّحضيض، وإنما لما سبق بيانه من كونها كلمتان: (أن) النَّاصبة و(لا) النَّافية أو (أن) المفسرة و(لا) النَّاهية..

وقد حقَّقتُ ذلك، ثمَّ رأيتُ أنَّه عينُ ما ذكره السُّيوطيُّ في (الإتقان)، حيث قال:

«(ألَّا) -بالفتح والتَّشديد- حرف تحضيض، ولم يقع في القرآن لهذا المعنى -فيما أعلم- إلا أنَّه يجوز عندي أن يخرج عليه قوله ﷻ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ .

وأمَّا قوله ﷻ: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ فليست هذه، بل هي كلمتان: (أن) النَّاصبة، و(لا) النَّافية، أو (أن) المفسرة و(لا) النَّاهية»[1].

وقرأ عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه: (تَسْجُدُونَ) -بتاء الخطاب ونون الرَّفع-. وقرىء كذلك بالياء من تحت، فَمَنْ أَثْبَتَ نون الرَّفع فـ ﴿أَلَّا﴾ -بالتَّشديد أو التَّخفيف- للتَّحضيض، وقد تكون المخفَّفة للعرض أيضًا نحو: (أَلَا تنـزلُ عندنا فتحدَّثُ)[2].

(١) الإتقان (١/ ٤٤٢) .

(٢) انظر: الكشاف (٣/ ١٤٤- ١٤٥)، تفسير أبي السُّعود (٦/ ٢٨٢)، ابن عادل (١٥/ ١٧٤)، البيضاوي (١/ ٢٦٤)، الرَّازي (٢٤/ ٥٥٥)، معاني القرآن، للفرَّاء (٢/ ٢٩٠)، وانظر: رصف المباني (ص: ٨٥). وقد قرأ الجمهور: (ألاَّ) -بالتَّشديد-. وقرأ بالتَّخفيف الكسائيُّ. انظر: السَّبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص: ٤٨٠)، والكشف عن وجوه القراءات السَّبع وعللها وحجتها، لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٥٦)، الفريد (٣/ ٦٨١).

وفي (روح المعاني): «قرأ الأعمشُ: (هلَّا يسجدون) على التَّحضيض، وإسناد الفعل إلى ضمير الغائبين. وفي قراءة أبي[١]: (ألا تسجدون) على العرض وإسناد الفعل إلى ضمير المخاطَبين. وفي حرف عبد الله: (ألا هل تَسْجُدُونَ) بـ: (ألا) الاستفتاحيَّة، و(هل) الاستفهاميَّة، وإسناد الفعل إلى ضمير المخاطَبين.......» [٢].

وقد فصَّل ذلك ابن عطيَّة في (المحرَّر الوجيز)[٣].

---

(١) هو أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه سيِّد القُرَّاء .

(٢) روح المعاني (١٩/ ١٩١).

(٣) المحرَّر الوجيز (٤/ ٢٥٦- ٢٥٧). السَّبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص: ٤٨٠)، والكشف عن وجوه القراءات السَّبع وعللها وحجتها (٢/ ١٥٦)، الفريد (٣/ ٦٨١).

الفصل الثالث

النِّداء في القُرآنِ الكَريم

يتضمَّن :

المبحث الأوَّل

التّعريف بالنِّداء، وذكر أقسامه

المبحث الثَّاني

في بيان أدوات النِّداء وما وليها،

وبيان المستخدم في القرآن من هذه الأدوات.

المبحث الثَّالث

صيغ النِّداء في القرآن

المبحث الرَّابع

تقسيم المنادى إلى معرب ومبني

المبحث الخامس

بيان ما ولي المنادَى

المبحث السَّادس

خروج صيغة النِّداء عن معناها الأصلي

خاتمة في بيان الأهداف والمقاصد العامة

المبحث الأوَّل

التَّعريف بالنِّداء

● **توطئة**

وبادئ ذي بدء أتعرَّض لبيان معنى النِّداء وتوضيح أهميَّته، وما له من مكانةٍ بارزةٍ في اللُّغة، فله دوره في الحياة البشريَّة ووظيفته في التَّواصل بين النَّاس إمَّا للحوار بينهم، وإمَّا لأغراض أخرى تفهم من السِّياق أو السِّباق. وافتتاح الكلام بالنِّداء دليل على الاعتناء والتَّنبيه بما سيلقى على المخاطَب -بفتح الطاء المهملة-، وكأنَّه يُعِدُّ نفسه ويهيئها؛ لتلقِّي ما يقال له. كما أنَّ النِّداء أسلوبٌ من أساليب الخطاب يتذوَّق المخاطَب -بفتح الطاء المهملة- ما فيه من روعة الأسلوب وبلاغته، وما يتضمَّنه من الأمر أو النَّهي أو الإرشاد أو التَّوجيه أو الحوار. .

وفيه: حَثٌّ على الاهتمام بموضوع الكلام، ودعوةٌ للتَّبصر فيه، فيكون ما فيه من التَّنبيه والاتِّصال مع المخاطَب -بفتح الطاء المهملة- أدعى إلى استجابته، وتأمُّله؛ لما يحويه ذلك الخطاب من المعاني والقيم، وهو متيقِّظٌ فطن، وعلى بصيرة بالعاقبة والمآل لمن استجاب أو أعرض.

وقد أفردته في هذا الفصل؛ لأنَّه قد ينفكُّ عن الأمر والنَّهي، ويجيءُ في الخبر والاستفهام -كما سيأتي بيان ذلك-؛ ولكثرته في القرآن الكريم..

قال العزُّ بن عبد السَّلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «النِّداء تنبيه للمنادى؛ ليسمع ما يلقى إليه بعد النِّداء من الكلام؛ ليعمل بمقتضاه؛ ولذلك كثر النِّداء في القرآن»[1].

ولا بُدَّ من التَّعريف به قبل الخوض في التَّفريعات ذات الصِّلة بموضوع البحث، وذلك كأساسٍ لا بُدَّ منه في مبحث مطوَّل عن (النِّداء في الخطاب القرآني)، حيث إنَّ النِّداء هو من صلب الموضوعات؛ وذلك لما فيه من الخطاب بصيغة من صيغ الخطاب المباشرة بين المنادِي -بكسر الدال المهملة- والمنادَى -بفتح الدال المهملة-.

وكذلك كانت العناية والاهتمام بدراسة (ما ولي المنادى)؛ وذلك لأنَّ النِّداء في القرآن الكريم إنما جاء بأداة واحدة، هي (يا) ظاهرةً أو مقدَّرة على الرَّاجح من الأقوال -على ما سيأتي- بخلاف الأمر والنَّهي -مثلًا- من أساليب الخطاب القرآني، والَّذي يأتي بأدوات وأساليب متعدِّدة.

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢١٧)، وسيأتي مزيد بيان الأهمِّيَّة والمقاصد في نتائج البحث.

ويتضمَّن هذا المبحث:

المطلب الأوَّل
مادَّة النِّداء في القرآن الكريم، وبيان اللُّغات في لفظ النِّداء، وما يتعلَّق بالاشتقاق.

ويتضمَّن:

١ - مادَّة النِّداء في القرآن الكريم.

٢ - بيان أوجه النِّداء في القرآن الكريم.

٣ - بيان اللُّغات في لفظ النِّداء، وما يتعلَّق بالاشتقاق.

المطلب الثَّاني
تعريف النِّداء لغةً واصطلاحًا، وتوضيح المعنى من خلال تفسير الآيات.

ويتضمَّن:

١ - تعريف النِّداء لغة واصطلاحًا.

٢ - توضيح معنى النِّداء من خلال تفسير آيات.

٣ - بيان من الَّذي ينادى؟

المطلب الثَّالث

أقسام النِّداء في القرآن الكريم في الجملة وبيان ما يصحب النِّداء.

ويتضمَّن ذكر أقسام القرآن الكريم مجملة مع بيان ما يصحب النِّداء.
وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

المطلب الأوَّل
مادَّة النِّداء في القرآن الكريم، وبيان اللُّغات في لفظ النِّداء، وما يتعلَّق بالاشتقاق

وقد جاءت على النَّحو التَّالي:

أوَّلا: مادَّة النِّداء في القرآن الكريم

ثانيا: بيان أوجه النِّداء في القرآن الكريم

ثالثا: بيان اللُّغات في لفظ النِّداء، وما يتعلَّق بالاشتقاق

- **أوَّلا : مادَّة النِّداء في القرآن الكريم**

وأمَّا مادَّة (النِّداء) في الخطاب القرآني فهي على النَّحو التَّالي..

﴿نِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١]، [مريم: ٣].

﴿فَنَادَتْهُ﴾ [آل عمران: ٣٩].

﴿مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿يُنَادِى﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿نَادَيْتُمْ﴾ [المائدة : ٥٨].

﴿وَنَادَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢].

﴿وَنُودُوٓاْ﴾[الأعراف: ٤٣].

﴿وَنَادَوْاْ﴾ [الأعراف: ٤٦]، [الزُّخرف: ٧٧].

﴿نَادَىٰ﴾ [الأعراف: ٤٤ - ٤٨ - ٥٠]، [مريم: ٣]، [الأنبياء: ٧٦ - ٨٣ - ٨٩]، [الشُّعراء: ١٠]، [ص: ٤١]، [القلم: ٤٨].

﴿نَادُواْ﴾ [الكهف: ٥٢].

﴿فَنَادَىٰهَا﴾ [مريم: ٢٤].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [مريم: ٥٢]، [الصَّافات: ١٠٤].

﴿نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣][1].

---

(١) النَّديُّ: المجلس، يقال: نديٌّ ونادٍ، والجمع الأندية، ومنه قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [العلق: ١٧]، و(النَّادي): المَجْلِسُ يَنْدُو القَوْمُ حَوَالَيْه، وهو النَدِيُّ، والأَنْدِيَةُ جَمْعُه. وسُميَتْ (دارُ النَدْوَةِ) بمَكَّةَ لبَنِي هاشِمٍ؛ لأنَّهم إذا حَزَبَهم أَمْرٌ نَدَوْا إليها فاجْتَمَعُوا للتشَاوُرِ. و(نَدَا فلانٌ النَّاسَ): أي: دَعَاهم يَنْدُوهُم. وقيل: (دارُ النَدْوَةِ): دارُ الدعْوَةِ إلى الطعَامِ. و(نادَيْتُه مُنَادَاةً)، أي: =

﴿نُودِىَ﴾ : [طه: ١١]، [النَّمل: ٨]، [القصص: ٣٠]، [الجمعة: ٩].

﴿نَادَيْنَا﴾ : [القصص: ٤٦].

﴿يُنَادِيهِمْ﴾ : [القصص: ٦٢]، [القصص: ٦٥]، [القصص: ٧٤]، [فصِّلت: ٤٧].

﴿نَادِيكُمُ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

﴿نَادَىٰنَا﴾ : [الصَّافات: ٧٥].

﴿فَنَادَواْ﴾ [ص: ٣]، [القمر: ٢٩].

﴿نَادَىٰهُ﴾ : [النَّازعات: ١٦].

﴿يُنَادَوْنَ﴾ : [غافر: ١٠].

﴿ٱلتَّنَادِ﴾ : [غافر: ٣٢].

﴿يُنَادُونَكَ﴾ : [الحجرات: ٤].

﴿يُنَادِ﴾ : [ق: ٤١].

﴿ٱلْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١].

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ : [الحديد: ١٤].

﴿فَتَنَادَوْاْ﴾ : [القلم: ٢١].

﴿نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]

= جالَسْتُه. و(تَنَادَى القَوْمُ)، جَلَسُوا في نادِيهم، وانْتَدَوْا: كذلك. انظر: تاج العروس، مادَّة: (ندا) (٤٠/ ٥٥)، مختار الصِّحاح، (ص:٦٨٨)، اللُّباب في علل البناء والإعراب (١/ ٣٢٨). أقول: ويتبينَّ مَّما سبق الصِّلة الوثيقة بين النِّداء الَّذي هو الدُّعاء بأيِّ لفظٍ كان وبين النَّدي أو النَّادي الَّذي يدعى أو ينادى له.

• ثانيًا: أوجه النِّداء في القرآن الكريم

ذكر بعض المفسِّرين أنَّ النِّداء في القرآن على (ستَّة) أوجه:

أحدها: الأذانُ، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة:٥٨]، وقوله عز وجل: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩].

والثَّاني: الدُّعاء، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم:٣]، وقوله عز وجل:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء:٧٦]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٨٣].

وقد سبق بيان ذلك في (الدُّعاء في القرآن الكريم).

والثَّالث: التَّكليم[1]، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم:٥٢] ، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص:٤٦].

---

(١) ومن مراتب الوحي: ((التَّكليم من وراء حجاب، كما كَلَّمَ موسى -عليه السَّلام-؛ ولهذا سمَّى الله ﷻ هذا: (نداء) و(نِجاءً) فقال ﷻ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ ، وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه:١١-١٣]. وهذا التَّكليم مختصٌّ ببعض الرُّسل، كما قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقال ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال بعد ذكر إيحائه إلى الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام-: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّساء: ١٦٤])). كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٢/ ٤٠١).

والرَّابع: الأمر، ومنه قـوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء: ١٠][١].

والخامس: النَّفخ في الصُّور، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١][٢].

والسَّادس: الاستغاثة، ومنـه قـوله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، وقوله عز وجل: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧][٣].

---

(١) أقول: ولعلَّ مما يستدلُّ به لذلك قـوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] .

(٢) المنادي هنا (إسرافيل) -عليه السَّلام- الَّذي ينفخ في الصُّور. و(النِّداء) نفخه، سمِّي (نداء) من حيث إنَّه جعله علمًا للخروج وللحشر، وإنما يقع ذلك النِّداء كأذان المؤذن، وعلامات الرَّحيل في العساكر. وقيل: هو النِّداء حقيقة، فيقف على الصَّخرة، ويضع إصبعه في أذنيه، وينادي: أيَّتُها العظام البالية، والأوصال المتقطِّعة، واللُّحوم المتمزِّقة، والشُّعور المتفرِّقة: إنَّ الله ﷻ يأمركنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: (إسرافيل) ينفخ و(جبرائيل) ينادي بالحشر. انظر: تفسير ابن جزي (٤/ ٦٦)، النَّسفي (٤/ ٢٤١)، تفسير الرَّازي (٢٨/ ١٥٦)، القرطبي (١٧/ ٢٧)، فتح القدير (٥/ ١١٤).

(٣) أقول: وقد اختلف المفسِّرون في أنَّ قولهم: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ على أيِّ الوجوه طلبوه؟ فقال بعضهم: على التَّمني. وقال آخرون: على وجه الاستغاثة، وإلَّا فهم عالمون بأنَّه لا خلاص لهم من ذلك العقاب. وقيل: لا يبعد أن يقال: إنهم لشِدَّة ما هم فيه نَسُوا تلك المسألة تذكرة على وجه الطَّلب. انظر: تفسير ابن عادل (١٧/ ٢٩٥)، السِّراج المنير (٣/ ٦٧٩)، تفسير الرَّازي (٢٧/ ٦٥١). أقول: ثمَّ إنَّ مالكًا -عليه السَّلام- يقول لهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزُّخرف: ٧٧]. وليس في القرآن متى أجابهم؟ هل أجابهم في الحال أو بعد ذلك بمدَّة؟ وما مقدارُ المسافة بين المنادَى -بفتح الدال المهملة- والمنادِي -بكسر الدال المهملة-؟ وذلك لأنَّ القرآن لا يُعنى إلاَّ بالمقاصد والمهمَّات، ولا علاقة للزَّمان والمكان =

وقد ألحق بعضهم وجهًا سابعًا فقال: و(النِّداء): **الوحي**، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢][١].

• ثالثًا: بيان اللُّغات في لفظ النِّداء، وما يتعلَّق بالاشتقاق

(النِّداء) فيه ثلاث لغات أشهرها: كسر النُّون مع المدِّ، ثمَّ مع القصر، ثمَّ ضمُّها مع المدِّ، واشتقاقها من (ندى الصَّوت)، وهو بعده. يقال: (فلان أندى صوتًا من فلان) إذا كان أبعد منه صوتًا[٢].

وفي (المصباح): «(النِّداء) الدُّعاء، وكسر النُّون أكثر من ضمِّها، والمدُّ فيهما أكثر من القصر»[٣] -وسيأتي مزيدٌ من التَّفصيل في بيان معنى (النِّداء) لغة-.

وفي (حاشية الصَّبان)[٤] ذكر أنَّ لغاته أربع حيث ذكر ذلك تعليقًا

= والمسافة بالحَدَث، وكذلك لا يُعنى غالبًا بذكر الأشخاص فعندما يذكر فرعون مثلاً لا يذكرُ من هو؟ مع أنَّ فرعون لقب لجميع ملوك (مصر) في تلك الحقبة من الزَّمن؛ وذلك لما قرَّرت من أنَّ القرآن لا يعنى إلَّا بالمهمَّات والمقاصد الشَّريفة..وما يعنينا هنا ما قيل من أنهم قالوا ذلك على وجه الاستغاثة.

(١) انظر: نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنَّظائر (ص:٥٩٣-٥٩٤). وفي (البحر): «وقال الجمهور: إنَّ النِّداء كان بواسطة الوحي». البحر المحيط (٤/ ٢٨١). وينظر ذلك المعنى في (التَّحرير والتَّنوير) (٨/ ٦٠).

(٢) شرح الأشمونيِّ على ألفيَّة ابن مالك (٣/ ١٣٣)، وانظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (٢/ ١٠٥١) .

(٣) المصباح المنير، مادَّة: (ندا) (٢/ ٥٩٨).

(٤) هو محمَّد بن علي الصَّبان، أبو العرفان، عالم بالعربيَّة والأدب، مصريٌّ. مولده ووفاته =

على ما جاء في (ألفيَّة ابن مالك):

(بـالـجَـرِّ وَالْتَّـنْـويـنِ وَالـنِّـدَا وَأَلْ وَمُسْنَدٍ لِلِاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ)[1].

«فعلم أنَّ لغاته أربع، وأنَّ القصر في عبارة المصنِّف [يقصد ابن مالك] ليس للضَّرورة، بل على لغة، لكنَّ المكسور الممدود مصدرٌ قياسي، وغيره سماعي؛ لأنَّ قياس مصدر (فاعل) كنادى الفاعل والمفاعلة، وقد وجهت لغة الضمِّ والمدِّ بأنَّه لما انتفت المشاركة في (نادى) -كما لا يخفى- كان في معنى فعل بلا ألف، فمن ضمَّ ومدَّ لم يراع جهة اللَّفظ المقتضية للكسر والمدِّ، بل راعى جهة المعنى؛ لأنَّ المصدر المقيس للفعل الدَّال على الصَّوت (فعال) كصراخ ونباح. وصَرَّح كثيرٌ بأن المضمومَ اسمٌ لا مصدر»[2].

وقد ناسب أن يعقب بيان اللُّغات في لفظ النِّداء، وما يتعلَّق بالاشتقاق: ما يتعلَّق بمعنى النِّداء لغةً واصطلاحًا كأساسٍ لا بُدَّ منه، وبيان اهتمام المفسِّرين في تجلية ذلك المعنى.

❊ ❊ ❊

= بالقاهرة [١٢٠٦هـ]. انظر ترجمته في (الأعلام) (٦/ ٢٩٧)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (٢/ ٧٠٥)، معجم المؤلِّفين (١١/ ١٧)، عجائب الآثار، للجبرتي (٢/ ١٣٧).

(١) ألفيَّة ابن مالك (ص: ٩).

(٢) بقليل من التَّصرف عن (حاشية الصَّبان على شرح الأشموني) (١/ ٣٧).

المطلب الثاني
تعريف النِّداء لغة واصطلاحًا
وتوضيح المعنى من خلال تفسير الآيات

● **ويتضمَّن:**

١ - تعريف النِّداء لغة واصطلاحًا..

٢ - توضيح معنى النِّداء من خلال تفسير آيات.

٣ - بيان من الَّذي ينادى؟

٤ - حذف أداة النِّداء في الخطاب القرآني.

٥ - حذفُ المنادَى -بفتح الدال المهملة-.

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

- **أوَّلا : تعريف النِّداء لغة واصطلاحًا**

أمَّا تعريف النِّداء لغة فهو: الدُّعاء بأيِّ لفظٍ كان، وناداه مناداة ونداء، أي: صاح به. و(النِّداءُ) بالضَّمِّ والكسر.

وفي (الصَّحاح): «(النِّداءُ): الصَّوتُ، وقد يُضَمُّ مِثْلُ الدُّعاءِ والرُّغاءِ»(١).

وقال الرَّاغبُ: «(النِّداء): رفع الصَّوت وظهوره، وقد يقال ذلك للصَّوت المجرَّد، وإيَّاه قصد بقوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً﴾ [البقرة:١٧١]، أَي: لا يعرفُ إلَّا الصَّوت المجرَّد دون المعنى الَّذي ييقتضيه تَرْتِيبُ الكلام، ويقالُ للحَرْفِ الذي فُهِمَ منه المعنى ذلكَ. قال عز وجل: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء:١٠]، وقوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:٥٨]، أي: دعوتم، وكذلك: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩].

ونداء الصَّلاة مخصوص في الشَّرعِ بالألفاظ المعروفة، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤]، فاستعمال النِّداء فيهم؛ تنبيهًا على بعدهم عن الحقِّ في قوله: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق:٤١]، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم:٥٢]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ﴾ [النمل:٨]، وقوله: ﴿إِذْ

---

(١) الصِّحاح، للجوهريِّ، مادَّة: (ندا) (٦/ ٢٥٠٥).

نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم:٣]، فإنَّه أشار بالنِّداء إلى الله عز وجل؛ لأنَّه تصور نفسه بعيدًا منه بذنوبه..

ثمَّ قالَ -أي: الرَّاغب-: «وأصل (النِّداء) من النَّدى. أي: الرُّطوبة، يقال: صوت ندي رفيع، واسْتِعارَةُ (النِّداءِ)؛ للصَّوْت مِن حيثُ إنَّ مَنْ تَكْثرُ رُطُوبَة فَمِه حَسُن كَلامُه؛ ولهذا يُوصَفُ الفَصِيحُ بكَثْرةِ الرِّيق»[١].

و(نادَيْتُه) و(نادَيْتُ به مُنادَاةً ونِداءً): صاحَ به[٢].

وأمَّا تعريف النِّداء اصطلاحًا **فهو**: «طلب الإقبال بحرف نائب مناب: (أدعو)[٣] ملفوظ به أو مقدَّر[٤]. والمراد بالإقبال: ما يشمل الإقبال الحقيقيَّ والمجازي المقصود به الإجابة كما في نحو: (يا الله»)[٥].

والحاصل أنَّ النِّداء هو طلب المنادى بأحد حروف النِّداء.

والنَّحويون يرون في حرف النِّداء والمنادَى بعده جملة مقدَّرة، فقولك: (يا زيد) بمنـزلة قولك: (أدعو زيدًا)، وهو من قبيل الإنشاء الوارد بصيغة الخبر.

(١) بقليل من التَّصرف عن (مفردات ألفاظ القرآن)، مادَّة: (ندا) (٢/ ٤١٤-٤١٥).

(٢) وانظر: الصِّحاح، للجوهريِّ، مادَّة: (ندا) (٦/ ٢٥٠٥)، تاج العروس (٤٠/ ٥٨-٨٩)، ولسان العرب (١٥/ ٣١٣)، والمصباح المنير (٢/ ٥٩٨-٥٩٩)، وانظر: حاشية الصَّبان على شرح الأشموني (٣/ ١٣٣).

(٣) انظر: المقتضب، للمبرّد (٤/ ٢٠٢)، وانظر: الأصول في النَّحو، لابن السَّراج (١/ ٣٤٠).

(٤) وعرَّفه ابن الجوزي بأنَّه ((استدعاء المخاطِب المخاطَب إذا كان بعيدًا منه)). نزهة الأعين النَّواظر (ص:٥٩٢)، وانظر: شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٣٣٤- ٣٣٥).

(٥) حاشية الصَّبان (٣/ ١٣٣).

وقد نصَّ على ذلك السُّيوطيُّ في (همع الهوامع)[١].

والحرف قد يكون ملحوظًا نحو: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ﴾ [البقرة:٣٣]، أو مقدَّرًا نحو: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ﴾ [يوسف:٢٩].

وهنا أورد صاحب الحاشية على الأشموني[٢] اعتراضين ثمَّ أجاب عنهما:

قال: «ولا يرد: (يا زيد لا تقبل)؛ لأنَّ (يا) لطلب الإقبال لسماع النَّهي، والنَّهي عن الإقبال بعد التَّوجه. واعترض نيابة حرف النِّداء عن (أدعو) بأنَّ (أدعو) خبر، والنِّداء إنشاء، وأجيب بأنَّ (أدعو) نقل إلى

---

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢/ ٣٢)، وانظر: الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربي (ص:١٣٦). وفي (المغني): ((حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة، أو حكمًا، وقد ينادى بها القريب توكيدًا. وقيل: هي مشتركة بين القريب والبعيد. وقيل: بينهما وبين المتوسِّط، وهي أكثر أحرف النِّداء استعمالا؛ ولهذا لا يقدَّر عند الحذف سواها نحو: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ﴾ [يوسف:٢٩])). مغني اللَّبيب (ص:٤٨٨). وعند المالقي والمرادي حرف موضوع لنداء البعيد مسافة أو حكمًا. .الجنى الدَّاني (ص:٣٥٤)، رصف المباني (ص:٣٥٤)، توضيح المقاصد (٢/ ١٠٥١). -وسيأتي تحقيق ما يترجَّح من حيث المعنى بالنِّسبة لنداءات القرآن-. .وقوله: (حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا)، أي: كالنَّائم والغافل والسَّاهي فهو ينـزَّل منزلة البعيد. .انظر: مصابيح المعاني (ص:٤٢٤)، حاشية الشَّيخ محمَّد الأمير على المغني (٢/ ٤١). وسيأتي أيضًا بيان ذلك مفصَّلاً. .

(٢) وهو العلامة الصَّبان، وقد سبق التَّعريف به. .، والأشموني هو علي بن محمد بن عيسى بن محمد الأشموني الأصل، ثمَّ القاهري، الشَّافعي، (نور الدِّين) نحوي، فقيه، فرضي، منطقي، ناظم. ولد في شعبان، وتوفي في [١٧] ذي الحجَّة. [٩١٨هـ]. من آثاره: تعليقه على (الأنوار لعمل الأبرار)، للأردبيلي في فروع الفقه الشَّافعي، نظم (إيساغوجي) في المنطق، وشرح ألفيَّة ابن مالك في النَّحو. معجم المؤلِّفين (٧/ ٢٢٥).

الإنشاء»[١].

● **ثانيًا: توضيح معنى النِّداء من خلال تفسير آيات**

تتوجُّه العناية والاهتمام هنا إلى إبراز هذا المعنى من ثنايا التَّفسير، وفي ظلال النُّصوص القرآنيَّة، وذلك ممَّا لا يستغني عنه الباحثُ في هذا المجال، ولعلَّ ممن أفاد وأجاد في توضيح بعض المعاني المتعلِّقة بالنِّداء العلامة المفسِّر محمد الطَّاهر بن عاشور في (التَّحرير والتَّنوير). وقد رأيت أن أنقل بعض ما ذكره ممَّا يثري هذا الموضوع، وهو بمثابة نماذج تطبيقيَّة؛ لتوضيح معنى النِّداء في الخطاب القرآني، وفيه نظرات رائعة لمعانٍ تتعلَّق بالنِّداء بما يفيد موضوع البحث، ويزيد في توضيح مفهوم النِّداء حركةً وتألُّقًا.

يقول مثلًا في بيان معنى قوله عز وجل:

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣]: «أرادوا به النَّبيَّ محمَّدًا صلى الله عليه وسلم. و(المنادِي) -بكسر الدال المهملة-: الَّذي يرفع صوته بالكلام. و(النِّداء): رفع الصَّوت بالكلام رفعًا قويًّا؛ لأجل الإسماع، وهو مشتقٌّ من (النِّداء) -بكسر النون وبضمِّها-، وهو الصَّوت المرتفع. يقال: (هو أندى صوتًا)، أي: أرفعُ، فأصل (النِّداء): (الجهر بالصَّوت والصِّياح به)، ومنه سمِّي دعاء الشَّخص شخصًا ليقبل إليه: (نداء)؛ لأنَّ من شأنه أن يرفع الصَّوت به؛ ولذلك

(١) حاشية الصَّبان (٣/ ١٣٣).

جعلوا له حروفًا ممدودة مثل: (يا) و(آ) و(أيا) و(هيا)[١]. ومنه سمِّي (الأذان): نداء[٢]، وأطلق هنا على المبالغة في الإسماع والدَّعوة -وإن لم يكن في ذلك رفع صوت.- ويطلق النِّداء على طلب الإقبال بالذَّات أو بالفَهم بحروف معلومة كقوله ﷻ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥﴾ [الصَّافات: ١٠٤-١٠٥]. ويجوز أن يكون هو المراد هنا؛ لأنَّ النَّبي ﷺ يدعو النَّاس بنحو: (يأيُّها النَّاس)، و(يا بَني فلان)، و(يا أمَّة محمَّد)، ونحو ذلك»[٣].

وذكر أيضًا في قول الله ﷻ:

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢٢] «أنَّه مستعملٌ في المعنى المشهور: وهو (طلب الإقبال)، على أنَّ الإقبال مجازيٌّ لا محالة، فيكون كقوله ﷻ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وهو كثيرٌ في الكلام. ويجوز أن يكون مستعملًا في الكلام بصوت مرتفع كقوله ﷻ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقوله ﷻ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ورفع الصَّوت يكون؛ لأغراض، ومحمله هنا[٤] على أنَّه صوت غضب وتوبيخ. وظاهر إسناد النِّداء إلى الله ﷻ أنَّ الله ﷻ

(١) سيأتي بيان حروف النِّداء، والمستخدم من ذلك في القرآن الكريم.
(٢) سبق بيان ذلك في أوجه النِّداء .
(٣) يعني قول الله ﷻ مخاطبًا آدم عليه السلام وحواء: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢٢]. التَّحرير والتَّنوير (٤/ ١٩٩).
(٤) يعني قول الله ﷻ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ .....

ناداهما بكلام بدون واسطة مَلك مرسل، مثل: الكلام الذي كلَّم الله ﷻ به موسى ﵇، وهذا واقع قبل الهبوط إلى الأرض، فلا ينافي ما ورد من أنَّ موسى ﵇ هو أوَّل نبيٍّ كلَّمه الله ﷻ بلا واسطة. يجوز أن يكون نداءُ آدم ﵇ بواسطة أحد الملائكة»[١].

ومن ذلك ما قيل في قول الله ﷻ:

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ [الكهف: ٥٢] أنَّ (النِّداء): «طلب الإقبال للنُّصرة والشَّفاعة. و(الاستجابة): الكلام الدَّالُّ على سماع النِّداء، والأخذُ في الإقبال على المنادي بنحو قول: (لبيكم). وأمره إيَّاهم بمناداة شركائهم مستعمل في معناه مع إرادة لازمه، هو إظهار باطلهم بقرينة فعل الزَّعم؛ ولذلك لم يسعهم إلَّا أن ينادوهم حيث قال: ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ لطمعهم، فإذا نادوهم تبيَّن لهم خيبة طمعهم؛ ولذلك عطف فعل الدُّعاء بالفاء الدَّالَّة على التَّعقيب. وأتي به في صيغة المضي؛ للدِّلالة على تعجيل وقوعه حينئذٍ حتى كأنَّه قد انقضى»[٢].

---

(١) بقليل من التَّصرُّف عن المصدر السابق (٦٦/٨).

(٢) التَّحرير والتَّنوير (٣٤٥/١٥). وقد جاء معنى (النِّداء) في كتب التَّفسير مع زيادة في الإيضاح والبيان، فمن ذلك ما قيل في قوله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم: ٣] «أنَّ النِّداء: أصله رفع الصَّوت بطلب الإقبال. ويطلق النِّداء كثيرًا على الكلام الَّذي فيه طلب إقبال الذَّات لعمل أو إقبال الذِّهن لوعي كلام؛ فلذلك سمِّيت الحروف الَّتي يفتتح بها طلب الإقبال: حروف النِّداء. ويطلق على الدُّعاء بطلب حاجة وإن لم يكن فيه نداء؛ لأنَّ شأن الدُّعاء في المتعارف أن يكون جهرًا. أي: تضرُّعًا؛ لأنَّه أوقع في نفس =

ويتبيَّنُ ممَّا سبق: أهميَّة إبرازِ ما يتعلَّق بالنِّداء من المعنى في ثنايا التَّفسير، وبيان الحكمة من استخدام أداة النِّداء، وكذلك (ما ولي المنادَى) من الأمر أو النَّهي أو الاستفهام أو الخبر؛ لأنَّ القصد من النِّداء: دعوة المخاطَب -بفتح الطاء المهملة-؛ ليقْبل على المخاطِب -بكسر الطاء المهملة-، ويتنبَّه إلى مضمون الخطاب، ويعلم فائدة الاستجابة، وليكون على حذر من عاقبة الإعراض. قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف: ٥٧].

وقال حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح: ٧].

= المدعو. ومعنى الكلام: أنَّ زكريَّا عليه السلام قال: (يا رب) بصوتٍ خفيٍّ. وإنما كان خفيًّا؛ لأنَّ زكريَّا عليه السلام رأى أنَّه أدخل في الإخلاص، مع رجائه أنَّ الله ﷻ يجيب دعوته لئلا تكون استجابته مما يتحدَّث به النَّاس؛ فلذلك لم يدعه تضرُّعًا، وإن كان التَّضرع أعون على صدق التَّوجه غالبًا، فلعلَّ يقين زكريَّا عليه السلام كافٍ في تقوية التَّوجه، فاختار لدعائه السَّلامة من مخالطة الرِّياء. ولا منافاة بين كونه نداءً، وكونه خفيًّا؛ لأنَّه نداء من يسمع الخفاء». التَّحرير والتَّنوير (١٦/ ٦٣). وفي موضع آخر: النِّداء: الكلام الدَّالُّ على طلب الإقبال، وأصله: جهر الصَّوت؛ لإسماع البعيد، فأطلق على طلب إقبال أحد مجازًا مرسَلا. ومنه قوله ﷻ: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]. وهو مشتقٌّ من (النَّدى) -بفتح النُّون وبالقصر- وهو بُعد الصَّوت. ولم يسمع فعله إلا بصيغة المفاعلة، وليست بحصول فعل من جانبين بل المفاعلة للمبالغة». بتصرُّف عن (التَّحرير والتَّنوير) (١٦/ ١٢٨) .

- **ثالثًا: بيان من الَّذي ينادَى؟**

وإنما ينادَى المميِّز الذي يعقل الخطاب. .

وقد سبقَ بيان أنَّ النِّداء طلب الإقبال بحرف نائب مناب (أدعو) ملفوظ به أو مقدَّر، والإقبال: ما يشمل الإقبال الحقيقي والمجازي المقصود به الإجابة، ولكن من الَّذي ينادَى؟

إنَّ الَّذي ينادى إنما هو المميِّز؛ ولذلك وصف الله ﷻ الخطاب القرآني بأنَّه منـزَّلٌ لقومٍ يعقلونه بعقولهم، ومن يعقل هو الَّذي يميِّز؛ ولذلك يقع عليه التَّكليف المتفرِّع عن عبوديَّته لله ﷻ بما يتضمَّنه الخطاب القرآني، وذلك إذا كان المخاطِب -بكسر الطاء المهملة- هو الله ﷻ. يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢].

وقد سبق في (الدُّعاء) التَّفريق بين كون المخاطِبُ عاليًا أو سافلًا أو مساويًا للمخاطَب -بفتح الطاء المهملة- فأغنى عن ذكره هنا.

«وأمَّا نحو: ﴿يَٰٓأَرْضُ﴾ [هود: ٤٤]، و﴿يَٰجِبَالُ﴾ [سبأ: ١٠]، فقيل: إنَّه من باب المجاز؛ لتشبيه ما ذكر بالمميِّز في الانقياد، واستعارته في النَّفس له على طريق الاستعارة بالكناية[1]، و(يا) تخييل.

---

(١) وأمَّا الاستعارة بالكناية فهي أن تذكر المشبَّه وتريد المشبَّه به دالا على ذلك بإضافة شيء من لوازم المشبَّه به المساوية إلى المشبَّه مثل أن تشبه المنية بالسَّبع، ثمَّ تفردها بالذِّكر مضيفًا إليها الأنياب والمخالب قائلا: (أنياب المنية) أو (مخالب المنية قد نشبت بفلان)، ونحوه: (لسان الحال ناطق بكذا) وهي لا تنفكُّ عن التَّخييليَّة؛ فإنَّ إثبات ذلك الأمر للمشبَّه استعارة تخيليَّة. أمَّا الكناية فلأنَّه لم يصرَّح به، بل إنما دلَّ عليه بذكر خواصِّه ولوازمه، وأمَّا الاستعارة فمجرَّد تسمية خالية عن المناسبة. ويسمَّى إثبات ذلك الأمر المختص بالمشبَّه به للمشبَّه =

ولك أن تقول: من الجائز أنَّ الله ﷻ لما ذكر حال الخطاب تمييزًا فلم يقع النِّداء إلَّا لمميِّز، وهمزة النِّداء منقلبة عن واو مثل (كساء»)[١].

= استعارة تخيليَّة؛ لأنَّه قد استعير للمشبَّه ذلك الأمر الَّذي يختصُّ المشبَّه به، وبه يكون كمال المشبَّه به أو قوامه في وجه الشَّبه ليخيل أنَّ المشبَّه من جنس المشبَّه به. انظر: الكليَّات (ص:١٠٢)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص:٢٩٠)، التَّعريفات (ص:٣٥)، مختصر المعاني، للسَّعد (ص:٢٢٦).

(١) حاشية الصَّبان (٣/ ١٣٣)، وانظر: روح المعاني (١٢/ ٦٤)، تفسير النَّيسابوري (٤/ ٢٤)، تفسير النَّسفي (٢/ ١٦٢)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص:٣١٢)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (ص:٣٨٩-٣٩٠). قال الزَّمخشريُّ: «نادَى الأرض والسَّماء بما ينادي به الإنسان المميِّز على لفظ التَّخصيص، والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله: ﴿يَٰٓأَرْضُ﴾، ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ ثمَّ أمرهما بما يؤمر به أهل التَّمييز والعقل من قوله ﷻ: ﴿ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾، و﴿أَقْلِعِى﴾ [هود:٤٤]، من الدِّلالة على الاقتدار العظيم، وأنّ السَّموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء، غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميِّزون، قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه، وقدرته على كلِّ مقدور، وتبيَّنوا تحتُّم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التَّوقف دون الامتثال له، والنُّـزول عن مشيئته على الفور من غير ريب. فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء». الكشاف (٢/ ٢٧١)، البحر المحيط (٥/ ١٨٨). وفي تفسير البيضاوي (٣/ ٢٣٦)، والبحر المديد (٣/ ٢١٦) ما يفيد المعنى نفسه. أقول: والمعنى أنَّه ﷻ إذا أراد تكوين الأشياء لم تمتنع عليه، ووجدت كما أرادها على الفور من غير تأخير في ذلك، كالمأمور المطيع الَّذي إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء، وهو المجاز الَّذي يسمَّى بالاستعارة التَّمثيليَّة، تمثيلاً لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالأمر المطاع الَّذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه. والاستعارة التَّمثيليَّة هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. والقرينة على هذا القول هي خطاب الجماد، ووجه الشَّبه سرعة الاستجابة. هذا على القول الأوَّل، أمَّا على القول الثَّاني فقد جعل الله ﷻ لها إرادة وتمييزًا فكان الخطاب على حقيقته -وهو الرَّاجح كما سيأتي -.

والحاصل أنَّ ذلك من حمل هذه الألفاظ وما كان مثلها في الكتاب والسُّنَّة على المجاز المعروف من لسان العرب، وجَعل قرينة المجاز: الخطاب للجماد.

هذا على المذهب الأوَّل.

والمذهب الآخر أنَّ ذلك على سبيل الحقيقة.

ومن حمل هذا على الحقيقة جعل للأرض وللجبال إرادةً يفهمها من شاء الله ﷻ له ذلك. وقد جعل الله ﷻ لكلِّ شيءٍ تسبيحًا كما قال ﷻ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، وقوله ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وجعل للسَّموات والأرض بكاءً وقولًا في مثل هذا المعنى صحيحًا. قال الله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾ [الدخان: ٢٩]، وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت: ١١]. فخاطبهما وأثبت لهما القول.

وكذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ فإنَّ العرض -التَّخيير- إنما يكون للمميِّز..

والرَّاجح أنَّ التَّسبيح والاستجابة على سبيل الحقيقة، فكلُّ شيءٍ على العموم يُسبِّحُ الله ﷻ مثلًا تسبيحًا لا يفقهه البشر كما هو منطوق الآية، ولو كان التَّسبيح ما قاله الآخرون من أنَّه أثر الصَّنعة، لكان أمرًا

مفهومًا، والآية تنطق بأنَّه لا يُفقه. ولو كان تسبيحها آثار الصَّنعة لما كان لقوله ﷻ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الأنبياء:٧٩]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص:١٨] فائدة.

والقول بالحقيقة هو القول الرَّاجح -كما أسلفت-، ولكنَّ هذا كلَّه في (الجمادات).

وأمَّا ما يمكن التَّسبيح منه فقول واحد أنَّ تسبيحهم حقيقة(١).

وسيأتي مزيد من البيان في (نداء الجمادات).

- **رابعًا: حذف أداة النِّداء في الخطاب القرآني**

وكثيرًا ما تحذف أداة النِّداء، ولا سيَّما في نداء الرَّبِّ ودُعائه، فتكون مقدَّرة ذهنًا، مثل:

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦](٢)، وما كان نحو: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:١٢٧]، ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة:١٢٨]، ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [البقرة:١٢٩]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:٢٠٠-٢٠١]، ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة:٢٥٠]، ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].....إلخ. أي: يا ربَّنا

---

(١) انظر: معاني القرآن، للزَّجاج (٥/ ١٢١)، المحرَّر الوجيز (٤/ ٤٥٩)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٦٦)، البحر المديد (٤/ ٩٥)، تفسير الثَّعالبي (٤/ ٢٦١)، زاد المسير (٤/ ٤٥٣). وانظر: التَّمهيد، لابن عبد البَّر (٢٠/ ١٧٨)، (٢٢/ ٣٣١)، الاستذكار (١/ ١٠٠)، (١/ ٣٨٦).

(٢) ونحوه: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ [آل عمران: ٤١]، و[مريم: ١٠]، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ونحو: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ [الأعراف:١٥١][1]، ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون:٢٦، ٣٩][2]. -وقد سبق بيان ذلك في (الدُّعاء)-..

ومن ذلك: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن:٣١]، وهو منادى نكرة مقصودة حذف منه حرف النِّداء..-وسيأتي بيان (نداء النَّكرة المقصودة)-..

وممَّا قيل[3] من الحذف مع (اسم الإشارة) قوله ﷻ:

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٨٥]، أي: يا

---

(١) ونحوه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ [المؤمنون:١١٨]، ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ [ص:٣٥]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨].

(٢) ونحوه: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٠].

(٣) ((جوَّز الكوفيُّون حذف (يا) من اسم الإشارة عند النِّداء؛ لأنَّه معرفة قبل النِّداء. وأمَّا البصريُّون فمنعوا هذا الحذف؛ لأنَّ اسم الإشارة وإن كان معرفة قبل النِّداء فهو موضوع في الأصل لما يُشار إليه للمخاطَب، وبين الاسم مشارًا إليه وكونه منادَى - أي: مخاطَبًا- تنافر ظاهر، فلمَّا أُخْرج في النِّداء عن ذلك الأصل، وجُعِل مخاطَبًا احتيج إلى علامة ظاهرة تدلُّ على تغييره وجعله مخاطبًا، وهي حرف النِّداء، والكوفيُّون جوَّزوا حذف الحرف من اسم الإشارة، اعتبارًا بكونه معرفة قبل النِّداء، واستشهادًا بقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾. وليس في الآية دليل؛ لأنَّ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خبر المبتدأ، كما يجيئ في الحروف، فبقي على هذا من المعارف الَّتي يجوز حذف الحرف منها: العلم والمضاف إلى (أي) معرفة كانت، والموصولات. وأمَّا المضمرات فيشذُّ نداؤها، نحو: يا أنت، ويا إياك..)). شرح الرَّضي على الكافية (١/ ٤٢٦- ٤٢٧)، وانظر: شرح الكافية الشَّافية (ص:١٢٩١)، مغني اللَّبيب (ص:٢٥٧)، وقد اختار رأي الكوفيين ابنُ مالك. انظر: شرح ابن عقيل (٣/ ٢٥٧)، توضيح المقاصد (٢/ ١٠٥٤- ١٠٥٦).

هؤلاء[١]. وقال الطَّبريُّ: «في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون أريد به (ثمَّ أنتم يا هؤلاء)، فترك (يا)، استغناء بدلالة الكلام عليه، كما قال ﷻ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف:٢٩]. وتأويله: (يا يوسف أعرض عن هذا). والوجه الآخر أن يكون معناه: ثمَّ أنتم قوم تقتلون أنفسكم. فيرجع إلى الخبر عن ﴿أَنتُمْ﴾ . وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم بهؤلاء، كما تقول العرب: (أنا ذا أقوم) و(أنا هذا أجلس)، وإذْ قيل: أنا هذا أجلس كان صحيحًا جائزًا، كذلك: أنت ذاك تقوم ....»[٢].

والأداةُ الَّتي تُقدَّرُ عند الحذف هي: (يا) فيما ذكر النُّحاة -كما سيأتي-..

- **خامسًا: حذفُ المُنادَى**

قد يُحذف المنادى بعد (يا)، كقوله ﷻ: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢]، فإنَّ أداة النِّداء في قوله: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ ينادى بها محذوف، وأنَّ ما بعدها مفعول فعل محذوف، والتَّقدير: (يا من

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ١٨٦)، البحر المديد (١/ ١٠٥)، الكشف والبيان (١/ ٢٢٩)، الخازن (١/ ٧٩)، السَّمعاني (١/ ١٠٣)، التِّبيان في إعراب القرآن (١/ ٤٨).

(٢) بتصرُّف عن (تفسير الطَّبري) (١/ ٣٩٦)، وانظر: تفسير الثَّعالبي (الجواهر الحسان...) (١/ ٨٤-٨٥)، الكشف والبيان (١/ ٢٢٩)، البحر المديد (١/ ١٠٥). أقول: ولكن ينبغي أن يلاحظ الباحث ما ذكرت آنفًا في الحاشية من اختلاف البصريين والكوفيين في مثل هذا الحذف...وأنَّ الأكثر قد اختار رأي البصريين...

بحضرتنا انظروا هلكتنا)[١].

وكما في قوله ﷻ: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾ [النمل: ٢٥] على تقدير: (ألا يا اسجدوا)، أي: يا هؤلاء -وسيأتي بيان ذلك مفصَّلًا-.

﴿يَٰلَيۡتَ﴾ [القصص:٧٩]، و[يس:٢٦]، و[الزخرف:٣٨]، أو يا هؤلاء..، وقد سبق بيان ذلك مفصَّلًا في نداء (يا ليت) في التَّمني.

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/١٢٨)، روح المعاني (١٥/٢٩١)، أضواء البيان (٣/٢٨٨).

المطلب الثالث
أقسام النِّداء في القرآن الكريم
في الجملة وبيان ما يصحب النِّداء

والمقصود هنا ذكر ما ورد من أقسام النِّداء في الخطاب القرآني مجملًا، وذلك بتناول ما ذكر في كتب التَّفسير وعلوم القرآن مجملًا، ومتتابعًا غير متفرق..

أ. أقسام النِّداء في القرآن الكريم:

أمَّا أقسام النِّداء في القرآن الكريم فهي (سبعة)، وذكر البعض أنها (ستَّة)[(١)]، وهي على النَّحو التَّالي:

١ - **نداءُ تنبيهٍ مع مدح**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤][(٢)].

٢ - **نداءُ تنبيهٍ مع ذمٍّ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التحريم: ٧][(٣)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ [الجمعة: ٦].

---

(١) ذكر الصَّاوي في حاشيته على تفسير الجلالين أنها (سبعة)، تنبيه مع مدح، أو تنبيه مع ذمٍّ، أو تنبيه، أو إضافة، أو نسبة، أو تسمية، أو تخصيص. حاشية الصَّاوي (١/ ٢١). وذكر السَّمرقندي في (تفسيره) المسمَّى: (بحر العلوم) أنَّ النِّداء (ستُّ) مراتب، مدح، أو ذمٌّ، أو تنبيه، أو إضافة، أو نسبة، أو تسمية. تفسير السَّمرقندي (١/ ١٠١).

(٢) سبق بيان ما يتعلَّق بخطاب المدح.

(٣) سبق بيان ما يتعلَّق بخطاب الذَّم.

٣- **نداء تنبيه**[١]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار:٦].

٤ - **نداء إضافة**: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [العنكبوت:٥٦].

٥ - **نداء نسبة**: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة:٤٠]، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف:٢٦]، ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٣٠].

٦ - **نداء التَّسمية**: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ [هود:٧٦]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص:٢٦].

٧ - **نداء التَّخصيص**: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٦٤][٢].

ب. **بيان ما يصحب النِّداء**:

أمَّا ما يصحب النِّداء فقد حقَّق هذه المسألة السُّيوطيُّ -رحمه الله ﷻ- حيث قال: «النِّداء: طلب إقبال المدعو على الدَّاعي بحرف نائب مناب (أدعو)»[٣].

ويصحب في الأكثر الأمر والنَّهي والغالب تقدُّمه نحو:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر:١٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ [المزمل:١-٢]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ﴾ [هود:٥٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ [الحجرات:١].

---

(١) أي: نداء مطلق عن قيد كونه مدحًا أو ذمًّا..

(٢) بقليل من التَّصرف عن (حاشية الصَّاوي) (١/ ٢١)، تفسير السَّمرقندي (١/ ١٠١).

(٣) انظر: شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٣٣٤-٣٣٥).

وقد يتأخَّر نحو: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقد يصحب الجملة الخبريَّة فتعقبها جملة الأمر نحو:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [الحج: ٧٣]، ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا﴾ [هود: ٦٤].

وقد لا تعقبها نحو:

﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الزخرف: ٦٨][١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم: ١]، ﴿وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ﴾ [غافر: ٤١][٢].

وسيأتي تحقيق أنَّ النِّداء قد ينفكُّ عن الأمر والنَّهي، ويكثر مجيئه في الخبر والاستفهام مع النِّداء. وما ذكر هنا مجملا سيأتي بيانه في مواضع متفرِّقة.

❊ ❊ ❊

(١) سيأتي التَّعقيب على ذلك.

(٢) الإتقان (٢/ ٢٢٢- ٢٢٣).

المبحث الثَّاني

بيان أدوات النِّداء وما وليها، وبيان المستخدم في القرآن من هذه الأدوات

المطلبُ الأوَّل: **بيان أدوات النِّداء.**

المطلبُ الثَّاني: **في بيان أداة النِّداء المستخدمة في القرآن الكريم.**

المطلبُ الثَّالث: **بيان الحكمة من استخدام حرف النِّداء (يا) دون غيره.**

المطلبُ الرَّابع: **دخول حرف النِّداء (يا) على الاسم في الخطاب القرآني.**

المطلبُ الخامس: **بيان معنى (أي) وحكمة ذكره.**

المطلبُ السَّادس: **حكمة التَّنبيه بـ (ها).**

المطلب الأوَّل
بيان أدوات النِّداء

أ. التَّعريف بأدوات النِّداء:

قال الزَّمخشريُّ في (المفصَّل): «حروف النِّداء هي: (يا) و(أيا) و(هيا) و(أي) و(الهمزة) و(وا). فالثَّلاثة الأول لنداء البعيد، أو من هو بمنـزلته من نائمٍ أو ساه، فإذا نودي بها من عداهم فلحرص المنادى على إقبال المدعو عليه، ومفاطنته لما يدعوه له. و(أي)، و(الهمزة) للقريب، و(وا) للنُّدبة خاصّة. وقول الدَّاعي: (يا رب) و(يا ألله)؛ استقصار منه لنفسه، وهضم لها، واستبعاد عن مظانِّ القبول والاستماع، وإظهار للرَّغبة في الاستجابة بالجؤار»[١].

وعلى ذلك فإنَّ أدوات النِّداء متعدِّدة، فـ (الهمزة) للقريب، و(أي) لنداء القريب، أو القريب المحبَّب -كما سيأتي-، و(يا) لنداء البعيد المتوسِّط البعد، و(أيا) و(هيا) لنداء الشَّديد البعد.

فأدوات النِّداء ثمان: (أَ)، (أَيْ)، (يَا)، (آ)، (آي)، (أَيَا)، (هَيَا)، (وَا).

---

(١) المفصَّل في صنعة الإعراب (١/ ٤١٣)، وانظر: حاشية الصَّبان على شرح الأشموني (٣/ ١٣٣) فما بعد. وانظر: الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربي (ص: ١٣٦)، البلاغة العربيَّة، للميداني (١/ ٢٤٠)، البلاغة فنونها وأفنانها، للدُّكتور فضل حسن عباس (١/ ١٦٧)، جواهر البلاغة (ص: ٦٦- ٦٧)، نزهة الأعين النَّواظر (ص: ٥٩٢).

أمَّا الهمزة [أَ] و(أَيْ) فلنِدَاء القريب.

وأمّا (أَيَا) و (هَيَا) و(آ) فلنداء البعيد.

وأمّا (يا) حرف لنداء البعيد حقيقةً أو حكمًا، وهي أكثر أحرفه استعمالا، ولهذا لا يقدَّر عند الحذف سواها نحو: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ [الأعراف: ١٥١]، ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ [يوسف: ٢٩]، ولا ينادى اسم الله ﷻ، وأيُّها وأيَّتُها إلَّا بها[١].

قال الزَّمخشريُّ: «و(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرَّجل بمن يناديه. وأمَّا نداء القريب فله (أي) و(الهمزة)، ثمَّ استعمل في مناداة من سها وغفل -وإن قرب- تنـزيلا له منـزلة من بعد، فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتَّأكيد المؤذن بأنَّ الخطاب الَّذي يتلوه معنيٌّ به جدًّا»[٢] .

وترد للتَّنبيه فتدخل على الفعل والحرف نحو: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ [النمل: ٢٥][٣]، ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦]. . -وسيأتي بيان ذلك-.

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ٥٢٧)، البرهان في علوم القرآن (٤/ ٤٤٥)، وانظر: الكليَّات (ص: ٩٧٩)، مغني اللَّبيب (ص: ٤٨٨)، وانظر: تاج العروس (٤٠/ ٥٥٥).

(٢) الكشاف (١/ ٢٢٤)، وانظر أيضًا استعمال حرف النِّداء في (الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربي) (ص: ١٣٦- ١٣٧).

(٣) قرأ الكسائيُّ: ﴿ألا يا اسجدوا﴾، . . وقيل: قرأ ابن عباس وعبد الرَّحمن السلمي والحسن وأبو جعفر وحميد الأعرج: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ -وسيأتي بيان ذلك مفصَّلا-. انظر: حجَّة القراءات (١/ ٥٢٦- ٥٢٧)، النَّشر (٢/ ٣٣٧)، الإتحاف (ص: ٣٢٦)، إبراز المعاني من حرز الأماني (٢/ ٣٣٥)، معاني القرآن، للنَّحاس (٥/ ١٢٦)، المحرَّر الوجيز (١/ ٤٥٠).

وتُسْتَعَمل (وَا) للنُّدْبة، والنُّدبة هيَ الَّتي يُنَادَى بها المندوبُ الْمُتَفجَّعُ عليه[١]، وتُسْتَعْمَلُ في النُّدْبة أيضًا (يَا) عند أَمْنِ الالتباسِ بالنِّداء الحقيقي، نحو ما جاء من تفسير لقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤] أن الألف ألف الندبة والهاء محذوفة، -وسيأتي بيان ذلك في موضعه-.

ب. تصرُّف البليغ في استعمال أدوات النِّداء:

«١ - قد يستعملُ البليغ أدوات النِّداء الَّتي للقريب فينادي بها البعيد، لمعنىً يُريدُ الإِشارة إليه، كأن يُريدَ الإِشارَة إِلَى أنَّ هذا البعيد في جَسَده هو قريب إلى قلبه ونفسه حاضر في تصوُّره المستمر، وكأن يريد الإِشارة إلى أنَّه لشدَّة سمعه وانتباهه وسرعة استجابته، كأنّه قريب، فهو لا يحتاج أن ينادى بأدوات نداءِ البعيد.

٢ - وقد يَسْتَعْمِلُ البليغ أدوات النِّداء الَّتي للبعيد فينادي بها القريب، لمعنى يُريدُ الإِشارة إليه، كأنْ يُريدَ أنّه رفيع المنزلة عالي المقام، فهو لارتفاع منزلته وبعد مقامه بمثابة البعيد إلى الأعلى في جسده، فاللَّائق به أنْ يُنَادَى بأدوات النِّداء الَّتي للبعيد. وكأَنْ يريد أنَّه مُنْحَطُّ المنزلة جدا، فهو لانحطاط منزلته بمثابة البعيد إلى الأسفل في جسده، فاللَّائق به أن يُنَادى بأَدَواتِ النِّداءِ الَّتي للبعيد. وكأن يُرِيدَ

(١) تقع (وا) في الندبة، وفيما مددت به صوتك، كما تمده بالندبة، وإنما أصلها للنُّدبة، وهي من الحروف الَّتي تنبه بها المدعو كـ: (يا)، و(أيا)، و(هيا)، و(أي)، و(ألف الاستفهام). انظر: المقتضب، للمبرّد (٤/ ٢٣٣).

التَّعبيرَ عن حَالةِ تَلَهُّفِهِ وشدّةِ طلَبِه، فهو بمثابة المستغيث الَّذي يمدُّ صوته في النِّداء، فيستعمل أدوات النِّداء الَّتي للبعيد لما فيها من مدِّ الصّوْت وَطُول النَّفس معه. وكأن يريد أنَّ المنادَى غافل شارد الذِّهن أو غير مستعدٍّ للاستجابة فهو بمثابة البعيد.

٣ - وقد يخرج النِّداء عن المعنى الأصليِّ الموضوع له، فيُسْتَعْمَلُ لدى البلغاء وغيرهم في أغراضٍ أخْرى غير النِّداء، وهذه الأغراضُ تُفْهَمُ من قرائن الحال أو قرائن المقال، فكلُّ حَرَكَةٍ نفسيَّةٍ ذات مشاعِرَ تَدْفَعُ الإنسان إلى التَّعبير عنها بنداء ما بطريقةٍ تلقائيَّة، ولو لم يشعر بأنَّ هذا النِّداء يحقق له مرجوًّا أو مأمولا أو يدفع عنه مكروها.

كأن يستعمل النِّداء في الزَّجْر واللَّوم، أو التحسُّر والتأسُّف والتَّفجع والنَّدم أو النُّدْبة، أو الإغراء، أو الاستغاثة، أو اليأس وانقطاع الرَّجاء، أو التَّمني، أو التَّذكر وبثِّ الأحزان، أو التَّضجر، أو الاختصاص، أو التَّعجب، إلى غير ذلك»[١].

وقد خصَّت (يا) من بين حروف النِّداء بكونها لنداء البعيد المتوسِّط البعد فحسب، وقد ذكر ذلك على سبيل المثال الصَّبانُ في (حاشيته على الأشموني)[٢]، ومن المتأخِّرين المعاصرين: الأستاذ الدُّكتور إبراهيم خليفة[٣] - وسيأتي شرح وبيان ذلك، وكذلك ما يتعلّق بأدوات

---

(١) البلاغة العربيَّة، للميداني (١/ ٢٤٠-٢٤١).

(٢) حاشية الصَّبان على شرح الأشموني (٣/ ١٣٤)، وانظر: المقتضب، للمبرد (٤/ ٢٣٥).

(٣) تفسير سورة النِّساء (ص: ١٠٦).

النِّداء، والمستخدم في الخطاب القرآني من هذه الأدوات شرحًا تحليليًّا مفصَّلًا -.

❀ ❀ ❀

المطلب الثَّاني
أداة النِّداء المستخدمة في القرآن الكريم

وأوَّل ما يتقرَّر في هذا المطلب أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل من أدوات النِّداء في نداءاته العديدة ومواضعه الكثيرة غير (يا)[١] اللهمَّ إلَّا ما كان من دعوى من ادَّعى أنَّ الهمزة في قراءة من قرأ، وهي قراءة سبعيَّة[٢] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩]

(١) (يا) حرف نداء، وهي أمُّ الباب، وزعم بعضُهم أنها اسمُ فعلٍ، معناها: أنادي، وسيأتي ردُّ هذا الزَّعم. وعلى كثرة وقوع النِّداء في القرآن لم يقع نداءٌ إلاَّ بها، وهي أعمُّ حروف النِّداء؛ إذ ينادي بها القريب والبعيد والمستغاث والمندوب. وقد تُحْذَفُ نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ [يوسف: ٢٩]. انظر: الدُّر المصون (١/ ١٤٤)، تفسير ابن عادل (١/ ٤٠٦)، همع الهوامع (٢/ ٣٤). وعلى كثرة وقوع النِّداءِ في القرآن لَمْ يَقَعْ نداءٌ إلاَّ بها. انظر: البحر المحيط (١/ ٢٣١)، الدُّر المصون (١/ ١٤٤)، ابن عادل (١/ ٤٠٦)، التِّبيان في تفسير غريب القرآن، لشهاب الدِّين أحمد بن محمَّد الهائم المصري (ص: ٦٥).

(٢) قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائيُّ: ﴿أَمَّنْ﴾ -مشدَّدة الميم-. وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة: ﴿أَمَنْ﴾ -خفيفة الميم-. السَّبعة في القراءات (١/ ٥٦١)، انظر القرطبي (١٥/ ٢٣٨)، الكشاف (٣/ ٣٩٠)، فتح القدير (٤/ ٦٤٤)، تفسير النَّيسابوري (٥/ ٦١٧)، التِّبيان، للعكبري (٢/ ٢١٤). وفي (زاد المسير): قرأ ابن كثير ونافع وحمزة وأبو جعفر والمفضل عن عاصم وزيد عن يعقوب ﴿أَمَنْ﴾ -بالتَّخفيف-. وقرأ الباقون بالتَّشديد، فأمَّا المشدَّدة فمعناها: أهذا الَّذي ذكرنا خيرٌ أمن هو قانت؟ والأصل في ﴿أَمَّن﴾ : (أم من) فأدغمت الميم في الميم. وأمَّا المخفَّفة ففي تقديرها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها بمعنى النِّداء، قال الفرَّاء (معاني القرآن)، (٢/ ٤١٦) فسَّرها الَّذين قرؤوا بها فقالوا: (يا من هو قانت) وهو وجه حسن، والعرب تدعو =

بالتَّخفيف، وزعم أنَّ الهمزة حرف نداء، وتقدير الكلام: يا من هو قانت. . إلخ.

فهناك من ادَّعى أنَّ القرآن استعمل أداةً أخرى غير (يا) ولمرَّة واحدةٍ في نداءاته[1]. وهي (الهمزة) الموضوعة لنداء القريب في قراءة: ﴿أَمَنْ﴾ -بالتَّخفيف- كأنَّ الله ﷻ ينادي نبيَّه ﷺ فيقول له: (يا من هو قانت).. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]..إلخ. لكنَّ الصَّحيح أنَّ الهمزة هنا ليست همزةَ نداء، وإنما هي همزة الاستفهام المحذوفة المعادل، وهو ما رجَّحه الأستاذ الدُّكتور إبراهيم خليفة في (تفسيره لسورة النِّساء)[2]؛ وذلك لأنَّ همزة الاستفهام تحتاج إلى جملة مفيدة يستفهم عنها سواء كانت اسميَّة أو فعليَّة، المهمُّ أن تدخل على جملة، فنقول مثلًا: (أمحمَّد في الدَّار؟)، ونقول: (أقام محمَّد؟) مثلا، وهمزة الاستفهام كثيرًا ما يكون لها معادلٌ في الذِّكر كقولنا: (أقام محمَّد أم لم يقم؟). وقد يحذف هذا

= بالألف كما تدعوا بياء، فيقولون: (يا زيد أقبل) و(أزيد أقبل)، فيكون المعنى: أنَّه ذكر النَّاسي الكافر، ثمَّ قصَّ قصَّة الصَّالح بالنِّداء كما تقول: (فلانٌ لا يصوم ولا يصلي، فيا من يصوم أبشر). والثَّاني أنَّ تقديرها: (أمن هو قانت كمن ليس بقانت)، والثَّالث: (أمن هو قانت كمن جعل لله ﷻ أندادًا». زاد المسير (٧/ ١٦٥-١٦٦)، معاني القرآن، للفرَّاء (٢/ ٤١٦)، نظم الدُّرر (٦/ ٤٢٧)، (٦/ ٦٢٩)، معاني القرآن، للنَّحاس (٦/ ١٥٧-١٥٨)، وسآتي على بيان وتحقيق ما يترجَّح من هذه الأقوال. .

(١) انظر: المصادر السَّابقة .

(٢) انظر: تفسير سورة النِّساء (ص:٩٦- ٩٧). وقد أضفت هنا إضافات سمعتها من العلامة الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة.

المعادل، ويكون مطويًّا في الضَّمير. فعندما نقول: (أقام محمَّد؟) ويكون في ضمير المخاطب ما هو محذوف، يعني: (أم لم يقم). وأحيانًا يحكم بوجوب أن يكون هناك شيءٌ محذوف، وذلك عندما نرى الهمزة دخلت على ما ليس جملة مفيدة. فقول الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩]. فإنَّ الهمزة في قوله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ هي همزة الاستفهام محذوفة المعادل..

وبعد هذا التَّمهيد أعرض تحقيق هذه المسألة لبيان أن القرآن الكريم لم يستعمل في نداءاته المتعدِّدة من حروف النِّداء سوى حرف النِّداء: (يا)، وبيان الحكمة من ذلك.

فقد جاء في (الفريد): «قرئ: ﴿أَمَنْ﴾ -بالتَّخفيف- على إدخال همزة الاستفهام على (مَنْ)، و(مَنْ) موصول في موضع رفع بالابتداء، ﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ صلة صلته، والخبر والمعادل محذوفان، أي: (الَّذي صفته كيت وكيت خير أم من هو جاحد)، ودلَّ على الكلام شيئان: جرى ذكر الكافر قبله، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى﴾ الآية. وقيل[1]: الهمزة للنِّدء، وبمعنى (يا)، أي: (يا من نعته كيت وكيت: أبشر فإنَّك من أصحاب الجنَّة). وأنكر على هذا بأنَّه لا وجه للنِّداء هنا؛ لأنَّ هذا في موضع معادلة لدلالة ما قبله وما بعده. وبالتَّشديد على إدخال (أَم)

(١) قاله الفرَّاء في (معاني القرآن) (٢/ ٤١٦). انظر ذلك مفصَّلاً في (الدُّر المصون) (٦/ ٨-٩)، البحر المحيط (٧/ ٤٠٢)، تفسير ابن عادل (١٦/ ٤٨٢)، روح المعاني (٢٣/ ٢٤٦).

عليه (أَمْ مَنْ)، و(مَنْ) موصول أيضًا مبتدأ، والجملة المعادلة لـ: (أم) مع (خير) كلاهما محذوف، أي: أيهما. وقيل[١]: أم منقطعة، أي: بل أمن هو قانت آناء الليل وكمن هو بضده..»[٢].

وتوضيح ذلك أن نقول: الهمزة للاستفهام، و﴿مَنْ﴾ موصولة مبتدأ، و﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة صلة الموصول. ولا يصحُّ أن تكون ﴿مَنْ﴾ للاستفهام؛ لأنَّه لا يصحُّ دخول همزة الاستفهام عليها؛ لأنَّ الاستفهام لا يدخل على استفهام[٣]. فعندما نجعل الهمزة للاستفهام فالجملة لم تتم بعد. ويلزم أن يكون الخبر شيئًا محذوفًا؛ لأنَّه لا يوجد جزء جملة، وإلَّا كان الكلام غير مفيد[٤]، وما دام غير مفيد فلا يحسن السُّكوت عليه، ولا يصحُّ في نظر البلغاء والنَّحويين.

(١) القرطبي (١٥/ ٢٣٩)، معاني القرآن، للنَّحاس (٦/ ١٥٧- ١٥٨)، البحر المحيط (٧/ ٤٠٢)، التَّحرير والتَّنوير (٢٣/ ٣٤٦)، الدُّر المصون (٦/ ٨-٩).

(٢) الفريد، بقليل من التَّصرُّف (٤/ ١٨٥-١٨٦).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/ ٦٣١).

(٤) قال ابنُ مالك في (الألفيَّة):

(والخبر الجزءُ المتمُّ الفائده ... كالـلـهُ بـرٌّ والأيـادي شـاهـده).

وتعقَّبه ابنُ عقيل حيث قال: ((عرَّف المصنِّف الخبرَ بأنَّه الجزءُ المكمل للفائدة، ويرد عليه (الفاعل) نحو: (قام زيد)، فإنَّه يصدق على زيد أنَّه الجزء المتمُّ للفائدة. وقيل في تعريفه: إنَّه الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة، ولا يرد الفاعل على هذا التَّعريف؛ لأنَّه لا ينتظم منه مع المبتدأ جملة، بل ينتظم منه مع الفعل جملة، وخلاصة هذا أنَّه عرف الخبر بما يوجد فيه وفي غيره، والتَّعريف ينبغي أن يكون مختصًّا بالمعرَّف دون غيره)). شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك (١/ ٢٠١- ٢٠٢).

فالخبر محذوف قطعًا، تقديره مثلًا: كمن ليس على هذه الصِّفة، والمعنى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ﴾ كمن هو على مضادَّةِ تلك الصِّفة أو كأنتَ أيُّها النَّاسي..، ويقدَّر الخبر بمعونة الآية السَّابقة الَّتي تقول: إنَّ الإنسان إذا أنعم عليه ثمَّ مسَّه ضرٌ دعا ربَّه منيبًا إليه، وإذا خوَّله الله ﷻ نعمةً منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل، وجعل لله ﷻ شركاء، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر:٨]، فعندما نقدِّر الخبر: أمن هو قانت كالنَّاسي لنعمة ربِّه الجاعل له أندادًا ليضلَّ عن سبيله أم الكافر المخاطب بقوله ﷻ: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ أم من ليس كذلك؟

والدَّليل على أنها همزة استفهام أنَّ خير تفسير للقرآن ما كان تفسيرًا بالقرآن نفسه فقوله ﷻ: ﴿أَمَّنْ﴾ في قراءة حفص، فإنَّ (أم) لا تكون حرف نداء، فـ (أم) المعينة للاستفهام إمَّا أن تكون: (أم) المنقطعة بمعنى: (بل والهمزة)، والَّتي تفيد الإضراب والاستفهام معًا، أو تكون (أم) المتَّصلة، وهي الَّتي تقع عادة في معادلة همزة الاستفهام، أو في معادلة همزة التَّسوية كقولنا: (أمحمَّد قام أم علي؟)، أو قولنا: (أمحمَّد قام أم قعد؟)..

وبيان المنقطعة أنَّنا عندما نخبر عن شيءٍ ما، وبعدها نضرب عن هذا الشَّيء، ونستفهم استفهامًا إنكاريًّا يفيد إنكار ما سبق. ومثال ذلك

قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

فالكفَّار ينكرون البعث، ومقتضى الإنكار أن يكون خلق السَّموات والأرض وما بينهما باطلا ولعبًا وعبثًا، وأن يكون تقوى المتَّقين كشقاوة الأشقياء ما دام الكلُّ إلى زوال، ولم يلقَ أحد جزاءه، بل ربما كانت شقاوة الأشقياء ومعصية العاصين ربما كان ذلك أسعد لأصحابه من تقوى المتَّقين؛ لأنَّه عندما نتصوَّرُ أنَّ الشَّقيَّ قادرٌ على أن يفعل ما يشاء، وما يحلو له من اللَّذائذ، وإن كان على حساب كثيرٍ من الضُّعفاء.

وقد أخبر الله ﷻ أنَّ ذلك منافٍ للحكمة، وقال ما قال من خلق السَّموات والأرض..، ومقتضى قولهم بعدم البعث أن يكون هذا باطل، فهذا مقتضى ظنِّهم.

﴿أَمْ نَجْعَلُ﴾ ، أي: (بل نجعل). والإضراب نوعان:

إضرابٌ إبطاليٌّ: والمراد منه أن نبطل ما سبق، ونأتي بجديد يصحِّحه. ومثال ذلك: الآية الَّتي يحتمل معنى الإضراب فيها أن يكون إبطاليًّا، وأن يكون انتقاليًّا، أمَّا الإبطاليُّ فإنَّا لو تصوَّرنا أنَّه إضراب من قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ يعني: إبطال لضدِّ ما ذكر، أي: لكون خلق السَّموات. . . .باطلًا . .

والإضراب الانتقاليُّ، وهو الأظهر. ويكون الانتقال فيه من نفي أن

يكون خلق السَّموات والأرض باطلًا، أو يكون من ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ..فكأنَّه انتقل وقال: دعنا من هذا الأمر المفروغ منه، ثمَّ قال: إنَّا سنأتي بما تنكره العقول السَّليمة، أي: بل أنجعل الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات كالمفسدين في الأرض، بل أنجعل المتقين كالفجار، فـ:(أم) بمعنى: بل والهمزة.

أمَّا (أم) فقد وردت منقطعةً بمعنى: (بل والهمزة)، ومتَّصلة معادلة لهمزة الاستفهام أو التَّسوية كقوله ﷻ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦].

فـ (أم) في قراءة حفص للاستفهام قطعًا. لكن هل هي المتَّصلة أم المنقطعة؟ يجوز ويجوز.

فيجوز أن نتصوَّرها المتَّصلة، وكأنَّ الله ﷻ يقول: (قل تمتَّع بكفرك قليلًا، أإنك من أصحاب النار أمَّن هو قانت). فإذا جعلناها متَّصلة فإنَّا نقول: همزة الاستفهام حذفت قبل: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، ويكون التَّقدير: (يا أيُّها النَّاسي لنعمة ربِّه ﷻ الجاعل له أندادًا أأنت من أصحاب النَّار أم هو قانت آناء الليل).

والمنقطعة تكون بمعنى (بل والهمزة)، فيكون التَّقدير: (قل تمتع بكفرك. . .بل أمن هو. . . .).

والخلاصة أنَّ (أم) متعيِّنة للاستفهام، فالأولى أن يفسِّر بها من قرأ بالهمزة على قراءة التَّخفيف حتى لا تختلف القراءتان اختلافًا جذريًّا، أمَّا إذا جعلت (أم) للاستفهام فقد تطابقت القراءتان. وخير تفسيرٍ

للقرآن أن يفسَّر بالقرآن نفسه، والقراءة مع أختها، يعني أنَّ القراءة تفسِّر القراءة كما تفسِّر الآيةُ الآية.

وأنتقل بعد ذلك لبيان أصل هذا الحرف (يا)، وسبب استخدامه في نداءات القرآن الكريم.

وبادئ ذي بدءٍ فلا بدَّ من بيان أنَّنا عندما نقول: (يا) حرف فهل نقصد أنَّه حرف مبنى أم حرف معنى؟ وما معنى ذلك؟

أمَّا حرفُ المبنى: فهو حرف الهجاء الَّذي يكون في مبنى الكلمات. نقول -مثلًا-: (ضَرَبَ)، الضَّاد مثلًا حرف مبنى..أمَّا قولنا: (مِن) حرف جر، فهذا حرف معنى، وكذلك قولنا: (يا) حرف نداء، و(أم) حرف استفهام، و(إلى) حرف جرٍّ.

والحاصل أنَّه إذا دلَّ الحرف على معنى في غيره يسمَّى حرف المعنى، أو يقال: حرف المعنى: مَا يَدُلُّ على مَعْنى غيرِ مُستَقلٍّ بالفَهْمِ مثل: (هَلْ)، (في)، (لِم).

أمَّا حُرُوفُ المبْنَى فهي الحروف التي تَتَأَلَّفُ مِنْهَا كَلِمةٌ ما.

فيقال: إنَّ ابتناء هذا الحرف على حرفين أو على ثلاثة أحرف، فإنَّ الحرف في الأوَّل حرف مبنى، والثَّاني: حرف مبنى أيضًا.

أمَّا بيان ما وضع له هذا الحرف، فإنَّ أصل وضعه لنداء البعيد متوسِّط البعد -كما سبق-.

وإنَّ لغةَ العرب لغةٌ حكيمة؛ ولكونها على هذا النَّحو تنـزَّل بها القرآن الكريم؛ ولأنَّ النِّداء للبعيد يناسبه اختتامه بحرف مدٍّ، من حيث

كونه يساعد الصَّوت على الانطلاق.

وعندما نلاحظ ما وضع للقريب كالهمزة في (أمحمَّد) المفروض أنَّه قريب فيسمع بمجرد النُّطق باسمه. فإنَّ مهمَّة حرف النِّداء أنَّنا نميِّز المنادَى، وأنَّنا نريد منه شيئًا؛ لأنَّنا لو قلنا: (محمَّد) فقط فقد نتكلَّم عن محمَّدٍ آخر، فلا يحتاج إلى حرف مدٍّ ينطلقُ به الصَّوت؛ لأنَّه قريب. وقد وضعوا (أَيْ) -بفتحٍ فسكون- للقريب المحبَّب. ونلاحظ أنَّ (أَيْ) فيها السُّكون من غيرِ مدٍّ، ولا يساعد ذلك الصَّوت على الانطلاق، أمَّا لو قلت: (أي) بمدٍّ فإنها تصبح (مدَّ لِين) كـ (شيء)، ولم يصبح ساكنًا سكونًا كاملًا[1]، فتخرج بذلك عن كونها حرف نداء. وقد وضعت (أي) لنداء القريب المحبَّب كأن الحرف الأوَّل يشير للقرب، والحرف الثَّاني يشير للمحبَّة، فالهمزة للقريب، والياء الساكنة للحبِّ، وكون (يا) لنداء البعيد يتناسب معه انطلاق الصوت، وكون البعيد متوسِّطَ البعد تناسب معه ابتناء الأداة على حرفين فقط.

أمَّا شديد البعد فأكثر من حرفين كـ (أيا) و(هيا)[2]؛ لأنَّ زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى غالبًا، فإن فاته الحرفان الأوليان فلن يفوته انطلاق الصَّوت بالمدِّ، فكأني أتي له في أوَّل الأمر بما يمكن أن يسمعه، فإن فاته سماعه لا يفوته سماع الحرف الأخير الَّذي ينطلق به

(١) (مدُّ اللِّين) هو مدُّ الواو والياء السَّاكنتين المفتوح ما قبلهما، مثل: خَوْفْ، بَيْتْ، صَيْفْ. وسمِّي (بمدِّ اللِّين)؛ لأنَّ في النُّطق به سهولة ولين. انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٥٣، ٦٠)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (١/ ٨٧، ٢٦٨، ٢٨٨، ٣٥٣).

(٢) وفي (المقتضب): «وأما (أيا)، و(هيا) فلا يكونان إلاَّ للنَّائم، والمستثقل، والمتراخي عنك؛ لأنهما لمدِّ الصوت». المقتضب (٤/ ٢٣٥).

الصَّوت لكونه حرف مدٍّ. والموضوع له (يا) بعيد متوسِّط البعد.

واللُّغة جاءت لحاجة المخاطَبين بعضهم لبعض، والأصل عندما تضع اللُّغة كلمةً لإفادة معنى من المعاني أن تضعها لأوَّل حاجة الإنسان المخاطَب، فأوَّل ما يحتاج الإنسان إلى التَّعامل مع الكون المحيط به، والأصل أن يكون ذلك الوضع للحاجات المحسَّة. ولنفترض أن معنا واحد من النَّاس فقط في بيئته، فعندما نريد أن يصبح بيننا وبينه تفاهم، ولنفترض أنَّنا نخاف عليه من حيوانٍ مفترسٍ واقفٍ أمامنا فإننا نشير له بما يفيد الابتعاد عنه، وعندما نشير له بذلك إنما نشير له على شيءٍ محسوس، فإنَّنا نضع للحيوان اسمًا بحيث لو كان المخاطَب لا يرى إشارتنا يفهم من الكلمة الَّتي سنضعها أنَّ الَّذي أمامه حيوانٌ مفترس، أو الَّذي سيأتيه مثلًا: أسدٌ. فأسد؛ لتنبه المخاطَب، فاصطلحنا أنَّ الحيوان المفترس: (أسد)، فعندما أقول: (أسد) ينظر إلى هذا الحيوان.

ونرى هذا الإنسان يريد ماءً -مثلًا- يرويه ولا يجد..فنقول له: (ماء)..فالأصلُ في الأوضاع أنها للمحسوسات، ثمَّ بعد أن نضع ما نضع للمحسوسات نترقى منها للمعنويَّات بعدما نتخطَّى الحاجات الأوَّليَّة في الكون المحسِّ المشاهد؛ فلذلك فإنَّ الأصل في البعد والقرب أن يكون محسًّا يقاس بالمسافة الحسيَّة كغيره من الموضوع له. وهذا بالنِّسبة لنداءات القرآن غير قائم لسببين:

الأوَّل: **السَّبب الخاصُّ**: وهو أنَّنا نجد أن كثيرًا من نداءات القرآن

بين الخالق والمخلوق، سواء كان الطَّرف الخالق هو المنادِي -بكسر الدال المهملة- أو العكس. ومثل هذا النِّداء يلاحظ فيه عدم صلوح المسافة الحسيَّة عقلًا ولا نقلًا؛ لأنَّ الخالق ﷻ وهو أحد الطَّرفين ليس جسمًا ولا عرضًا قائمًا بجسم، وليس مادَّة، ولا تعقل المسافة الحسيَّة إلَّا بين جسمين.

الثَّاني: السَّبب العامُّ: القرآن لا يُعنى إلَّا بالمهمَّات أصلًا، والمكان والمسافة ليس من المهمَّات؛ ولذلك نجد القرآن الكريم عندما يسوقُ القصص لا يأتي بالمكانِ المحدَّد بالضَّبط.

فمثلًا: أين كان نوح عليه السلام؟ أين كان داود عليه السلام؟ لا يقول؛ لأنَّه ليس المكان الَّذي يشكِّلُ الحَدث، وليس الزَّمانُ هو الَّذي يشكِّلُ الحَدث، وليس اسم الشَّخص يشكِّلُ الحَدث؛ ولذلك لا يصرِّح حتىَّ بذكر اسم الشَّخص، فيقول: (فرعون) مثلًا، وهو لقبٌ لكلِّ ملوك (مصر) القدماء، و(تُبَّع) لكلِّ ملوك (اليمن) مثلًا. القرآن لا يُعنى إلَّا بالمهمَّات، فتحديد المكان فضلًا عن المسافة الدَّقيقة لا دخل له في تشكيل الحدث. فعندما أتصوَّر مثلًا أنَّ محمَّدًا ﷺ سينادي الكفَّار كما يقول الله ﷻ له مثلًا: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]، صحيح أن محمَّدًا ﷺ جسم محسوس، والكفَّار أجسام محسوسة، ولكن ما قيمة أن يقال: إنَّ محمَّدًا ﷺ وهو ينادي كان بينه وبين الكفَّار الَّذين يناديهم مسافة كذا؟ فما قيمة هذا حتى يُعنى به القرآن؟ فلمَّا كان ملاحظة المكان الحسيِّ شيءٌ يسقط من قصد القرآن؛ لأنَّه لا صلة له

بتشكيل الأحداث، والقرآن إنما يعنى بموطن العبرة والحكمة، وكذلك في النِّداءات الَّتي بين المخلوق والمخلوق لا يلاحظ المسافة الحسيَّة.

والأصلُ في أكثر الألفاظ الموضوعة لمعانٍ أنَّها جاءت موضوعة أصلًا لمحسٍّ مشاهد، وأنَّها لا تصرف إلى ما ليس حسيًّا مشاهدًا إلَّا بنوعٍ من الإطلاق بعد التَّقييد -كما سيأتي-؛ لأنَّ الأصل أنَّ الواضع عندما يضعُ اللَّفظ يضعه ليكونَ وسيلةَ تفاهمٍ بينه وبين مخاطَبه، ولا بُدَّ من اللَّفظ؛ لأنَّ الإشارة وحدها لا تكفي فقد يكون الشَّخص بعيدًا لا يرى الإشارة..

وملاحظةُ البُعْد الحسيِّ لا تصلح في القرآن الكريم؛ لأنَّنا عندما نحصي نداءات القرآن في الجملة نجدها قسمين:

الأوَّل: أحد الطَّرفين -المنادي- وهو الخالق ﷻ.

والثَّاني: ما طرفاه مخلوقان.

أمَّا القسمُ الأوَّل: فلا يصلح ملاحظةُ البعد الحسيِّ بالمسافة؛ لأنَّ البُعْد الحسيَّ لا يتصوَّر إلَّا بين جوهرين أو جسمين، والله ﷻ منـزَّهٌ عن ذلك..- كما سبق-.

وأمَّا القسمُ الثَّاني: فإنَّ القرآن لا يُعْنى بأمثال هذه الأغراض، وإنما يعنى بالمقاصد الشَّريفة. وإذا نصَّ القرآن الكريم في القليلِ النَّادر على بُعْدٍ أو قرب فإنما يكون لقصد عظيم.

فالقرآن لا يُعنى غالبًا بتقريرِ زمانٍ ولا مكان، ولا تحديد أشخاص بدقَّة؛ لأنَّ ذلك ليسَ له شأنٌ في تشكيل الحَدَث -كما سبق-.

فإن قال قائل: لِمَ لَمْ يُسْتَعمل ما وضع لنداء الشَّديد البعد؟

فإنَّ الجواب أنَّه إذا تركَّزَ في النَّفس أنَّ الفرق أجسمُ ما يكون، وأعظمُ ما يكون بين المنادِي -بكسر الدال المهملة- والمنادَى -بفتح الدال المهملة-، وأنَّ الغفلةَ قد بلغتْ حدَّها الأقصى في إبعادِ المنادَى -بفتح الدال المهملة- عن المنادِي -بكسر الدال المهملة-، فكيف يفهم خطابه مع وجود ذلك الفرق؟!! فاليأس يجعلُ الإنسانَ لا يسمع الخطاب؛ فذلك مَلِكٌ عظيمٌ بيني وبينه أبعدَ ما يكون من التَّقارب بين المنـزلتين، كذلك عندما تكون الغفلةُ بلغت حدَّها الأقصى، أو يقال: إنَّ إنسانا طغت عليه معصيته إلى حدٍّ أنَّه لم يصبح عنده أيُّ أملٍ في الخلاص، فذلك يجعله ينهمك في المعصية، فكأنَّ الله ﷻ يقول للخلق مدًّا في بعض أسباب الأمل: كأنَّ بيني وبينكم مسافةً متوسِّطة بحيث لا تشقُّ عليكم، ولا تتقطَّع دونها أعناقكم، فالبعد؛ لبيان تعاظم الفرق، والتَّوسط؛ لبيان أنَّه ينبغي أن لا تنقطع بسبب هذا البعد آمالكم دون الوصول.

وهذا أمرٌ مضَّطردٌ في عادات النَّاس، وسيرًا على هذا الأمر المطَّرد جاء النِّداء بـ: (يا) إشارة إلى أنَّ الأمر الَّذي يُنادَى من أجله جدير بأن تحتمل من أجله المشاقُّ(١).

يقول الآلوسيُّ في (تفسيره): «و(يا) حرف لا (اسم فعل) على

(١) هذه إضافات هامة سمعتها من أستاذنا أ.د إبراهيم خليفة.

الصَّحيح وضع لنداء البعيد. وقيل: لمطلق النِّداء أو مشتركة بين أقسامه، وعلى الأوَّل ينادَى بها القريبُ؛ لتنـزيله منـزلة غيره، إمَّا لعلوِّ مرتبة المنادِي أو المنادَى، وقد ينـزَّل غفلة السَّامع وسوء فهمه منـزلة بعده، وقد يكون ذلك للاعتناء بأمر المدعوِّ له والحثِّ عليه؛ لأنَّ نداء البعيد وتكليفه الحضور لأمر يقتضي الاعتناء والحثَّ، فاستعمل في لازم معناه على أنَّه مجازٌ مرسل أو استعارةٌ تبعيَّة في الحرف أو مكنيَّة وتخييليَّة..»[١].

«ثمَّ لم يبيِّن كيفيَّة إجراءِ المجاز أو الاستعارة، وعلى أيِّ الوجهين يكون أحدهما، وعلى أيِّهما يكون الآخر، وكذلك صَنَعَ من قبله الشِّهابُ الخَفَاجيُّ[٢] في (حاشيته على تفسير البيضاوي)»[٣].

وقد بيَّن الأستاذُ الدُّكتور إبراهيم عبد الرَّحمن خليفة ذلك في شرحٍ وتوضيح لم يسبقه إليه غيره فقد جاء عند الآلوسيُّ[٤] مجملًا، وبحاجة

---

(١) روح المعاني (١/ ١٨١) .

(٢) هو أحمد بن محمَّد بن عمر، شهاب الدِّين الخفاجي المصري، قاضي القضاة وصاحب التَّصانيف في الأدب واللُّغة. نسبته إلى قبيلة (خفاجة). ولد ونشأ (بمصر)، ورحل إلى بلاد (الرُّوم)، واتَّصل بالسُّلطان مراد العثماني فولاَّه قضاء (سلانيك)، ثم قضاء (مصر). ثمَّ عزل عنها فرحل إلى (الشَّام) و(حلب) وعاد إلى بلاد (الرُّوم)، فنفي إلى (مصر) وولي قضاء يعيش منه فاستقرَّ إلى أن توفي. [١٠٦٩هـ]، وله كتب كثيرة، منها: حاشية على تفسير البيضاوي. الأعلام (١/ ٢٣٨)، معجم المؤلِّفين (٢/ ١٣٨)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (١/ ٣٧٧).

(٣) تفسير سورة النِّساء (ص: ١٠٤)، وانظر: روح المعاني (١/ ١٨١)، حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوي (٢/ ٣) .

(٤) انظر: روح المعاني (١/ ١٨١) .

إلى بيان؛ ولذلك كانت العناية والاهتمام بما أورده الأستاذ الدُّكتور إبراهيم خليفة في ذلك -من البيان لكيفيَّة إجراء المجاز أو الاستعارة-؛ لأهميَّته؛ ولانفراده من بين الباحثين في التَّفسير وعلوم القرآن ببيان ذلك سواء في ذلك المتقدِّمين منهم والمتأخِّرين.

وأوَّل ما يتقرَّر في ذلك أنَّ (يا) صرف عن حقيقة ما وضع له إلى أحد أمرين:

«**الأوَّلُ**: تنـزيلُ البعدِ المعنويِّ منـزلةَ البعدِ الحسيِّ، سواء أكان هذا التَّنـزيلُ لواحد من الغرضين أم كان لهما، فإنَّ استعمال الحرف في ذلك يكون من (المجاز المرسل) بمرتبتين:

إحداهما: إطلاقُ البُعْد في هذا الحرف عن قيدِ خصوص كونه حسيًّا بالمسافة إلى ما هو مطْلَق بُعْد، أعمَّ من أنْ يكون حسيًّا أو معنويًا مجازًا مرسلا بعلاقة التَّقييد.

والأخرى: تقييد هذا البُعْد المطلق بخصوص كونه معنويًا مجازًا مرسلا بعلاقة الإطلاق هذه المرَّة. ونكتةُ هذا المجاز: إظهارُ وضوح أمرِ هذا البُعْد وإبرازه في صورةِ المحسِّ المشاهد المرئيِّ المسافة عيانا. وإمَّا بالاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة في الحرف، بأن تشبِّه البعدَ المعنويَّ بالحسيِّ كذلك بجامع مطلق البعد في كلٍّ، ثمَّ تحذف المشبَّه به وترمز له بشيءٍ من لوازمه، وهو الحرف الموضوع لذلك البعد (يا) استعارة مكنيَّة. ونكتة الاستعارة بأيٍّ من نوعيها هي عين ما سبق من نكتة

المجاز المرسل[١].

الثَّاني: الاهتمامُ بما تدعو المنادَى -بفتح الدال المهملة- من أجله، فإن إرادته من هذا الحرف هي من قبيل المجاز المرسل كذلك، لكن من إطلاق الملزوم الَّذي هو إفادة البعد الحسيِّ وإرادة لازمه الَّذي هو إفادة كون الأمر المدعوِّ له مهمًّا جديرًا أن تحمل في تحصيله المشقَّة.

ونكتةُ هذا المجاز:

إبرازُ وضوح أهميَّة هذا الأمر، وبيان أنَّه كالمترتِّب على المحسوس، والتَّدليل على حتميَّة ثبوته من حيث إنَّه يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت لازمه.

ويمكن أن تجري في هذا الوجه الاستعارة أيضًا بنوعيها بأن تشبِّه ما وقع النِّداء لأجله في القرآن بما ينادى من أجله الشَّخص البعيد بجامع مطلق الأهميَّة في كلٍّ. .إلخ، فالكلام هو الكلام»[٢].

ولأجل توضيح ذلك يقال: إنَّ أيَّ مجازٍ أو استعارة يطلب له ثلاثة أشياء: القرينة، والعلاقة، والشَّيء الثَّالث بالغ الأهميَّة غَفَلَ عنه من أنكر المجاز، وهو النُّكتة. فمثلًا: عندما أفيد أني رأيتُ رجلًا شجاعًا

---

(١) الاستعارة من المجاز اللُّغوي، وهي تشبيهٌ حذف أحدُ طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائمًا، وهي قسمان: الأوَّل: تصريحيَّة، وهي ما صرِّح فيها بلفظ المشبَّه به. والثَّاني: مكنيَّة، وهي ما حذف فيها المشبَّهُ ورُمِزَ لهُ بشيءٍ من لوازمه .

(٢) تفسير سورة النساء (ص: ١٠٤-١٠٦) .

عظيم الشَّجاعة أقول مثلًا: (رأيتُ أسدًا رابضًا خلف مدفعه). فقولنا: (رابضًا خلف مدفعه) هذه القرينة أفادت أنَّني لا أقصد (الحيوان المفترس)، فهذه هي القرينة، والعلاقة المشابهة، ولكن طالما أنني قصدت أن أفيد أني رأيتُ رجلًا شجاعًا فلماذا نبحث عن قرينة؟ ولماذا لم نُعَبِّر بالحقيقة من أوَّل الأمر؟ فبدلًا من إيقاع المخاطَب أوَّلا في اللَّبس، ثمَّ تصحيحُ ذلك بما يأتي من تمام الكلام، ثمَّ تطلب العلاقة. فبدلا من هذه التَّعمية لماذا لا يأتي المتكلِّم من أوَّل الأمر بحقيقة ما يقصده؟ فيقول من أوَّل الأمر: (رأيتُ رجلًا شجاعًا). يلزم وجود نكتة اقتضت عدم التَّعبير بالحقيقة المرادة إلى مجازٍ يراد منه هذه الحقيقة الأخرى. والتَّحقيق أنَّ هناك حقيقتين: حقيقةٌ مرادة من الكلام، وحقيقةٌ مهجورة غير مرادة من الكلام فقولنا: (رأيتُ أسدًا رابضًا) الحقيقة المهجورةُ هي: الحيوان المعروف، والمرادةُ هي: الرَّجل الشُّجاع، فلماذا لا نعبِّر بالحقيقة المرادة من أوَّل الأمر؟ ولماذا نصرف المخاطَب إلى المجاز؟

والجواب: إنَّ الحرفَ مصروفٌ إلى أحد وجهين أو كليهما: الأوَّل: تنـزيلُ البعدِ المعنويِّ منـزلةَ البعدِ الحسيِّ، والاهتمام بما تدعو المنادَى من أجله لأحدِ الغرضين أو كليهما..وعندما أقصد من الحرف هذه الإرادة -(البعد المعنوي)- هل يكون مجازًا أم حقيقة؟ وإن قلنا: هو مجاز فما نوعه؟ هل هو مرسلٌ أم مجازٌ بالاستعارة؟ الجواب أنَّه يجوز ويجوز. أمَّا إذا كان مجازًا مرسلًا فأينَ العلاقة؟ وأينَ النُّكتة؟ أمَّا

القرينة فهي واضحةٌ، وهي استحالةُ إرادةِ البعدِ الحسيِّ بالمسافة. وقد ذكرت من قبل أنَّه مجاز مرسل فيجب أن أُبيِّنَ أوَّلًا أنَّه مجاز مرسل بمرتبتين حتَّى تتبيَّن العلاقة. وإذا كان أصل وضع الحرف هو البعدُ المقيَّد بكونه حسيًّا، فإن أوَّل خطوة في سلوك المجاز المرسل أنَّني أطلق هذا الحرفَ عن قيدِ الوضع فيه -(وهو البعد الحسي)-، فأطلق البُعْد فيه عن قيدِ كونه حسيًّا، وأريد منه (مطْلقَ بُعْدٍ) أعمَّ من أن يكون هذا البُعْد حسيًّا أو معنويًّا، وعندما أفعل ذلك فما هي العلاقة؟ للبلغاء في تقرير علاقة المجاز المرسل قولان:

القول الأوَّل: أن ينظر في تقرير العلاقة إلى المعنى المنتقل عنه.

القول الثَّاني: أن ينظر في تقرير العلاقة إلى المعنى المنتقل إليه. وربما جمع بين الأمرين. يعني عندما يقول الله ﷻ -مثلًا-: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة:١٩]. أو عندما أقول: (رأيتُ عينًا يتلصَّص)، وأقصد الجاسوس، أو (أعتقت رقبة) وأقصد الشَّخص كلَّه، فالرَّقبة جزءٌ من الشَّخص، فبالنِّسبة للرَّقبة عندما نقرِّر العلاقة هل أنظرُ إلى المعنى المنتقل عنه فأقول: (العلاقة الجزئيَّة)، أو أنظرُ إلى المعنى المنتقل إليه فأقول: (العلاقة الكليَّة)؟ فقوله ﷻ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ فإنَّ المراد الجزء وليس الكل؛ فالأنامل جزء، فإن نظرنا إلى المعنى المنتقل عنه نقول: (الكليَّة)، وإن نظرنا إلى المعنى المنتقل إليه نقول: (الجزئيَّة). وقد يتسامح البعض فيقول: الكليَّة والجزئيَّة.

أمَّا حرف النِّداء (يا) فهل المعنى الَّذي انتقلنا عنه هو التَّقيد أو

الإطلاق؟ قد علم أن الأصل في وضع حرف النِّداء (يا) هو (البعد المقيَّد بكونه حسيًّا)، ولكنَّا قد انتقلنا عنه إلى إطلاق البعد من قيده الحسيِّ بحيث صار صادقًا على الحسيِّ والمعنوي، وبذلك نكون قد انتقلنا من التَّقييد إلى الإطلاق. فإن نظرنا إلى المنتقل عنه نقول: العلاقة التَّقيد، وإن نظرنا إلى المنتقل إليه نقول: العلاقة الإطلاق. وأصحُّ الوجهين أن تنظر إلى المعنى المنتقل عنه. لكن ماذا نريد من هذا الحرف هل نريد مطلق بُعْد أم خصوص البُعد المعنويِّ؟ طبعًا لا نريد مطلق بعد؛ لأنَّا إن أردنا مطلق بعد فنحن نحتاج إلى ما يقيِّد هذا المطلق. فعندما نقول مثلا: (رأيت رجلًا)، فقد أطلقت لفظ: (الرَّجل) عن كلِّ قيد، فيجوز أن يكون صالحًا أو فاسقًا أو فقيرًا أو غنيًا..إلخ، ولكني أفهم حقيقة المراد عندما يذكر القيد، وإلَّا فإنَّك تجد النَّفس دائرة بين الاحتمالات لهذا المطلق. فإن قلنا: إنَّ المراد من (يا) هو خصوص البعد المعنويِّ فنحن نحتاج نقلة أخرى أو مرتبة أخرى في المجاز. ننتقلُ عن مطلق بعد إلى تقيد هذا البعد بخصوص كونه معنويًّا، فالَّذي انتقلنا عنه الإطلاق فتكون العلاقة في المرتبة الثَّانية الإطلاق.

والخلاصة أن نقول: إنَّه مجاز مرسل بمرتبتين: إحداهما: إطلاقُ البعد الحسيِّ عن قيد كونه حسيًّا إلى ما هو مطلق بُعْد أعمَّ من أن يكون حسيًّا أو معنويًّا بعلاقة التَّقيد، ثمَّ تقيد هذا البُعْد المطلق بكونه معنويًّا مجازًا مرسلًا لكن بعلاقة الإطلاق هذه المرَّة. والنُّكتة: إظهار ووضوح أمر هذا البُعْد. فأوضحُ ما يكون الأمر الواضح عندما يكون محسًّا

مشاهدًا، فأطلقنا ما هو موضوع للبعد الحسيِّ إشارةً إلى أنَّ أمر هذا البُعْد المعنويِّ الَّذي هو تعاظم الفرق أو شدَّةُ الغفلة هو من الوضوح بمنـزلة الـمُـحَسِّ المشاهد الَّذي بيننا وبينه مسافة نقيسها.

أمَّا الاستعارة: فإنَّ (المشبَّه) معنويٌّ، و(المشبَّه به) حسيٌّ، يجمع بينهما مطلقُ البُعْد، ثمَّ حُذف المشبَّه، واستعير له لفظُ المشبَّه به، ثمَّ سرى التَّشبيه من الكليَّات إلى الجزئيَّات فأتينا من المشبَّه به بالحرف الَّذي هو موضوع لذلك البُعْد الحسيِّ (استعارةً تصريحيةً تبعيَّة في الحرف). وذلك كقوله ﷻ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]. الأصل (على جذوع النَّخل)، فشبه الاستعلاء على الجذوع بالدُّخول فيها بجامع التَّمكن في كلٍّ، ثمَّ سرى التَّشبيه من الكليَّات إلى الجزئيَّات، وأتي بالحرف الدَّال على الظَّرفية الَّتي هي الدُّخول في الشَّيء (استعارةً تصريحيةً تبعيةً في الحرف). و(النُّكتة): بيان وضوح هذا البُعْد المعنوي وأنَّه بمنـزلة البُعْد الحسيِّ، أي: المحس المشاهد المرئي المسافة عيانًا.

الوجه الثَّاني: إن العلماء لما صرفوا (يا) عن إرادة البُعْد الحسيِّ المتوسِّط صرفوها إلى أحد أمرين:

١- إلى البُعْد المعنوي تنـزيلًا له منـزلة البُعْد الحسيِّ لأحد الغرضين أو كليهما.

٢ - أن ينادى بـ: (يا) للدِّلالة على الاهتمام بأمر المنادَى من أجله فهذا بيان الوجه الأوَّل.

أمَّا الوجه الثَّاني فإننا عندما نريد من (يا) إفادة الاهتمام بالأمر المنادَى من أجله فإنَّ الصَّرفَ إلى هذه الإرادة من قبيل من (المجاز المرسل) كالأوَّل ولكن تختلف العلاقة هنا، فهو مجازٌ مرسلٌ بمرتبة واحدة ومختلفُ العلاقةِ والنُّكتة، وتزيد على النُّكتة هناك، فإنَّه يلزم عادة لمن يكون بعيدًا عنك بعدًا حسيًّا بالمسافة ألَّا تناديه إلَّا لأمرٍ مهمٍّ، فمعنا هنا ملزوم ولازم، وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

(نداءُ البعيدِ بعدًا حسيًّا) هو الملزوم. و(كون الأمر المنادَى من أجله مهمٌّ) هو اللَّازم. فهو (مجاز مرسل) من إطلاق الملزوم وإرادة اللَّازم حيث أطلقنا النِّداء للبعيد وأردنا إفادة أهميَّة الأمر. والنُّكتة تتمثَّل في أمرين: الأوَّل: إفادة هذا الوضوح الَّذي تحدَّثنا عنه من قبل في الوجهِ السَّابق في المجاز وفي الاستعارة، وهو وضوح أهميَّة الأمر المنادَى من أجله، وأنَّه بمثابة المترتِّب على أمر المحسِّ. الثَّاني: -وهو الجديد- التَّدليل على الأهميَّة، وإقامة البرهان على الأهميَّة، فقولنا: (هذا الأمر مهمٌّ) مجرَّد دعوى، لكن إذا استدللنا على هذه الدَّعوى فقلنا: هذا الأمر مهمٌّ بدليل أنَّه ينادَى من أجله البعيدُ، وتحتملُ في سبيله المشقَّةُ، فكأنَّنا قد أتينا بالدَّعوى وبرهنًّا عليها. ويأتي الدَّليل من القاعدة المنطقيَّة والعقليَّة الَّتي تفيد أنَّ بين الملزوم واللَّازم تناسبٌ عكسيٌّ بالنِّسبة للوجود والعدم. وتصوير المسألة: أن نقول مثلًا: الشَّمس ملزوم، والضُّوء لازم، فكلَّما وجدت الشَّمس وجد الضُّوء،

فيلزم من وجود الملزوم وجود اللَّازم، وليس كلَّما انعدمت الشَّمس انعدم الضَّوء. كأن يأتي الضُّوء من القمر مثلا أو الكهرباء، فلا يلزم من عدم الملزوم عدم اللَّازم. والعكس بالنِّسبة للازم. نقول: يلزم من عدم اللَّازم عدم الملزوم، فيلزم من عدم الضُّوء عدم الشَّمس، ولا يلزم من وجود اللَّازم وجود الملزوم، فلا يلزم من وجود الضُّوء وجود الشَّمس. ولكن ما معنى التَّعبير بالملزوم وإرادة اللَّازم؟ نقول: يلزم من النِّداء للبعيد وجود لازمه، وهو أهميَّة الأمر المنادَى من أجله. حيث شبَّه أهميَّة الأمر المنادَى من أجله معنى بما ينادى من أجله البعيدُ بُعْدًا حسيًّا، فإن حذف المشبَّه وذكر المشبَّه به فهي (استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ في الحرف). وإن حذف المشبَّه ورمز له بشيءٍ من لوازمه -وهو الحرف الموضوع لذلك البُعْد (يا)- فهي استعارة مكنيَّة. ونكتةُ الاستعارة بأيٍّ من نوعيها هي عين ما سبق من نكتة المجاز المرسل.

«ثمَّ يقال ما قيل بعينه حين تتمخَّض (يا) للتَّنبيه فتدخل على الفعل في قراءة من قرأ: ﴿أَلَا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٢٥] -بتخفيف اللام-، وعلى الحرف كقوله ﷻ: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام:٢٧]، على القول بأنَّ (يا) في هذين الموطنين وأمثالهما هي حرف تنبيه لا حرف نداء، أمَّا على القول بأنها حرف نداء والمنادى محذوف فلا يعود حملها على ما يليق بها من الوجهين الآنفين»[1]. فـ ﴿أَلَّا﴾ في قراءة التَّشديد تحمل على أنها مركَّبة من

(١) تفسير سورة النساء، أ.د إبراهيم خليفة (ص:١٠٦).

(أَنْ)، وقد دخلت عليها (لا) فأدغمت فيها، ﴿يَسْجُدُواْ﴾ : فعل مضارع منصوب بأن و(لا) نافية، ولكن بالتَّخفيف قراءتها هكذا (ألا يا اسجدوا). وتوجيه ذلك أن يقال: ﴿أَلَّا﴾ حرف استفتاح وتنبيه أو يقال للعرض. و(اسجدوا): فعل أمر، فـ (يا) دخلت على فعل الأمر، ودخلت على الحرف في ﴿يَلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ ، و(يا) عندما تدخل على الفعل أو على الحرف فيها توجيهين:

التَّوجيه الأوَّل: أن يقال: إن (يا) حرف تنبيه.

والتَّوجيه الثَّاني أن يقال: إنَّ (يا) حرف نداء والمنادى محذوف، ويكون التَّقدير مثلًا: (يا هؤلاء اسجدوا)، و(يا هؤلاء ليتنا نردُّ)، (يا نفس ليتنا نردُّ)، فعندما تكون حرف نداء يجري عليها ما سبق، أمَّا عندما تكون حرف تنبيه فيقال: الكلام أيضًا هو الكلام من حيث إنَّه لا ينبَّه إلَّا إلى الأمر المهمِّ فيمكن أن تجري المجاز أو الاستعارة عندما تتمحض (يا) للتَّنبيه(١).

---

(١) وتفصيل الإعراب في قوله ﷻ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ » قُرئ بتشديد ﴿أَلَّا﴾ [قرأ جمهور السَّبعة (ألَّا) -بالتَّشديد-. وبالتَّخفيفِ قرأَ الكسائيُّ. انظر: السَّبعة في القراءات (ص: ٤٨٠)، والحجَّة في القراءات (١/ ٢٧١)، وحجَّة القراءات (١/ ٥٢٦-٥٢٨)] على أنها (أن) دخلت عليها (لا) فأدغمت فيها. و﴿يَسْجُدُواْ﴾ منصوب بأن، وفي محلِّ (أن) وجهان: أحدهما: النَّصب إمَّا مفعولاً له على معنى: (فصدَّهم عن السَّبيل لئلاَّ يسجدوا) أو (زين لهم لئلاَّ يسجدوا)، فحذف الجارَّ، أو بدل من قوله: ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ ، أي: (وزيَّن لهم ألا يسجدوا). ويجوز أن يكون من صلة الابتداء على أن (لا) صلة، أي: (وزيَّن فهم لا يهتدون ألا يسجدوا). والثَّاني: الجرُّ على البدل من السَّبيل متعلِّق بالله. أي: (فصدَّهم عن أن يسجدوا)، و(لا) صلة أيضًا. وقُرئ - بتخفيفها - على أن (ألا) تنبيه، و(يا) حرف نداء

وسيأتي مزيد من البيان في المطلب الَّذي يتعلَّق بدخول حرف النِّداء: (يا) على الاسم في الخطاب القرآني..مع بيان التَّرجيح.

= ومناداه محذوف كحذفه في قوله:
(يا لعنة الله والأقوام كلِّهم) هذا صدر بيت من (البسيط)،
وعجزه: (والصَّالحين على سمعان من جار) .
وهذا من شواهد (الكتاب)، انظر: الكتاب، بتحقيق: عبد السَّلام هارون (٢/ ٢١٩)، وفي البيت يدعو على جاره؛ لأنَّه لم يرع حقَّ الجوار، والشَّاهد فيه حذف المدعو؛ لدلالة حرف النِّداء عليه، والمعنى: (يا قوم) أو (يا هؤلاء) لعنة الله على سمعان؛ ولذا رفع (لعنة) بالابتداء، ولو أوقع النِّداء عليها لنصبها. انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ١٨٦)، انظر ذلك مفصَّلًا في (الدُّر المصون) (٥/ ٣٠٧-٣٠٩)، تفسير ابن عادل (١/ ٤٠٦)، (١٥/ ١٤٤)، البحر المحيط (٧/ ٦٧)، معاني القرآن، للنَّحاس (٥/ ١٢٦)، أضواء البيان (٦/ ١١٣-١١٤)..والتَّقدير: (يا قوم)، أو (يا هؤلاء اسجدوا) فحذف المنادى للعلم به، وحذفت الألف لالتقاء السَّاكنين، ولما حذفت من اللَّفظ حذفت من الخطِّ، وكذلك في (اسجدوا) حذفت لفظًا وخطًّا، فبقي ﴿يَسْجُدُواْ﴾ كما ترى. قال أبو علي [وهو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان أبو علي الفارسي النَّحوي. انظر ترجمته في (البلغة في تراجم أئمة النَّحو واللُّغة) (ص:١٣)، تاريخ بغداد (٧/ ٢٧٥)]: ووجه دخول حرف التَّنبيه على الأمر أنَّه في موضع يحتاج فيه إلى استعطاف الأمور؛ لتأكيد ما يؤمر به كما أنَّ النِّداء موضع يحتاج إلى استعطاف المنادى لما ينادي له من إخبار أو أمر أو نهي، ونحو ذلك مما يخاطب به. انتهى كلامه. الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/ ٦٨١)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٤/ ١١٥-١١٦) .

المطلب الثالث
بيان الحكمة من استخدام
حرف النداء (يا) دون غيره

أصل النِّداء بـ (يا) أن تكون للبعيد حقيقة أو حكمًا[(١)]. وقد ينادى بها القريب[(٢)] لنكت منها:

إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المدعو نحو: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾ [القصص: ٣١]، ومنها: كون الخطاب المتلو معتنى به نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

ومنها: قصد تعظيم شأن المدعو إمَّا إجلالًا كما في قول الدَّاعي: ﴿يَٰرَبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠]، وهو أقرب إليه من حبل الوريد؛ استقصارًا

(١) وعند المرادي والمالقي: مسافة أو حكمًا...، والمراد من قولهم: (حكمًا)، أي: كالنَّائم والغافل والسَّاهي..انظر: الجنى الدَّاني (ص: ٣٥٤)، رصف المباني (ص: ٤٥١).

(٢) انظر: الكليَّات (ص: ٩٧٩)، الإتقان (٢/ ٢٢٢- ٢٢٣)، البرهان (٢/ ٣٢٤)، (٤/ ٤٤٥)، القاموس المحيط، الياء، (ص:١٧٤٨)، المعجم الوسيط كذلك، (٢/ ١٠٦٢)، تاج العروس، الياء، (٤٠/ ٥٥٥)، مختار الصِّحاح، الياء (ص:٣٠٩)، همع الهوامع (٢/ ٣٢-٣٤)، تفسير أبي السُّعود (١/ ٥٨). وفي (مغني اللَّبيب): «حرف موضوع لنداء البعيد حقيقةً أو حكمًا، وقد ينادى بها القريب توكيدًا. وقيل: هي مشتركة بين القريب والبعيد. وقيل: بينهما وبين المتوسِّط. وهي أكثر أحرف النِّداء استعمالاً؛ ولهذا لا يقدَّر عند الحذف سواها». مغني اللَّبيب (ص:٤٨٨). وفي (حاشية الأمير على المغني): قوله: [أي: ابن هشام في (المغني)] «توكيدًا.. إشارة إلى أنَّ الكلام الَّذي يلقى أو نفس الدُّعاء معتنى به حتَّى نُزِّلَ القريبُ وإن كان متنبِّهًا لذلك منـزلة الغافل..». الحاشية (٢/ ٤١).

لنفسه؛ واستبعادًا لها من محافل الزُّلفى، ومنازل المقربين، وإمَّا تنبيهًا على غفلته وسوء فهمه. وقد يقصد به التَّنبيه على أن ما يعقبه أمر خطير يعتنى بشأنه نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وقد قال ﷻ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ومنها: قصد انحطاطه كقول فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠١][1].

قال الزَّمخشريُّ: كَثُرَ في القرآن الكريم النِّداءُ بـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾ دون غيره؛ لأنَّ فيه أوجهًا من التَّأكيد، وأسبابًا من المبالغة، منها: ما في (يا) من التَّأكيد والتَّنبيه، وما في (ها) من التَّنبيه، وما في التَّدرج من الإبهام في (أَي) إلى التَّوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتَّأكيد؛ لأنَّ كلَّ ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية، وغير ذلك ومما أنطق الله ﷻ به كتابه، أمورٍ عظام، وخطوبٍ جسام، ومعانٍ واجب عليهم أن يتيقَّظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم غافلون فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ»[2].

وقال: «و(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرَّجل بمن يناديه. وأمَّا نداء القريب فله (أي) و(الهمزة)، ثمَّ استعمل في مناداة من سَهَا وغَفَل وإن قرب تنـزيلًا له منـزلة من بَعُد، فإذا نودي

(١) انظر: المصادر السَّابقة.

(٢) الكشاف (١/ ٢٢٥-٢٢٦)، تفسير أبي السُّعود (١/ ٥٨)، وانظر: الإتقان (٢/ ٢٢٢-٢٢٣). وانظر: المفصَّل في صناعة الإعراب (١/ ٤١٣).

به القريب المفاطن فذلك للتَّأكيد المؤذن بأنَّ الخطاب الَّذي يتلوه معنيٌّ به جدًّا. فإن قلتَ: فما بال الدَّاعي يقول في جؤاره: (يا رب)، و(يا ألله)، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وأسمع به وأبصر؛ قلتُ: هو استقصار منه لنفسه؛ واستبعاد لها من مظانِّ الزُّلفى، وما يقرِّبه إلى رضوان الله ﷻ، ومنازل المقرَّبين؛ هضمًا لنفسه؛ وإقرارًا عليها بالتَّفريط في جنب الله ﷻ، مع فرط التَّهالك على استجابة دعوته، والإذن لندائه وابتهاله..و(أَي) وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللَّام، كما أنَّ (ذو) و(الَّذي) وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس، ووصف المعارف بالجمل. وهو اسمٌ مبهمٌ مفتقرٌ إلى ما يوضِّحه ويزيل إبهامه، فلا بدَّ أن يردفه اسمُ جنس أو ما يجري مجراه يتَّصف به حتى يصحَّ المقصود بالنِّداء، فالَّذي يعمل فيه حرف النِّداء هو (أيّ)، والاسم التَّابع له صفته، كقولك: (يا زيد الظَّريف)، إلا أنَّ (أيًّا) لا يستقلُّ بنفسه استقلالَ (زيد)، فلم ينفك من الصِّفة. وفي هذا التدرُّج من الإبهام إلى التَّوضيح ضرب من التَّأكيد والتَّشديد. وكلمة التَّنبيه المقحمة بين الصِّفة وموصوفها لفائدتين:

١ - معاضدة حرف النِّداء ومكاتفته بتأكيد معناه.

٢ - ووقوعها عوضا ممَّا يستحقه (أيّ) من الإضافة»[(١)].

---

(١) الكشاف (١/ ٢٢٤-٢٢٦)، وانظر: تفسير أبي السُّعود (١/ ٥٨)، تفسير الرَّازي (٣/ ٣١٩)، تفسير النَّيسابوري (١/ ١٨٠)، الإتقان (٢/ ٢٢٢-٢٢٣). وانظر: تفسير سورة النِّساء، إبراهيم خليفة (ص: ١٠٦- ١٠٧).

ويتبيَّن مما سبق الحكمة من استخدام حرف النِّداء (يا)، وما للنِّداء بـ (يا) دون غيرها من أدوات النِّداء الأخرى من المزايا والخصائص الَّتي إن دلَّت فإنما تدلُّ على الدِّقة والإحكام في تناسق ألفاظ القرآن الكريم، ودلالتها على المعاني الجليلة.

المطلب الرَّابع
دخول حرف النداء : (يا) على الاسم في الخطاب القرآني

يتبيَّنُ ممَّا سبقَ أنَّ النِّداءَ هو طلبُ الإقبال بالحروف (يا) وإخوته، والمقصود هنا: (يا)، حيث لم يقع النِّداء القرآني إلَّا بـ (يا) كما حقَّقتُ ذلك.

وأوَّل ما ينبغي أن يعلم أن الاسم يتميَّز عن الفعل بعلامات منها: النِّداء: قال في (الألفيَّة):

(**بالجرِّ وَالتَّنْوينِ وَالنِّدَا وَأَلْ وَمُسْنَدٍ لِلاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ**)[1].

نحو: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا﴾ [الأعراف:٧٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤]، ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ [هود:٤٨]، ﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ [هود:٥٣]، ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود:٨١]، ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ [هود:٨٧]، فكلٌّ من هذه الألفاظ الَّتي دخلت عليها (يا) اسم، وهكذا كلُّ منادى[2].

وقد اعترض بدخول (يا) على الفعل في قراءة من قرأ: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ [النمل:٢٥]-بتخفيف اللَّام- فقد قرأ الكسائيُّ: ﴿ألا يا

(١) ألفيَّة ابن مالك (ص:٩).

(٢) شذور الذَّهب (١/ ٢٢). وانظر: شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك (١/ ٢١)، أوضح المسالك (١/ ١٩).

اسجدوا﴾ -بتخفيف اللَّام- و﴿أَلَآ﴾ تنبيه، وبعدها (يا) الَّتي ينادى بها، والابتداء ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ على الأمر بالسُّجود، فالمعنى: (ألا يا قوم اسجدوا لله)، خلافًا لهم، وحمدًا لله ﷻ أنكم لم تكونوا مثلهم في الطُّغيان، بل هداكم الله ﷻ، وهذا الكلام يكون منقطعًا مما قبله على أنَّ ما قبله تمام، ويكون ما بعده كلامًا معترضًا من غير القصِّة الماضية، إمَّا من سليمان ﵇، وإما من الهدهد، على تأويل (يا هؤلاء اسجدوا)، فلمَّا كف ذكر هؤلاء اتصلت (يا) بقوله: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾، فصار (يسجدوا) كأنَّه فعل مضارع إذا أدرجت الكلام، والعرب تقول: (ألا يا ارحمونا)، أي: (ألا يا هؤلاء ارحمونا)؛ لأنَّ (يا) لا يلي الفعل إلَّا مع إضمار. والمعنى: (ألا يا قوم اسجدوا)، فحذفت الأسماء، وقامت (يا) مقامها، وكان هذا الحذف في النِّداء خاصَّة، وقرأ الباقون بالتَّشديد(١).

قال الزَّركشيُّ في (البرهان): «قوله ﷻ: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ على قراءة الكسائيِّ بتخفيف (ألا) على أنها تنبيه، و(يا) نداء، والتَّقدير: (ألا يا هؤلاء اسجدوا لله). ويجوز أن يكون (يا) تنبيهًا، ولا منادى هناك، وجمع بينهن تأكيدًا؛ لأنَّ الأمر قد يحتاج إلى استعطاف

---

(١) بتصرُّف عن (حجَّة القراءات) (١/ ٥٢٦-٥٢٧). وقيل: قرأ ابنُ عباس وعبد الرَّحمن السلمي والحسن وأبو جعفر وحميد الأعرج: ﴿ألا يا اسجدوا﴾. انظر: حجَّة القراءات (١/ ٥٢٦-٥٢٧)، النَّشر (٢/ ٣٣٧)، الإتحاف (ص: ٣٢٦)، إبراز المعاني من حرز الأماني (٢/ ٣٣٥)، معاني القرآن، للنَّحاس (٥/ ١٢٦)، المحرَّر الوجيز (١/ ٤٥٠)، تفسير أبي السُّعود (٦/ ٢٨١)، البيضاوي (٤/ ٢٣٣)، مشكل إعراب القرآن، لمكي (٢/ ٥٣٣).

المأمور، واستدعاء إقباله على الآمر، وأمَّا على قراءة الأكثر بالتَّشديد فعلى أنَّ (أن) النَّاصبة للفعل دخلت عليها (لا) النَّافية، والفعل المضارع بعدها منصوب، وحذفت النُّون علامة النَّصب فالفعل هنا معرب، وفي تلك القراءة مبنيٌّ»[1].

وقد اعترض أيضًا بقولهم: فما تصنع بقوله ﷻ: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام:٢٧]، حيث دخل حرف النِّداء على ما ليس باسم؟

والجواب يقال فيه ما قيل في سابقه.

وقد سبق في بيان أداة النِّداء المستخدمة في القرآن الكريم ما له صلة فيما نحن بصدد بيانه هنا، وقد أُعيد هنا للوفاء ببيان دخول حرف النِّداء (يا) على الاسم في الخطاب القرآني مستقلًّا، وزيادةً في توضيح المعنى، وذلك من خلال الإعراب التَّفصيلي.

والخلاصة في ذلك:

أنَّ قراءة الكسائيِّ: ﴿ألا يا اسجدوا﴾، لها توجيهان، وكذلك قوله ﷻ: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ :

التَّوجيه الأوَّل: أن يقال: إنَّ (يا) حرف تنبيه.

والتَّوجيه الثَّاني: أن يقال: إنَّ (يا) حرف نداء والمنادى محذوف، ويكون التَّقدير: (يا هؤلاء اسجدوا)، و(يا قوم ليتنا نرد)..[2]. ومال

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٨٠).

(٢) انظر: تفسير الطَّبري (١٩/ ١٥٠)، ابن كثير (٣/ ٣٦٢)، أبو السُّعود (٦/ ٢٨١)، معاني القرآن، للنَّحاس (٥/ ١٢٦)، تفسير البغوي (٣/ ٤١٥)، فتح القدير (٤/ ١٣٣).

إلى هذا الرأي الفرَّاء في (معاني القرآن الكريم)[١]، وابن مالك في (التَّسهيل)[٢]، والأنباري[٣] في (البيان)[٤].

❊ ❊ ❊

(١) معاني القرآن الكريم، للفرَّاء (٢/ ٢٩٠) .

(٢) التَّسهيل، لابن مالك (٣/ ٣٨٩) .

(٣) هو عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدِّين الأنباري، من علماء اللُّغة والأدب وتاريخ الرِّجال. كان زاهدًا عفيفًا، خشن العيش والملبس، لا يقبلُ من أحدٍ شيئًا. سكن (بغداد) وتوفي فيها[٥٧٧هـ]. انظر: الأعلام (٣/ ٣٢٧)، البلغة في تراجم أئمة النَّحو واللُّغة (ص:٣٣)، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي (١/ ٢٣٩)، وترجم له في (تاريخ بغداد) (١٥/ ٢٣٩)، بغية الوعاة (٢/ ٨٦)، طبقات الشَّافعية، لابن قاضي شهبة (٢/ ١٠)، طبقات الشَّافعية الكبرى، للسُّبكي (٧/ ١٥٦)، معجم المؤلِّفين (٥/ ١٨٣).

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٢٢١) .

المطلب الخامس
بيان معنى (أي) والحكمة من ذكره

قال أستاذنا العلامة إبراهيم خليفة في (تفسير سورة النِّساء): «إنَّ أصل (أي) الواقعة في النِّداء نكرة صالحة لأن تقال على كافَّةِ ما يمكن أن يندرج تحتها (على سبيل البدل)، فهي من المطلق بالمعنى الأصوليِّ المعروف فيه، وإن كانت من أعمِّه (ما صدقًا)، وأكثره صلاحية؛ لاندراج الأجناس تحتها على سبيل البدل»[(١)].

وقد فرَّقوا بين العام والمطلق في الأصول من حيث (الما صدق)، أي: (الأفراد) فيقولون: إنَّ كلَّ واحد منهما عامٌّ إلَّا أنَّ عموم العامِّ هو (**عموم دفعي**)، وعموم المطلق هو (**عموم بدلي**)[(٢)].

والمثال يتحققُّ عندما نأتي بنكرة في سياق الإثبات، ثمَّ نأتي بها بعينها في سياق النَّفي[(٣)]..

---

(١) تفسير سورة النساء (ص:١٠٨).

(٢) انظر: الإبهاج، للسُّبكي (٣١٦/١).

(٣) وتوضيح ذلك إذا قلنا مثلاً: (ما جاءني طالبٌ) أو (ما جاءني رجلٌ) فهو نكرة في سياق النَّفي، وهي تعمُّ، أي: تشمل جميع أفراد الرِّجال دفعةً واحدة، بحيث إذا قلتُ: (ما جاءني رجلٌ) لا يصحُّ أن تقولَ لي: هل جاءك محمَّد؟ لأنَّ النَّكرة عمَّت جميع أفراد الجنس دفعةً واحدة. أمَّا قولنا: (جاءني رجلٌ) من غير نفي، فالمطلق هنا يعمُّ الأفراد لكن لا على سبيل الدَّفعة الواحدة، إنما على سبيل البدل..فقولك: (جاءني رجلٌ)، فرجل صالحة لأن تقال على أيِّ ذَكَرٍ من بني آدم، فيصحُّ أن أقصد محمَّدًا بدلا من عليٍّ أو غيره. ويصحُّ أن أقصد =

وعندما نقول: (يا)، ونقول بعدها: (أي)، وقبل أن يذكر المفسِّر فإنَّ النَّفس هنا كأنَّه قد حضر فيها كلُّ جنسٍ من الأجناس لكن على سبيل البدل، مثلًا: (النَّاس) في ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١] كأنَّه حضر في النَّفس أيضًا لكن لا على سبيل الاستقلال، وإنما على سبيل صلوح أن يكون هو المقصود بدل غيره، مثل: صلوح الملأ الأعلى مثلًا، ومثل: صلوح العلماء..إلخ.

فعندما أذكرُ المفسِّر يأتي الحضور الثَّاني الَّذي هو على سبيل الاستقلال، فكأنَّ معنا حضورين، أو كأنَّ النَّاس قد حضروا مرَّتين، مرَّة بذكر (أي) لكن لا على سبيل الاستقلال، وإنما الصَّلوح للإرادة بدلًا من غيرها؛ لأنَّ كلَّ الأجناس تحضر لكن على سبيل الصَّلوح للإرادة -(واحد بدل الآخر)-، ثمَّ يذكرُ المفسِّر بالحضور الاستقلالي.

و(أي) النِّدائية وصلة لنداء ما فيه (أل)[1].

= عليًّا بدلا من محمَّدٍ أو غيره، بحيث إذا قلتُ: (جاءني رجلٌ) وسَكَتُّ فلكَ أن تسألني عن الرَّجل من هو؟ هل هو محمَّد؟ هل هو عليٌّ..؟ و(أي) لها نفس المواصفات تشمل جميع ما يمكن أن يندرج تحتها من الأجناس أو الأنواع على سبيل البدل، نحو: يا أيُّها الرجل..الطَّالب..الملأ.. العالم..والمقصود في الحكم بالنِّداء في الحقيقة ليست هي، وإنما نعتُها الَّذي يليها، ولكونه هو المقصود بالحكم اغْتُفِر فيه ما لا يغتفرُ في غيره من النُّعوت، فالمفروض في النَّعت عند النَّحويين أن يكون مشتقًّا أو مؤوَّلا بالمشتقِّ، فالمشتقُّ مثل: (العاقل)، والمؤوَّل بالمشتقِّ مثل: المنسوب (المصري) مثلا، أي: المنسوب إلى (مصر)، هذا المشار إليه مثلا. أمَّا (النَّاس) أو (الرَّجل) فهو جامد، فجاز أن يكون نعتا؛ لأنَّه المقصود بالنِّداء في الحقيقة في قولك: (يا أيُّها النَّاس)...كأنَّك تناديه لا تنعت به .

(١) «و(أي) النِّدائية وصلة لنداء ما فيه (أل) يقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، و﴿يَـٰٓأَيُّهَا

«و(أي) وصلة إلى ندائه إنما آثروا (أيا)؛ لأنها لوضعها على الإبهام، واحتياجها وضعًا إلى المخصِّص ألصق بما بعدها من غيرها، ولما شابهها اسم الإشارة بكونه وضع مبهمًا مشروطًا إزالة إبهامه بالإشارة الحسيَّة أو الوصف بعده قام مقامها في التَّوصل إلى نداء ما فيه (أل). وأمَّا ضمير الغائب فإنَّه وإن وضع مبهمًا مشروطًا إزالة إبهامه لكن بما قبله غالبًا وهو المفسر، وأمَّا الموصول فإنَّه وإن أزال إبهامه ما بعده لكنه جملة»[1].

وقد سبق ما قاله الزَّمخشريُّ وغيره من البيان الواضح للحكمة من

= ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:١٠٤]. ويجوز أن تؤنِّث مع المؤنث فتقول: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر:٢٧]. وإنما كانت (أي) وصلة؛ لأنَّه لا يقال: (يا الرَّجل) أو (يا الَّذي) أو (يا المرأة)، و(أي) هذه: اسم مبني على الضَّمِّ؛ لأنَّه منادى مفرد، و(ها) لازمة لأي للتَّنبيه، وهي عوض من الإضافة في (أي) و(الرَّجل) صفة لازمة لـ: (أي)، ولا بد من أن تكون هذه الصِّفة فيها (أل)». انظر: حاشية الصَّبان (٣/ ١٥٠-١٥٢). والحاصل أنّه لا ينادى المعرَّف بـ: (أل) فلا يقال: (يا الرَّجل) إلاَّ في الضَّرورة؛ لأنَّ في ذلك جمعًا بين أداتي التَّعريف. وجوَّزه الكوفيون في الاختيار..واستثنى البصريون شيئين: اسم الله ﷻ، فيقال: (يا ألله)؛ لأنَّ (أل) للزومها فيه كأنها من بنية الكلمة، فيجوز حينئذٍ قطعُ همزه ووصله. والثَّاني: الجملة المسمَّى بها كأن تسمِّي (يا الرَّجل قائم) فإذا ناديته قلتَ: (يا الرَّجل قائم) أقبل؛ لأنَّه سمِّي به على طريق الحكاية..انظر: همع الهوامع (٢/ ٤٦-٤٨). «و(أي) بمنـزلة (كل) مع النَّكرة وبمنـزلة (بعض) مع المعرفة والفعل في قولك: (أيُّ عبيدي ضربك فهو حرٌّ) عامٌّ حتى لو ضربه الجميع عتقوا؛ لأنَّ الفعل مسند إلى عامٍّ، وهو ضمير (أي)، وفي (أيُّ عبيدي ضربته فهو حرٌّ) خاصٌّ حتَّى لو ضرب الجميع لم يعتق إلاَّ الأوَّل؛ لأنَّ الفعل مسند إلى ضمير المخاطَب، وهو خاصٌّ إذ الرَّاجع إلى (أي) ضمير المفعول، والفعل يعمُّ بعموم فاعله لكونه كالجزء من الفعل». الكليَّات (ص:٣٢٦ - ٣٢٨).

(١) حاشية الصَّبان (٣/ ١٥١) . =

ذكر (أي). وقال الآلوسيُّ: و(أي) لها معانٍ شهيرة، والواقعة في النِّداء نكرة موضوعة لبعضٍ من كلٍّ، ثمَّ تعرَّفت بالنِّداء، وتوصِّل بها لنداء ما فيه (أل)؛ لأنَّ (يا) لا يدخل عليها في غير الله ﷻ إلَّا شذوذًا لتعذُّر الجمع بين حرفي التَّعريف، فإنهما كمثلين، وهما لا يجتمعان إلَّا فيما شذَّ من نحو:

(فلَا واللـه لا يُـلـفَـى لـمـا بـي ولا لَلِمـا بـهـم أبـدا دَواء)[1]

أعطيت حكم المنادي، وجعل المقصود بالنِّداء وصفًا لها، والتزم فيه هذه الحركة الخاصَّة المسماة بالضَّمة، وإنما التزم ذلك إشعارًا بأنَّه المقصود بالنِّداء، ولا ينافي هذا كون الوصف تابعًا غير مقصود بالنِّسبة لمتبوعه؛ لأنَّ ذلك بحسب الوضع الأصليِّ حيث لم يطرأ عليه ما يجعله مقصودًا في حدِّ ذاته ككونه مفسِّرًا لمبهم، ومن هنا لم يشترطوا

---

(١) البيت لمسلم بن معبد الوالبي الأسدي، من بني أسد، وقيل: لرجل من بني أسد [الوافر]. اللُّغة: (لا يلفى) لا يوجد، من ألفى إذا وجد، (لما بي) الَّذي بي. والمعنى: يقسم أنَّه لا يوجد للذي به من الموجدة والألم، ولا للذي عند خصومه من الحقد والضَّغينة علاج، وليس هناك أمل في المودَّة والمصالحة وإزالة الأحقاد والضَّغائن، بعد أن تفاقم الخطب وعظم الخلاف. والشَّاهد فيه: (للما) فاللام الثَّانية توكيد للأولى الجارَّة، ولم يفصل بينهما فاصل مع أنَّ اللام ليست من أحرف الجواب وهو شاذٌّ؛ لأنَّ الحرف المؤكد موضوع على حرف هجائي واحد لا يكاد يقوم بنفسه، ولو جاء على الصَّواب لقال: (لِما لِمَا به)؛ لأنَّ الأصل في حرف أن يعاد مع الاسم المجرور عند توكيده. انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (٢/ ٩٨٢)، سرُّ صناعة الإعراب (١/ ٢٨٢)، (١/ ٣٣٢)، الخصائص (٢/ ٢٨٢)، وانظر: التَّحرير والتَّنوير (٢٣/ ٣٧٠)، الدُّر المصون (٢/ ١٨٣)، ابن عادل (٦/ ٤٦٨).

=

في هذا الوصف الاشتقاق مع أنَّ النَّحويين إلَّا النَّذر كابن الحاجب(١) اشترطوا ذلك في النُّعوت. و(ها) التَّنبيهية زائدة لازمة للتَّأكيد والتَّعويض عمَّا تستحقُّ من المضاف إليه أو ما في حكمه من التَّنوين كما في ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ [الإسراء: ١١٠]، وإن لم يستعمل هنا مضافًا أصلًا. وكثُرَ النِّداء في الكتاب المجيد على هذه الطَّريقة لما فيها من التَّأكيد الَّذي كثيرًا ما يقتضيه المقام بتكرُّر الذِّكر، والإيضاح بعد الإبهام، والتَّأكيد بحرف التَّنبيه، واجتماع التَّعريفين..هذا ما ذهب إليه الجمهور..»(٢).

وفي (تفسير أبي السُّعود): «و(أي) اسم مبهم جعل وصلة إلى نداء المعروف باللام لا على أنه المنادى أصالة، بل على أنَّه صفة موضِّحة له، مزيلة لإبهامه والتزام رفعه مع انتصاب موصوفه محلًّا إشعارًا بأنَّه المقصود بالنِّداء، وأقحمت بينهما كلمة التَّنبيه تأكيدًا لمعنى النِّداء،

(١) انظر: شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (١/ ٣٨٦)، (٤/ ٢٨٥). أمَّا ابن الحاجب فهو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو، جمال الدِّين ابن الحاجب، فقيهٌ مالكيٌّ، من كبار العلماء بالعربيَّة. كرديُّ الأصل. ولد في (أسنا) -بفتح الهمزة وسكون السِّين المهملة، وفتح النُّون وبعدها ألف- بليدة صغيرة من صعيد (مصر)، ونشأ في (القاهرة)، وسكن (دمشق)، ومات بالإسكندرية. وكان أبوه حاجبًا فعرف به. من تصانيفه: (الكافية) في النَّحو، و(الشَّافية) في الصَّرف، و(مختصر الفقه) استخرجه من ستِّين كتابًا في فقه المالكية، ويسمَّى: جامع الأمَّهات، و(منتهى السُّول والأمل في علمي الأصول والجدل) في أصول الفقه..إلخ. [٦٤٦هـ]. انظر: الأعلام (٤/ ٢١١)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٨-٢٤٩)، سير أعلام النُّبلاء (٢٣/ ٢٦٤-٢٦٥)، شذرات الذَّهب (٥/ ٢٣٤)، معجم المؤلِّفين (٦/ ٢٦٥).

(٢) بتصرُّف عن (روح المعاني) (١/ ١٨١-١٨٢)، وانظر التَّفصيل في (روح المعاني) (١/ ١٨١-١٨٢)، وانظر: تفسير أبي السُّعود (١/ ٥٨). =

وتعويضًا عمَّا يستحقُّه، أي: من المضاف إليه ولما ترى من استقلال هذه الطَّريقة بضروبٍ من أسباب المبالغة والتَّأكيد كثر سلوكها في التَّـنزيل المجيد، كيف لا..وكلُّ ما ورد في تضاعيفه على العباد من الأحكام والشَّرائع وغير ذلك خطوبٌ جليلةٌ حقيقةٌ بأن تقْشعرَّ منها الجلودُ، وتطمئن بها القلوب الآيبة، ويتلقَّوها بآذانٍ واعية، وأكثرهم عنها غافلون..فاقتضى الحال المبالغة والتَّأكيد في الإيقاظ والتَّنبيه»[١].

وعلى ذلك فإنَّ فائدة ذكر (أي) في النِّداء في ثلاثة أمور:

«أحدها: غرض لفظي يتمثَّل في كونها وصلة لنداء ما فيه (أل)، فإنَّ حرف النِّداء لا يصحُّ أن يباشر منادى فيه (أل).

أمَّا الغرضان المعنويان لذكرها: فأحدهما: أنها بحكم إطلاقها وصلوحها لأن تقال على هذا وعلى ذاك من الأجناس على سبيل البدل -كما سبق- إذا طرق ذكرُها السَّمع بمجرَّدها، وقبل أن يذكر ما بعدها المفسِّر لها يصلح في النَّفس أن يراد منها هذا المفسِّر، وأن يراد غيرُه من بقية الأجناس الصَّالحة للإرادة، فإذا ذكر المفسِّر بعدها كان حضوره في النَّفس على سبيل الاستقلال والإلغاء لما عداه، وكذلك يقال في كلِّ تخصيصٍ لعام أو تقييدٍ لمطلق، فذكر (أي) أفادنا حضورًا مشتركًا للجنس المفسِّر لها مع بقية الأجناس زائدًا على الحضور المستقلِّ لذلك المفسر بعد ذكره..

(١) تفسير أبي السُّعود (١/ ٥٨).

وأمَّا الغرض الآخر أنَّه عند ذكرها، وقبل أن يطرق السمعَ ذكرُ ما يفسِّرُها تتردَّد النَّفس في المراد..فتتشوَّق النَّفس إلى معرفة المراد..، وتفسير هذا المبهم بحكم ما غرسه الله ﷻ فيها، وجبلها عليه من غريزة حبِّ الاستطلاع. فإذا ذكر المفسِّر بعد ذلك فجاءها البيان بعد الإبهام تمكَّن في النَّفس أيما تمكُّنٍ كأنما حُفِرَ وغرز في أعمق الأعماق منها؛ لأنَّ ما يأتي عن تعبٍ في الطَّلب، وتلهُّفٍ وحرصٍ على التَّحصيل تكون على بقائه أحرص، وفي مزيد العناية به أتم وأبلغ»[١]. وبذلك أكون قد أتيتُ على بيان ما قيل في معنى (أَيْ)، والحكمة من ذكره، وما لذلك من الأهميَّة بالنِّسبة لموضوعات هذا الفصل..

❊ ❊ ❊

---

(١) تفسير سور النِّساء (ص:١٠٨-١٠٩).

المطلب السَّادس
حكمة التَّنبيه بـ (ها)،
ونداء ما فيه (أل)

● ويتضمَّن:

١ - حكمة التَّنبيه بـ (ها)
٢ - نداء ما فيه (أل)

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

- **أوَّلا: حكمة التَّنبيه بـ (ها)**

إنَّ ما نادى الله ﷻ به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام، وخطوب جسام يجب عليهم أن يتيقَّظوا لها. . . .

قال الزَّمخشريُّ: «وكلمة التَّنبيه المقحمة بين الصِّفة وموصوفها لفائدتين:

١ - معاضدة حرف النِّداء ومكاتفته بتأكيد معناه..

٢ - وقوعها عوضًا ممَّا يستحقُّه، أي: من الإضافة.»[١].

وتدخل على نعت[٢] (أَي) في النِّداء، نحو: (يا أَيُّهَا الرَّجلُ)[٣]، وهي في هذا واجبة[٤] للتَّنبيه على أنَّه المقصود بالنِّداء. قيل: وللتَّعويض عمَّا تضاف إليه (أي).

ويجوز في هذه في لغة (بني أسد)[٥] أن تحذف ألفها، وأن تضم

(١) الكشاف (١/ ٢٢٥-٢٢٦)، وانظر: تفسير الرَّازي (٣/ ٣١٩)، تفسير النَّسفي (١/ ٤٨)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤١٥)، مغني اللَّبيب (ص: ٤٥٦).

(٢) وقيل: هو عطف بيان لعدم الاشتقاق كما في الرَّضي على الكافية (١/ ١٤٣).

(٣) وعلى ذلك يكون (أي) منادى نكرة مقصودة، و(ها) للتَّنبيه، و(الرَّجل) نعت لـ: (أي). انظر: المقتضب، للمبرّد (٤/ ٢١٦-٢١٧).

(٤) أي: واجبة الزيادة. وفي (الجنى الدَّاني): «وحرف التَّنبيه لازم في هذا الموضع؛ لأنَّه كالصِّلة لـ (أي)، بسبب ما فاتها من الإضافة؛ ولذلك يقول المعربون فيه: ها صلة وتنبيه». الجنى الدَّاني (ص: ٣٤٧) .

(٥) قبيلة (بني أسد) من أشهر القبائل العربيَّة. انظر: بطون (بني أسد) في جمهرة أنساب العرب (١/ ١٩٠)، (٢/ ٤٦٦)، وانظر: المفصَّل في تاريخ العرب (٨/ ١٢٥).

هاؤها إتباعًا[١].

وعليه قراءة ابن عامر:

﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [٢]، ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [٣]، ..

﴿أيه الساحر﴾[٤] -بضمِّ الهاء في الوصل-[٥].

وفي (تفسير سورة النِّساء) بيان لحكم ثلاث تُسْتَفاد من التَّنبيه بـ: (ها):

«**أولاها**: الإرشادُ إلى أهميَّة الأمر المنبَّه إليه ضرورة أنَّه لا يحسن

---

(١) أي: إتباعًا لضمة الياء في (أي).

(٢) وهي آيةٌ طويلةٌ ختمت بقوله ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١].

(٣) وتمام الآية: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرَّحمن: ٣١].

(٤) وتمام الآية: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزخرف: ٤٩].

(٥) انظر: الدُّر المصون (٥/ ٢١٧)، البحر المحيط (٦/ ٤١٤). وفي (الكشاف): «وقرئ: ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ -بضمِّ الهاء- ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف، فلمَّا سقطت الألف لالتقاء السَّاكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها». الكشاف (٣/ ٩٣). وفي (المحرَّر الوجيز): «وقرأ ابنُ عامر: ﴿أَيُّهَا﴾ -بضمِّ الهاء- ووجهه أن تجعل الهاء كأنها من نفس الكلمة، فيكون إعراب المنادى فيها. .وضعَّف أبو علي [الفارسي] ذلك جدًّا. وبعضهم يقف (أيُّه). وبعضهم يقف (أيُّها) بالألف. وقوَّى أبو عليٍّ الوقفَ بالألف؛ لأنَّ علَّة حذفها في الوصل إنما هي سكونها وسكون اللاَّم، فإذا كان الوقف ذهبت العلَّة فرجعت الألف كما ترجع الياء إذا وقفت على ﴿مُحِلِّي﴾ من قوله ﷻ: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١]». المحرَّر الوجيز (٤/ ١٨٠)، وانظر: البحر المحيط (٦/ ٤١٤)، غرائب القرآن (٥/ ١٧٦)، الرَّازي (٢٣/ ٣٧١)، السَّبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، تحبير التَّيسير (ص: ٤٨١)، حجَّة القراءات، بن زنجلة (ص: ٤٩٧)، الفريد (٣/ ٥٩٥-٥٩٦).

التَّنبيه من العاقل فضلًا عن العليم ﷻ إلَّا إلى ما هو مهمٌّ يخشى أن تقع الغفلةُ عن أهميَّته لولا التَّنبيه إليه.

ثانيتها: تجليةُ رحمة الله ﷻ الواسعة، ونعمته السَّابغة على عباده بتنبيههم إلى ما يهمُّهم، وبحيث لم يكلهم إلى أنفسهم في اكتشاف ما فيه من الأهميَّة، ولا وكلهم إلى الغفلة الَّتي يمكن أن تعتريهم فتحول دون تنبههم إليه.

ثالثتها: قطعُ أعذارِ الخلق، وإقامة الحجَّة عليهم بهذا التَّنبيه، ليهلكَ من هَلَكَ عن بَيِّنةٍ، ويحيى من حيَّ عن بَيِّنةٍ. فإنَّه ﷻ بعد إذ نبَّههم إلى ما يهمُّهم لا يبقى لهم عذر في ادِّعاء أنهم لم يعرفوا أهميَّته، وأنهم لو نبِّهوا إليها لعرفوها»(١).

«و(ها) التَّنبيهية زائدة لازمة للتَّأكيد والتَّعويض عمَّا تستحق من المضاف إليه أو ما في حكمه من التَّنوين كما في ﴿أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ﴾ [الإسراء:١١٠]، وإن لم يستعمل هنا مضافًا أصلًا. وكثر النِّداء في الكتاب المجيد على هذه الطَّريقة لما فيها من التَّأكيد الَّذي كثيرًا ما يقتضيه المقام بتكرُّر الذِّكر والإيضاح بعد الإبهام، والتَّأكيد بحرف التَّنبيه، واجتماع التَّعريفين»(٢).

وممَّا سبق يتبيَّن أنَّ (ها) التَّنبيهيَّة سمِّيت بذلك؛ لأنَّ المراد منها: إمَّا تنبيه الغافل إلى ما بعدها، وتوجيهه إلى ما سيذكر. وإمَّا لإشعار غير

---

(١) تفسير سور النِّساء، أ.د إبراهيم خليفة (ص:١١١).

(٢) روح المعاني (١/ ١٨٢) .

الغافل إلى أهميَّة ما بعدها، وجلال شأنه، ليتفرَّغ له، ويقبل عليه.

● **ثانيًا: نِداءُ ما فيهِ (أَلْ)**

إذا أريدَ نداءُ ما فيه (أَلْ)، يُؤتى قبلَهُ بكلمةِ (أيُّها) للمذكَّر، و(أيَّتُها) للمؤنَّث. وتَبقيانِ معَ التَّثنيةِ والجمع بلفظ واحدٍ، مراعىً فيهما التَّذكيرُ والتَّأنيث، أو يؤتى باسم الإشارة .

فالأوَّل: كقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار:٦]، وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر:٢٧].

والأمثلة كثيرة وواضحة.

والثَّاني: نحو: (يا هذا الرَّجل)، و(يا هذهِ المرأةُ) إلَّا إذا كان المنادى (لفظَ الجلالة)[١]. لكن تبقى (أَلْ) وتُقطَعُ همزتُها وُجوبًا، نحو: (يا أَلله).

والأكثر معَهُ حذفُ حرفِ النِّداءِ والتَّعويضُ منه بميمٍ مُشدَّدةٍ مفتوحةٍ، للدِّلالةِ على التَّعظيم نحو: (اللهمَّ).

وقد وردت في (خمسة) مواضع:

---

(١) وذلك «أنَّ الاسم لا ينادى وفيه الألف واللَّام؛ لأنَّك إذا ناديته فقد صار معرفة بالإشارة بمنزلة هذا، وذاك، ولا يدخل تعريف على تعريف، فمن ثمَّ لا تقول: (يا الرَّجل تعال). وأمَّا قولهم: (يا ألله اغفر) فإنما دُعي وفيه الألف واللَّام؛ لأنهما كأحد حروفه. ألا ترى أنهما غير بائنتين منه. وليستا فيه بمنزلتهما في (الرَّجل)؛ لأنَّك في (الرَّجل) تثبتهما وتحذفهما، وهما في (اسم الله) ثابتتان، وهو اسم علم». المقتضب، للمبرّد (٤/٢٣٩-٢٤٢).

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤].

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠].

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٦][(١)].

ولا يجوز أن تُوصَفَ (اللَّهمَّ)، على اللَّفظ، ولا على المحلِّ، على الصَّحيح؛ لأنَّهُ لم يُسمَع. وأمَّا قولهُ ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، فهو على أنَّه نداءٌ آخرُ، (قُل اللَّهمَّ يا فاطرَ السمواتِ). وإذا ناديتَ عَلَمًا مُقترِنًا بألْ وَضعًا حذفتَها وُجوبًا فتقولُ في نداء العبَّاسِ والفضلِ والسَّموأَلِ: يا عبَّاسُ..يا فضلُ..يا سَمَوأَلُ[(٢)].

«و(اللَّهمَّ) في كلام العرب خاصٌ بنداء الله ﷻ في الدُّعاء،

---

(١) انظر: تفسير أبي السُّعود (٢/ ٢١)، وانظر: الدُّر المصون (٢/ ٥٣)، المحرَّر الوجيز (١/ ٤١٧)، معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (١/ ٣٩٤)، التِّبيان (١/ ١٣٠)، النَّسفي (١/ ٢٢٨)، وانظر: تفسير النَّيسابوري (٢/ ١٣٦)، وانظر: الكتاب، بتحقيق: عبد السَّلام هارون، لسيبويه (٢/ ١٩٦).

(٢) وتستعمل (اللهمَّ) على ثلاثة أنحاء: الأوَّل: أن تكون للنِّداء المحض، نحو: (اللهمَّ اغفر لي). الثَّاني: أن يذكرها المجيب تمكينًا للجواب في نفس السَّامع، كأن يقال لك: أخالد فعل هذا؟ فتقول: اللهمَّ نعم. الثَّالث: أن تستعمل للدِّلالة على النُّدرة وقلة وقوع المذكور معها، كقولك للبخيل: إنَّ الأمَّة تعظِّمك، اللهمَّ إن بذلت شطرًا من مالك في سبيلها. انظر: الأصول في النَّحو (١/ ٣٣٨).

ومعناه: (يا الله). ولما كَثُرَ حذف حرف النِّداء معه قال النُّحاة: إنَّ الميمَ عوضٌ من حرف النِّداء يريدون أنَّ لحاق الميم باسم الله ﷻ في هذه الكلمة لما لم يقع إلَّا عند إرادة الدُّعاء صار غنيًّا عن جلب حرف النِّداء اختصارًا، وليس المراد أنَّ الميم تفيد النِّداء. والظَّاهر أنَّ الميم علامة تنوين في اللُّغة المنقول منها كلمة: (اللَّهم) من عبرانيَّة أو قحطانيَّة، وأنَّ أصلها: (لَا هُم) مرداف (إله).

ويدلُّ على هذا أنَّ العرب نطقوا به هكذا في غير النِّداء كقول الشَّاعر:

(كدعوةٍ من أبي رياح يَسْمَعُها اللهُمَّ الكبير)[1].

وأنّهم نطقوا به كذلك مع النِّداء، كقولِ الشاعر:

(إنِّي إذا ما حَدَثٌ أَلَمَّا أقُول يا اللهُمَّ يا اللهُمَّا)[2].

---

(١) والبيت ينسب للأعشى، ويروى: (كَحْلَفةٍ) بدل: (كدعوةٍ). انظر: ديوانه (ص:١٩٣)، والطَّبري (٣/ ٢٢١)، البحر المحيط (٢/ ٤٣٣)، (٢/ ٤٣٦)، القرطبي (٤/ ٥٣)، خزانة الأدب (٢/ ٢٣٦). وقد أنشده الفرَّاء ولم يبيِّن قائله. معاني القرآن، للفرَّاء (١/ ٢٠٣). وقيل: الأعشى -كما سبق-. .والبيت من [البسيط]. أمَّا اللُّغة فإنَّ قوله: (كَحْلَفةٍ) كيمين، (أبي رياح) كناية عن رجل من (بني ضبيعة)، واسمه: (حصن بن عمرو). وكان أبو رياح قد قتل رجلاً من (بني سعد بن ثعلبة)، فسألوه أن يحلف أو يعطي الدِّية، فحلف ثمَّ قتل بعد حلفته، فضربه العرب مثلاً لما لا يغني من الحلف. والشَّاهد فيه: (لاهم) حيث استعمل (اللهمَّ) في غير النِّداء. .انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (٢/ ١٠٧٠).

(٢) البيت قيل: إنَّه لأبي خرَّاشٍ الهذليِّ، وقيل: لأميَّة بن أبي الصَّلت، وهو من [الرَّجز]. اللُّغة: (حَدَثٌ) -بفتحتين- وهو الأمر الَّذي يحدث من مكاره الدُّنيا، (ألما) نزل. والمعنى: يريد أنَّه إذا نزلت به حادثة، أو أصابه مكروه لجأ إلى الله ﷻ في كشف ما ينزل به. والشَّاهد فيه: =

وأنَّهم يقولون: (يا الله) كثيرًا. وقال جمهورُ النُّحاة: إنَّ الميم عوضٌ عن حرف النِّداء المحذوف، وأنَّه تعويضٌ غير قياسيٍّ، وأنَّ ما وقع على خلاف ذلك شذوذ. وزعم الفرَّاء[١] أنَّ (اللَّهمَّ) مختزلٌ من (اسم الجلالة)، وجملة أصلها (يا الله أمّ)[٢] أي: أقبل علينا بخير[٣]، وكلُّ ذلك تكلُّف لا دليل عليه»[٤].

= (يا اللهمَّ يا اللهمَّ) حيث جمع بين حرف النِّداء والميم المشدَّدة الَّتي يؤتى بها للتَّعويض عن حرف النِّداء، فجمع بين العوض والمعوَّض عنه. انظر: خزانة الأدب (٢/ ٢٥٨-٢٥٩)، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٥٠)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (٢/ ١٠٦٨)، شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (١/ ٣٨٤)، وانظر: المقتضب، للمبرّد (٤/ ٢٤٢).

(١) معاني القرآن، للفرَّاء (١/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٥٣)، تفسير الرَّازي (٨/ ١٨٥)، وانظر: جلاء الأفهام، لابن القيِّم (ص: ١٤٣-١٤٤).

(٣) التَّقدير الَّذي ذكره الفرَّاء: (يا الله أُمنا بخير). قال: فكثرت في الكلام فاختلطت. [أي: امتزجت بما قبلها، وهو (لفظ الجلالة)، وفي (تفسير الطَّبري) (٣/ ٢٢١): «فاختلطت به»]. قال الفرَّاء: الرفعة الَّتي في الهاء من همزة (أُمَّ) لما تركت [أي: الهمزة، يريد حذفها قبل انتقال حركتها إلى ما قبلها]. قال الفرَّاء: ونرى أنَّ قول العرب: (هَلُمَّ إلينا) مثلها، إنما كانت (هل) فضم إليها (أُمَّ) فتركت على نصبها..إلى آخر ما ذكره الفرَّاء في المعاني. معاني القرآن (١/ ٢٠٣- ٢٠٤).

(٤) التَّحرير والتَّنوير (٣/ ٢١٢). وينظر في ذلك: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (١/ ٣٩٣-٣٩٤)، الدُّر المصون (٢/ ٥٣- ٥٥)، روح المعاني (٣/ ١١٣)، تفسير ابن عادل (٥/ ١٢٢-١٢٣)، تفسير الرَّازي (٨/ ١٨٥)، القرطبي (٤/ ٥٣)، تفسير الماوردي (٢/ ٨٤)، أسرار العربيَّة (ص: ٢١١-٢١٢)، أوضح المسالك (٤/ ٣١)، الأصول في النَّحو (١/ ٣٣٨). إلخ.

=

لا خلاف أنَّ لفظة: (اللَّهمَّ) معناها: (يا الله)؛ ولهذا لا تستعمل إلَّا في الطَّلب، فلا يقال: (اللَّهمَّ غفور رحيم)، بل يقال: (اللَّهمَّ اغفر لي وارحمني)..[١]؛ ولذلك صلة بمحور البحث.

❀ ❀ ❀

(١) انظر ذلك مفصَّلا في (جلاء الأفهام) (ص: ١٤٣- ١٤٤).

المبحث الثَّالث

صيغ النِّداء في القرآن

- **ويتضمَّن:**

المطلب الأوَّل: النِّداء القرآني العامُّ إلى المخلوق.

المطلب الثَّاني: نداء الأعلام.

● **توطئة:**

وبعد بيان أهميَّة النِّداء بـ: (يا)، والحكمةِ من استخدام هذا الحرف دون غيره، أذكرُ هنا ما يتعلَّق بصيغ النِّداء بـ: (يا).

و بادئ ذي بدء أذكر أمرين:

١ - أمَّا عدد الآيات الَّتي ذكرت فيها هذه الأداة فهو: [٣٤٧].

وأمَّا عدد التَّكرار فهو: [٣٤٩].

٢ - أمَّا بالنِّسبة للتَّمثيل لما يتعلَّق بالنِّداء العامِّ فإن كان هذا العموم من وجه، فإني أذكر اسم السُّورة، ورقم الآية، من غير ذكر المثال نفسه، وذلك لكثرة الأمثلة -وذلك بغرض الاختصار- إلَّا إذا كان ذكر المثال يزيد الأمر وضوحًا.

* * *

المطلب الأوَّل
النِّداء القرآني العامُّ إلى المخلوق

وقد اختلف التَّقسيم هنا عنه في تنوُّع أوجه الخطاب القرآني، وأردت أن يكمِّل كلٌّ واحدٍ منهما الآخر، وهو هنا أخصُّ من حيث ذكر صيغة النِّداء، وهو هناك أعمُّ من ذلك..

ومن المهمِّ توضيح ما يحيط بهذه الصِّيغ من معنى، وذلك لاختلافها وتنوُّعها، وتنوُّع المقاصد منها، وما فيها من المنهج العلمي، وكذلك البعد الدَّعوي الَّذي يزيدها حركةً وتألُّقًا من حيث إشراقها في نفس المخاطَب -بفتح الطاء المهملة-.

أمَّا صيغ الخطاب القرآني العام من المخاطِب إلى المخلوق فهي على النَّحو التَّالي:

١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]:

أ. **بيان المعنى:**

أمَّا ما يتعلَّق بلفظ (النَّاس) من حيث معناه، وما يندرج تحته، وعمومه فقد سبق بيان ذلك.

ب. ما يستفاد مما ولي المنادَى:

ومن خلال تفسير أوَّل موضع وردت فيه هذه الصِّيغة تُفهم الحكمة من ذلك، فيقاس عليها غيرها من الآيات. وأمَّا أهميَّة ذلك فإنما تعلم

بالتَّفكر والتَّأمل فيما ولي المنادَى، وأنَّه أمر عظيم ينبغي أن يتنبَّه له المخاطَب كما أنَّ النَّظر في أقوال المفسِّرين يزيد المخاطَب فهمًا لما ولي المنادَى يدفع عن تفكيره الإشكال، ويبصِّره بالعاقبة والمآل، وقد كانت العناية والاهتمام بذكر نماذج تطبيقيَّة تثري الموضوع، وتفتح أمامه الآفاق، وتجمع بين العلم والدَّعوة، وهما في حقيقة الأمر صنوان يُرْتَقى بهما إلى سُدَّة النَّجاة.

قال الله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١]، فقد جاء أنَّ النِّداء إلى النَّاس كلِّهم لعبادةِ ربِّهم الَّذي خلقهم والَّذين من قبلهم. ربهم الَّذي تفرَّد بالخلق، فوجب أن يتفرَّد بالعبادة. وللعبادة هدف لعلَّهم ينتهون إليه ويحقِّقوه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ..لعلَّكم تصيرون إلى تلك الصُّورة المختارة من صور البشريَّة. صورة العابدين لله ﷻ. المتَّقين لله ﷻ. الَّذين أدَّوا حقَّ الرُّبوبيَّة الخالقة، فعبدوا الخالق وحده، ربُّ الحاضرين والغابرين، وخالق النَّاس أجمعين، ورازقهم كذلك من الأرض والسَّماء، بلا ندٍّ ولا شريك(١).

وهذا أمرٌ عامٌّ لكلِّ النَّاس، بأمرٍ عامٍّ، وهو العبادة الجامعة، لامتثال أوامر الله ﷻ، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم ﷻ بما خلقهم له، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، إلى غير ذلك..

(١) انظر: الظِّلال (١/٤٦-٤٧).

أمَّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النِّداء فهو: [٢٠].

وأمَّا عدد التَّكرار فهو: [٢٠].

وهي على النَّحو الآتي:

[البقرة: ٢١-١٦٨]، [النِّساء: ١ - ١٧٠- ١٧٤]، [الأعراف: ١٥٨]، [يونس: ٢٣ - ٥٧ - ١٠٤ - ١٠٨]، [الحج: ١ - ٥ - ٤٩ - ٧٣]، [النَّمل: ١٦]، [لقمان: ٣٣]، [فاطر: ١٥]، [الحجرات: ١٣][١].

٢ - ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]:

و(إسرائيل) هو يعقوبُ بنُ إسحاقَ بن إبراهيمَ، وقيل: (إسرا) بالعبرانيَّة: عبد، و(إيل) هو الله ﷻ، فكان اسمه: (عبدَ الله)[٢].

---

(١) وذلك موافقٌ لما ذكره ابنُ الجوزيِّ في (فنون الأفنان في عيون علوم القرآن) (ص: ٤٠٥)، وفاته أن يذكر في كتابه (عجائب علوم القرآن) الآية: [٣٣] من (سورة لقمان). انظر: عجائب علوم القرآن (ص: ١٩١-١٩٢) .

(٢) انظر: تفسير القرطبيِّ (١/ ٣٣١)، تفسير الماوردي (١/ ١١٠)، البحر المحيط (١/ ٣٢٥)، التَّحرير والتَّنوير (١/ ٤٥٠)، السِّراج المنير (١/ ٦١)، الرَّازي (٣/ ٤٢٧)، الدُّر المصون (١/ ٢٠٢). وينسب هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما «حدَّثنا ابن حميد، حدَّثنا جرير، عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء، عن عُمير مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ إسرائيل كقولك: عبد الله». تفسير الطَّبري (١/ ٢٤٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٨٣)، وانظر: الإتقان (٢/ ٣٨٠). وهذا إسناد صحيح. وإسماعيل بن رجاء بن ربيعة: ثقة، أخرج له مسلم في (صحيحه). وعمير مولى ابن عباس: هو عمير بن عبد الله الهلالي، مولى أمِّ الفضل، وقد ينسب إلى ولاء زوجها (العباس)، كما ورد في إسناد حديث آخر في المسند: [٧٧]، وقد ينسب إلى ولاء بعض أولادها، كما في هذا الإسناد، وهو تابعيٌّ ثقة، وأخرج له الشَّيخان وغيرهما. انظر: تقريب التَّهذيب (ص: ٧٥٤)، تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٨١)، إسعاف المبطأ برجال الموطأ (ص: ٢٣)، تعجيل المنفعة (١/ ٨٨).

وذلك مثل: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، -عليهم السَّلام-.

وقيل غير ذلك[١].

وقد اختلفوا فيه، والأصحُّ أنَّه علمٌ أعجمي؛ ولهذا منع من الصَّرف، وهو مركَّبٌ تركيب الإضافة، فإنَّ (إسرا) هو العبد بالعبريَّة، و(إيل) هو الله ﷻ، وقد تصرَّفت العربُ فيه بلغاتٍ أصحُّها لغة العرب. .

وهنا كلام مهمٌّ للطَّاهر بن عاشور يذكر التَّنوع في (خطاب بني إسرائيل)، ثمَّ يذكر وجه المناسبة لكلِّ خطاب، حيث يقول في قول الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ : [هو] «خطابٌ لذريَّة يعقوب عليه السلام، وفي ذريَّته انحصر سائر الأمَّة اليهوديَّة. وقد خاطبهم بهذا الوصف دون أن يقول: (يا أيُّها اليهود)؛ لكونه هو اسم القبيلة، أمَّا اليهود فهو اسم النِّحلة والدِّيانة؛ ولأنَّ من كان متَّبعًا دين اليهوديَّة من غير بني إسرائيل كحِميَر[٢] لم يعتدَّ بهم؛ لأنهم تبع لبني إسرائيل، فلو آمن بنو إسرائيل

---

(١) انظر: التِّبيان في تفسير غريب القرآن الكريم (١/ ٨٠)، وانظر التَّفصيل والقراءات في (تفسير القرطبي) (١/ ٣٣١)، وروح المعاني (١/ ٢٤١)، انظر: إعراب القرآن وبيانه (١/ ٨٩).

(٢) حمير: أبو قبيلة من (اليمن)، وهو حمير ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهي قبيلة يمنية معروفة منذ أيام السَّبئيين، اشتدَّ نفوذها في أواخر عهد السَّبئيين، ثمَّ كوَّنت لنفسها دولة عاصمتها (ظُفار)، وقد استمر نفوذها حتَّى ظهور الإسلام، وكان لها لغة خاصَّة هي (الحميريَّة) وقد انقرضت. مؤسِّس القبيلة هو (حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب). .انظر: الصِّحاح، مادَّة: (حمر) (٢/ ٦٣٨)، وكذلك في (لسان العرب) (٤/ ٢٠٨)، وانظر: =

بالنَّبي ﷺ لآمن أتباعهم؛ لأنَّ المقلِّد تبع لمقلده»[١].

وقد جاء تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِىٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠] أنَّ هذا الخطاب للتَّذكير بنعمٍ أنعَمَ الله ﷻ بها على أسلافهم، وكراماتٍ أكرمهم بها فكان لندائهم بعنوان كونهم أبناء يعقوب عليه السلام وأعقابه مزيد مناسبة لذلك، ألا ترى أنه لما ذكروا بعنوان التَّدين بدين موسى عليه السلام ذكروا بوصف (الَّذين هادوا) في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية [البقرة: ٦٢].

وتوجيه الخطاب إلى جميع بني إسرائيل يشمل علماءهم وعامَّتهم؛ لأنَّ ما خوطبوا به هو من التَّذكير بنعمة الله ﷻ على أسلافهم وبعهد الله ﷻ لهم. وكذلك نجد خطابهم في الأغراض الَّتي يراد منها التَّسجيل على جميعهم يكون بنحو: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، أو بوصف اليهود الذين هادوا، أو بوصف النَّصارى، فأمَّا إذا كان الغرض التَّسجيل على علمائهم فنجد القرآن يعنونهم بوصف: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [النساء: ٤٧]، أو ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ٢٠].

وقد يستغنى عن ذلك بكون الخبر المسوق ممَّا يناسبُ علماءَهم

= المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١/ ٥٢)، تاريخ ابن الوردي (١/ ٥٦-٥٨)، تاريخ الإسلام (١١/ ٣١٨)، تاريخ الطَّبري (١/ ٢٦١) (١/ ٤٢٩)، معجم البلدان (٥/ ١٤-٣٥).

(١) التَّحرير والتَّنوير (١/ ٤٤٩).

خاصَّة مثل قوله ﷻ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. ونحو: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١][1]. إلى غير ذلك من الآيات. فإذا جاء الخطاب بأسلوبٍ شاملٍ لعلمائهم وعامَّتهم صرف إلى كلِّ طائفة من الطَّائفتين ما هو لائق بها .

وهنا فائدة: فقوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ، أي: (يا أولاد إسرائيل)، والأصل في (بني) أن تكون للذُّكور، لكن إذا كانت لقبيلة، أو لأمَّةٍ شملت الذُّكور والإناث، كقوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦][2].

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٦].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٦].

وهي على النَّحو الآتي:

[البقرة: ٤٠ - ٤٧ - ١٢٢]، [المائدة: ٧٢]، [طه: ٨٠]، [الصَّف: ٦].

٣ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤]:

«وصفَهم بالإيمان إثرَ تعدادِ ما يوجبه ويقتضيه تنشيطًا لهم وحثًّا على مراعاة ما يعقُبه من الأمر»[3].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٤٥٠).

(٢) انظر: المصباح المنير، مادَّة: (الابْنُ) (١/ ٦٢).

(٣) تفسير أبي السُّعود (١/ ١٧٩).

يناديهم بالصِّفة الَّتي تميِّزهم، والَّتي تربطهم بربهم ونبيِّهم، والَّتي تستجيش في نفوسهم الاستجابة والتَّلبية[١].

أمَّا عددُ الآيات الَّتي وردت فيها هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٨٩].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٨٩][٢].

وهي على النَّحو الآتي:

[البقرة: ١٠٤ - ١٥٣ - ١٧٢ - ١٧٨ - ١٨٣ - ٢٠٨ - ٢٥٤ - ٢٦٤ - ٢٦٧ - ٢٧٨ - ٢٨٢]، [آل عمران: ١٠٠ - ١٠٢ - ١١٨ - ١٣٠ - ١٤٩ - ١٥٦ - ٢٠٠]، [النِّساء: ١٩ - ٢٩ - ٤٣ - ٥٩ - ٧١ - ٩٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٤]، [المائدة: ١ - ٢ - ٦ - ٨ - ١١ - ٣٥ - ٥١ - ٥٤ - ٥٧ - ٨٧ - ٩٠ - ٩٤ - ٩٥ - ١٠١ - ١٠٥ - ١٠٦]، [الأنفال: ١٥ - ٢٠ - ٢٤ - ٢٧ - ٢٩ - ٤٥]، [التَّوبة: ٢٣ - ٢٨ - ٣٤ - ٣٨ - ١١٩ - ١٢٣]، [الحج: ٧٧]، [النُّور: ٢١ - ٢٧ - ٥٨]، [الأحزاب: ٩ - ٤١ - ٤٩ - ٥٣ - ٥٦ - ٦٩ - ٧٠]، [محمَّد ﷺ: ٧ - ٣٣]، [الحجرات: ١ - ٢ - ٦ - ١١ - ١٢]، [الحديد: ٢٨]، [المجادلة: ٩ - ١١ - ١٢]، [الحشر: ١٨]، [الممتحنة: ١ - ١٠ - ١٣]، [الصَّف: ٢ - ١٤]، [الجمعة: ٩]،

---

(١) انظر: الظِّلال (١/ ١٠٠).

(٢) وذلك موافقٌ لما ذكره ابنُ الجوزيِّ في كتابه (فنون الأفنان في عيون علوم القرآن) (ص: ٤٠٧)، وكذلك في كتابه (عجائب علوم القرآن) من [١٩٤] إلى [٢٠٢]، مع ذكره في كتابه الأخير (ما ولي المنادَى) في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ . . .

[المنافقون: ٩]، [التَّغابن: ١٤]، [التَّحريم: ٦ - ٨].

٤ - ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]:

و(الألباب) هنا: جمع لبٍّ، وهو العقل، واللُّبُّ من كلِّ شيءٍ: الخالصُ منه[١].

يعني: يا ذوي العقول .أي: يا ذوي العقول الخالصة عن شوب الأوهام. خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الإيمان تنشيطًا لهم إلى التَّأمُّل...[٢].

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٤].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٤].

وهي على النَّحو الآتي:

[البقرة: ١٧٩، ١٩٧]، [المائدة: ١٠٠]، [الطَّلاق: ١٠].

٥ - ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤]:

أ. **بيان المعنى:**

أي: من اليهود والنَّصارى، وهو كثير، وقد جاءت الصِّيغة نصًّا صريحًا في إرادة كلٍّ منهما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

---

(١) انظر: مفردات القرآن، مادَّة: (لب) (ص: ٤٤٦)، لسان العرب، مادَّة: (لبب) (٧٢٩/١)، الكليَّات (ص: ٧٩٨)، التَّعاريف (ص: ٦١٧).

(٢) انظر: تفسير أبي السُّعود (١٩٦/١)، روح المعاني (٥٢/٢).

أقول: وقد يراد به واحد منهما، وذلك بحسب القرائن كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء: ١٧١]. فقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ تجريدٌ للخطاب وتخصيصٌ له بالنَّصارى زجرًا لهم عمَّا هم عليه من الكفر والضَّلال، ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ بالإفراط في رفع شأنِ عيسى عليه السلام، وادِّعاءِ ألوهيَّتِه، وأمَّا غلوُّ اليهودِ في حطِّ رتبَتِه -عليه السَّلام- ورميِهم له بأنَّه وُلد لغير رَشْدةٍ فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق[1].

وكذلك ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٦٤]. المراد بأهل الكتاب هنا: النَّصارى؛ لأنهم هم الَّذين اتخذوا المخلوق ربًّا وعبدوه مع الله ﷻ[2]. وقد أريد بالَّذين (أوتوا الكتاب) -في هذه الصِّيغة المشابهة للصِّيغة الَّتي نحن بصددها- اليهود في قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ [النِّساء: ٤٧].

ب. ما يستفاد مما ولي المنادَى:

أقبل على خطاب أهل الكتاب بعد أن ذكر من عجائب ضلالهم، وإقامة الحجَّة عليهم، ما فيه وازع لهم لو كان بهم وَزْع[3]، وكذلك

(١) انظر: تفسير أبي السُّعود (٢/ ٢٥٩)، روح المعاني (٦/ ٢٤).

(٢) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٣/ ٢٦٨).

(٣) «وزعته أزعه وزعًا: كففته، فاتزع هو، أي: كف. وأوزعته بالشَّيء: أغريته به، فأوزع به، =

شأن القرآن أن لا يفلت فرصة تَعِنُّ من فُرَص الموعظة والهدى إلَّا انتهزها، وكذلك شأن النَّاصحين من الحكماء والخطباء أن يتوسَّموا أحوالَ تأثُّر نفوس المخاطَبين، ومظانَّ ارعوائها عن الباطل، وتبصُّرها في الحقِّ، فينجدوها حينئذٍ بقوارع الموعظة والإرشاد[(١)].

وسيأتي مزيد من البيان عند ذكر الصِّيغة.

أمَّا وصفهم بـ: (أهل الكتاب) فقد وُصفوا بأهليَّة الكتاب؛ تمهيدًا لما سيأتي من تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابهم[(٢)].

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [١٢].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [١٢].

وهي على النَّحو الآتي:

[آل عمران: ٦٤ - ٦٥ - ٧٠ - ٧١ - ٩٨ - ٩٩]، [النِّساء: ١٧١]، [المائدة: ١٥ - ١٩ - ٥٩ - ٦٨ - ٧٧].

٦ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [النساء: ٤٧]:

أ. **بيان المعنى:**

وقد جاءت هذه الصِّيغة في آية واحدة في (خطاب اليهود)[(٣)] في قول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم

= فهو موزع به، أي: مغرى به». الصِّحاح، مادة: (وزع) (١٢٩٧/٣).

(١) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٧٨/٥).

(٢) انظر: تفسير أبي السُّعود (٥٤/٣)، روح المعاني (١٧٢/٦).

(٣) انظر: تفسير الطَّبري (١٢١/٥)، روح المعاني (٤٩/٥)، ابن كثير (٥٠٩/١)، الدُّر المنثور (٥٥٥/٢)، البيضاوي (١٩٨/٢)، لباب النقول (٧٠/١)، الثَّعالبي (٣٧٩/١).

مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾ [النساء: ٤٧].

ب. ما يستفاد ممَّا ولي المنادَى:

«يتَّجه الخطاب إلى الَّذين أوتوا الكتاب، [وهم هنا] اليهود دعوة إلى الكتاب المصدِّق لما بين أيديهم، وتهديدًا لهم بالمسخ واللَّعن المتوقَّعين من وراء عنادهم وأفاعيلهم. ودمغًا لهم بالشِّرك والانحراف عن التَّوحيد الخالص، الَّذي عليه دينهم، والله ﷻ لا يغفر أن يشرك به. وفي الوقت ذاته بيان عام لحدود المغفرة الواسعة، وبشاعة الشِّرك حتى إنَّه ليخرج من هذه الحدود. إنَّه نداء لهم بالصِّفة الَّتي كان من شأنها أن يكونوا أوَّل المستجيبين، وبالسَّبب الَّذي كان من شأنه أن يكونوا أوَّل المسلمين، فهم أوتوا الكتاب، فليس غريبًا عليهم هذا الهدى. والله ﷻ الَّذي آتاهم الكتاب هو الَّذي يدعوهم إلى الإيمان بما أنزل مصدِّقًا لما معهم، فليس غريبًا عليهم ذلك، وهو مصدِّق لما معهم. ولو كان الإيمان بالبيِّنة، أو بالأسباب الظَّاهرة، لآمنت يهود أوَّل من آمن، ولكن يهود كانت لها مصالح ومطامح، وكانت لها أحقادٌ وعناد، ومن ثَمَّ لم تؤمن، ومن ثَمَّ يجيئها التَّهديد العنيف القاسي..»(١).

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [١].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [١]. وهي: [النِّساء: ٤٧].

ولكن ينبغي أن يلاحظ فيه ما جاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، هذا من جانب، ومن جانب آخر أنَّ هذه الصِّيغة -أعني:

---

(١) بقليلٍ من التَّصرُّف عن (الظِّلال) (٥/ ٦٧٦-٦٧٧).

﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ - لها ذكرٌ من غير ذِكْرِ صيغة النِّداء (يا) في مواضع متعدِّدة، فعدد الآيات الَّتي وردت فيها هذه الصِّيغة مجرَّدة عن النِّداء في [١٧] موضعًا(١)، ولستُ هنا بصدد بيان إلَّا ما جاء مسبوقًا منها بـ: (يا).

٧ - ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام:١٢٨]:

أ. بيان المعنى:

النِّداء هنا نداء مضاف -وسيأتي بيانه- و(المعشر): الجماعة الَّذين أمرهم وشأنهم واحد(٢)، بحيث تجمعهم صفة أو عمل، وهو اسم

(١) انظر الآيات التَّالية: [البقرة:١٠١، ١٤٤، ١٤٥]، [آل عمران:١٩، ٢٠، ١٠٠، ١٨٦، ١٨٧]، [النِّساء:١٣١]، [المائدة:مرَّتين في الآية: ٥، ٥٧]، [التَّوبة:٢٩]، [الحديد:١٦]، [المدَّثر: مرَّتين في الآية:٣١]، [البيِّنة:٤]. أمَّا ما كان مسبوقًا بالنِّداء فقد جاء في [النِّساء:٤٧] -كما سبق-.

(٢) وفي (تاج العروس): يقال: المَعْشَرُ كمَسْكَن: الجماعة، وقيَّده بعضهم بأنَّه الجماعة العظيمة، سمِّيت لبلوغها غاية الكثرة؛ لأنَّ (العشرة) هو العدد الكامل الكثير الَّذي لا عدد بعده إلا وهو مُرَكَّبٌ ممَّا فيه من الآحاد كأَحَدَ عَشَرَ، وكذا عشرون وثلاثون، أي: عَشَرَتان وثلاثة، المَعْشَرَ مَحلّ العَشَرَة الَّذي هو الكَثْرَةُ الكاملة. وقيل: المَعْشَرُ: أهل الرَّجُل. وقال الأزهريُّ [تهذيب اللغة، للأزهريِّ، مادَّة: (عشر) (١/ ٢٦٢)، وكذلك مادَّة: (طهر) (٦/ ١٠١)]: المَعْشَرُ والنَّفَرُ والقَوْمُ والرَّهْطُ: معناه الجمع، لا واحد لهم من لَفْظِهم، للرِّجالِ دون النِّساءِ، والعَشِيرَة أيضًا للرِّجال، والعالَمُ أيضًا للرِّجال دون النِّساء. وقال اللَّيْثُ: المَعْشَرُ: كلُّ جَماعَةٍ أَمْرُهُم واحدٌ، نحو: مَعْشَر المُسْلِمِينَ، ومَعْشَر المشركين. والجمع المعاشر. وقيل: المَعْشَرُ: الجِنُّ والإِنْسُ، وفي التَّنـزيل: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام:١٣٠]. قال شيخنا -[لعلَّه يقصد أبا عبد الله محمَّد بن الطَّيِّب بن محمَّد الفاسيِّ، المتولِّد بفاس سنة [١١١٠]، والمتوفَّى بالمدينة المنوَّرة سنة [١١٧٠] حيث قال: وهو عُمدتي في هذا الفنِّ. تاج العروس (١/ ٣)]-: ولكنَّ الإضافة تقتضِي المغايرة، وفيه أَنَّ التَّقدير: يا مَعْشَرًا هُمُ الجنُّ والإِنْسُ، فتأَمَّلْ..تاج العروس، مادَّة: (عشر) (١٣/ ٥٣-٥٤)، وانظر: لسان العرب، مادَّة: (عشر) =

جمع لا واحد له من لفظه.

وهو يُجمع على: (معاشر) أيضًا، وهو بمعناه، وهو مشتقٌّ من المعاشرة والمخالطة.

والأكثر أن يضاف (المعشر) إلى اسم يبيِّن الصِّفة الَّتي اجتمع مسمَّاه فيها، وهي هنا صفة كونهم جِنًّا؛ ولذلك إذا عُطف على ما يضاف إليه كان على تقدير تثنية معشرًا وجمْعِه، فالتَّثنية نحو: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾ [الرحمن: ٣٣]، أي: يا معشر الجنِّ ويا معشر الإنس، والجمع نحو قولك: (يا معاشر العرب والعجم والبربر)»[١].

ب. ما يستفاد ممَّا ولي المنادَى:

والجنُّ مأمورون ومنهيُّون كالإنس، وقد بعث الله عز وجل الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- من الإنس إليهم وإلى الإنس وأمر الجميع بطاعة الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-...[٢].

قول الله عز وجل: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

الرُّسل من الإنس خاصَّة لكن لما جمعوا مع الجنِّ في الخطاب صحَّ ذلك[٣].

= (٥٦٨/٤)، تهذيب اللُّغة، من (١/ ٢٥٩) إلى (١/ ٢٦٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٠٢).

(١) التَّحرير والتَّنوير (٨/ ٦٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣/ ٧٩)، دقائق التَّفسير (٢/ ١٣٥).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (٢/ ٤٥٣)، تفسير الطَّبري (٨/ ٣٦)، الكشاف (٢/ ٥١)، تفسير ابن جزي (٢/ ٢١)، تفسير أبي السُّعود (٣/ ١٨٥)، تفسير السَّمرقندي (١/ ٥١٤).

وفي إرسال الرُّسل إقامة للحجَّة عليهم، وهذا أيضًا مما يستفاد من الآية.

وفي (البرهان): «المراد: (الإنس)؛ لأنَّ الرُّسل لا تكون إلَّا من بني آدم عليه السلام.

وحكى بعضهم فيه الإجماع، لكن عن الضَّحاك[(١)]: إنَّ من الجن رسولًا اسمه (يوسف)؛ لقوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

واحتجَّ الجمهور بقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]؛ ليحصل الاستئناس، وذلك مفقود في الجن، وبقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ الآية [آل عمران: ٣٣]. أجمعوا أنَّ المراد بالاصطفاء: النُّبوة، وأجيب عن تمسُّك الضَّحاك بالآية بأنَّ البعضيَّة صادقةٌ بكون الرُّسل من بني آدم عليه السلام، ولا يلزم إثبات رسل من الجنِّ بطريق إثبات نفرٍ من الجنِّ يستمعون القرآن من رسل الإنس، ويبلِّغونه إلى قومهم وينذرونهم، ويصدق على أولئك النَّفر من حيث إنهم رسل الرُّسل، وقد سمَّى الله ﷻ رسل عيسى عليه السلام

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٨/ ٣٦)، تفسير ابن عادل (٨/ ٤٣٥)، البحر المحيط (٤/ ٢٢٥)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٣٧). وقد سبق تضعيف هذا القول، ولم يذكر هذا القول (الدُّكتور محمَّد شكري أحمد..) الَّذي جمع أقوال الضَّحاك في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، وكذلك في تفسير: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾. انظر: تفسير الضَّحاك (١/ ٣٥٢-٣٥٣)، (٢/ ٦٩١). وإنما ذكر قول الضَّحاك - الَّذي سيأتي-، وهو زعمه أنَّ في الجنِّ رسلاً.

بذلك حيث قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤]»[١].

وقيل: قوم من الجنِّ رسل للآية[٢]، ويرد عليه ما سبق.

وقد نصَّ غير واحد من أئمَّة السَّلف والخلف على الاتِّفاق على أنَّه ليس من الجنِّ رسل.. فقد قال الحافظُ ابنُ كثير: «نصَّ على ذلك مجاهدُ وابنُ جريج وغيرُ واحد من الأئمَّة من السَّلف والخلف. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرُّسل من بني آدم عليه السلام، ومن الجنِّ نذر، وحكى ابن جرير عن الضَّحاك بن مزاحم أنَّه زعم أنَّ في الجنِّ رسلًا، واحتجَّ بهذه الآية الكريمة، وفيه نظر؛ لأنها محتملة وليست بصريحة. وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابنُ جرير[٣].

والدَّليل على أنَّ الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- إنَّما هم من الإنس قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، إلى قوله عز وجل: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

وقوله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فحصر النُّبوَّة والكتاب بعد إبراهيم عليه السلام في ذرِّيته، ولم يقل أحد من النَّاس أنَّ النُّبوة كانت من الجنِّ قبل إبراهيم الخليل عليه السلام، ثمَّ انقطعت عنهم ببعثته.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٣٧)، وانظر: روح المعاني (٧/ ٢١٥).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٢/ ٤٥٣)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٣٧).

(٣) انظر: تفسير الطَّبري (٨/ ٣٦)، وانظر: تفسير الضَّحاك (١/ ٣٥٢-٣٥٣).

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان:٢٠]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف:١٠٩]، ومعلوم أنَّ الجنَّ تبعٌ للإنس في هذا الباب..»[1]. إلى آخر ما ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأدلَّة.

وقد حقَّق ابنُ تيمية -رحمه الله ﷻ- ذلك أيضًا عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة:١٢٨]، حيث قال: «قوله ﷻ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ﴾ يخصُّ قريشًا والعرب، ثمَّ يعمُّ سائر البشر؛ لأنَّ القرآن خطاب لهم، والرَّسول ﷺ من أنفسهم، والمعنى ليس بمَلَكٍ لا يطيقون الأخذ منه، ولا جني، ثمَّ يعمُّ الجنَّ؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ أرسل إلى الإنس والجنِّ، والقرآن خطاب للثَّقلين، والرَّسول ﷺ منهم جميعًا كما قال ﷻ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الأنعام:١٣٠]، فجعل الرُّسل الَّتي أرسلها من النَّوعين مع أنهم من الإنس؛ فإنَّ الإنس والجنَّ مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين؛ فإنهم يأكلون ويشربون وينكحون وينسلون ويغتذون وينمون بالأكل والشُّرب، وهذه الأمور مشتركة بينهم، وهم يتميَّزون بها عن الملائكة؛ فإنَّ الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح ولا تنسل، فصار

(١) تفسير الحافظ ابن كثير (٢/ ١٧٨)، وانظر: الدُّر المنثور (٣/ ٣٥٩)، فتح القدير (٢/ ١٦٤)، روح المعاني (٨/ ٢٨)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٣٧).

الرَّسول ﷺ من أنفس الثَّقلين باعتبار القدر المشترك بينهم الَّذي تميَّزوا به عن الملائكة حتى كان الرَّسول ﷺ مبعوثًا إلى الثَّقلين دون الملائكة...»[(١)].

ج. النَّتائج:

وممَّا سبق يتبيَّن:

١ - جاء نداء الجنِّ في الخطاب القرآني بهذه الصِّيغة، وقد بيَّنتُ ما جاء في معناها.

٢ - إنَّ الجنَّ مأمورون ومنهيون كالأنس.

٣ - الاتِّفاق على أنَّ الله ﷻ بعث الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- من الإنس خاصّةً إلى الإنس والجنِّ معًا، فإنَّ مبلِّغ الخطاب الإلهي إنما هو من الإنس لكلٍّ من الإنس والجنِّ.

٤ - إقامةُ الحجَّة على الجنِّ، وذلك بإرسال الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- إليهم.

٥ - جاء الخطاب من الجنِّ بصيغة: ﴿يَٰقَوْمَنَآ﴾ [الأحقاف: ٣٠] -وسيأتي بيان ذلك في موضعه-.

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة -﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ - من غير عطف لفظ (الإنس) فهو: [١].

أمَّا مع العطف فسيأتي عقب ما جاء من غير عطف.

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٦/ ١٩٢).

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [١].

وهي: [الأنعام: ١٢٨].

٨ - ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [الأنعام:١٣٠]:

سبقَ بيانُ معنى (معشر)، وهنا (الخطاب إلى الاثنين)، وقد سبقَ أيضًا في (تنوُّع وجوه الخطاب القرآني).

أمَّا عددُ الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٢].

أمَّا عددُ التَّكرار فهو أيضا: [٢].

وهي على النَّحو الآتي:

[الأنعام:١٣٠]، [الرَّحمن:٣٣].

٩ - ﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف:٢٦]:

أ. **ما يستفاد من النِّداء بهذه الصِّيغة، ومما ولي المنادَى**:

وهنا مسائلُ مهمَّة لها صلة وثيقة بما لهذه الصِّيغة من الدِّلالة.

فمن ذلك ما ذكره الرَّازيُّ -رحمه الله ﷻ- في (تفسيره)، حيث قال: «لا شكَّ أنَّ (اسم الولد) واقعٌ على (ولد الصُّلب) على سبيل الحقيقة، ولا شكَّ أنَّه مستعملٌ في (ولد الابن)، قال ﷻ: ﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، وقال للَّذين كانوا في زمان الرَّسول ﷺ: ﴿يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة:٤٠]، إلَّا أنَّ البحث في أنَّ لفظَ (الولد) يقعُ على (ولد الابن) مجازًا أو حقيقة.

فإن قلنا: إنَّه مجاز فنقول: ثبتَ في أصول الفقه أنَّ اللَّفظ الواحد لا

يجوز أن يستعمل دفعةً واحدة في حقيقته وفي مجازه معًا[1]، فحينئذٍ يمتنعُ أن يريد الله ﷻ بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء:١١] ولد الصُّلب وولد الابن معًا.

[قال]: واعلم أنَّ الطَّريق في دفع هذا الإشكال أن يقال: إنَّا لا نستفيد حكم (ولد الابن) من هذه الآية، بل من السُّنة ومن القياس، وأمَّا إن أردنا أن نستفيده من هذه الآية فنقول: الولد وولد الابن ما صارا مرادين من هذه الآية معًا؛ وذلك لأنَّ أولاد الابن لا يستحقُّون الميراث إلَّا في إحدى حالتين، إمَّا عند عدم ولد الصُّلب رأسًا، وإمَّا عندما لا يأخذ ولد الصُّلب كلَّ الميراث، فحينئذٍ يقتسمون الباقي. وأمَّا أن يستحقَّ (ولد الابن) مع (ولد الصُّلب) على وجه الشَّركة بينهم كما يستحقُّه أولاد الصُّلب بعضهم مع بعض فليس الأمر كذلك، وعلى هذا لا يلزم من دلالة هذه الآية على الولد وعلى ولد الابن أن يكون قد أريد باللَّفظ الواحد حقيقته ومجازه معًا؛ لأنَّه حين أريد به (ولد الصُّلب) ما أريد به (ولد الابن)، وحين أريد به (ولد الابن) ما أريد به ولد الصُّلب.

---

(١) أي: يكون اللَّفظ هنا حقيقة في (الابن) مجاز في (ابن الابن) على الرأي الأوَّل، وهو رأيُ الرَّازيِّ ومن لفَّ لفَّه..والرَّأي الآخر أنَّهُ يجوز استعمال اللَّفظ الواحد في حقيقته ومجازه معًا..انظر هذه القاعدة من كتب التَّفسير: تفسير ابن عادل (٦/ ٢٧٢)، ٢٧٣، ٢٨٦)، تفسير ابن عرفة (١/ ٣٣١، ٣٥٦)، نظم الدُّرر (٢/ ٤٠٠)، تفسير الرَّازي (٩/ ٥٠٦)، (١٠/ ١١). وانظر من المراجع الأخرى: إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد (١/ ٢٢)...إلخ..وانظر: (خطاب المعدوم) من البحث.

فالحاصل أنَّ هذه الآية تارة تكون خطابًا مع (ولد الصُّلب)، وأخرى مع (ولد الابن)، وفي كلٍّ واحدةٍ من هاتين الحالتين يكون المراد به شيئًا واحدًا. أمَّا إذا قلنا: إن وقوع اسم الولد على (ولد الصُّلب) وعلى (ولد الابن) يكون حقيقة، فإن جعلنا اللَّفظ مشتركًا بينهما عاد الإشكال؛ لأنَّه ثبت أنَّه لا يجوز استعمال اللَّفظ المشترك لإفادة معنييه معًا[1]، بل الواجب أن يجعله متواطئًا[2] فيهما كالحيوان بالنِّسبة إلى الإنسان والفرس.

والَّذي يدلُّ على صحَّة ذلك قوله ﷻ: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء:٢٣]. أجمعوا أنَّه يدخل فيه ابن الصُّلب وأولاد الابن، فعلمنا أنَّ لفظ (الابن) متواطئٌ بالنِّسبة إلى ولد الصلب وولد الابن، وعلى هذا التَّقدير يزول الإشكال.

[قال]: اعلم أنَّ هذا البحث الَّذي ذكرناه في أنَّ (الابن) هل يتناول (أولاد الابن) قائم في أنَّ لفظ الأب والأم هل يتناول الأجداد والجدَّات؟ ولا شكَّ أن ذلك واقع بدليل قوله ﷻ: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ

(١) أقول: الحاصل أنَّ منهم من يجوِّز إعمال المشترك في معنييه، (يجيز أن يراد المعنيان جميعًا)، ومنهم من يعدُّ ذلك خطبًا عظيمًا. والتَّحقيق جواز حمل المشترك على معنييه، كما حقَّقه الشَّيخ تقيُّ الدِّين أبو العباس ابنُ تيمية في (رسالته في أصول التَّفسير)، وحرَّر أنَّه هو الصَّحيح في مذاهب الأئمَّة الأربعة -رحمهم الله-، وكثير من أهل الكلام. مقدِّمة في أصول التَّفسير، لابن تيميه (٢/ ١٢)، وانظر: المسودة (ص:٣٤)، انظر: أضواء البيان (١/ ٣٣٦)، تفسير ابن عادل (٦/ ٢٧٢)، (١٣/ ٢٨١)، نظم الدُّرر (٢/ ٦٦٣)...إلخ.

(٢) سبق بيان معنى الاشتراك والتَّواطُؤ والتَّرادف.

ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

والأظهر أنَّه ليس على سبيل الحقيقة؛ فإن الصَّحابة اتفقوا على أنَّه ليس للجدِّ حكمٌ مذكور في القرآن، ولو كان اسم الأب يتناول الجَدَّ على سبيل الحقيقة لما صحَّ ذلك والله أعلم»[1].

وفي (الكليَّات) «المعنى الحقيقي للابن هو الصُّلبي، كذا للولد منفردًا وجمعًا، لكن في العرف اسم الولد حقيقة في ولد الصُّلب. واستعمال الابن والولد في (ابن الابن) مجاز؛ ولهذا صحَّ أن يقال: (إنَّه ليس ولدي، بل ولد ابني)، و(ليس ابني، بل ابن ابني) فلا بد من قرينةٍ صارفةٍ عن إرادة المعنى الحقيقي إذا استعملا في (ابن الابن) أو في معنى شاملٍ له كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فإنَّ عدم كون أحد من ولد آدم من صلبه موجودًا عند ورود الخطاب قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي[2]، فيكون المراد أبناء الأبناء فقط، لا معنى شاملا للابن الصُّلبي وابن الابن، وهذا لا يدلُّ على صحَّة استعمال لفظ الولد في المعنى الشَّامل للأولاد الصُّلبيَّة وأولاد الأبناء. [ثمَّ قال:] والحقُّ أنَّ إطلاق (الابن) على (ابن الابن) لا يستلزم إطلاق (الولد) على (ابن الابن) قطعًا؛ فإنَّ حكم لفظ (الابن) مغاير لحكم لفظ (الولد) في أكثر المواضع، وتناول لفظ الابن لابن الابن إنما يدل على تناول الولد لابن الابن أن لو كان لفظ الولد مرادفًا للفظ الابن أو كان الابن أخصُّ

---

(١) تفسير الرَّازي (٩/ ٢٠٨- ٢٠٩)، وكذلك في (تفسير ابن عادل) (٥/ ٥٣)، وانظر: البحر المحيط (٣/ ١٨٩).

(٢) وقد بيَّنتُ ذلك في (خطاب المعدوم ومن ليس منتظمًا في سلك التَّكليف وقت الوحي والإناث والعبيد والأمم الماضية).

مطلقًا من الولد، وكلاهما ممنوع؛ لأنَّ الأولاد [لا][١] تطلق عرفًا على أولاد الأبناء، بخلاف الأبناء فإنها تطلق عليها[٢] بدليل دخول الحفدة في المستأمن على أبنائه[٣]، فبينهما عموم وخصوص وجهي[٤]. فلا يلزم من تناول لفظ الابن له تناول لفظ الولد له أيضًا، ولا يطلق الابن إلَّا على الذَّكر بخلاف الولد»[٥].

ب. النَّتائج:

أ - إنَّ إطلاق اسم الولد أو الابن واقع على ولد الصُّلب على سبيل الحقيقة.

ب - لا شكَّ أنَّ الصِّيغة الَّتي معنا تتناول ابن الابن، ولكن هل يستفاد ذلك من المجاز أم من الحقيقة؟ وإذا كان من المجاز هل يلزم منه استخدام اللَّفظ الواحد في حقيقته ومجازه معًا؟ أم أنَّ يستفاد ذلك من السُّنة والقياس والإجماع؟

ج - دخول (ابن الابن) في الخطاب عند وروده ليس على سبيل الحقيقة خلافًا للحنابلة كما حقَّقتُ ذلك (في خطاب المعدوم) فأغنى

---

(١) يوجد هنا سقط [لا]، ولا يتمُّ المعنى بدونه، وهو في النُّسخة المتداولة كذلك، والَّتي قد اعتمدت هنا. مع ملاحظة أنَّ الحقيقة العرفيَّة قد تختلف باختلاف الزَّمان والمكان.

(٢) أي: تطلق عليها مجازًا للقرينة الصَّارفة الَّتي لوَّحتُ إليها في (خطاب المعدوم).

(٣) أي: مع بنيه في الأمان مع أن الأبناء حقيقة في الصُّلبيين مجاز في الحفدة .

(٤) العموم والخصوص الوجهي أن يجتمعا في شيءٍ وينفرد كلٌّ منهما في شيء كالنِّسبة بين الحيوان والأبيض.. وفي الصِّيغة الَّتي معنا قد اجتمعا - أي: الولد والابن - في الابن، وانفرد الولد في شموله للأنثى، وانفرد الابن في شموله لابن الابن.

(٥) الكليَّات (ص:٢٧)، وانظر: التَّقرير والتَّحبير (٢/ ٣٤) .

عن ذكره هنا.

د - الجمهور على أنَّه من المجاز، ويكون من باب التَّغليب، وهو مجاز لا حقيقة؛ فإنَّه ليس إلَّا التَّجريد البياني -كما سبق-.

هـ - وعلى اعتبار أنَّه من الحقيقة فإنَّ الرَّازي يرى أنَّه من المتواطئ، وليس من استخدام المشترك؛ لإفادة معنييه معًا..ويرى الرَّازي أنَّ حمل اللَّفظ على كلا الحالين (الموجود والمعدوم) يكون من المتواطئ، ويرى أنَّ الحمل على الحقيقة إن أمكن أولى من الحمل على المجاز..، وقد ذكر أنَّ اعتبار المجاز يقتضي حمل اللَّفظ على حقيقته ومجازه في آنٍ واحد فيكون حقيقة في (الابن)، مجاز في (ابن الابن)، فيكون المخرج عنده أن نجعله من المتواطئ، وهو يتناول الماهيَّات المختلفة، لكن لا من حيث هي كذلك، بل من حيث إنها مشتركة في معنى واحد. كالإنسان فإنَّ معناه لا يختلف في أفراده، ويسمَّى ذلك المعنى متواطئًا لتواطئ أفراده، أي: توافقها فيه، فإنَّ أفراد الإنسان كلُّها متوافقة في معناه من الحيوانيَّة والنَّاطقيَّة، وإنما الاختلاف بينهما بعوارض خارجة كالبياض والسَّواد والطُّول والقصر .

ولكن التَّواطؤ قد يدلُّ على ماهيَّاتٍ مختلفة وإن اتَّفقت في الأصل مثل: الإنسان والفرس أصلهما (حيوان) بينما موضوعهما حقائق مختلفة. أمَّا موضوعنا هنا فهو في حقائق غير مختلفة - إلَّا من حيث الوجود والعدم- وهي الإنسان المكلَّف..، والاعتبارات الأخرى لا محلَّ لها هنا.

وما ذكره من المحظور في استخدام المجاز حيث إنَّه يؤدي إلى استخدامِ اللَّفظ في حقيقته ومجازه في آن واحد -على ما فيه من الخلاف- قد دفعناه من حيث استخدامه في مجازه فحسب على اعتبار التَّغليب، وهو أمرٌ شائعٌ.

و - أرى أنَّ الرَّاجح هو قول الجمهور باعتبار المجاز لكن على أنَّه من باب التَّغليب، وهو سائغٌ ومعروفٌ عند العرب كما بيَّنتُ ذلك من قبل.

ز - لا شكَّ أنَّ من يقول بالحقيقة أو من يقول بالمجاز لا يرفضون الأدلَّة الأخرى من السُّنة والقياس والإجماع.

ح - ثمَّة فرقٌ بين الولد والابن فيجتمعان ويفترقان..

ط - بيان أحكام أخرى تترتَّب على ذلك.

ي - أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٥].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٥].

وهي على النَّحو الآتي:

[الأعراف:٢٦ - ٢٧ - ٣١ - ٣٥]، [يس: ٦٠].

١٠ - ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ [البقرة: ٥٤]:

أمَّا إذا أضيف المنادَى إلى النَّفس ففي ذلك أقاويل ذكرها المبرّد في (المقتضب)، وذكر أنَّ من أجودها حذف الياء، وذلك كقولك: (يا غلام أقبل)، و(يا قوم لا تفعلوا). قال الله ﷻ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ

أَجۡرًاۖ﴾ [هود: ٥١]، وقال: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦].

وكذلك كلُّ ما كان في القرآن من ذا[١]. كقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [نوح: ٢٦]. وإنما كان حذفها الوجه؛ لأنها زيادة في الاسم غير منفصلة منه معاقبة للتَّنوين حالَّة في محلِّه، فكان حذفها ها هنا كحذف التَّنوين من قولك: (يا زيد)، و(يا عمرو)، وكانت أحرى بذلك، إذ كانت تذهب في الموضع الَّذي يثبت فيه التَّنوين. وذلك إذا التقى ساكنان وهي أحدهما. تقول: (جاءني غلامي العاقل)، و(جاءني زيد العاقل)، فتحرَّك التَّنوين؛ لالتقاء السَّاكنين، وتحذف الياء؛ لالتقاء السَّاكنين، ومع ذا فإنَّ الياء والكسرة تستثقلان، والكسرة تدلُّ على الياء، إذا حذفتها دلت عليها كسرتها، وأوضحت لك المعنى. فهذا القول المختار[٢].

---

(١) أي: من ذلك القبيل.

(٢) المقتضب (٤/ ٢٤٥- ٢٤٦). وانظر: الأقوال الأخرى في (المقتضب)..، وانظر: الأصول في النَّحو، لابن السَّراج (١/ ٣٤٠)، الكليَّات (ص: ١٠٣٢)، وانظر: باب إضافة المنادى إلى نفسك..في (الكتاب) لسيبويه، بتحقيق: عبد السَّلام هارون (٢/ ٢٠٩). وقد جاء بيان ياءات الزَّوائد على الرَّسم في (النَّشر في القراءات العشر) حيث ذكر ابنُ الجزريِّ أنها تأتي في أواخر الكلم، وتنقسم على قسمين: أحدهما: ما حذف من آخر اسم منادى نحو: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ﴾ [الأعراف: ٧٩]، ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ﴾ [يونس: ٨٤]، ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: ٤]، ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الزُّخرف: ٨٨]، ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ﴾ [آل عمران: ٣٥]، وهذا القسم مما لا خلاف في حذف الياء منه في الحالين، والياء من هذا القسم (ياء إضافة) كلمة برأسها استغني بالكسرة عنها، ولم يثبت في المصاحف من ذلك سوى موضعين بلا خلاف وهما: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، و﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ [الزُّمر: ٥٣]، وموضع بخلاف، وهو =

وإنَّ افتتاح الخطاب بنحو: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إيذانٌ بأهميَّة ما سيلقى إليهم؛ لأنَّ النِّداء طلب الإقبال. ولما كان هنا ليس لطلب إقبال قومه إليه، لكن النِّداء مستعملٌ في طلب الإقبال المجازي، وهو توجيه أذهانهم إلى فهم ما سيقوله. واختيار التَّعبير عنهم بوصف كونهم قومه تحبيب لهم في نفسه ليأخذوا قوله مأخذ قول النَّاصح المتطلِّب الخيرَ لهم؛ لأنَّ المرء لا يريد لقومه إلَّا خيرًا. وحذفت ياء المتكلم من المنادى المضاف إليها على الاستعمال المشهور في (نداء المضاف إلى ياء المتكلِّم)[1].

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٣٨].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٣٨].

وهي على النَّحو الآتي:

[البقرة: ٥٤]، [المائدة: ٢٠ - ٢١]، [الأنعام: ٧٨ - ١٣٥]، [الأعراف: ٥٩ - ٦١ - ٦٥ - ٦٧ - ٧٣ - ٧٩ - ٨٥ - ٩٣]، [يونس: ٨٤]، [هود: ٢٨ - ٥٠ - ٥١ - ٦١ - ٦٣ - ٧٨ - ٨٤ - ٨٨ - ٩٢]، [طه: ٨٦ - ٩٠]، [المؤمنون: ٢٣]، [النَّمل: ٤٦]، [العنكبوت: ٣٦]، [يس: ٢٠]، [الزُّمر: ٣٩]، [غافر: ٢٩ - ٣٠ - ٣٨ - ٣٩]، [الزُّخرف: ٥١]، [الصَّف: ٥]، [نوح: ٢].

= ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الزخرف: ٦٨]... والقُرَّاء مجمعون على حذف سائر ذلك إلاَّ موضعًا اختص به (رويس)، وهو ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزُّمر: ١٦]". النَّشر في القراءات العشر (٢/ ١٧٩-١٨٠).

(١) انظر: التَّحرير والتَّنوير (١١/ ٢٣٦).

١١ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ [يوسف: ٤٣]:

(الملأ): الرُّؤساء سمُّوا بذلك؛ لأنهم مِلاءٌ بما يحتاج إليه، و(الملأ): -مهموز مقصور- الجماعة.

وقيل: أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدَّموهم الَّذي يرجع إلى قولهم[١].

وقيل: سمُّوا بذلك؛ لملاءتهم بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة الرَّأي؛ أو لأنهم يملئون العيون أبهة، والصُّدور هيبة، والجمع: (أملاء)، مثل: سبب وأسباب[٢].

وفي (تفسير أبي السُّعود): «خطابٌ للأشراف من العلماء والحكماء»[٣].

وفي (روح المعاني): «خطابٌ للأشراف ممن يُظنُّ به العلم»[٤].

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٥].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٥].

وهي على النَّحو الآتي:

[يوسف: ٤٣]، [النَّمل: ٢٩ - ٣٢ - ٣٨]، [القصص: ٣٨].

١٢ - ﴿يَـٰعِبَادِ﴾ [الزُّمر: ١٠]..، ﴿يَـٰعِبَادِىَ﴾ [العنكبوت: ٥٦]:

---

(١) انظر مادَّة: (ملأ) في (لسان العرب) (١/ ١٥٨)، تاج العروس، (١/ ٤٣٧)، تهذيب اللُّغة (١٥/ ٢٩٠).

(٢) انظر مادَّة: (ملأ) في (المصباح المنير) (١/ ٢٩٩)، التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، فصل اللام، مادَّة: (ملأ) (ص: ٦٧٣).

(٣) انظر: تفسير أبي السُّعود (٤/ ٢٨٠)، المحرَّر الوجيز (٣/ ١٣٤)، فتح القدير (٣/ ٤٣).

(٤) روح المعاني (١٢/ ٢٥٠).

والخطاب بهذه الصِّيغة يدلُّ على عبوديَّة الإنسان لله ﷻ، وأنَّ الإنسان قد خلق لأجل ذلك، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذَّاريات: ٥٦]، كما يدلُّ على العناية بأمر هذا المخلوق، وقد دلَّ على ذلك الإضافة إلى (ياء المتكلِّم)(١)..وكذلك النِّداء بـ: (يا) حيث سبق بيان ما فيه من الحكم الكثيرة، والَّتي يستفاد منها العناية بأمر المخلوق..

أ .يَا عِبَادِيَ:

أمَّا عددُ الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٢].

أمَّا عددُ التَّكرار فهو أيضًا: [٢].

وهي على النَّحو الآتي:

[العنكبوت:٥٦]، [الزُّمر:٥٣].

ب. يَا عِبَادِ:

أمَّا عددُ الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٣].

أمَّا عددُ التَّكرار فهو أيضًا: [٣].

وهي على النَّحو الآتي:

[الزُّمر:١٠ - ١٦]، [الزُّخرف:٦٨].

وهذا بالنِّسبة لقراءة حفص عن عاصم، أمَّا بيان القراءات فقد قال ابنُ الجوزي عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [العنكبوت:٥٦]. «قرأ ابن كثير ونافع

(١) قد سبق بيان ما أضيف من المنادَى إلى النَّفس في صيغة الخطاب بـ: ﴿يَـٰقَوْمِ﴾ .

وعاصم وابنُ عامر: ﴿يَـٰعِبَادِىَ﴾ بتحريك الياء، وقرأ أبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ بإسكانها»[١]. قال الشوكاني عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ [الزمر:٥٣]: »قرأ أبو عمرو ويعقوب والجحدريُّ وابن محيصن والأعمش وحمزةُ والكسائيُّ وخلف: ﴿يَـٰعِبَادِىَ﴾ بإسكان الياء، وفتحها الباقون»[٢].

وقال أيضًا[٣]: «قرأ الجمهور: ﴿يَـٰعِبَادِىَ﴾ بإثبات الياء وصلًا ووقفًا، وروى أبو بكر عن عاصم أنَّه يقف بغير ياء»[٤]. وقال عند تفسير قوله ﷻ: ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الزُّخرف:٦٨] «قرأ نافع وابنُ عامر وأبو عمرو: ﴿يَـٰعِبَادِىَ﴾ بإثبات الياء ساكنة وصلًا ووقفًا، وقرأ أبو بكر[٥] وزرُّ بن حبيش بإثباتها وفتحها في الحالين، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين»[٦].

وقد جاء توجيه هذه القراءات في (الحُجَّة): «قوله ﷻ: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [العنكبوت:٥٦]، ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ [الزمر:٥٣] يقرآن بإثبات الياء وحذفها، فالحجَّة لمن أثبت أنَّه أتى بالكلام على أصله؛ لأنَّ أصل كلِّ ياءٍ الإثبات، والفتح لالتقاء السَّاكنين، والحُجَّة

---

(١) زاد المسير (٦/ ٢٨١).
(٢) فتح القدير (٤/ ٢١٠).
(٣) أي: الشَّوكانيُّ في (فتح القدير) (٤/ ٤٧٠).
(٤) فتح القدير (٤/ ٤٧٠).
(٥) هو عاصم بن أبي النُّجود، يكنى بأبي بكر.
(٦) فتح القدير (٤/ ٥٦٣).

لمن أسكنها وحذفها لفظًا أنَّه اجتزأ بالكسرة منها وحذفها؛ لأنَّ بناء النِّداء على الحذف، والاختيار لمن حرَّك الياء بالفتح أن يقف بالياء؛ لأنها ثابتة في السَّواد»[١].

وجاء في موضع آخر في قوله ﷻ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ يقرأ بحذف الياء وإثباتها، فالحُجَّة لمن حذف أنَّه استعمل الحذف في النِّداء لكثرة دوره في الكلام، والحُجَّة لمن أثبت أنَّه أتى به على الأصل»[٢].

والحاصل أنَّ في هذه الصِّيغة ما يدلُّ على أنَّ الإنسان مخلوق لله ﷻ قد أُمِر بعبادته حتَّى يتحقَّق فيه معنى التَّكليف المتفرِّع عن العبوديَّة..، وفيها ما يدلُّ على العناية بأمر هذا المخلوق -كما أسلفتُ- من دلالة الإضافة إلى (ياء المتكلِّم)، والنِّداء بـ: (يا)..وقد كرَّمَ الله ﷻ الإنسان، وأنعم عليه بالنِّعم الكثيرة، وكلَّفه إلى حين، فإذا مات استراح من التَّكليف، وانقلب إلى ما أعدَّه الله ﷻ له من النَّعيم الدَّائم في دار الخلد والكرامة.

وإذا جحد وخالف أمر الله ﷻ فقد بيَّن له العاقبة والمآل..، والله ﷻ رحيمٌ بعباده يغفرُ لهم الذُّنوب، ويضاعفُ لهم الأجور..

ويجمع بين البشر: العبوديَّة لله ﷻ، والبنوَّةُ لآدم عليه السلام، وجميع النَّاس متساوون في أصل الكرامة الإنسانيَّة، وفي أصل التَّكليف والمسؤوليَّة، دون تمييز بينهم بسبب العرق أو اللَّون أو اللُّغة أو الجنس

(١) الحُجَّة في القراءات السَّبع (١/ ٢٨١).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣١٠).

أو الوضع الاجتماعيِّ أو غير ذلك من الاعتبارات. وإنَّ العقيدة الصَّحيحة هي الضَّمان لنمو هذه الكرامة على طريق تكامل الإنسان..

وفي الآيات أيضًا: إيماءٌ إلى بُعد درجة العبوديَّة عن مرتبة الألوهيَّة..فينبغي على المكلَّف أن يكون على بصيرة إلى ما بين خصائص الألوهيَّة وخصائص العبوديَّة من البون الشَّاسع، وأنَّ الله ﷻ قد مدَّ لهذا المخلوق جسور الأمل فكان قريبًا منه...

وفي هذه الآيات أيضًا: التَّلويح إلى غفلةِ كثيرٍ من البشر عمَّا يحقِّق لهم العبوديَّة لله ﷻ، وهو طريق السَّعادة، والحياة الطَّيِّبة، والجزاء الحسن. وأنَّ لهذا التَّكليف حِكمٌ قدَّرها الله ﷻ.

ولا يكون العبدُ متحقِّقًا بوصف العبوديَّة إلَّا بأصلين عظيمين:

١- الإخلاص لله ﷻ.

٢- متابعة الرَّسول ﷺ.

حينئذٍ يرتقي في مدارج العبوديَّة ومسالك الطَّاعات إلى سدَّة السَّعادة والنَّجاة.

١٣ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١]:

أ. بيان المعنى:

لقد جاء الخطاب هنا موجَّهًا إلى الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- بصيغة النِّداء: (يا)، وأستعرض هنا بعض أقول المفسِّرين في بيان المراد من النِّداء هنا، وما يذكر هنا يكمِّل ما ذكر في (تنوُّع وجوه المخاطَبات) .

فقد ذكر غيرُ واحدٍ من المفسِّرين أنهم لم يخاطَبوا دفعةً، بل خُوطِبَ كلٌّ منهم في زمانه بصيغةٍ مفردة؛ لأنهم أرسلوا في أزمنةٍ مختلفة[(١)].
وفي (تفسير أبي السُّعود): «فإنَّ هذا الخطاب قد حُكِي لنا بصيغة الجمع مع أنَّ كلًّا من المخاطَبين لم يخاطب إلَّا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب؟»[(٢)].
وقيل: هذا خطاب للنَّبي ﷺ والمراد به أنَّ الله ﷻ كأنَّه أخبر أنَّه قد قال لجميع الرُّسل قبله هذا القول، وأمرهم بهذا، والمعنى: كلوا من الحلال[(٣)].

والحاصل أنَّ ظاهر قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ خطاب مع كلِّ الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، ولكنَّ ذلك غير ممكن؛ لأنَّهم أرسلوا متفرِّقين في أزمنة متفرِّقة مختلفة فكيف يمكن توجيه هذا الخطاب إليهم؟ فلهذا الإشكال اختلفوا في تأويله على وجوه:

أحدها: أنَّ المعنى الإعلام بأنَّ كلَّ رسول فهو في زمانه نودي بهذا المعنى، ووصِّي به؛ ليعتقد السَّامع أن أمرًا نودي له جميع الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- ووصُّوا به حقيقٌ بأن يؤخذ به ويعمل عليه[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير أبي السُّعود (٤/ ٢٧٦)، روح المعاني (١٢/ ٢٣٩)، الكشاف (٣/ ٣٤)، البحر المديد (٥/ ٢٠)، تفسير ابن عادل (١٤/ ٢٢٥)، تفسير البيضاوي (٤/ ١٥٨).
(٢) تفسير أبي السُّعود (٦/ ١٨)، وانظر: البحر المديد (٤/ ٢٧٦).
(٣) انظر: تفسير الواحدي (٢/ ٧٤٨).
(٤) انظر: الكشاف (٣/ ٣٤)، البحر المحيط (٦/ ٣٧٧)، السِّراج المنير (٢/ ٦٤٤)، تفسير النَّسفي (٣/ ١٨١)، تفسير الرَّازي (٢٣/ ٢٨٤)، تفسير النَّيسابوري (٥/ ١٢٢-١٢٣).

وهو الرَّاجح كما سيأتي.

وثانيها: أنَّ المراد نبيُّنا ﷺ؛ لأنَّه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، وإنما ذكر على صيغة الجمع كما يقال للواحد: (أيُّها القوم كفُّوا عني أذاكم)، ومثله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وهو نعيم بن مسعود[١].

وثالثها: وهو قول الزَّجاج[٢]، واختاره الطَّبري[٣] أنَّ المراد به عيسى عليه السلام؛ لأنَّه إنما ذكر ذلك بعدما ذكر مكانه الجامع للطَّعام والشَّراب؛ ولأنَّه روى أنَّ عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمِّه[٤]. والمعنى: وقلنا لعيسى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ كلوا من الحلال الَّذي طيَّبه الله ﷻ لكم دون الحرام، ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ كما يقال للواحد: (أيُّها القوم كفُّوا عني أذاكم)..

---

(١) سبق بيان هذا القول وتخريجه..وانظر: تفسير الطَّبري (٢/ ٢٩٤)، تفسير القرطبي (١٢/ ١٢٧)، الهداية إلى بلوغ النِّهاية، لمكي (٧/ ٤٩٧٢). وتوجيه هذا القول كما في (المحرَّر الوجيز) أنَّ أن يكون الخطاب لمحمَّد ﷺ، وخرج بهذه الصِّيغة ليفهم وجيزًا أنَّ هذه المقالة قد خوطب بها كلُّ نبيٍّ أو هي طريقتهم الَّتي ينبغي لهم الكون عليها، وهذا كما تقول لتاجر: (يا تُجَّار ينبغي أن تجتنبوا الرِّبا) فأنت تخاطبه بالمعنى، وقد اقترن بذلك أنَّ هذه المقالة تصلح لجميع صنفه. انظر: المحرَّر الوجيز (٤/ ١٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٤/ ١٥).

(٣) قال ذلك محمد بن جرير الطَّبري في (تفسيره) (١٨/ ٢٨- ٢٩)، وانظر: الهداية إلى بلوغ النِّهاية، لمكي (٧/ ٤٩٧٢) .

(٤) تفسير الرَّازي (٢٣/ ١٠٤).

ب. **التَّرجيح**:

أمَّا التَّرجيح بين هذه الأقوال فإنِّي أرى ترجيح القول الأوَّل؛ لأنَّه أوفق للفظ الآية؛ ولأنَّه روي عن أمِّ عبد الله أخت شدَّاد بن أوس[(١)] أنها بعثت إلى رسول الله ﷺ بقدح من لَبَن في شدَّة الحرِّ عند فطره وهو صائم فردَّه الرَّسولُ ﷺ إليها، وقال: «**من أين لك هذا؟**» فقالت: من شاة لي، ثمَّ ردَّه، وقال: «**من أين هذه الشَّاة؟**» فقالت: اشتريتها بمالي فأخذه. ثمَّ إنها جاءته وقالت: يا رسول الله لم رددتَّه؟ فقال ﷺ: «**بذلك أمرت الرُّسل أن لا يأكلوا إلاَّ طيِّبًا، ولا يعملوا إلاَّ صالحًا**»[(٢)].

ويتبيَّن مما سبق ما لذلك الخطاب القرآني الَّذي جاء بصيغة النِّداء (يا) من أثر على الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- ينعكس على أمَّةِ كلِّ رسولٍ منهم منهجًا وعملًا وتطبيقًا؛ لأنهم الأسوةُ في ذلك -عليهم الصَّلاة والسَّلام-...

ج. **ما يستفاد مما ولي المنادَى**:

أمَّا قوله ﷻ: ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] ففيه وجهان:

---

(١) هي أمُّ عبد الله بنت أوس الأنصاريَّة أخت شدَّاد بن أوس. لها صحبة. انظر: الإصابة (٨/ ٢٥٠)، وانظر: الثِّقات، لابن حبَّان (٣/ ٤٦٣)، معرفة الصَّحابة (٦/ ٣٥٢٩).

(٢) والحديث حسن، أخرجه الطَّبراني [٤٢٨]، والحاكم [٧١٥٩]، وقال: صحيح الإسناد، عن أمِّ عبدِ الله أخت شدَّاد بن أوس. قال الهيثمي في مجمع الزَّوائد (١٠/ ٥٢١): فيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا: أحمدُ في (الزُّهد) (ص: ٣٩٨)، والطَّبرانيُّ في (مسند الشَّاميين) [١٤٨٨]، وأبو نعيم في (الحلية) (٦/ ١٠٥). قال المناوي: قال الحاكم: صحيحٌ فردَّه الذَّهبي بأنَّ أبا بكر بن أبي مريم راويه واه. التَّيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (٢/ ١٩٣)، المستدرك (٤/ ١٤٠)، [٧١٥٩].

الأوَّل: أنَّه الحلال. وقيل: طيِّبات الرزق حلال وصاف وقوام، فالحلال الَّذي لا يعصى الله ﷻ فيه، والصَّافي الَّذي لا ينسى الله ﷻ فيه، والقوام ما يمسك النَّفس ويحفظ العقل(١).

والثَّاني: أنَّه المستطاب المستلذُّ من المأكل والفواكه(٢).

وقال ابن عرفة في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، تعقيبًا على قول ابن عطيَّة وغيره: -الطَّيب هنا يجمع الحلالَ المستلذَّ، والآية تشيرُ بتبعيض (من) إلى أنَّ الحرام رزقٌ-. قال ابن عرفة: وجه دلالتها على ذلك من المفهوم؛ لأنَّ مفهومه أنَّ البعض الآخر، وهو الَّذي ليس بحلالٍ ولا مستلذٍّ غير مأذون فيه.

وعادتهم يوردون هنا سؤالًا وهو أنَّه قال في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ ، ولم يقل: (مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) مع أنَّ تلك خطابٌ للرُّسل (فهو كان يكون) أولى بهذا اللَّفظ؟ وعادتهم يجيبون بوجيهين:

الأوَّل: أمَّا إذا قلنا: إنَّ الرِّزق لا يطلق إلَّا على الحلال فنقول: لما كان الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- معصومين أُمروا أمرًا مطلقًا من

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٣٤)، تفسير البيضاوي (٤/ ١٥٨)، السِّراج المنير (٢/ ٦٤٤)، تفسير الرَّازي (٢٣/ ٢٨٤)، الكليَّات (ص: ٤٠٠).

(٢) انظر: المحرَّر الوجيز (٤/ ٥٦٦)، تفسير الرَّازي (١١/ ٢٩٠)، (٢٣/ ٢٨٤)، تفسير ابن عادل (٧/ ٢٠٤)، الخازن (١/ ١٤٠)، السِّراج المنير (٢/ ٢٧٨)، (٢/ ٦٤٤)، أحكام القرآن، للجصَّاص (٣/ ٣٠٧) .

غير تعيين الحلال، وغيرهم ليس بمعصوم، فقيِّدَ الإذنُ في الأكل له بالحلال فقط، فيكون الطَّيب على هذا المراد به: المستلذُّ.

الجواب الثَّاني: الرُّسل في مقام كمال التَّوحيد، ونسبة كلُّ الأشياء إلى الله ﷻ. وأمَّا غيرهم فليس كذلك فقد يذهل حين اقتطاف الثَّمرة، ويظنُّ أنها من الشَّجرة، ويغفل عن كون الله ﷻ هو الَّذي أخرجها منها وأنبتها فقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ حتَّى يعتقدوا حين التَّناول أنَّ ذلك الرِّزق كلُّه من عند الله ﷻ، وليس للمتسبِّب فيه صنع بوجه[1].

قال الرَّازي: «فبيَّن ﷻ أنه وإن ثقل عليهم بالنُّبوَّة وبما ألزمهم القيام بحقِّها، فقد أباح لهم أكل الطَّيبات كما أباح لغيرهم. واعلم أنَّه سبحانه كما قال للمرسلين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ فقال للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾، واعلم أن تقديم قوله ﷻ: ﴿كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ على قوله ﷻ: ﴿وَٱعۡمَلُوا صَٰلِحًا﴾ كالدِّلالة على أنَّ العمل الصَّالح لا بدَّ وأن يكون مسبوقًا بأكل الحلال، فأمَّا قوله ﷻ: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2] فهو تحذير من مخالفة ما أمرهم به، وإذا كان ذلك تحذيرًا للرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- مع علوِّ شأنهم فبأن يكون تحذيرًا لغيرهم أولى»[3].

---

(١) تفسير ابن عرفة (١/ ٥٠٥- ٥٠٦).

(٢) وهو ما ختمت به الآية، أعني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.

(٣) انظر: تفسير الرَّازي (٢٣/ ١٠٤-١٠٥)، تفسير ابن عادل (١٤/ ٢٢٦)، زاد المسير (٥/ ٤٧٧)، الخازن (٥/ ٣٨).

د. إجمال النَّتائج المستفادة:

١ - خطاب الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- بصيغة النِّداء (يا) هو من تنوُّع أساليب الخطاب في القرآن الكريم باعتبار المخاطَبين.

٢ - إنَّ خطابهم لم يكن دفعةً واحدة، وإنما خوطب كلٌّ واحد منهم في زمانه على أصحِّ الأقوال.

٣ - توضيح أثر ما ولي أداة النِّداء (يا)، وما ولي المنادى (الرُّسل) على الرُّسل أنفسهم -عليهم الصَّلاة والسَّلام-.

٤ - توضيح أثر ما ولي أداة النِّداء (يا) على أمَّةِ كلِّ رسول منهم -عليهم الصَّلاة والسَّلام-.

٥ - إنَّ الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- أسوةٌ لأممهم في الامتثال والعمل والتَّطبيق.

٦ - إنَّ لهذه الأسوة أثرٌ في تفعيلِ الخطاب بالنِّسبة للمخاطَبين.

٧ - إنَّ ما خوطبوا به مما اتفقت عليه الشَّرائع، وذلك يدلُّ على أهميَّة ما خوطبوا به، فهم متَّفقون على إباحة الطَّيبات من المآكل، وتحريم الخبائث منها، وأنهم متَّفقون على كلِّ عملٍ صالح وإن تنوَّعت بعض أجناس المأمورات، واختلفت بها الشَّرائع، فإنها كلُّها عملٌ صالح، ولكن تتفاوتُ بتفاوتِ الأزمنة؛ ولهذا فإنَّ الأعمال الصَّالحة قد اتَّفقت عليها الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- وما جاؤوا به من الشَّرائع فيها صلاحٌ للأمم، كالأمر بتوحيد الله ﷻ، وإخلاص

الدِّين له، ومحبَّته، وخوفه، ورجائه، والبر، والصِّدق، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وبرِّ الوالدين، والإحسان إلى الضُّعفاء والمساكين واليتامى، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك.

٨ - إنَّ ما خوطبوا به ينعكس أثره على أممهم، حيث يتنبَّه المخاطَبون إلى أنَّ أمرًا نودي له جميع الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، ووصُّوا به حقيقٌ بأن يؤخذ ويعمل به.

وقد سبق الكلام عن جوانب أخرى من خطاب الرُّسل بصيغة النِّداء: (يا) في (تنوُّع وجوه المخاطَبات في القرآن الكريم).

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [١].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [١].

وهي: [المؤمنون: ٥١].

١٤ - ﴿يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ [الأحزاب: ١٣]:

ولا بدَّ من الرُّجوع إلى الآية للإحاطة بما يتعلَّق بهذه الصِّيغة من معنى، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٌ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾. فقوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ﴾ أنَّثَ الفعل إشارة إلى رخاوتهم وتأنثهم في الأقوال والأفعال ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ﴾، أي: قوم كثير من موتى القلوب ومرضاها يطوف بعضهم ببعض، ﴿يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ عدلوا عن الاسم -الَّذي وسمها به النَّبي ﷺ من (المدينة) و(طيبة) مع

حسنه- إلى الاسم الَّذي كانت تدعى به قديمًا مع احتمال قبحه باشتقاقه من (الثَّرب) الَّذي هو اللَّوم والتَّعنيف إظهارًا للعدول عن الإسلام يقال: (ثرب عليه ثربًا)، و(أثرب)، بمعنى: (ثرب تثريبًا) -إذا لامه وعيَّره بذنبه وذكَّره به[١]. وأكَّدوا بنفي الجنس لكثرة مخالفتهم في ذلك فقالوا: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ ، أي: قيامًا أو موضع قيام تقومون به -على قراءة الجماعة بالفتح، وعلى قراءة حفص بالضَّمِّ-[٢] المعنى: لا إقامةَ أو موضع إقامةٍ في مكان القتال ومقارعة الأبطال، ﴿فَٱرْجِعُواْ﴾ إلى منازلكم هرابًا، وكونوا مع نسائكم أذنابًا، أو إلى دينكم الأوَّل على

---

(١) وقد جاءت هذه المعاني مختصرة في (مختار الصِّحاح): «(الثَّرب): شحم قد غشي الكرش والأمعاء رقيق، و(التَّثريب): التَّعبير والاستقصاء في اللَّوم، و(ثرب عليه تثريبًا) قبح عليه فعله، و(يثرب) مدينة رسول الله ﷺ». مختار الصِّحاح، مادَّة: (ثرب). وزاد في (المغرب): «وهي مخصوصة بالحمى». المغرب، مادَّة: (ثرب). وقد جاء مفصَّلاً في (لسان العرب)، مادَّة: (ثرب). وإن ذلك يدلُّ على أنهم عدلوا عن الاسم الَّذي وسمها به النَّبي ﷺ من (المدينة) و(طيبة) مع حسنه إلى الاسم الَّذي كانت تدعى به قديما مع احتمال قبحه كما ذكر البقاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في (نظم الدُّرر) (٦/ ٨٣).

(٢) وفي (الإتحاف): ((واختلف في ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب:١٣] فحفص بضمِّ الميم الأولى اسم مكان من (أقام)، أي: لا مكان إقامة، أو مصدرًا منه، أي: لا إقامة. وقرأ بالضَّمِّ في ثاني (الدُّخان): ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدُّخان:٥١] نافع وابن عامر وأبو جعفر، وافقهم الأعمش والباقون بالفتح فيهما مصدر قام، أي: لا قيام أو اسم مكان منه، أي: لا مكان وأجمعوا على فتح الأوَّل من (الدُّخان): ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدُّخان:٢٦]..». إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٥٢)، المحرَّر الوجيز (٤/ ٢٨)، وانظر: تفسير البيضاوي (٤/ ٣٦٧)، معاني القرآن للنَّحاس (٥/ ٣٣١)، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السَّبع (٢/ ٦٤٧)، وانظر: معاني القرآن، للزَّجاج (٤/ ٢١٩).

وجه المصارحة لتكون لكم عند هذه الجنود يد»[(١)] إلى آخر ما ذكره.

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [١].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [١].

وهي: الأحزاب: [١٣].

١٥- ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

أ. بيان المعنى:

سبق بيان أنَّه من نداء النِّسبة، وهو من المضاف إلى الخاصِّ إضافة تدلُّ على التَّشريف. وفيه «تلوين للخطاب وتوجيه له إليهنَّ[(٢)]؛ لإظهار الاعتناء بنصحهنَّ ونداؤهنَّ ههنا، وفيما بعد بالإضافة إليه عليه ﷺ؛ لأنها الَّتي يدور عليها ما يرد عليهنَّ من الأحكام، واعتبار كونهنَّ نساء في الموضعين أبلغ من اعتبار كونهنَّ أزواجًا كما لا يخفى على المتأمِّل»[(٣)].

وقد جاء في تمام معنى الآية -أعني: قوله ﷻ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] - ما يدلُّ على مكانة نساء النَّبي ﷺ، وأهميَّة الخطاب إليهنَّ بهذه الصِّيغة، وبهذا الوصف، وبهذه الإضافة الَّتي تدلُّ على التَّشريف.

(١) بقليل من التَّصرف عن (نظم الدُّرر) (٦/ ٨٣).

(٢) حيث جاء بعد قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾. [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

(٣) روح المعاني (٢١/١٤٨)، تفسير أبي السُّعود (٧ / ١٠١).

ولم يقل: كواحدة؛ لأنَّ (الأحدَ) عامٌّ يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكَّر والمؤنَّث[١]، فالمعنى: كجماعات من جماعات النِّساء إذا تقصيت أمَّة النِّساء جماعةً جماعة لم توجد فيهنَّ جماعةٌ تساويكنَّ في الفضل، لما خَصَكُنَّ الله ﷻ به من قربة بقرب رسول الله ﷺ، ونزول الوحي الَّذي بينه وبين الله ﷻ في بيوتكنَّ[٢].

«و(النِّساء) اسم جمع للمرأة لا واحد له من لفظه، والمراد به هنا: الأزواج. وإطلاق النِّساء على الأزواج شائع بالإضافة كثيرًا، نحو: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وبدون إضافة مع القرينة كما هنا، فالمراد: اعتزلوا نساءكم، أي: اعتزلوا ما هو أخصُّ الأحوال بهنَّ، وهو المجامعة»[٣].

قال الإمام الشَّافعيُّ: «وكان ممَّا خصَّ اللَّهُ به نبيَّه ﷺ قولهُ ﷻ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فحرَّم نكاح نسائه من بعده على العالمين، وليس هكذا نساء أحدٍ غيره. وقال اللَّهُ ﷻ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فَأَبَانَهُنَّ به مِنْ نساء العالمين. وقوله ﷻ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾، مثل ما وصفتُ من اتِّساع لسان

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٥٢٧).
(٢) انظر: نظم الدُّرر (٦/ ١٠١).
(٣) التَّحرير والتَّنوير (٢/ ٣٦٦).

العرب، وأنَّ الكلمة الواحدة تجمع معاني مختلفةً، وَمِمَّا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْكَمَ كثيرًا من فرائضه بوحيه، وسنَّ شرائعَ واختلافها، على لسان نبيِّه ﷺ وفي فعله. فقوله: ﴿أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ يعني في معنى دون معنى، وذلك أنَّه لا يحِلُّ لهم نكاحهنَّ بحال، ولا يحرم عليهم نكاحُ بناتٍ لو كُنَّ لهنَّ كما يحرم عليهم نكاح بنات أمَّهاتهم اللَّاتي ولدنهم، أو أرضعنهم. وذكر الحجَّة في هذا، ثمَّ قال: وقد ينـزل القرآن في النَّازلة ينـزل على ما يفهمه من أنزلت فيه كالعامَّة في الظَّاهر، وهي يراد بها الخاصُّ والمعنى دون ما سواه. والعرب تقول للمرأة: (تَرُبُّ أَمْرَهُمْ): (أُمُّنَا وَأُمُّ الْعِيَالِ)، وتقول كذلك للرَّجل يتولَّى أن يَقُوتَهُمْ: (أُمُّ الْعِيَالِ)، بمعنى أنَّه وضع نفسه موضع الأُمِّ الَّتِي تَرُبُّ أَمْرَ الْعِيَالِ»[1].

وقد سبق بيان قاعدة مهمَّة في (خطاب المدح)، وهي (تشبيه السَّلب في النُّـزول لا في العلوِّ)

ب. ومما سبق يتبيَّن ما يلي:

١ - إنَّ النِّداء إليهنَّ يشتمل على الاعتناء بالنُّصح لهنَّ، وتظهر أهميَّة النِّداء إليهنَّ بهذه الصِّيغة، وبهذا الوصف، وبهذه الإضافة.

٢ - الإضافة يترتب عليها أحكام تخصهنَّ.

٣ - الإضافة هنا إضافة تشريف.

٤ - تُظهر الإضافة ما خُصَّ به نساء النَّبي ﷺ من الفضل.

(١) أحكام القرآن، للشَّافعي (١/ ١٦٧-١٦٩).

٥ - توضيح التَّشبيه في الآية، وبيان أنَّه تشبيه السَّلب في النُّـزول لا في العلوِّ.

٦ - أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٢].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٢]. وهي: [الأحزاب: ٣٠ - ٣٢].

١٦ - ﴿يَٰقَوْمَنَآ﴾ [الأحقاف: ٣٠- ٣١]:

أ. وقد جاءت هذه الصِّيغة في الخطاب القرآني على لسان الجنِّ مرَّتين: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٣٠ - ٣١].

ب. وتدلُّ الآيتان على:

١ - وجود الجنِّ.

٢ - سماع الجنِّ للقرآن الكريم، وأنهم مخاطَبون به، ويدلُّ على ذلك أنهم أنذروا قومهم.

٣ - إثباتُ أنَّ النَّبي ﷺ مرسلٌ إلى الجنِّ كما أنَّه مرسلٌ إلى الإنس، ويدلُّ على ذلك أيضًا ما سبق من تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

ج. **أمَّا عدد الآيات** الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٢].
أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٢]. وهي: [الأحقاف: ٣٠ - ٣١].
١٧ - ﴿يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]:

أ. **الاعتبار** الحالة الَّتي يتوصَّل بها من معرفة المشاهدة إلى غيره.

وقيل: هو التَّدبر وقياس ما غاب على ما ظهر، ويكون بمعنى الاتِّعاظ إلى غير ذلك[١].

ب. **وقد استدلَّ** جمعٌ من المفسِّرين بهذه الآية على الاحتجاج بالقياس..[٢].

ورأى غيرهم أنها لا تدلُّ على القياس[٣]، وهي مسألة مختلف فيها، وهي مبسوطة في كتب أصول الفقه.

ويذكر ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ «بعض المواضع يذكر -سبحانه- الأصل المعتبر به ليستفاد حكم الفرع منه من غير تصريحٍ بذكر الفرع، كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ إلى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؛ فإنَّ

---

(١) انظر: التَّعاريف، فصل العين، (ص: ٣٧).

(٢) انظر: روح المعاني (٤/ ١٢٢)، (٢٨/ ٤١)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٧)، التَّحرير والتَّنوير (٢٨/ ٧٢)، تفسير النَّسفي (٤/ ٣٥٠)، تفسير أبي السُّعود (٨/ ٢٢٦).

(٣) ومنهم ابنُ جزي في (تفسيره)، حيث قال: «استدلَّ الَّذين أثبتوا القياس في الفقه بهذه الآية، واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها..». تفسير ابن جزي (٤/ ١٠٧)، وانظر: المحلَّى، لابن حزم (٩/ ٣٦٤)، روضة النَّاظر (١/ ٢٨٥- ٢٨٦).

هذا يحتاج إلى تفكُّر؛ ولهذا سأل عمر ﵁ عنها من حضره من الصَّحابة فأجابه ابن عباس ﵄ بالجواب الَّذي أرضاه(١).

ونظير ذلك ذكر القصص؛ فإنها كلها أمثال هي أصول قياس واعتبار، ولا يمكن هناك تعديد ما يعتبر بها؛ لأنَّ كل إنسان له في حالة منها نصيب، فيقال فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١]، ويقال عقب حكايتها: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:٢]، ويقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران:١٣]، والاعتبار هو القياس بعينه.

كما قال ابنُ عباس ﵄ لما سئل عن (دية الأصابع) فقال: هي سواء(٢). واعتبروا ذلك بالأسنان، أي: قيسوها بها، فإنَّ الأسنان

---

(١) روى البخاري عن عبيد بن عمير قال: قال عمر ﵁ يومًا لأصحاب النبي ﷺ فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا: اللَّهُ أعلم. فغضب عمر ﵁ فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عبَّاس: في نفسي منها شيءٌ يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا ابن أخي قُلْ ولا تَحْقِرْ نَفْسَكَ. قال ابن عبَّاس: ضُرِبَتْ مَثَلاً لِعَمَلٍ. قال عمر: أيُّ عملٍ؟ قال ابنُ عبَّاس: لِعَمَلٍ. قال عمر: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ﷻ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بالمعاصي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ. صحيح البخاري [٤١٧٤]. فقوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ تذييل، أي: كهذا البيان الَّذي فيه تقريب المعْقول بالمحسوس بيَّن الله ﷻ نُصحا لكم، رجاء تفكُّركم في العواقب حتَّى لا تكونوا على غفلة.

(٢) واستدلَّ على ذلك بروايات فمن ذلك: ما أخرجه البخاريُّ عن ابن عبَّاس ﵁ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «هَذِهِ وَهَذِهِ سَوَاءٌ، يَعْنِي: الْخِنْصَرَ وَالإِبْهَامَ». حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ نَحْوَهُ. صحيح البخاري [٦٣٨٧]، سنن التِّرمذي [١٣١٢]، سنن النَّسائي، [٤٧٦٤]، سنن ابن ماجه =

مستوية الدِّية مع اختلاف المنافع، فكذلك الأصابع. ويقال: اعتبرت الدَّراهم بالصَّنْجَة[1] إذا قدَّرتها بها»[2].

وممَّا سبق يتبيَّن أن معنى قوله ﷻ: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ﴾ .

أوَّلاً: احملوا أنفسكم بالإمعان في التَّأمل في عظيم قدرة الله ﷻ.

ثانيًا: الاعتبار أحد قوانين الشَّرع، والسَّعيد من اعتبر بغيره؛ لأنَّه

= [٢٦٤٢]، مسند الإمام أحمد [١٨٩٥]. وفي (سنن الدَّرامي) عن الشَّعبي قال: شهدت شريحًا، وجاءه رجلٌ من (مراد) فقال: يا أبا أميَّة ما دية الأصابع؟ قال: عَشْرٌ عَشْر [أي: عشر من الإبل] في كلٍّ [أي: في كلِّ إصبع]. قال: يا سبحان الله أسواء هاتان؟ جمع بين الخنصر والإبهام! فقال شريح: يا سبحان الله أسواء أذنك ويدك؟! فإنَّ الأذن يواريها الشَّعر والكمة والعمامة فيها نصف الدِّية، وفي اليد نصف الدِّية. ويحك إنَّ السُّنَّة سبقت قياسكم فاتَّبع ولا تبتدع؛ فإنَّك لن تضلَّ ما أخذت بالأثر، قال أبو بكر: فقال لي الشَّعبي: يا هذلي لو أن أحنفكم قُتل وهذا الصَّبي في مهده أكان ديتهما سواء؟ قلت: نعم، قال: فأينَ القياس؟! سنن الدَّرامي، كتاب المقدمة، باب تغير الزَّمان وما يحدث فيه [٢٠٠] .

(١) (الصَّنْجَة): الميزان -بفتح فسكون- ما يوضع في الميزان مقابل ما يوزن لمعرفة قدره. وقد تنطقُ بالسِّين بدل الصَّاد، وهي فارسيَّة الأصل. وكلُّ كلمةٍ لا يكون فيها حرف من (حروف الإذلاق) -وهي: (فرَّ من لبٍّ)-، فهي كلمة غير عربيَّة أصلا، أي: معربة. ومن هذه الكلمات: (الصنجة). وفي (مختار الصِّحاح): «صَنْجَةُ الميزان: ما يوزن به معرب ولا تقل سنجة». مختار الصِّحاح، مادة: (صنج) (ص:٣٧٥). وفي (الموسوعة الفقهية الكويتيَّة): «(الصَّنْجُ) لغةً: شيء يُتَّخَذ من صفرٍ يُضربُ أحدهما على الآخر وآلة بأوتارٍ يضرب بها، ويقال لما يُجعل في إطار الدُّفِّ من النُّحاس المدوَّر صغارًا: (صُنُوجٌ) أَيْضًا. ويؤخذ من استعمالات الفقهاء للفظ: (الصَّنْجَةِ) أنَّ المراد بها عندهم: قطعٌ مَعْدِنِيَّةٌ ذاتُ أَثْقَالٍ محدودة مختلفة المقادير يوزن بها. الموسوعة الفقهية الكويتيَّة (٢٨/ ٥).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية التَّفسير (١٤/ ٥٧-٥٨)، وانظر: أحكام القرآن الكريم (٥/ ٣١٧)، المستصفى (١/ ٢٩٣)، (١/ ٣٧٠)، الإبهاج (٣/ ١٠)، (٣/ ٢٧٤)، أصول السَّرخسي (٢/ ٩٣)، (٢/ ١٠٦)، (٢/ ١٢٥)، المنخول (١/ ٣٢٩)، ونحوها من كتب الأصول..

ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره.

ثالثًا: احتجَّ بالآية مثبتوا القياس فإنَّه مجاوزة من الأصل إلى الفرع، والمجاوزة اعتبار، وهو مأمور به في هذه الآية فهو واجب. ولما كان الاعتبار عظيم النَّفع، لا يحصل إلَّا للكُمَّل، زاده تعظيمًا بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ بالنَّظر بأبصاركم وبصائركم في غريب هذا الصُّنع لتحقِّقوا به ما وعدكم على لسان رسوله ﷺ من إظهار دينه، وإعزاز نبيِّه ﷺ، ولا تعتمدوا على غير الله ﷻ..[1].

رابعًا: الاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء إلى شيء؛ ولهذا سمِّيت (العَبْرة) -بفتح العين-[2] عبرة؛ لأنها تنتقل من العين إلى الخدِّ. وسمِّي (علم التَّعبير)؛ لأنَّ صاحبه ينتقل من التَّخيل إلى المعقول، وسمِّيت (الألفاظ) عبارات؛ لأنها تنقل المعاني عن لسان القائل إلى عقل المستمع.

خامسًا: في الآية دعوة إلى التَّأمُّل والنَّظر في سُنَّةُ اللهِ ﷻ ودأبه في الأمم السَّابقين واللَّاحقين، والاعتبار بما قصَّ الله ﷻ علينا من نبأهم.

سادسًا: إنَّ هذا اللَّون من ألوان الخطاب له أهميَّة عظيمة لا تخفى

---

(١) انظر: نظم الدُّرر (٧/٥١٣)، السِّراج المنير (٤/٢٥١)، تفسير ابن عادل (١٨/٥٦٧).

(٢) إنَّ العَبْرة -بفتح العين- ليست هي فقط الدَّمعة، بل الدَّمعة الَّتي تسيل على جزء من الخدِّ بعد أن تجتاز المآقي، و(المآقي): أطراف العين.

على كلِّ متأمِّلٍ؛ ولذلك قد سبق إفراده بالدِّراسة والبحث ضمن الموضوعات فيما يتعلَّق من الخطاب بحال الإنسان ومشاعره وأحاسيسه.

١٨ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ [الجمعة:٦]:

وتمام الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ .

سبق أنَّه (نداء تنبيه مع ذمٍّ)، والخطاب إلى عامَّة بني إسرائيل.

وقد جاء النِّداء مسبوقًا بـ: ﴿قُلْ﴾؛ للاهتمام بما بعد القول بأنَّه كلام يراد إبلاغه إلى النَّاس بوجه خاصٍّ منصوصٍ فيه على أنَّه مرسل بقول يبلِّغه، وإلَّا فإنَّ القرآن كلُّه مأمورٌ بإبلاغه، أي: يا أيُّها الرَّسول الَّذي هم قاطعون بأنَّه رسول الله ﷺ؛ ولهذه الآية نظائر في القرآن مفتتحة بالأمر بالقول وستأتي عند ذكر صيغة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]. و﴿هَادُواْ﴾ : تَابُوا. وقد ذكر ابن العربي في (أحكام القرآن الكريم) لهذه الكلمة أربعة من المعاني:

أحدها: «هَادَ يَهُودُ: تَابَ.

الثَّانِي: هَادَ: إذَا سَكَنَ.

الثَّالِثُ: هَادَ: فَتَرَ.

الرَّابِعُ: هَادَ: دَخَلَ فِي الْيَهُودِيَّةِ.

وقد قيل في قوله ﷻ: ﴿كُونُواْ هُودًا﴾ [البقرة:١٣٥]، أي: يهُودًا. ثمَّ حذف الياء.

فأمَّا من قال: إنَّه التَّائب يشهدُ لهُ قوله ﷻ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أَي: تُبْنَا، وكلُّ تائبٍ إلى ربِّه ساكنٌ إليه فاترٌ عن معصيته. وهذا معنى متقاربٍ»[(١)]. وقد قال الله ﷻ في الآية التَّالية: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة: ٧].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتأمَّل حرف (لا) كيف تجد في نهايته ألفًا يمتدُّ بها الصَّوت ما لم يقطعْه ضيقُ النَّفس فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها، ولن يعكس ذلك فتأمَّلْه، فإِنَّه معنى بديع، وانظر كيف جاء في أفصح الكلام، كلام الله ﷻ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ بحرف (لا) في الموضع الَّذي اقترن به (حرف الشَّرط) بالفعل، فصار من صيغ العموم، فانسحب على جميع الأزمنة، وهو قوله ﷻ: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ كأنَّه يقول: متى زعموا ذلك لوقت من الأوقات أو زمن من الأزمان، وقيل لهم: تمنَّوا الموتَ فلا يتمنَّونه أبدًا. وحرف الشَّرط دلَّ على هذا المعنى، وحرف (لا) في الجواب بإزاء صيغة العموم؛ لاتِّساع معنى النَّفي فيها..»[(٢)].

والحاصل أنَّ الله ﷻ بيَّن أنَّ كلَّ همِّهم، وكلَّ أملهم الحياة الدُّنيا، وهم يعرفون أنهم بعد الموت سينتقلون إلى العذاب بسبب ظلمهم وكفرهم.

---

(١) أحكام القرآن الكريم، لابن العربي (٢/ ٧٦٩). وينظر أيضًا مفصَّلاً في (لسان العرب)، مادَّة: (هود) (٣/ ٤٣٩).

(٢) انظر تمام كلامه في (بدائع الفوائد) (١/ ١٠٢- ١٠٣).

ولقد عاين النَّاسُ وأدركوا عظيم جبن اليهود، وكبير حرصهم على الحياة الدُّنيا. وقد قال الله عز وجل: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤﴾ [الحشر: ١٤].

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [١].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [١]. وهي: [الجمعة: ٦].

١٩ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التحريم: ٧]:

أ. **بيان المعنى:**

وقد جاء في تفسير قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧﴾ أنَّه «مقول لقول قد حذف ثقةً بدلالة الحال عليه، يقال لهم ذلك عند إدخال الملائكة إيَّاهم النَّار حسبما أمروا به، فتعريف (اليوم) للعهد، ونهيهم عن الاعتذار؛ لأنهم لا عذرَ لهم؛ أو لأنَّ العذر لا ينفعهم. ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ في الدُّنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنهما أشدَّ النَّهي، وأمرتم بالإيمان والطَّاعة على أتمِّ وجه»[1].

ونظيره في المعنى نحو قول الله عز وجل: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧﴾ [الروم: ٥٧]، ونحو: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٣٥﴾ [الجاثية: ٣٥].

---

(١) روح المعاني (١٥٨/٢٨)، وانظر: تفسير البيضاوي (٣٥٧/٥).

ب. وممَّا سبقَ يتبيَّن أنَّ الخطاب إلى الَّذين كفروا قطعٌ لأعذارهم حتَّى لا تكون لهم حُجَّة. وقوله ﷻ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ ، أي: فإنَّ هذا اليوم ليس يوم الاعتذار، فقد فات زمان الاعتذار، وصار الأمر إلى ما صار..

وسيأتي مزيد بيان عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١].

أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [١].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [١]. وهي: [التَّحريم:٧]

٢٠ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ [الانفطار:٦]:

أ. بيان المعنى:

أمَّا يتعلَّق بمعنى كلمة (إنسان) فقد سبق في (عموم الخطاب)، وكذلك الخطاب بهذه الصِّيغة.

وفي الآية ما يدلُّ على أنَّ الإنسان يتميَّزُ عن سائر المخلوقات بهذا الوصف، مكرَّمٌ ومنعم عليه، فيتحتَّم عليه أن يقابل النِّعمة بالشُّكر وأداء ما يجب عليه، وأن لا يتجرأ على عصيان من خلقه، وأنعم عليه بالنِّعم الَّتي لا تحصى، وجعل له الحياة مؤقَّتة، وهي دار اختبار له وامتحان، وأن لا ينخدع بزخرف الدُّنيا وإغواء الشَّيطان..

ب. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادَى:

قال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار:٦]، أي: «أيُّ شيءٍ خدعك وجرَّأك على عصيانه، وقد

علمت ما بين يديك من الدَّواهي التَّامَّة، والعراقيل الطَّامَّة، وما سيكون حينئذٍ من مشاهدة أعمالك كلِّها؟ والتَّعرض لعنوان كرمه ﷻ للإيذان بأنَّه ليس ممَّا يصلح أن يكون مدارًا لاغترارِه يغويه الشَّيطان، ويقول له: افعل ما شئت فإنَّ ربَّك كريم قد تفضَّل عليك في الدُّنيا وسيفعل مثله في الآخرة، فإنَّه قياس عقيم، وتمنية باطلة، بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطَّاعة، واجتناب الكفر والعصيان، كأنَّه قيل: ما حملك على عصيان ربِّك الموصوف بالصِّفات الزَّاجرة عنه الدَّاعية إلى خلافه؟!!»[1] إلى غير ذلك من الصِّفات الَّتي هي مقرِّرةٌ للرُّبوبيَّة مبيِّنةٌ لكرم الله ﷻ.

وقد خلق الله ﷻ الإنسان وكرَّمه ونعَّمه، وما جاء من صيغة النِّداء في خطاب الإنسان تدلُّ على أنَّ الله ﷻ قريب من عباده، ينبِّههم إلى ما فيه الخيرُ لهم. و(ما ولي المنادَى) فيه ما فيه من التَّذكير بالنِّعم، ونلحظ ذلك في الآية السَّابعة من (سورة الانفطار): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: ٦ - ٧]، وحيث جاء ذكر الإنسان في (سورة التِّين) قال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، فقد جاء ذكر (الإنسان) في السَّورتين، وكذلك التَّذكير بالخلق في أحسن تقويم.

قال الله ﷻ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) تفسير أبي السُّعود (٩/ ١٢١)، وانظر: البحر المديد (٨/ ٢٥٤).

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين: ١- ٨].

وقد أقسم بذلك على أنَّ الإنسان بعد أن جعل في أحسن تقويم إن آمن وعمل صالحًا كان له أجر غير ممنون، وإلَّا كان في أسفل سافلين، فتضمَّنت السُّورة بيان ما بعث به هؤلاء الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-.

ج. أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [٢].

أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٢]. وهي على النَّحو التَّالي: [الانفطار: ٦] [الانشقاق: ٦].

٢١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]:

أ. بيان المعنى:

وقد جاء النِّداء مسبوقًا بـ: ﴿قُلْ﴾، وذكر العلامة محمد الطَّاهر بن عاشور أنَّ «افتتاحها بـ: ﴿قُلْ﴾؛ للاهتمام بما بعد القول بأنَّه كلام يراد إبلاغه إلى النَّاس بوجه خاص منصوص فيه على أنَّه مرسل بقول يبلِّغه، وإلَّا فإن القرآن كله مأمور بإبلاغه، ولهذه الآية نظائر في القرآن مفتتحة بالأمر بالقول في غير جواب عن سؤال منها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ [الجمعة: ٦]، وقد سبق بيانه.

والسُّور المفتتحة بالأمر بالقول (خمس) سور: ﴿قُلْ أُوحِىَ﴾ [الجن: ١]: سورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوِّذتان،

فالثَّلاث الأول لقول يبلِّغه، والمعوِّذتان لقول يقوله لتعويذ نفسه. وابتدئ خطابهم بالنِّداء لإِبلاغهم؛ لأنَّ النِّداء يستدعي إقبال أذهانهم على ما سيلقى عليهم»[(١)].

والحاصل أنَّهم قد نودوا بوصف الكافرين؛ لأنَّهم كانوا كذلك؛ ولأنَّ في هذا النِّداء تحقيرًا لهم، واستخفافًا بهم، ولبيان أنَّهم ليسوا على شيءٍ، وتحريضًا لهم حتَّى يخرجوا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. وفيه أيضًا الإيذان بأنَّه (أي: مبلِّغ الخطاب ﷺ) لا يخشاهم فقد ناداهم بما يكرهون من الوصف، وبما يثيرُ غضبهم، وما ذاك إلَّا ثقةً بالله ﷻ الَّذي عصمه منهم وكفاه أذاهم.

وهنا قد يرد سؤال: «لم قال الله ﷻ في (سورة التَّحريم): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التَّحريم:٧]، ولم يذكر (قل)، وههنا ذكر: ﴿قُلْ﴾ ، وذكره باسم الفاعل؟ والجواب: الآية المذكورة في (سورة التَّحريم) إنما تقال لهم يوم القيامة، وثمَّة لا يكون الرَّسول ﷺ رسولا إليهم، فأزال الواسطة، وفي ذلك الوقت يكونون مطيعينَ لا كافرين، فلذلك ذكره بلفظ الماضي، وأمَّا ههنا فهم كانوا موصوفين بالكفر، وكان الرَّسول ﷺ رسولا إليهم، فلا جرم قال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ »[(٢)].

وهنا أيضا مسألة مهمَّةٌ ذكرها الرَّازي في (تفسيره) تتعلَّق بهذه الصِّيغة من الخطاب القرآني، قال: «قوله ﷻ ههنا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) انظر: التَّحرير والتَّنوير (٣٠/ ٥٣١).

(٢) تفسير الرَّازي (٣٢/ ١٤٤)، السِّراج المنير (٤/ ٦٩٩) .

ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ خطاب مع الكلِّ أو مع البعض؟ الجواب: لا يجوز أن يكون قوله ﷻ: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون:٢]..خطابًا مع الكلِّ؛ لأنَّ في الكفَّار من يعبدُ اللهَ ﷻ كاليهود والنَّصارى فلا يجوز أن يقول لهم: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾، ولا يجوز أيضًا أن يكون قوله ﷻ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون:٣-٥] خطابًا مع الكلِّ؛ لأنَّ في الكفَّار من آمن وصار بحيث يعبدُ الله ﷻ، فإذن وجب أن يُقال: إنَّ قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ خطابُ مشافهةٍ مع أقوامٍ مخصوصينَ، وهم الَّذين قالوا: نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة(١).

والحاصل أنَّا لو حملنا الخطاب على العموم دخل التَّخصيص، ولو حملنا على أنَّه خطابُ مشافهةٍ لم يلزمنا ذلك، فكان حمل الآية على هذا المحمل أولى(٢).

---

(١) وهو سبب النُّزول الَّذي ذكره الرَّازي وغيره من المفسِّرين..انظر: تفسير الطَّبري (٣٠/ ٣٣٠ - ٣٣١)، القرطبي (٢٠/ ٢٢٨)، الدُّر المنثور (٨/ ٦٥٤)، تفسير أبي السُّعود (٩/ ٢٠٦- ٢٠٧)، فتح القدير (٥/ ٥٠٨)، الواحدي (٢/ ١٢٣٧)، البغوي (٤/ ٥٣٥)، البيضاوي (١/ ٣١٠)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١/ ٣١٠)، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٦/ ٥٤٣) .

(٢) تفسير الرَّازي (٣٢/ ١٤٤).

ب. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادَى:

١ - الجمع بين الأمرِ والنِّداء يدلُّ على أهميَّة ما سيلقى إليهم؛ ولإظهار العناية بما بعد القول، فهو أمر مهمٌّ؛ لأنَّه أمر عقدي يقتضي التَّبليغ من المبلِّغ، ويقتضي الاستجابة من المخاطَبين.

٢ - لقد سبق أنَّ الخطاب بنحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ هو من (خطاب الذَّم)؛ لتضمُّنه الإهانة، ولم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين.

٣ - جاء الخطاب هنا مسبوقًا بـ: ﴿قُلْ﴾ حيث ينفع المكلَّفين الاستجابة للرَّسول المبلِّغ ﷺ، وفي الآخرة يوم الجزاء ينقطع التَّكليف فيقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ [التَّحريم:٧].

٤ - أمَّا عدد الآيات الَّتي وردت فيه هذه الصِّيغة من النِّداء فهو: [١].
أمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [١]. وهي: [الكافرون:١].

خاتمة عامَّة لما سبق

إنَّ القرآن الكريم تضمَّن نداءات يمكن تقسيمها إلى (ثلاثة) أقسام:

١- نداءاتٌ خَصَّ الله ﷻ بها المصطَفين الأخيار ممَّن اجتباهم لتبليغ رسالاته، وستأتي.

٢ - نداءات خاصَّة من وجه، وعامَّة من آخر جاءت بإحدى هذه الصِّيغ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٠٤]..، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ [الجمعة: ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التحريم: ٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

٣- نداءات أكثر عمومًا وردت بإحدى الصِّيغ التَّالية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]..، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار: ٦]..، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦]..

ولكن التَّقسيم المختار كان على حسب ترتيب المصحف بالنِّسبة لأوَّل ورود للصِّيغة؛ وذلك لكثرة تنوُّع الصِّيغ.

وقد فَرَّقتُ بين النِّداءات العامَّة إلى الخلق، والنِّداءات الخاصَّة، وجعلت النِّداءات الخاصَّة أقسامًا؛ ليسهل الرُّجوع إليها.

وقد كانت العناية والاهتمام بإيضاح (ما ولي المنادَى)، حيث يضفي ذلك صبغةً على النِّداء من حيث بيان الأهداف منه والمقاصد الَّتي ينبغي للمخاطَب أن يتنبَّه لها، والحكمة من استخدام حرف

النِّداء: (يا) من بين حروف النِّداء الأخرى في القرآن الكريم، يتجلَّى ذلك في العرض المفصَّل لآيات النِّداء (**الأداة - المنادَى** (بفتح الدال المهملة) - **ما ولي المنادَى - بيان المعنى- إجمال النَّتائج المستفادة)**.

أمَّا (ما ولي المنادَى) من أمر أو استفهام أو خبر أو غير ذلك فسيأتي ذكر مَوضِع ذلك من القرآن الكريم مستقلًّا.

❀ ❀ ❀

المطلب الثَّاني: نداء الأعلام

١ - توطئة للتَّعريف بالعلم في الخطاب القرآني.

٢ - نداء الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- في القرآن الكريم.

٣ - ما يستفاد من نداء الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام-.

٤ - نداء من اختلف في نبوته (لقمان - مريم) -عليهما السَّلام-.

٥ - نداء (مالك) -عليه السَّلام- من الملائكة.

٦ - نداء بقية الأعلام.

٧ - نداء المخلوقات الأخرى غير الجمادات.

٨ - نداء الجمادات.

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

• أوَّلًا: توطئة للتَّعريف بالعلم في الخطاب القرآني

والمقصود بالخطاب القرآني هنا: معناه الأعمُّ، وهو توطئة للدُّخول إلى معناه الأخص.

العلم نوعان: جنسيٌّ، وسيأتي، وشَخصيٌّ، وهو اسمٌ يعين مسمَّاه تعيينًا مطلقًا[1]. فخرج بذكر (التَّعيين): النَّكرات، وبذكر (الإطلاق)-ما عدا العَلَم من المعارف- فإنَّ تعيينها لمسمَّياتها تعيينٌ مقيَّد، ألا ترى أن ذا الألف واللَّام مثلًا إنما تعيَّن مسمَّاه ما دامت فيه (أل)، فإذا فارقته فارقه التَّعيين. ونحو هذا إنما يعيِّن مسمَّاه ما دام حاضرًا، وكذا الباقي[2].

ومسمَّاه نوعان:

١ - العلم الشَّخصي:

أ. أولو العلم من المذكَّرين والمؤنَّثات:

وما ورد في الخطاب القرآني من هذا النَّوع: أعلام الأنبياء والرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام، والملائكة، مثل: (مالك) عليه السلام -كما سيأتي-، وأعلام الصَّحابة كعمر بن الخطاب ﵁، وأعلام النِّساء

---

(١) قال ابن مالك ﵀:

(اسْمٌ يُعَيِّنُ الْمُسَمَّى مُطْلَقا عَلَمُهُ كَجَعْفَرٍ وَخِرْنِقَا)

ألفيَّة ابن مالك، العَلَم (ص:١٣). «قوله: (مُطْلَقا)، أي: بلا قيد التَّكلم أو الخطاب أو الغيبة، فالاسم: جنس يشمل النَّكرة والمعرفة، و(يعيِّن مسمَّاه) أخرج النَّكرة، و(بلا قيد) أخرج بقيَّة المعارف كالمضمر؛ فإنَّه يعيِّن مسمَّاه بقيد التَّكلم كأنا أو الخطاب كأنت أو الغيبة كهو». شرح ابن عقيل (١/ ١١٨).

(٢) بتصرُّف عن (أوضح المسالك) (١/ ١٢٢- ١٢٣).

كمريم ابنة عمران -عليها السَّلام-، وأسماء الكفَّار مثل: (قارون) -كما سيأتي-، ويشمل (علم الأشخاص) الاسم والكنية واللَّقب، كما قال ابن مالك في (الألفيَّة):

(واسمًا أتى وكنية ولقبًا)[١].

والمراد بالاسم هنا: ما ليس بكنية ولا لقب كزيد، وبالكنية: ما كان في أوَّله أبٌ أو أم كأبي لهب، وباللقب ما أشعر بمدحٍ كالمسيح عليه السلام وكإسرائيل، وذي القرنين، أو ذمٍّ كأنف النَّاقة[٢].

ب. أعلامُ القبائل: كعاد، وثمود، ومدين، وأصحاب الأيكة، وسبأ، وأصحاب الرَّس، والرُّوم، ونحو ذلك.

ج. أعلام البلاد والأمكنة في الدُّنيا: كمكَّة، والمدينة، ويثرب، وحنين، ومصر، ونحو ذلك.

د. أعلام الأماكن الأخرويَّة: كالفردوس، والجنَّة، والنَّار، والأعراف، والبرزخ، والكوثر، وسدرةُ المنتهى، والحور العين.

هـ .أعلام الكواكب والنُّجوم والشُّهب: كالشَّمس، والقمر، والشِّعرى، والشِّهاب.

و. أعلام الطيور: كالهدهد، والطَّير الأبابيل[٣].

وغير ذلك ممَّا سيأتي بيانه.

---

(١) ألفيَّة ابن مالك، (العَلَم) (ص:١٣) .

(٢) انظر: شرح ابن عقيل (١/ ١١٩).

(٣) انظر: الشَّواهد على القواعد من (ص:١١١-١١٦).

٢ - العلمُ الجنسي:

العلم الجنسي ليس كاسم الجنس في المعنى، بل هو معيِّنٌ لمسمَّاه، لكن ليس تعيينًا مطلقًا، بل كتعيين ما دخلت عليه (أل) الجنسية، وذلك أنكَ تقول: (هذا أسامة) تقصد به واحدًا من الأسود لا تقصد به أسدًا بعينه، فهذا لفظٌ صالح لكلِّ أسد. وسمِّي: (علم جنس)؛ لأنَّه موضوع لكلِّ فرد من أفراد الجنس، فـ (أسامة) لكلِّ أسد، و(ثُعَالة) لكلِّ ثعلب.

والحاصل أنَّه اسمٌ يُعَيِّنُ مُسَمَّاه، بغير قيدٍ تَعْيين ذِي الأَدَاة الجِنْسِيَّةِ أو الحُضُورِيَّة، فإذا قُلتَ: (أسامةُ أجرأ من ثُعالَةَ)، فهو بمنزلةِ قولِك: (الأَسَدُ أَجْرَأُ مِنَ الثَّعلَب) و(أَلْ) في الأسد والثَّعلب للجنس.

وإذا قلت: (هذا أسامَةُ مُقْبِلًا) فهو بمنزلَةِ قَولِك: (هذا الأسدُ مُقْبِلًا)، و(أَلْ) في (الأسد) لِتَعْرِيفِ الحُضُورِ[١].

وهو أنواع:

أ. **أعيان**: كإنسان، وبقرة، وذئب، وحوت، ونمل، ونحل، وعنكبوت، وجراد، وكفرعون لكلِّ من ملك (مصر)، ونحو ذلك.

ب. **أمور معنويَّة**: «كسبحان للتَّسبيح»[٢].

وينقسم العلم إلى اسم وكنية ولقب.

---

(١) انظر: قطر النَّدى (ص:٩٧)، وانظر: تعجيل النَّدى (ص:١٠٢-١٠٣)، شذور الذَّهب (ص:٢٩٠)، أوضح المسالك (١/ ١٣٢- ١٣٣) .

(٢) انظر: أوضح المسالك (١/ ١٣٣).

أمَّا (الاسم) فقد سبق التَّمثيل له، وكذلك الكنية واللَّقب.

- **ثانيًا: نداء الأنبياء في القرآن الكريم**

أمَّا التَّعريف بالرَّسول والنَّبي فقد سبق.

وأذكر هنا (نداء الأنبياء) - عليهم الصَّلاة والسَّلام- في القرآن الكريم مرتَّبة على حسب التَّرتيب الزَّمني:

١ - **نداء آدم** عليه السلام:

وهو قسمان:

القسم الأوَّل: نداء الله عز وجل له:

[البقرة: ٣٣، ٣٥]، [طـه: ١١٧].

القسم الثَّاني: نداءٌ من إبليس له:

[طـه: ١٢٠].

٢ - **نداء نوح** عليه السلام:

وهو قسمان:

القسم الأوَّل: نداء من الله عز وجل له:

[هود: ٤٦، ٤٨].

القسم الثَّاني: نداء قومه له:

[هود: ٣٢]، [الشُّعراء: ١١٦].

٣ - **نداء هود** عليه السلام:

في موضع واحد من قومه:

[هود: ٥٣].

٤ - نداء صالح عليه السلام:

في موضعين من قومه:

[الأعراف: ٧٧]، [هود: ٦٢].

٥ - نداء إبراهيم عليه السلام:

وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: نداء الله عز وجل له:

[هود: ٧٦]، [الصَّافات: ١٠٤].

القسم الثَّاني: نداء جاء على لسان والده:

[مريم: ٤٦]، [الأنبياء: ٦٢].

٦ - نداء لوط عليه السلام:

في موضعين من قومه:

[هود: ٨١]، [الشُّعراء: ١٦٧].

٧ - نداء شعيب عليه السلام:

في ثلاثة مواضع كلُّها من قومه:

[الأعراف: ٨٨]، [هود: ٨٧، ٩١].

٨ - نداء يوسف عليه السلام:

وهو قسمان، ويلاحظ حذف (يا) النِّداء فيهما:

القسم الأوَّل: نداء من عزيز (مصر):

[يوسف: ٢٩].

القسم الثَّاني: نداء من صاحبي السِّجن:

[يوسف: ٤٦].

٩ - نداء موسى عليه السلام:

وهو ستة أقسام:

القسم الأوَّل: نداء من الله عز وجل:

[الأعراف: ١٤٤]، [طـه: ١١، ١٧، ١٩، ٣٦، ٤٠، ٤٩، ٨٣]، [القصص: ٣٠]، [القصص: ٣١]، [النَّمل: ٩، ١٠].

القسم الثَّاني: نداء من قومه:

[البقرة: ٥٥، ٦١]، [المائدة: ٢٢، ٢٤]، [الأعراف: ١١٥، ١٣٤، ١٣٨].

القسم الثَّالث: نداء من فرعون:

[الإسراء: ١٠١]، [طـه: ٥٧].

القسم الرَّابع: نداء من السَّحرة:

[طـه: ٦٥].

القسم الخامس: نداء من القبطي:

[القصص: ١٩]

القسم السَّادس: نداء من النَّاصح له (مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه):

[القصص: ٢٠]

ويلاحظ أن مجموع نداءات موسى عليه السلام في (أربعة وعشرين) موضعا.

١٠ - نداء هارون عليه السلام:

في موضع واحد من موسى عليه السلام:

[طه: ٩٢]

١١ - نداء زكريا عليه السلام:

وهو في موضع واحد من الملائكة:

[مريم: ٧]

١٢ - نداء عيسى عليه السلام:

وهو قسمان:

القسم الأوَّل: نداء من الله عز وجل:

[آل عمران: ٥٥]، [المائدة: ١١٠، ١١٦].

القسم الثَّاني: نداء من الحواريين:

[المائدة: ١١٢].

١٣ - نداء الرَّسول صلى الله عليه وسلم، **أو النَّبي** صلى الله عليه وسلم:

لا بدَّ أوَّلًا من بيان اهتمام الرَّسالة بنداءات النَّبي أو الرَّسول صلى الله عليه وسلم، حيث إنَّه صلى الله عليه وسلم الرَّسول الخاتم، ومبلِّغ الخطاب القرآني، وله ما له من الفضل الَّذي سبق بيان بعضها في صفات المبلَّغ صلى الله عليه وسلم.

أ. أمَّا (**نداءُ الرَّسول**) صلى الله عليه وسلم ففي موضعين:

[المائدة: ٤١، ٦٧].

ب. وأمَّا (**نداء النَّبي**) صلى الله عليه وسلم ففي [١٣] موضع:

[الأنفال: ٦٤، ٦٥، ٧٠]، [التَّوبة: ٧٣]، [الأحزاب: ١، ٢٨،

٤٥، ٥٠، ٥٩]، [الممتحنة: ١٢]، [الطَّلاق: ١]، [التَّحريم: ١، ٩].

ج. وقد جاء (**نداء النَّبي**) ﷺ **إلى قومه بلفظ: (قل)**، وهي على النَّحو التَّالي:

[الأنعام: ١٣٥]، [الأعراف: ١٥٨]، [يونس: ١٠٤، ١٠٨]، [الحج: ٤٩]، [الزُّمر: ٣٩]، [الجمعة: ٦]، [الكافرون: ١].

د. وقد جاء (**نداء النَّبي**) ﷺ **على لسان الكافرين** في [الحجر: ٦].

هـ. ما كان وصفًا لحاله:

[المدَّثر: ١]، [المزَّمل: ١].

وقد سبق ذكر لذلك في (صيغ مخاطبة مبلِّغ الخطاب القرآني).

و. نماذج من مقاصد من الخطاب بصيغة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ :

وأعرض هنا للسُّورة الَّتي تكرَّر فيها النِّداء بصيغة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ (خمس مرَّات)، وهي (سورة الأحزاب)، فإنَّ «افتتاح السُّورة بخطاب النَّبي ﷺ[(١)]، وندائه بوصفه مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السُّورة يتعلَّق بأحوال النَّبي ﷺ. وقد نودي فيها (خمس مرَّات) في افتتاح أغراض مختلفة من التَّشريع بعضها خاصٌّ به وبعضها يتعلَّق بغيره وله ملابسة به.

فالنِّداء الأوَّل؛ لافتتاح غرض تحديد واجبات رسالته نحو ربِّه ﷻ.

---

(١) يعني قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ [الأحزاب: ١].

والنِّداء الثَّاني(١)؛ لافتتاح غرض التَّنويه بمقام أزواجه واقترابه من مقامه.

والنِّداء الثَّالث(٢)؛ لافتتاح بيان تحديد تقلُّبات شؤون رسالته في معاملة الأمَّة.

والنِّداء الرَّابع(٣) في طالعَة غرض أحكام تزوجه وسيرته مع نسائه.

والنِّداء الخامس(٤) في غرض تبليغه آداب النِّساء من أهل بيته ومن المؤمنات.

فهذا النِّداء الأوَّل افتتح به الغرض الأصلي لبقية الأغراض، وهو تحديد واجبات رسالته في تأدية مراد ربه ﷻ على أكمل وجه دون أن يفسد عليه أعداء الدِّين أعماله، وهو نظير النِّداء الَّذي في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]. ونداء النَّبي ﷺ بوصف النُّبوءة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف؛ ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به

(١) يعني قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨].

(٢) يعني قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥].

(٣) يعني قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

(٤) يعني قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

غيره؛ ولذلك لم يناد في القرآن بغير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، أو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ بخلاف الإخبار عنه فقد يجيء بهذا الوصف كقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨]، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠]، ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ويجيء باسمه العلم كقوله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد يتعيَّن إجراء العلم ليوصف بعده بالرِّسالة كقوله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وتلك مقامات يقصد فيها تعليم النَّاس بأنَّ صاحب ذلك الاسم هو رسول الله ﷺ، أو تلقين لهم بأن يسمُّوه بذلك ويدعوه به، فإنَّ عِلم أسمائه من الإيمان لئلَّا يلتبس بغيره»[١].

ز. ما يكون بعد نداء النَّبي ﷺ في القرآن:

جاء النِّداء للنَّبي ﷺ في القرآن الحكيم -كما سبق- في (سبعة عشر) موضعًا جاء في غالبها بعد النِّداء الطَّلب، ففي (عشرة) مواضع منها جاء بعد النِّداء الأمرُ، وهي قوله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال: ٧٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣].

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (٢١/٢٤٩ - ٢٥٠).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الأحزاب: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل: ١- ٢].

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ١ - ٢].

وفي موضعين جاء عقب النِّداء النَّهي، إمَّا مباشرة، وهو قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١].

وإمَّا معطوفًا على الأمر، وهو قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الأحزاب: ١].

وفي موضع واحد جاء بعد النِّداء للنَّبي ﷺ الاستفهام، وذلك في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾ [التحريم: ١].

أمَّا المواضع الَّتي جاء فيها بعد النِّداء الخبرُ فهي (خمسة):

وهي قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤].

وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ [الممتحنة: ١٢].

وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ﴾ [الطلاق: ١].

ح. **إجمال ما يستفاد من المعاني الَّتي تضمَّنتها آياتُ النِّداء للنَّبي ﷺ**:

بعد النَّظر في الآيات السَّابقة يمكن أن نُقَسِّم المعاني الَّتي تضمَّنتها هذه الآيات إلى ما يلي:

١ - الأمر بإبلاغ الرِّسالة وما يتعلَّق بها، كالحذر من المعوِّقات مع ذكر أركان هذه الرِّسالة وصفاتِ المرسل بها والبيعة عليها.

٢ - الحثُّ على الجهاد في سبيل الله ﷻ، وتأييد الله ﷻ لرسوله ﷺ، كبيان بعض أحكامه، مع التَّصديق بموعود الله ﷻ، والثِّقة بنصره وتأييده لرسوله ﷺ والمؤمنين وكفايته ورعايته لهم.

٣ - الأمر بتقوى الله ﷻ بفعل الطَّاعات، والبعد عن المخالفات.

٤ - بيان بعض الأحكام المتعلِّقة بالنِّساء، كتخييرهنَّ بين البقاء معه أو تخلية سبيلهنَّ، وبيان ما أحلَّ الله ﷻ له من النِّساء، وبيان بعض

أحكام الطَّلاق.

● **ثالثًا: ما يستفاد من نداء الرُّسل - عليهم الصَّلاة والسَّلام-**

أمَّا نداءُ الله ﷻ للرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- فهو لتبليغ الخطاب إليهم، ولبيان أهليتهم لتلقِّي الخطاب، ولتُعْلم عند المخاطَبين مكانتهم..، وأنَّ الله ﷻ قد اصطفاهم واختارهم من بين الخلق للتَّبليغ، فكانوا أهلًا للتَّبليغ، وأسوةً للخلق في العمل والتَّطبيق، وتفعيل ألفاظ الخطاب في الواقع..

وأما نداء الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- إلى أقوامهم فهو لتبليغهم الخطاب، وبيانه لهم، وإفادتهم ما لا يستقلُّون بمعرفته، وقطع أعذارهم..، كما أنَّ (خطاب الرُّسل) -عليهم الصَّلاة والسَّلام- فيه: التَّشريع والتَّنظيم لما يعتري المكلَّفين من الأحوال الَّتي تكون محلَّ نزاع فيما بينهم..، وفي هذه التَّشريعات تنظيم لمرور الإنسان وسيره في طريق الحياة، وفيها منع الصِّدام بين المكلَّف وغيره، حماية له من الخطر أن يصيبه هو، أو يصيب غيره من جرَّاء انطلاقه من غير قيود ولا حدود.

ولأنَّ العقل البشري إذا خلا من الإيمان بالله ﷻ الَّذي جاء به الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- اشتغل تلقائيًّا بالإيمان بسواه، سيؤمن مثلًا بهواه فيتبعه على نحوٍ بهيميٍّ ليس له ضابط(١)، سيؤمن بالمال فيجعله إلهه المعبود، سيؤمن باللَّذة فيتحلَّل من كلِّ ضابط..سيؤمن

---

(١) يقول الله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

بفكر فلانٍ أو فلان من شياطين الإنس، وتعصف به رياح الأهواء وتتجاذبه..إلى غير ذلك.

والقرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى حيث يقول الله ﷻ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس:٣٢]، أي: لا فراغ ولا يمكن أن يرتفع النَّقيضان.

يقول ابن القيِّم رحمه الله:

(هربوا من الرِّقِّ الَّذي خلقوا له — فبلو برقِّ النَّفس والشَّيطانِ)

(لا ترض ما اختاروه هم لنفوسهم — فقد ارتضوا بالذُّل والحرمانِ)

(لو ساوت الدُّنيا جناح بعوضة — لم يسق منها الرَّب ذا الكفرانِ)[1].

ولم أتعرَّض هنا لبيان كلِّ صيغة من صيغ نداء الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- لأقوامهم؛ لكثرتها؛ ولأنَّ الهدف من بعثة الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- واحد، وحيث جاء ذلك مبيَّنًا في (الفصل الأوَّل)، ومما يدلُّ على ذلك على سبيل المثال قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]، إلى غير ذلك.

---

(١) متن القصيدة النُّونية (ص:٣٠٨).

- **رابعًا: نداء من اختلف في نبوَّته**

(لقمان - مريم) عليهما السَّلام

وأمَّا نداء من قيل: إنَّه كان نبيًّا، والأكثر على خلافه: (لقمان) -عليه السَّلام-[(١)].

وقد جاء النِّداء في وصيته لابنه في [لقمان:١٣].

أمَّا نداء من اختلف في نبوَّتها (مريم -عليها السَّلام-) فقد ذكر البعض الإجماع على كون مريم -عليها السَّلام- ليست نَبِيَّة -كما بيَّنتُ ذلك في (الوحي)-، وذكرت أنَّ القول بالإجماع مجانب للصَّواب على القول الصَّحيح في التَّفريق بين النُّبوَّة والرِّسالة، وكون مريم -عليها السَّلام- نَبِيَّة مختلف فيه كما ذكر القرطبيُّ في (تفسيره)[(٢)].

قلت: وذلك الاختلاف يرجع إلى أنَّ هذا الأمر مسكوت عنه، لا دليل يثبته، ولا دليل ينفيه، وإن كان الإجماع صحيح على كونها ليست مرسَلة، وذلك للنَّص القرآني.

والنِّداء لمريم -عليها السَّلام- أقسام:

القسم الأوَّل: نداء من زكريَّا عليه السلام: [آل عمران:٣٧].

القسم الثَّاني: نداء من الملائكة: [آل عمران:٤٢، ٤٣، ٤٥].

القسم الثَّالث: نداء من قومها: [مريم:٢٧].

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٢١/ ٦٧- ٦٨)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٤- ٤٤٦)، الدُّر المنثور (٦/ ٥١٦)، تفسير السَّمرقندي (٣/ ٣٧٠)، الإتقان (٢/ ٣٧٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٨٣).

- **خامسا: نداء (مالك)- عليه السَّلام - من الملائكة**

أ. في موضع واحد من أهل النَّار:

[الزُّخرف: ٧٧]

ومالك عليه السلام هو: هو (خازنُ جهنَّم)[١]، أو يقال: (خازنُ النَّار)[٢]، والمعنى واحد.

وقد جاء في خطاب أهل النَّار لمالك عليه السلام مادَّة النِّداء (نَادَوْا)، وكذلك أداة النَّداء (يا) في قول الله عز وجل: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾. والجمع بينهما في خطابهم يدلُّ على شدَّة ما هم فيه من الكرب والغمِّ.

وقراءة: ﴿يا مال﴾ -بحذف الكاف- على التَّرخيم؛ للإشارة إلى أنَّ العذاب أوهنهم عن إتمام الكلام، ولذا قالوا: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا﴾.

وفي (الكشاف): «حسَّن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم؛ لضعفهم وعظم ما هم فيه»[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (١٨/ ٥٧)، (٢٥/ ٩٨)، القرطبي (١٦/ ١١٦)، روح المعاني (٣٠/ ٣٥)، تفسير ابن كثير (٣/ ٨)، (٣/ ١٦)، (٣/ ٢٢)، الدُّر المنثور (٥/ ٢١٥).

(٢) انظر: الطَّبري (١٨/ ٥٩)، (٢١/ ١١٢)، (٢٥/ ٩٩)، القرطبي (٧/ ٢٠٤)، (١١/ ٤٦)، (١٦/ ٩٥)، (١٦/ ١٥٠)، (١٩/ ٢٤٠)، روح المعاني (٨/ ١٢٣)، ابن كثير (٣/ ٤٦٤).. إلخ.

(٣) الكشاف (٣/ ٤٩٦)، وانظر: تفسير أبي السُّعود (٨/ ٥٥)، روح المعاني (٢٥/ ١٠٣)، تفسير البيضاوي (٥/ ١٥٣)، النَّسفي (٤/ ١٨١)، نظم الدُّرر (٧/ ٥٣)، المحرَّر الوجيز (٥/ ٦٤)، «قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ: (يا مَالِ)، فقال: «ما أشغلَ أهلَ النَّار عن التَّرخيم». وأجيب عنه: بأنَّه إمَّا حَسُنَ التَّرخيم؛ لأنهم بلغوا من الضَّعف =

«فإن قلت: كيف قال: ﴿وَنَادَوْا يَمَلِكُ﴾ بعد ما وصفهم بالإبلاس؟[(١)] قلت: تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدَّة، فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتًا لغلبة اليأس عليهم، وعلمهم أنَّه لا فرج لهم، ويغوِّثون[(٢)] أوقاتًا لشدَّة ما بهم ﴿مَّكِثُونَ﴾ لابثون»[(٣)].

وجروا على عادتهم في الغباوة والجلافة فقالوا: ﴿رَبِّكَ﴾، أي: المحسن إليك فلم يروا لله ﷻ عليهم إحسانًا وهم في تلك الحالة، فلا شكَّ أنَّ إحسانه ما انقطع عن موجود أصلًا، وأقل ذلك أنَّه لا يعذِّب أحدًا منهم فوق استحقاقه؛ ولذلك جعل النَّار دركات كما كانت

= والنَّحافةِ إلى حيث لا يمكن أن يذكروا من الكلمة إلاَّ بعضها. وقرأ أبو السَّرار الغَنَوِيُّ: (يا مَالُ) مَبْنِيا على الضَّمِّ على لغة من لا ينوي. انظر: الكشاف (٣/ ٤٩٦)، روح المعاني (٢٥/ ١٠٢)، البحر المديد (٧/ ٣٤). وانظر قراءة ابن مسعود ﵁ أيضا في (تفسير الطَّبري) (١/ ٩١)، تفسير الثَّوري (ص: ٢٧٤). وفي (البحر): «وقرأ الجمهور: ﴿يَمَلِكُ﴾. وقرأ عبد الله، وعليّ، وابن وثاب، والأعمش: (يا مال)، بالتَّرخيم، على لغة من ينتظر الحرف». البحر المحيط (٨/ ٢٧)، فتح القدير (٤/ ٨٠٤). وفي (زاد المسير): «وقرأ علي بن أبي طالب ﵁، وابن مسعود ﵁، وابن يعمر: (يا مالِ) -بغير كاف مع كسر اللام-». زاد المسير (٧/ ٣٢٩). قال الزَّجاج: وهذا يسمِّيه النَّحويون: التَّرخيم، وهو كثيرٌ في الشِّعر في (مالك)، و(عامر)، ولكنِّي أكرههما لمخالفة المصحف. معاني القرآن، للزَّجاج (٤/ ٤٢٠)، وانظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري (١/ ٣٦١).

(١) أي في الآيات السَّابقة: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزُّخرف: ٧٤- ٧٦].

(٢) (غَوَّثَ الرَّجُلُ): قال واغوثاهُ. انظر: الصِّحاح، مادَّة: (غوث) (١/ ٢٨٩). وفي (تاج العروس): «غَوَّثَ الرَّجُلُ، واستغاثَ: صاح: واغَوْثَاهُ، وتقول: ضُرِبَ فلانٌ فَغَوَّثَ تَغْوِيثًا، قال: واغَوْثَاهُ». تاج العروس، مادَّة: (غوث) (٥/ ٣١٣)، لسان العرب (٢/ ١٧٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٩٦)، روح المعاني (٢٥/ ١٠٢).

الجنَّة درجات..»[١].

و«جملة ﴿وَنَادَوْاْ﴾ حال من ضمير: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٢]، أو عطف على جملة: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾. وحكي نداؤهم بصيغة الماضي مع أنَّه مما سيقع يوم القيامة، إمَّا لأنَّ إبلاسهم في عذاب جهنَّم، وهو اليأس يكون بعد أن نادوا: ﴿يَـٰمَـٰلِكُ﴾، وأجابهم بما أجاب به، وذلك إذا جعلت جملة: ﴿وَنَادَوْاْ﴾ حاليَّة، وإمَّا لتنـزيل الفعل المستقبل منـزلة الماضي في تحقيق وقوعه تخريجًا للكلام على خلاف مقتضى الظَّاهر نحو قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]، وهذا إن كانت جملة: ﴿وَنَادَوْاْ﴾ إلخ معطوفة. و﴿مَـٰلِكُ﴾ (المنادَى): اسم الملَك الموكَّل بجهنَّم. خاطبوه ليرفع دعوتهم إلى الله ﷻ شفاعة. واللام في ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: (لام الأمر) بمعنى الدُّعاء. وتوجيه الأمر إلى الغائب لا يكون إلَّا على معنى التَّبليغ كما هنا، أو تنـزيل الحاضر منـزلة الغائب لاعتبار مَّا مثل التَّعظيم في نحو قول الوزير للخليفة: (لِيَرَ الخليفة رأيه). و(القضاء) بمعنى: الإماتة كقوله ﷻ: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، سألوا الله ﷻ أن يزيل عنهم الحياة؛ ليستريحوا من إحساس العذاب. وهم إنما سألوا الله ﷻ أن يميتهم فأجيبوا بأنهم

---

(١) نظم الدُّرر (٧/ ٥٣)، وانظر: السِّراج المنير (٣/ ٦٧٩).

(٢) وتمام الآيات: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٧].

ماكثون جوابًا جامعًا لنفي الإماتة، ونفي الخروج، فهو جواب قاطع لما قد يسألونه من بعدُ»[(١)].

ب. إجمال ما يستفاد من صيغة النِّداء ومما ولي المنادَى:

١ - الجمع في خطابهم بين مادَّة النِّداء (نَادَوْا)، وكذلك أداة النَّداء (يا) يدلُّ على شدَّة ما هم فيه من الكرب والغمِّ.

٢ - إنَّ من الملائكة من لهم مهامٌّ مختلفة لا يعصون الله ﷻ فيما أمرهم، ومن هذه المهام: ما كلِّف به (مالك) عليه السلام من كونه خازنًا للنَّار.

٣ - بيان حال أهل النَّار من الضَّعف والوهن، وأنَّه لا شفاعة لهم تنقذهم أو ترفع عنهم العذاب، وأنهم لا يظلمون، بل يجزون ما كانوا يعملون في الدُّنيا.

٤ - إن ما جاء من ذكر أحوال أهل النار إنما هو من الغيبات التي لا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق السمع، فيقتصر في ذلك على ما ورد من صحيح الكتاب والسنة.

٥- إن دخولهم النار بسبب رفضهم قبول الحق واستعلائهم. قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف:٧٨]، ثم بين حالهم من الغفلة والانغماس في أوحال المعاصي، فقال سبحانه: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا

(١) التَّحرير والتَّنوير (٢٥/ ٢٥٩-٢٦٠).

نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٩-٨٠]. والله ﷻ ليس بغافل عما يعمل الظالمون، ولهم يوم يقفون فيه بين يدي الله ﷻ ويحاسبون.

- **سادسًا: نداءُ بقيَّة الأعلام**

وأذكر هنا عقب ما ذكر من نداء أهل الفضل والتَّشريف بقيَّة الأعلام وهم: (إبليس، فرعون، هامان، السَّامري).

١ - نداء إبليس

أ. أمَّا نداء إبليس من الله ﷻ ففي موضعين :
[الحجر: ٣٢]، [ص: ٧٥].

ب. **بيان ما يستفاد مما ولي المنادَى:**

وفي بداية الأمر يذكر الله ﷻ خلق آدم ﵇ في ملائكته قبل خلقه له، وتشريفه إيَّاه بأمره الملائكة بالسُّجود له. ويذكر تخلُّف إبليس عدوَّه عن السُّجود له من بين سائر الملائكة، حَسَدًا وكفرًا، وعنادًا واستكبارًا، وافتخارًا بالباطل، ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٣٣]، ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٦٢].

وقد ذكر جمعٌ كبيرٌ من المفسِّرين ما قاله ابنُ عباس ﵄ من أنَّ أوَّل

من قاس إبليسُ فأخطأ القياس، فمن قاس الدِّين بشيءٍ من رأيه قرنه الله ﷻ مع إبليس. وذكروا ما قاله الحسن وابن سيرين: ما عبدت الشَّمس إلَّا بالقياس[١].

أقول: وتوجيه خطأ إبليس في القياس أن يقال: إنَّ إبليس قد استعمل القياس في إثبات أنَّه خير من آدم ﷺ لئلا يسجد له حينما أُمِر بالسُّجود له فيما حكاه الله ﷻ عنه: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]. وهو قياس من الشَّكل الأوَّل[٢] حذفت منه

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٨/ ١٣١)، وانظر: القرطبي (٧/ ١٧١)، روح المعاني (٨/ ٨٩)، الدُّر المنثور (٣/ ٤٢٥)، ابن كثير (٢/ ٢٠٤)، الثَّعالبي (٢/ ٦)، البغوي (٢/ ١٥٠)، فتح القدير (٢/ ١٩٣)، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٥/ ٥)، (١٦/ ٢٤٠). وأورد ابن كثير ما ذكره الطَّبري: «..عن الحسن في قوله ﷻ: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢] قال: قاس إبليس، وهو أوَّل من قاس. [قال] إسناده صحيح..وعن ابن سيرين قال: أوَّل من قاس إبليس، وما عبدت الشَّمس والقمر إلاَّ بالمقاييس. [قال] إسناد صحيح أيضًا». تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٤).

(٢) الشَّكل الأوَّل: ما كان الحدُّ الأوسط فيه محمولاً في الصُّغرى، موضوعًا في الكبرى، مثل: كلُّ طائرٍ حيوان، وكلُّ حيوانٍ متنفِّس = كلُّ طائرٍ متنفِّس.. وشرطه: ١- أن تكون مقدِّمته الصُّغرى موجبة. ٢- أن تكون مقدِّمته الكبرى كلِّيَّة. فإن فقد الشَّرط الأوَّل وكانت الصُّغرى سالبة صدقت النَّتيجة مرَّة وكذبت أخرى، والنَّتيجة لا بدَّ أن يطَّردَ صدقُها. فلو قلنا: لا شيء من الفضَّة بذهب، وكلُّ ذهبٍ معدن، فالنَّتيجة = لا شيء من الفضَّة بمعدن، وهي كاذبة مع صدق المقدِّمتين. وإنما نشأ كذب النَّتيجة من الإخلال بالشَّرط الأوَّل، وهو إيجاب الصُّغرى. وكذلك لو فُقِد الشَّرط الثَّاني، وكانت الكبرى جزئيَّة فإنَّ النَّتيجة أيضًا تكذب، مثل: كلُّ نبات قمح، وبعض النَّبات ورد، فالنَّتيجة = بعض القمح ورد، وهي كاذبة مع صدق المقدِّمتين؛ وذلك لفقد الشَّرط الثَّاني، وهو كلِّيَّة الكبرى. قال صاحب السُّلَّم: =

المقدِّمة الثَّانية للعلم بها. ونظمه هكذا: أنا مخلوق من النَّار، وآدم مخلوقٌ من الطِّين، وكلُّ مخلوقٍ من النَّار خيرٌ من المخلوقِ من الطِّين = أنا خيرٌ من آدم..

وقد أخطأ إبليس في قياسه؛ لأنَّ الفضل عند الله ﷻ بحسن العمل لا بشرف الأصل. فإذا سلَّمنا جدلًا أنَّ المخلوق من النَّار خيرٌ من المخلوق من الطِّين فيرد عليه ما سبق.

أعني إن سُلِّمَ لإبليس أنَّ المخلوق من النَّار خيرٌ من المخلوق من الطِّين من حيث أصل الخلق فإنَّه يرد عليه ما سبق..كيف ولم يسلَّم له ذلك؟!!! فمن أين له أنَّ المخلوق من النَّار خيرٌ من المخلوق من الطِّين من حيث أصل الخلق؟!!! وقد علم أنَّ الإنسان المخلوق من الطِّين أفضل من الجنِّ المخلوق من النَّار..حيث إنَّ فيهم -أي الإنس- الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- الَّذين اصطفاهم الله ﷻ وفضَّلهم من بين سائر الخلق..

والحاصل أنَّ تقرير إبليس ليس حجَّة.

= (حَمْلٌ بِصُغْرَى وَضْعُهُ بِكُبْرَى ... يُدْعَى بِشَكْلٍ أَوَّلٍ وَيُدْرَى)

ثمَّ قال:

(فَشَرْطُهُ الإِيْجَابُ فِي صُغْرَاهُ ... وَأَنْ تُرَى كُلِّيَّةً كُبْرَاهُ).

انظر: شرح الشَّيخ درويش القويسني على متن السُّلَّم في علم المنطق (ص: ٣٤- ٣٥)، توضيح المنطق القديم (ص:١٠٤)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرُّسوم (ص:١٢٥)، طرق الاستدلال (ص:٢٤٣- ٢٤٥)، الجديد في الحكمة (ص:١٧٨)...إلخ..

قال محمَّد بن جرير: «ظَنَّ الخبيثُ أنَّ النَّار خيرٌ من الطِّين، ولم يعلم أنَّ الفضل لمن جعل الله ﷻ له الفضل، وقد فضَّل الله ﷻ الطِّين على النَّار من وجوه منها: أنَّ من جوهر الطِّين الرَّزانة والوقار والحلم والصَّبر، وهو الدَّاعي لآدم ﷺ بعد السَّعادة الَّتي سبقت له إلى التَّوبة والتَّواضع والتَّضرع فأورثه الاجتباء والتَّوبة والهداية، ومن جوهر النَّار الخفَّة والطَّيش والحدَّة والارتفاع، وهو الدَّاعي لإبليس بعد الشَّقاوة الَّتي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه اللعنة والشَّقاوة؛ ولأنَّ الطِّين سبب جمع الأشياء والنَّار سبب تفرقها؛ ولأنَّ التُّراب سبب الحياة، فإنَّ حياة الأشجار والنَّبات به، والنَّار سبب الهلاك»[1].

أقول: ما أورده الطَّبريُّ، ونقله عنه غير واحدٍ من المفسِّرين إنَّما

(١) تفسير الطَّبري (٨/ ١٣١)، وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٧١)، ابن كثير (٢/ ٢٠٤)، البغوي (٢/ ١٥٠)، ابن عادل (٩/ ٣٢)، السِّراج المنير (١/ ٥٣٦)، تفسير السَّمعاني (٢/ ١٦٨). وفي (أضواء البيان): «لا نسلِّم أنَّ النَّار خيرٌ من الطِّين، بل الطِّين خيرٌ من النَّار؛ لأنَّ طبيعتها الخفَّة والطَّيش والإفساد والتَّفريق، وطبيعته الرَّزانة والإصلاح فتودعه الحبَّة فيعطيكها سنبلة، والنَّواة فيعطيكها نخلة. وإذا أردت أن تعرف قدر الطِّين فانظر إلى الرِّياض النَّاضرة، وما فيها من الثِّمار اللَّذيذة، والأزهار الجميلة، والرَّوائح الطَّيبة. تعلم أنَّ الطِّين خيرٌ من النَّار. [وقال] إنَّا لو سلمنا تسليمًا جدليًّا أنَّ النَّار خيرٌ من الطِّين، فإنَّه لا يلزم من ذلك أنَّ إبليس خيرٌ من آدم ﷺ؛ لأنَّ شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع، بل قد يكون الأصل رفيعًا، والفرع وضيعًا..». انظر: أضواء البيان (١/ ٣٣- ٣٥)، كتب ورسائل ابن تيمية في التَّفسير (١٥/ ٥- ٦)، والمعنى قريب في (البحر المديد) (٢/ ٣٣٩)، والبحر المحيط (٤/ ٢٧٣)، كذلك في (المنار) (٨/ ٢٩٤).

يسلَّم له من حيث تميُّز الطِّين عن النَّار، ولكن لا يسلَّمُ له أنَّ أصل الخلق سببٌ للاستجابة أو الإعراض، أو دافع من الدَّوافع فقد جعل الله ﷻ كلَّ مكلَّفٍ مختارًا، ويجازى على اختياره إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وإلَّا لكان ذلك مدخلا لكلِّ من خلق من النَّار -وهم الجنُّ- أن يكونوا مدفوعين من أصل الخلق إلى نوازع الشرِّ.. ولا قائل بذلك، وهو ممَّا يتنافى مع الحكمة فتنبه.

وقد قال الله ﷻ له: ﴿يَـٰٓإِبۡلِيسُ﴾ [الحجر: ٣٢]، [ص: ٧٥]، «وهذا يقتضي أنَّه ﷻ تكلَّم معه، فعند هذا قال بعض المتكلِّمين: إنَّه ﷻ أوصل هذا الخطاب إلى إبليس على لسان بعض رسله -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، إلَّا أنَّ هذا ضعيف؛ لأنَّ إبليس قال في الجواب: ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ﴾ [الحجر: ٣٣]، فقوله: ﴿خَلَقۡتَهُۥ﴾ (خطاب الحضور) لا (خطاب الغيبة)، وظاهره يقتضي أنَّ الله ﷻ تكلَّم مع إبليس بغير واسطة، وأنَّ إبليس تكلَّم مع الله ﷻ بغير واسطة، وكيف يعقل هذا مع أنَّ مكالمة الله ﷻ بغير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب؟! فكيف يعقل حصوله لرأس الكفرة ورئيسهم؟! ولعلَّ الجواب عنه أنَّ مكالمة الله ﷻ إنما تكون منصبًا عاليًا إذا كان على سبيل الإكرام والإعظام، فأمَّا إذا كان على سبيل الإهانة والإذلال فلا»[1].

---

(١) انظر: تفسير الرَّازي (١٩/ ١٨٢-١٨٣)، تفسير ابن عادل (١١/ ٤٥٦)، السِّراج المنير (٢/ ٢٢٤).

واختُلِفَ في تَسْمِيتِهِ بـ: (إبليس) على قولين:

أحدهما: أنَّه اسم أعجميٌّ، وليس بمشتقٍّ.

والثَّاني: أنَّه اسمُ اشتقاق، اشتُقَّ من (الإبلاس)، وهو اليأس من الخَيْرِ، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، أي: آيِسُونَ من الخير..»[١].

والرَّاجح أنَّه اسم أعجمي، ومنعه من الصَّرف للعلميَّة والعجمة.

والإبلاس: اليأس[٢]. قال العلامة محمد الطَّاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وزاد الزَّمخشريُّ[٣] في معنى: (الإبلاس) قيد السُّكوت، ولم يذكره غيره. والحقُّ أنَّ السُّكوت من لوازم معنى (الإبلاس)، وليس قيدا في المعنى[٤].

أقول: وما ذكره قد أشار إليه الرَّاغب من قبله في (المفردات)،

(١) النُّكت والعيون (١/ ١٠٢)، تفسير العز بن عبد السَّلام (١/ ٢٧)، تفسير القرطبي (١/ ٢٩٥)، روح المعاني (١/ ٢٢٩)، زاد المسير (١/ ٦٥).

(٢) التَّعاريف (ص: ٣١)، المصباح المنير، مادَّة: (بلس) (١/ ٦٠)، وانظر: تفسير الطَّبري (١/ ٢٢٧).

(٣) ونصُّ ما قاله الزَّمخشري: (الإبلاس): أي يبقى بائسا ساكنا متحيرا. يقال: ناظرته فأبلس. إذا لم ينبس، ويئس من أن يحتجَّ. ومنه (النَّاقة المبلاس): الَّتي لا ترغو. وقرىء: (يُبْلَسُ) بفتح اللام، من أبلسه إذا أسكته. الكشاف (٣/ ٢١٦)، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٦٠)، تفسير البيضاوي (٤/ ٣٢٩)، روح المعاني (٢١/ ٥٢). وقال الزَّمخشري في موضع آخر: «الإبلاس: اليأس من كلِّ خيرٍ. وقيل: السُّكوت مع التَّحيُّر». الكشاف (٣/ ٣٨). وذكر الزَّمخشري ذلك أيضًا في (أساس البلاغة) مادَّة: (بلس) (ص: ٢٩)، وفي (المخصص، لابن سيده): (أَبْلَس الرجُلُ): سكتَ. المخصص (١/ ٢٢٩).

(٤) التَّحرير والتَّنوير (٢٥/ ٢٥٨).

حيث قال: «ولما كان (المبلس) كثيرًا ما يلزم السُّكوت، وينسى ما يعنيه قيل: (أبلس فلان): إذا سكت، وإذا انقطعت حجَّته»[١].

وكذلك يرد ذلك -أي: ما ذكره الطَّاهر والرَّاغب- على ما ذكره البقاعيُّ في (نظم الدُّرر) وغيره[٢] من «السُّكون والانكسار، والحزن والتحيُّر، وانقطاع الحجَّة والنَّدم»[٣]..

وخطاب الله ﷻ لإبليس؛ للتَّقريع والتَّوبيخ، والمعنى: أيُّ: سبب حملك على أن لا تكون مع السَّاجدين لآدم ﷺ مع الملائكة، وقد أمرك الله ﷻ بذلك..، وهم في الشَّرف بالمنـزلة الَّتي قد علمتها؟.

٢ - نداء فرعون

أ. وأمَّا نداء فرعون ففي موضعين من موسى ﷺ:

[الأعراف:١٠٤]، [الإسراء:١٠٢].

ب. بيان المعنى مع ما يستفاد مما ولي المنادَى:

«يخبر الله ﷻ عن مناظرة موسى ﷺ لفرعون، وإلجامه إيَّاه بالحجَّة، وإظهاره الآيات البيِّنات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر، فقال ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للرَّاغب (١/ ١١٥).

(٢) انظر: البحر المحيط (٧/ ١٦٠)، تفسير البيضاوي (٤/ ٣٢٩)، روح المعاني (٢١/ ٥٢)، ابن عادل (١/ ٥٤٠).

(٣) انظر: نظم الدُّرر (٤/ ٢٢١).

[الأعراف:١٠٤]، أي: أرسلني الَّذي هو خالقُ كلِّ شيء وربُّه ومليكه»[1].

«وهذه محاورة من موسى ﷺ لفرعون، وخطاب له بأحسن ما يدعى به وأحبُّها إليه؛ إذ كان مَنْ مَلَكَ (مِصْرَ) يقال له: (فرعون) كنمرود في (يونان)، وقيصر في (الرُّوم)، وكسرى في (فارس)، والنَّجاشي في (الحبشة)، وعلى هذا لا يكون فرعون وأمثاله علمًا شخصيًّا، بل يكون علم جنس كأسامة وثعالة، ولما كان فرعون قد ادَّعى الرَّبوبيَّة فاتحه موسى بقوله: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ؛ لينبِّهه على الوصف الَّذي ادعاه، وأنَّه فيه مبطل لا محقٌّ، ولما كان قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف:١٠٥] أردفها بما يدلُّ على صحَّتها، وهو قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم﴾ [الأعراف:١٠٥]، ولما قرَّر رسالته فرَّع عليها تبليغ الحكم، وهو قوله: ﴿فَأَرْسِلْ﴾ ، ولم ينازعه فرعون في هذه السُّورة في شيءٍ مما ذكره موسى ﷺ إلَّا أنَّه طلب المعجزة. ودلَّ ذلك على موافقته لموسى ﷺ، وأنَّ الرِّسالة ممكنة لإمكان المعجزة؛ إذ لم يدفع إمكانها، بل قال: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ [الأعراف:١٠٦]»[2] .

وأمَّا قوله ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء:١٠٢]. (الظنُّ) هنا بمعنى التَّحقيق.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٦) .

(٢) البحر المحيط (٥/ ٤٢٠).

و(الثُّبور): الهلاك والخسران أيضًا[١].

قال الرَّازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثمَّ حكى تعالى أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾. واعلم أنَّ فرعون قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء:١٠١]، فعارضه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾»[٢].

«والظَّاهر أنَّ خطاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فرعونَ بقوله: ﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ﴾ خطاب إكرام؛ لأنَّه ناداه بالاسم الدَّالِّ على الملك والسُّلطان بحسب متعارف أمَّته فليس هو بترفع عليه؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قال له ولهارون -عليهما السَّلام-: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه:٤٤]. والظَّاهر أيضًا أنَّ قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا هو أوَّل ما خاطب به فرعون كما دلَّت عليه (سورة طه)»[٣].

ج. **إجمال النَّتائج المستفادة:**

١ - إنَّ الشِّرك أو الكفر هو أقبح الظُّلم، كما أنَّه كذلك أكبرُ الذُّنوب، وأشنعُ المعاصي..والَّذين يكفرون أو يشركون يظلمون الحقيقة الكبرى -حقيقة الألوهيَّة، وحقيقة التَّوحيد- ويظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلكة في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٣٣٧)، أضواء البيان (٦/ ٢٧).

(٢) تفسير الرَّازي (٢١/ ٦٦).

(٣) التَّحرير والتَّنوير (٩/ ٣٧).

٢ - الحكمة في الدَّعوة إلى الله ﷿، والتزام آداب البحث والمناظرة في الحوار، حيث خاطب موسى ﵇ فرعون بخطاب الإكرام الَّذي ينـزِّلُ المدعوَّ المنـزلة اللَّائقة به في حال الخطاب والمناظرة..

٣ - إنَّ دعاة الباطل، وعلى الأخصِّ من كان له نفوذ وسلطة يظلمون النَّاس بإخراجهم من العبوديَّة لله ﷿ الواحد إلى العبوديَّة للطَّواغيت المتعدِّدة والأرباب المتفرِّقة.

٤ - الاعتبار بالعاقبة والمآل في الدُّنيا والآخرة لمن ظلم نفسه، وأنكر حقيقة التَّوحيد، وتسبَّب في إضلال غيره. قال الله ﷿: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ [النحل: ٢٥].

٥ - قطع أعذار فرعون ومن تبعة بإقامة الحُجَّةِ عليهم، بالمحاورة والمناظرة، وبالمعجزات الماديَّة الَّتي جاء بها موسى ﵇، ومع ذلك كفروا وجحدوا..

٦ - اقتداء المخاطَبين بالرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- في دعوتهم إلى الله ﷿، والصبر على الإيذاء في سبيل ذلك.

٧ - إن للرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- منهجا قويمًا في الدَّعوة، يتأسَّى به كلُّ داعية.

«وإنَّ الحياة لا تستقيم ولا تصلح إلَّا على أساس الإيمان بالله ﷿ الواحد، والعبوديَّة لإلهٍ واحد، وإنَّ الأرض لتفسد حين لا تتمخَّض

العبوديَّة لله ﷻ في حياة النَّاس..إنَّ العبوديَّة لله ﷻ وحده معناها أن يكون للنَّاس سيِّد واحد، يتوجَّهون إليه بالعبادة وبالعبوديَّة كذلك، ويخضعون لشريعته وحدها، فتخلص حياتهم من الخضوع لأهواء البشر المتقلِّبة، وشهوات البشر الصَّغيرة!.

إنَّ الفساد يصيب تصوُّراتِ النَّاس كما يصيب حياتهم الاجتماعيَّة حين يكون هناك أربابٌ متفرِّقون يتحكَّمون في رقاب العباد -من دون الله ﷻ- وما صلحت الأرض قطُّ ولا استقامت حياة النَّاس إلَّا أيام أن كانت عبوديتهم لله ﷻ وحده -عقيدةً وعبادةً وشريعة- وما تحرَّر الإنسان قط إلَّا في ظلال الرُّبوبيَّة الواحدة. ومن ثَمَّ يقول الله ﷻ عن فرعون وملئه: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٠٣].

وكلُّ طاغوت يُخضع العباد لشريعة من عنده، وينبذ شريعة الله ﷻ، هو من المفسدين الَّذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون!»[١].

٨ - الحاجة في كلِّ زمان إلى الدُّعاة الَّذين يدعون إلى الله ﷻ، وهم على بصيرة ودراية بأحوال المخاطَبين، واختلاف ثقافاتهم، وقدراتهم العقلية، يحسنون فنَّ المناظرة والحوار، ويعتمدون على الدَّليل والحُجَّة والبرهان الَّذي يقنع المخاطَبين، ويدحضُ حجج المخالفين.

٩- أن يكون الغرض من المناظرة والحوار: الوصول إلى الحق.

---

(١) الظِّلال (٩/ ١٣٤٥).

٣ - نداء هامان

أ. وأمَّا نداء هامان ففي موضعين من فرعون:

[القصص:٣٨]، [غافر:٣٦].

ب. **بيان المعنى:**

يخبرُ الله ﷻ عن كفر فرعون وطغيانه وافترائه في دعوى الإلهيَّة لنفسه حيث دعا قومه مستخفًّا بهم، حيث لم يعملوا عقولهم، ولم يتفكَّروا كما قال ﷻ: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝٥٤﴾ [الزخرف:٥٤]، فقد جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مُصَرِّحًا لهم بذلك، ودعاهم إلى الاعتراف له بالإلهيَّة، فأجابوه سامعين مطيعين. فأجابوه إلى ذلك، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨]. وقال ﷻ حكاية عن فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النازعات:٢٣- ٢٦]. وقوله: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص:٣٨]، أي: أمر وزيره هامان أن يوقد له على الطِّين؛ ليتخذ له آجُرًّا لبناء الصَّرح -وهو القصر المنيف الرَّفيع-كما قال في الآية الأخرى: ﴿فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ﴾ [غافر:٣٦ - ٣٧]؛ وذلك لأنَّ فرعون بنى هذا الصَّرح الَّذي لم يُرَ في الدُّنيا بناء أعلى منه، إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيَّته تكذيب موسى عليه السلام فيما زعمه من

دعوى إلهٍ غير فرعون، ولهذا قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨][(١)]. أمَّا قوله: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾، أي: اطبخ لي الآجر، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)]. وقال قتادة: هو أوَّل من صنع الآجر، وبنى به[(٣)].

ولما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصَّرح جمع هامان العمال. -قيل: (خمسين ألف) بناء سوى الأتباع والأجراء- وأمر بطبخ الآجر والجص، ونشر الخشب، وضرب المسامير، فبنوا ورفعوا البناء، وشيَّدوه بحيث لم يَبْلغه بنيانٌ منذ خلق الله عز وجل السَّموات والأرض، فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه، حتى أراد الله عز وجل أن يفتنهم فيه. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ الظنُّ هنا شكٌّ، فكفر على الشَّكِّ؛ لأنَّه قد رأى من البراهين ما لا يخيل[(٤)] على ذي فطنة[(٥)].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩١)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٧٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٢٨٨)، الواحدي (٢/ ٨١٩)، والشَّوكاني في (فتح القدير) (٤/ ١٧٣).. إلخ. قال الزَّمخشري: ولم يقل: اطبخ لي الآجر واتخذه؛ لأنَّه أوَّل من عمل الآجر، فهو يعلمه الصَّنعة؛ ولأنَّ هذه العبارة أحسن طباقًا لفصاحة القرآن، وعلوّ طبقته وأشبه بكلام الجبابرة. وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطِّين منادى باسمه بـ: (يا) في وسط الكلام.. دليل التَّعظيم والتَّجبر .الكشاف (٣/ ١٧٩- ١٨٠).

(٣) انظر: القرطبي (١٣/ ٢٨٨)، الدُّر المنثور (٦/ ٤١٦)، معاني القرآن الكريم، للنَّحاس (٥/ ١٨٠).

(٤) لا يخيل: أي: لا يشكل.

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٩)، وانظر: إعراب القرآن، للنَّحاس (٣/ ٢٣٨)، الكشاف (٣/ ١٣٠)، تفسير الثَّعلبي (٧/ ٢٥٠)، تفسير البغوي (٣/ ٤٤٦)، الخازن (٥/ ١٧٤)، السِّراج المنير (٣/ ١٤٨)، الرَّازي (٢٤/ ٦٠٥).

ويستفاد مما ولي المنادى من قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ أنه يستدلَّ بعدم الدَّليل على عدم المدلول -على حدِّ زعمه-، وهو خطأ من جهة أنَّ الدَّليل على المدلول -وهو وجود الصَّانع- أكثر من أن يحصى، ومن جهة أنَّ عدم الدَّليل لا يستلزم عدم المدلول. وأمَّا قوله: ﴿غَيْرِي﴾ فقد تكلَّف له بعضهم أنَّه لم يرد به أنَّه خالق السَّموات والأرض وما فيهما؛ فإنَّ امتناع ذلك بدهي، وإنما أراد به نفي الصَّانع والاقتصار على الطَّبائع، وأنَّه لا تكليف على النَّاس إلَّا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره.

أمَّا قوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ فقد تكلَّفوا له ههنا أيضًا، فقيل: إنَّه يبعد من العاقل أن يرومَ صعود السَّماء بآلةٍ، ولكنَّه أراد أنَّه لا سبيل إلى إثبات الصَّانع من حيث العقل -كما مرَّ-، ولا من حيث الحس؛ فإنَّ الإحساس به يتوقَّف على الصُّعود وهو معتذِّرٌ، وإلَّا فابنِ يا هامان مثل هذا البناء، وإنما قال ذلك تهكُّمًا. فبمجموع هذه الأشياء قرَّرَ أنَّه لا دليل على الصَّانع، ثمَّ رتَّب النَّتيجة عليه، وهو قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يحتمل أن يريد: لأعلمه من الكاذبين. والأكثرون من المفسِّرين على أنَّه بنى مثل هذا البناء جهلًا منه، أو تلبيسًا على مَلئِهِ حيث صادفهم أغبى النَّاس وأخلاهم من الفطن..

وإنما قال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ ولم يقل: اطبخ لي الآجر؛ لأنَّ هذه العبارة أحسن؛ ولأنَّ فيه تعليم الصَّنعة، وقد كان أوَّل من عمل الآجر فرعون..-كما سبق- والطُّلوع والاطِّلاع: الصُّعود.

يقال: طلع الجبل واطَّلع.

وفي قوله ﷻ: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص:٣٩]، يعني: أرض (مصر) ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ ، إشارة إلى أنَّ الاستكبار بالحقِّ إنما هو لله ﷻ، وكلُّ مستكبرٍ سواه ﷻ فاستكباره بغير الحقِّ(١).

ج. **إجمال النَّتائج المستفادة مما سبق:**

أمَّا قوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ .. فهي «كلمةٌ فاجرةٌ كافرة، يتلقَّاها الملأُ بالإقرار والتَّسليم. ويعتمد فيها فرعون على الأساطير الَّتي كانت سائدة في (مصر) من نسب الملوك للآلهة. ثمَّ على القهر، الَّذي لا يدع لرأسٍ أن يفكر، ولا للسانٍ أن يُعبِّر. وهم يرونه بشرًا مثلهم يحيا ويموت، ولكنَّه يقول لهم هذه الكلمة فيسمعونها دون اعتراض ولا تعقيب!!! ثمَّ يتظاهرُ بالجدِّ في معرفة الحقيقة، والبحث عن إله موسى عليه السلام، وهو يلهو ويسخر: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ ..في السَّماء. كما يقول وبلهجة التَّهكم ذاتها يتظاهر بأنَّه شاكٌّ في صدق موسى عليه السلام، ولكنَّه مع هذا الشَّكِّ يبحث وينقِّبُ ليصل إلى الحقيقة: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ ! وفي هذا الموضع كانت حلقة المباراة مع السَّحرة. وهي محذوفة هنا للتَّعجيل بالنِّهاية..﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ

(١) انظر: الكشاف (٣/ ١٨٠)، ابن عادل (١٥/ ٢٦٠)، روح المعاني (٢٠/ ٨٢)، الرَّازي (٢٤/ ٦٠٥)، تفسير النَّيسابوري (٥/ ٣٤٣).

ﱡﭐ... ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ﱠ [القصص: ٣٩]»[1].

كما يستفاد أن عدم الدَّليل لا يستلزم عدم المدلول -كما سبق-.

وقال الله ﻷ في بيان العاقبة والمآل: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ [العنكبوت: ٣٩]. أي: فائتين عذاب الله ﻷ، أي: فارِّين منه، بل أدركهم.

قال الله ﻷ: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [القصص: ٤٠].

قال الله ﻷ: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

والحاصل أنَّه يقال في هذه الصِّيغة من النِّداء ما قيل في السَّابقة من العبر والعظات من حيث الاعتبار ببيان عاقبة الظَّالمين المستكبرين.

٤ - نداء السَّامري

وأمَّا نداء السَّامري[2] ففي موضع واحد من موسى ؈:

[طـه: ٩٥]

---

(١) الظِّلال (٢٠/ ٢٦٩٤ -٢٦٩٥).

(٢) و(السَّامري): قيل اسمه: هارون، وقيل اسمه موسى بن ظفر، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّه من قوم كانوا يعبدونَ البقر، وقيل: كان رجلا من القبط. وكان جارًا لموسى ؈ آمن به وخرج معه. وقيل: كان عظيمًا من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف =

والخطاب من موسى عليه السلام حيث ترك هارون عليه السلام ومال إلى السَّامري[١].

قال قتادة: كان السَّامري عظيمًا في بني إسرائيل، ولكن عدوَّ الله عز وجل نافق بعد ما قطع البحر مع موسى عليه السلام، فلمَّا مرَّت (بنو إسرائيل) بالعمالقة، وهم يعكفونَ على أصنامٍ لهم، ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، فاغتنمها السَّامري، وعلم أنهم يميلون إلى عبادة العجل فاتَّخذ العجل[٢]. فقال له موسى عليه السلام بصيغة النِّداء: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾﴾ [طه:٩٥]، أي: ما شأنك وما قصتك؟!! وهذه الصِّيغة تشير إلى جسامة الأمر، وعظم الفعلة.

وخطابه -عليه السَّلام- إيَّاه بذلك ليظهر للنَّاس بطلان كيده باعترافه، ويفعل به وبما أخرجه ما يكون نكالًا للمفتونين، ولمن خلفهم من الأمم[٣].

= (بالسَّامرة)، وهم معروفون بالشَّام. قال سعيد بن جبير -رحمه الله-: كان من أهل (كرمان). وقيل: كان من أهل (باجرما). انظر: أضواء البيان (٤/ ٧٨)، تفسير الطَّبري (١/ ٢٨٢)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٤)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٣٤)، الدُّر المنثور (٥/ ٥٨٨)... إلخ. و(باجرما): قرية من أعمال البليخ قرب (الرَّقة)، من أرض الجزيرة. (ياقوت). ويقال: موضع قبل نصيبين (معجم ما استعجم) (١/ ٢٢٠)، وانظر: معجم البلدان (١/ ٣١٣).

(١) انظر: تفسير الطَّبري (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٣٩).

(٣) انظر: تفسير أبي السُّعود (٦/ ٣٨)، روح المعاني (١٦/ ٢٥٢)، الدُّر المنثور (٦/ ٤٣٧).

● **سابعًا: نداء المخلوقات الأخرى غير الجمادات**

وذلك كما في نداء النَّملة للنَّمل في موضع واحد: [النَّمل:١٨].

أ. **فوائد تتعلَّق بالآية:**

وهنا فوائد تتعلَّق بالآية، وما فيها من النِّداء فإنَّ قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ قد جمع في هذه اللَّفظة (أحد عشر) جنسًا من الكلام: نادت، وكنَّت، ونبَّهت، وسمَّت، وأَمَرَتْ، وقصَّت، وحَذَّرت، وخَصَّت، وعمَّت، وأشارت، وعذرت. فالنِّداء: ﴿يأ﴾، والكناية: ﴿أَيّ﴾، والتَّنبيه: ﴿ها﴾، والتَّسمية: ﴿ٱلنَّمۡلِ﴾، والأمر: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾، والقصص: ﴿مَسَٰكِنَكُمۡ﴾، والتَّحذير: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾، والتَّخصيص: ﴿سُلَيۡمَٰنُ﴾، والتَّعميم: ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾، والإشارة: ﴿وَهُمۡ﴾، والعذر: ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾، فأدت خمس حقوق حقَّ الله ﷻ، وحقَّ رسوله ﷺ، وحقَّها، وحقَّ رعيتها، وحقَّ جنود سليمان عليه السلام(١).

ب. **إجمال ما يستفاد في المعنى:**

دلَّ هذا الخطاب من النَّمل وفهم داود عليه السلام لندائها على أنَّ عالم النَّمل عالم له خصائصه وطبائعه، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الأنعام:٣٨].

ومما يدلُّ على ذلك أيضًا ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله

(١) الإتقان (٢/١٤٨)، الكليَّات (ص:٣٢٤).

ﷺ قال: «**نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ**[١] **فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً**»[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنْ الأُمَمِ تُسَبِّحُ**»[٣].

والشَّاهد أنَّ النَّمل أمَّةٌ من الأمم تسبِّح الله عز وجل مثل بقية الحيوانات. وقد نهى النَّبي ﷺ عن «**قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ النَّمْلَةُ وَالنَّحْلَةُ وَالْهُدْهُدُ وَالصُّرَدُ**»[٤].

فلا يجوز قتل النَّمل إلَّا المؤذي[٥].

● **ثامنًا: نداء الجمادات**

١ - نداء الأرض والسَّماء: [هود: ٤٤].

---

(١) أي: متاعه.

(٢) أخرجه البخاريُّ [٣٠٧٢]، ومسلم، [٥٩٨٨].

(٣) أخرجه البخاريُّ، [٢٧٩٦]، ومسلم، [٤١٥٧].

(٤) أخرجه أبو داود، [٤٥٨٣]، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن ماجه [٣٢١٥]، وأحمد [٢٩٠٧]، والدَّارمي [١٩١٥]. والحديث صحيح. انظر: البدر المنير (٦/ ٣٤٥). و(الصُّرَدُ): طائرٌ فوقَ العُصفور، وقيل: طائرٌ أبقع ضخم الرّأس يكونُ في الشَّجر، نصفُه أبيض ونصفه أسود، ضخم المنقار، له بُرثن عظيم. انظر: مادَّة: (صرد) (٣/ ٢٨٤)، وكذلك انظر: العين، مادَّة: (صرد) (٧/ ٩٧)، المغرب (١/ ٤٧١) .

(٥) انظر على سبيل المثال: حاشية العدويِّ على شرح كفاية الطَّالب (٢/ ٦٥٧)، بغية المسترشدين (ص: ٥٥١)، كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع (٥/ ٥١١)، المبدع شرح المقنع (٣/ ٩٠).

٢ - نداء النَّار: [الأنبياء: ٦٩].

٣ - نداء الجبال: [سبأ: ١٠].

أ. **أمَّا نداء الأرض والسَّماء:**

أمَّا نداء الأرض والسَّماء فقد جاء في آية واحدة، وهي قوله ﷻ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤].

وأورد هنا إلى ما يتعلَّق بنداء الجمادات، فإنَّ قوله ﷻ: ﴿وَقِيلَ﴾ ، يدلُّ على أنَّه سبحانه في الجلال والعلوِّ والعظمة، بحيث أنَّه متى قيلَ قيلٌ لم ينصرف العقل إلَّا إليه، ولم يتوجَّه الفكر إلَّا إلى أنَّ ذلك القائل هُو هو. وهذا تنبيه من هذا الوجه على أنَّه تقرَّر في العقول أنَّه لا حاكم في العالمين ولا متصرِّف في العالم العلويِّ والعالم السُّفليِّ إلَّا هو. وإنَّ الحسَّ يدلُّ على عظمة هذه الأجسام، وشدَّتها وقوَّتها، فإذا شعر العقل بوجود موجود قاهر لهذه الأجسام مستول عليها متصرِّف فيها كيف شاء وأراد، صار ذلك سببًا لوقوف القوَّة العقليَّة على كمال جلال الله ﷻ وعلوِّ قهره، وكمال قدرته ومشيئته. والسَّماء والأرض من الجمادات، ويدلُّ ذلك على أنَّ أمره وتكليفه نافذٌ في الجمادات(١).

وهل النِّداء هنا مجاز أم حقيقة؟

قيل: هذا مجاز؛ لأنها موات. وقيل: جعل فيها ما تميَّز به(٢).

(١) انظر: تفسير الرَّازي (١٧/ ٢٣٤)، وانظر: تفسير ابن عادل (١٠/ ٤٩٩).

(٢) انظر: القرطبي (٩/ ٤٠)، وكذلك ينظر تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى =

وقد سبق بيان ذلك وتحقيق القول الرَّاجح في (بيان من الَّذي ينادى؟).

أمَّا (ما ولي المنادَى) فقد ذكر النَّيسابوري أنَّه «استعار لغور الماء في الأرض (البلع) الَّذي هو إعمال القوَّة الجاذبة في الطُّعوم للشَّبه بين الغورِ والبلع، وهو الذَّهاب إلى مقرٍّ خفيٍّ. وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل إلى المفعول، وفي جعل الماء مكان الغذاء أيضًا استعارة؛ لأنَّه شبَّه الماء بالغذاء؛ لتقوى الأرض بالماء في الإنبات للزُّروع والأشجار تقوي الآكل بالطَّعام، وجعل قرينة الاستعارة لفظة: ﴿ٱبۡلَعِي﴾ ؛ لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء. ثمَّ أمر الجماد على سبيل الاستعارة؛ للشَّبه المقدم ذكره، وخاطب في الأمر دون أن يقول ليبلع ترشيحًا لاستعارة النِّداء(١)؛ إذ كونه مخاطبًا من صفاتِ الحيِّ، كما أنَّ كونه منادى من صفاته. ثمَّ قال: ﴿مَآءَكِ﴾ بإضافة الماءِ إلى الأرض

= ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت: ١١]، وقوله ﷻ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١].

(١) الاستعارة المرَشَّحة ما ذكر معها ملائم المشبَّه به، والمجرَّدة ما ذكر معها ملائم المشبَّه، والمطلقة ما خلت من ملائم المشبَّه به أو المشبَّه.. ولا يعتبر التَّرشيح والتَّجريد إلاَّ بعد أن تتمَّ الاستعارة باستيفائها قرينتها لفظيَّة أو حاليَّة؛ ولهذا لا تسمَّى قرينة التَّصريحيَّة تجريدًا؛ لأنَّه قد ذكر المشبَّه نفسه، ولا قرينة المكنية ترشيحًا؛ لأنَّ المرشَّحة فيها ملائم المشبَّه، أمَّا المكنية ففيها لازم من لوازمه، وثمَّة فرق بينهما. وهنا المشبَّه: غور الماء، والمشبَّه به: البلع، ووجه الشَّبه: الذَّهاب إلى مقرٍّ خفيٍّ، والقرينة نسبة الفعل إلى المفعول...كما شبَّه الماء بالغذاء، فالماء مشبَّه، والغذاء مشبَّه به، والتَّرشيح نداء الجماد، والملائم البلع... .

على سبيل المجاز تشبيهًا؛ لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك. واختار ضمير الخطاب دون أن يقول: (ليبلع ماؤها) لأجل التَّرشيح المذكور. ثمَّ اختار مستعيرًا لاحتباس المطر (الإقلاع) الَّذي هو ترك الفاعل الفعل للشَّبه بينهما في عدم ما كان، ثمَّ أمر على سبيل الاستعارة، وخاطب في الأمر لمثل ما تقدَّم في ﴿ٱبْلَعِى﴾ من ترشيح استعارة النِّداء»[1]. وقد ذكر النّيسابوري[2] أنَّ (نداء الأرض)، و(نداء السَّماء)..من المجاز لا من الحقيقة..وقد عكس هو ما قد رجَّحته آنفًا.

والحاصل أنَّ الآية تتضَّمن أوجهًا من البلاغة ذكرتُ منها في (الإقناع) ما يزيد على (اثنين وعشرين) وجهًا[3].

ب. نداء النَّار:

وأمَّا نداء النَّار فقد جاء في قوله ﷻ:

﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء:٦٩]، ويستفاد من هذا النِّداء أمور منها: أنَّ الطَّبيعة لا تؤثِّرُ في شيءٍ إلَّا بمشيئته ﷻ، وأنَّ النَّار مع شدَّةِ طبيعة الإحراق فيها ألقى فيها الحطبُ وإبراهيم عليه السلام، ولا شكَّ أنَّ الحطبَ أصلبُ وأقسى وأقوى من جِلد إبراهيم عليه السلام ولحمه، فأحرقت الحطبَ بحرِّها، وكانت على إبراهيم

---

(١) تفسير النَّيسابوري (٤/ ٢٥) .

(٢) انظر: المصدر السَّابق (٤/ ٢٥).

(٣) انظر: الإقناع بين طريقة القرآن وعرض المفسِّر (٣٧٥-٣٨٢)، وينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٠٢)، الإتقان (٢/ ١٢١)، (٣/ ٢٢٧)، دلائل الإعجاز (ص: ٩١-٩٢)، فتح القدير (٢/ ٥١٣)، مقدِّمة تفسير ابن النَّقيب (ص:٣٩٧)، و(ص: ٣٧٠).

ﷺ بردًا وسلامًا، فسبحان من لا يقعُ شيءٌ كائنًا ما كان إلَّا بمشيئته ﷻ، فعَّال لما يريد. ولو شاء الله ﷻ تخلُّف تأثيرِ الأسباب عن مسبّباتها لتخلَّف. فإنَّ طبيعةَ الإحراق في النَّار معنى واحد لا يتجزَّأ إلى معانٍ مختلفة، ومع هذا أحرقت الحطب فصار رمادًا من حرِّها في الوقت الَّذي هي كائنة بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ. فدلَّ ذلك دلالة قاطعة على أنَّ التَّأثير حقيقة إنما هو بمشيئة خالق السَّموات والأرض ﷻ، وأنَّه يسبِّب ما شاء من المسبِّبات على ما شاء من الأسباب، وأنَّه لا تأثير لشيء من ذلك إلَّا بمشيئته ﷻ[(١)].

«وقد أظهر الله ﷻ ذلك معجزة لإبراهيم ﷺ؛ إذ وَجَّه إلى النَّار تعلُّقَ الإرادة بسلب قوَّة الإحراق، وأن تكون بردًا وسلامًا إن كان الكلام على الحقيقة[(٢)]، أو أزال عن مزاج إبراهيم ﷺ التَّأثر بحرارة النَّار إن كان الكلام على التَّشبيه البليغ[(٣)]، أي: كوني كبرد في عدم تحريق الملقَى فيك بحَرِّك. وأمَّا كونها سلامًا فهو حقيقة لا محالة[(٤)]،

---

(١) انظر: أضواء البيان (٢/ ٣٤٢)، (٢٠/ ٧٦).

(٢) أي: لو كان الخطاب للنَّار لكان المعنى أنَّها تحوَّلت إلى بردٍ لانقلاب الحقيقة. أمَّا لو بقيت النَّار نارًا على حقيقتها ولكنَّها كانت كالبرد على إبراهيم ﷺ من حيث عدم التَّأثر فإنَّ المعنى يكون: كوني كبرد في عدم تحريق الملقَى فيك بحَرِّك، فحذف أداة التَّشبيه ووجه الشبه.

(٣) هو التَّشبيه الذي لم تُذْكر فيه أداة التَّشبيه، ولم يُذْكَر فيه أيضًا وجْه الشَّبه. نحو قوله ﷻ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧]. ومن التَّشبيه البليغ المصدر المضاف المبيِّن للنَّوع نحو: (راغ روغان الثَّعلب)، ومنه أيضًا: إضافة المشبَّه به للمشبَّه نحو: (لبس فلانٌ ثوبَ العافية)...

(٤) أي: لأنَّه لا يتأتَّى حملها على المجاز لأنَّ إبراهيم ﷺ خرج منها سالمًا في كلِّ الأحوال، أي: سواء تحوَّلت حقيقة النَّار إلى بَرْدٍ أو أزال عن مزاجه التَّأثر....

وذِكر ﴿سَلَـٰمًا﴾ بعد ذكر البرد كالاحتراس؛ لأنَّ البرد مؤذٍ بدوامه ربما إذا اشتد، فعُقِّب ذكره بذكر السَّلام لذلك»[١].

وأمَّا (ما أعقب المنادى) من الأمر فإنَّ هذه هي الكلمة الَّتي تكوّن بها أكوان، وتنشأ بها عوالم، وتخلق بها نواميس: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

فلا نسأل: كيف لم تحرق النَّار إبراهيم عليه السلام؟ والمشهود المعروف أنَّ النَّار تحرق الأجسام الحيَّة؟! فالَّذي قال للنَّار: كوني حارقةً هو الَّذي قال لها: كوني بردًا وسلامًا. وهي الكلمة الواحدة الَّتي تنشئ مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول، مألوفًا للبشر أو غير مألوف.

إنَّ الَّذين يقيسونَ أعمال الله عز وجل إلى أعمال البشر هم الَّذين يسألون: كيف كان هذا؟ وكيف أمكن أن يكون؟ فأمَّا الَّذين يدركون الاختلاف بين الخالق والمخلوق، فإنهم لا يسألون أصلًا، ولا يحاولون أن يخلقوا تعليلًا علميًّا أو غير علميٍّ. فالمسألة ليست في هذا الميدان أصلًا. ليست في ميدان التَّعليل والتَّحليل بموازين البشر ومقاييس البشر. وكلُّ منهج في تصوُّر مثل هذه المعجزات غير منهج الإحالة إلى القدرة المطلقة هو منهجٌ فاسد من أساسه؛ لأنَّ أعمال الله عز وجل غير خاضعة لمقاييس البشر، وعلمهم القليل المحدود.

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (١٧/١٠٦).

إنَّ علينا فقط أن نؤمن بأنَّ هذا قد كان؛ لأنَّ صانعه يملك أن يكوّنه. أمَّا كيف صنع بالنَّار فإذا هي برد وسلام؟ وكيف صنع بإبراهيم عليه السلام فلا تحرقه النَّار..فذلك ما سكت عنه النَّصُ القرآني؛ لأنَّه لا سبيل إلى إدراكه بعقل البشر المحدود. وليس لنا سوى النَّص القرآني من دليل.

وما كان تحويل النَّار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام إلَّا مثلًا تقع نظائره في صور شتَّى. ولكنَّها قد لا تهزُّ المشاعر كما يهزُّها هذا المثل الجاهر. فكم من ضيِّقات وكربات تحيط بالأشخاص والجماعات من شأنها أن تكون القاصمة القاضية، وإن هي إلَّا لفتة صغيرة، فإذا هي تحيي ولا تميت، وتنعش ولا تخمد، وتعود بالخير وهي الشَّر المستطير؟!.

إنَّ ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لتتكرَّر في حياة الأشخاص والجماعات والأمم، وفي حياة الأفكار والعقائد والدَّعوات، وإن هي إلَّا رمز للكلمة الَّتي تبطل كلَّ قول، وتحبطُ كلَّ كيد؛ لأنها الكلمة العليا الَّتي لا ترد..

ج. نداء الجبال:

وأمَّا نداء الجبال فقد جاء في قول الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: ١٠]، ويقال في نداء الجبال ما قيل في سابقه من نداء الأرض والسَّماء..من عظمة المنادَى -بفتح الدال المهملة-، وانقياده لقدرة الله عز وجل، حيث جعله مسخَّرًا لداود عليه السلام، وقد جاء هذا البيان

موجَّهًا للمخاطَبين؛ لبيان نِعَم الله ﷻ، وتصريفه في مخلوقاته ما يوضِّح استيلاء قهره وملكه، ويشير إلى عظيم ملكه كما بيَّن في غير موضع أنَّ الله ﷻ له ما في السَّموات وما في الأرض. وفي الآية إشارة إلى فضيلة داود ﵇ .ولقد منَّ الله ﷻ على داود ﵇ وآتاه من العلم النَّافع، والعمل الصَّالح، والنِّعم، ومن نعمه عليه، ما خصَّه به من أمره ﷻ الجمادات، كالجبال، والحيوانات من الطُّيور أن تُؤَوِّبَ معه، وتُرَجِّع التَّسبيح بحمد ربها ﷻ، مجاوبةً له، وكان ذلك من خصائصه الَّتي لم تكن لأحد قبله ولا بعده.

ومن فائدة ذلك: أن يكون محفِّزًا ومنهضًا لغيره من المخاطَبين على التَّسبيح؛ فإنَّهم إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات، تتجاوب بتسبيح ربها ﷻ، وتمجيده، وتكبيره، وتحميده، كان ذلك مما يهيِّج على ذكر الله ﷻ. فقد جاء في القرآن قول الله ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ومن المعلوم أنَّ (النَّكرة في سياق النَّفي والنَّهي تعمُّ).

وفي خطاب الجماد إشعارٌ بأنَّه ما من صامتٍ ولا ناطقٍ إلَّا وهو منقادٌ لمشيئته.

وقد أَلانَ الله ﷻ له الحديدَ كالشَّمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مِطْرَقَةٍ وذلك في قدرة الله ﷻ يسير، أو لانَ الحديدُ في يده لما أوتي من شدَّة القوَّة(١).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٦٦/١٤)، تفسير ابن عادل (٢٣/١٦)، المحرَّر الوجيز =

وهل تُسبِّح حقيقةً أم بظهورِ أثر الصَّنعة فيها، ودلالتها على وجود الخالق ﷻ؟ للمفسِّرين قولان.

وقد سبق تحقيق أنَّ تسبيح الجبال والطَّير مع داود عليه السلام تسبيح حقيقي، يجعل الله ﷻ لها إدراكاتٍ تسبِّح بها، يعلمها هو ﷻ ونحن لا نعلمها .

د. **التَّتائج المستفادة:**

وممَّا سبق يتبيَّن أنَّ الصِّيغة الَّتي فيها: **(نداء الأرض والسَّماء)** تدلُّ على عظمة المنادِي -بكسر الدال المهملة-، وأيضًا: تدلُّ على عظمة المنادَى -بفتح الدال المهملة-، وأنها أجسام عظيمة مخلوقة، وأنها على عظمها خاضعةٌ لقدرة الله ﷻ وإرادته، وأنَّ الجمادات تؤمر وتنقاد..

وأمَّا **(نداء النَّار)** فيدلُّ على عظمة المنادَى -بفتح الدال المهملة-، وقوَّة تأثيره في المخلوق البشري، ومع ذلك فهو لا يؤثر في شيءٍ إلَّا بمشيئة الله ﷻ، فهو خالقُ الأسباب والمسبِّبات، ولو شاء تخلُّفَ تأثير الأسباب عن مسبِّباتها لفعل، وذلك يدلُّ على قدرته، كما يدلُّ على مكانة إبراهيم عليه السلام، وتأييد الله ﷻ له، كما يستفاد أنَّ البونَ شاسعٌ بين صفاتِ الخالق ﷻ، وصفات المخلوق.

= (٤/ ٤٠٧)، تفسير أبي السُّعود (٧/ ١٢٤)، روح المعاني (٢٢/ ١١٤- ١١٥)، البحر المحيط (٧/ ٢٣٥)، تفسير النَّيسابوري (٥/ ٤٨٦)، الخازن (٥/ ٢٨٣)، الثَّعالبي (٣/ ٢٤٠)، السِّراج المنير (٣/ ٣٥٠)، الرَّازي (٢٥/ ١٩٨)، نظم الدُّرر (٦/ ١٥٨).

كما يجب الإيمان والتَّسليم بذلك كلِّه، وأن لهذا الإيمان، ولهذه القصِّة من الأثر ما ينعكسُ في نفوسِ المخاطَبين وأفعالهم، وأنَّ الحقَّ لا بدَّ أن يعلو وينتصر..

❊ ❊ ❊

المبحث الرَّابع

تقسيم المنادى إلى معرب ومبني

- **ويتضمَّن:**

المطلب الأوَّل: المنادى المبني.

المطلب الثَّاني: المنادى المعرب.

وأتناول هنا ما له صلة بالخطاب القرآني، وأبتعدُ عن الاستطراد إلَّا ما كان بغرض توضيح المقصود، فيذكر مختصرًا، مع الإشارة إلى موضعه من تقسيمات المنادى الأخرى.

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

المطلب الأوَّل: المنادى المبني

- ويتضمَّن:

١ - المنادى المفرد المعرفة.

٢ - إذا كان نكرة مقصودة.

٣ - المنادى الموصوف بابن.

٤ - المنادى بلفظ (أَي) و(أية).

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

يبنى النِّداء في بعض الحالات، وهي:

- **الأولى: المنادى المفرد المعرفة**

وهو كثير جدًّا في الخطاب القرآني وهو يبنى على ما يرفع به في محلٍّ نصب، وذلك نحو الآيات التَّالية: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم﴾ [البقرة:٣٣]، ونحو قوله ﷻ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ:١٠].

«فألزم الضَّم أو نائبه، ونائب الضَّمِّ: الألف في المثنى، والواو في جمع المذكَّر السَّالم، ونعني (بالمفرد): ما ليس مضافًا ولا شبيهًا بالمضاف، ولو كان مثنى أو مجموعًا.

ونعني (بالمعرفة): ما أريد به معيَّن سواء كان علمًا أو غيره.

فهذا النُّوع يبنى على الضَّمِّ في مسألتين:

١ - **أن يكون غير مثنى ولا مجموع جمع مذكَّر سالمًا**، [وهو كثير في النِّداء القرآني] نحو: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا﴾ [الأعراف:٧٧]، ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود:٤٦]، ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٍ﴾ [هود:٤٨]، ﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا﴾ [هود:٥٣].

٢ - **أن يكون جمع تكسير**: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ [سبأ:١٠].

ويبنى على الألف إذا كان مثنى نحو: يا زيدان، يا رجلان، ويبنى على الواو إذا كان جمع مذكر سالما: يا زيدون، يا مسلمون، إذا أريد بهما معيَّن»(١)

---

(١) بتصرُّف عن (شذور الذَّهب) (ص:١٤٣- ١٤٤).

● الثَّانية: إذا كان نكرةً مقصودة

وهي النَّكرة الَّتي تقصد قصدًا في النِّداء؛ ولذلك تكتسب التَّعريف منه؛ لأنَّه يحدِّدُها من بين النَّكرات، وهي تبنى على ما ترفع به في محلِّ نصبٍ[(١)].

وأمَّا نداء (النَّكرةُ المقصودة) في الخطاب القرآني فقد جاء في (أربعة) مواضع، وهي:

قوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هود: ٤٤].

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ [سبأ: ١٠].

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ [يوسف: ١٩].

وقوله عز وجل: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وقد سبق بيان ما يتعلَّق بمعنى هذه الآيات..

أمَّا قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ فإنَّ قوله عز وجل: ﴿بُشۡرَىٰ﴾ -بسكون الياءِ- نكرة مقصودة، نادى البشرى، كأنَّه عز وجل يقول: فهذا أوانك..، واحتمل أن يكون نكرة غير مقصودة فهو معرب، وحذف التَّنوين لمنع الصَّرف؛ لأنَّ ألف (فُعلى) لا تكون إلَّا للتَّأنيث[(٢)].

---

(١) انظر: اللُّباب في علل البناء والإعراب (١/ ٣٣٩)، وانظر: شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك (٣/ ٢٥٨)، و(ص: ٢٢٩)، و(ص: ٢٦٢) من الجزء نفسه.

(٢) انظر ذلك مفصَّلاً في: دراسات لأسلوب القرآن (٣/ ٥٢٣)، معاني القرآن، للفرَّاء (٢/ ٣٩-٤٠)، الكشاف (٢/ ٢٤٧)، البحر المحيط (٥/ ٢٩٠)، العكبري (٢/ ٢٧)، القرطبي (٤/ ٣٣٨٢).

- **الثَّالثة: المنادى الموصوف بابن**

إذا كان العلم المفرد موصوفًا بكلمة: (ابن) أو (بنت) بشرط أن يكونا مضافين إلى علم ففيه وجهان: البناء على الضَّمِّ، والبناء على الفتح[(١)].

أمَّا لفظ (ابن) الواقع صفةً للعلم فلا يجوز فيه إلَّا النَّصب.

ومثال ذلك من القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]؛ ولأنَّ (عيسى) اسم مقصور فالفتح والضَّم مقدَّران[(٢)].

وفي (الفريد): «يحتمل أن يكون (عيسى) مفتوحًا على إتباع حركته لا حركة الابن؛ لأنَّه قد وصفت به، وهو بين علمين، كقولك: (يا زيد بن عمرو)، فحركة (زيد) الإتباع، وحركة (ابن) حركة إعراب، وأن يكون مضمومًا كقولك: (يا زيد بن عمرو)، فـ: (زيد) مضموم؛ لأنَّه منادى مفرد، و(ابن) منصوب؛ لأنَّه صفة مضافة، كقولك: (يا زيد صاحب بشر). فإن قلت: (عيسى) آخره ألف لا تكون عليها فتحة ولا ضمَّة؛ قلت: تقدَّر عليها»[(٣)]

---

(١) انظر: أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك (٤/ ٢٢- ٢٣)، شذور الذَّهب (١/ ١٤٨- ١٤٩).

(٢) انظر: التِّبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٣١)، الشَّواهد على القواعد (ص: ٩٢).

(٣) الفريد (٢/١٠٣- ١٠٤). والحاصل أنَّ (يا) حرف نداء، و(عيسى) منادى مفرد علم مبني على الضَّمِّ المقدَّر على الألف في محلِّ نصبٍ، و(ابن) بدل أو نعت لـ (عيسى)، و(مريم) مضاف إليه..

● **الرَّابعة: المنادى بلفظ: (أي) و(أية):**

ويأتي مبنيًا على الضَّم في محلِّ نصب، وتدخل على ما فيه (أل)، وعلى المشتقِّ وغير المشتقِّ، ومجموع الصِّيغ في القرآن الكريم تأتي على النَّحو التَّالي:

قال الله عزّ وجلّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ [يوسف: ٤٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ [يوسف: ٧٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ [النمل: ١٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار: ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

كما يلاحظ أنَّها تؤنَّث مع المؤنث، وقد جاء في موضعين، كما في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ [يوسف: ٧٠]، ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر: ٢٧].

أمَّا قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، فقد سبق بيانه في موضعه في (نداء المخلوقات الأخرى غير الجمادات).

وتدخل (أي) على (الَّذي)، وقد جاء في موضع واحد: وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر: ٦].

وتدخل على (الَّذين)، وهو كثير في القرآن الكريم، وعددها: [٩٢] موضعًا.

وأعتمد هنا أوَّل ورودٍ للصِّيغة، حيث إنَّ التَّفصيل في ذلك قد سبق في (النِّداءات العامَّة):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النساء: ٤٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ [الجمعة: ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التحريم: ٧] .

وقال ابن هشام في (أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك)، (أقسام تابع المنادى الَمْبنيّ وأحكامه): وأقسامه أربعة:

«**أحدها**: ما يجبُ نصبه مراعاةً لمحلِّ المنادى، وهو ما اجتمع فيه أمران:

أحدهما: أن يكون نعتًا أو بيانًا أو توكيدًا.

الثَّاني: أن يكون مضافًا مجرَّدًا من (أل)، نحو: (يا زَيْدُ صَاحِبَ عمرو)، و(يا زَيْدُ أَبَا عَبْدِ اللهِ)، و(يا تميمُ كُلَّهُمْ أو كُلَّكُمْ).

الثَّاني: ما يجبُ رفعه مراعاة للفظ المنادى، وهو نعت (أيٍّ) و(أيَّةٍ)، ونعت اسم الإشارة اسمُ الإشارة وُصْلَةً لندائه نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ [الفجر: ٢٧]..وقولك (يا هذَا الرَّجُلُ) إن كان المراد أوَّلا نداء (الرَّجل). ولا يُوصَف اسم الإشارة أبدا إلَّا بما فيه (أل). ولا تُوصَف (أيُّ) و(أيَّة) في هذا الباب إلَّا بما

فيه (أل) أو باسم الإشارة نحو: (يَأَيُّهذَا الرَّجُلُ)[١].

الثَّالث: ما يجوز رفعه ونصبه وهو نوعان:

أحدهما: النَّعت المضافُ المقرونُ بـ: (أل) نحو: (يا زَيْدُ اَلحْسَنُ الْوَجْهِ).

والثَّاني: ما كان مفردًا من نعتٍ أو بيانٍ أو توكيدٍ كان معطوفًا مقرونًا بأل نحو: (يا زَيْدُ اَلحَسَنُ) و(الحسَنَ)، و(يا غُلَامُ بِشْرٌ) و(بِشْرًا)، و(يا تمَيمٌ أجمْعَوُنَ) و(أَجْمعَينَ).

وقال الله ﷻ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

قرأه السَّبعة بالنَّصب، واختاره أبو عمرو وعيسى، وقرئ بالرَّفع، واختاره الخليل[٢]، وسيبويه[٣]، وقدَّروا النَّصب بالعطف على ﴿فَضْلًا﴾ من قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]. وقيل: إن كانت (أل) للتَّعريف مثلها في الطَّير فالمختار النَّصب أو لغيره مثلها في (اليَسَعِ) فالمختار الرَّفع.

والرَّابع: ما يُعْطَى تابعًا ما يستحقّه إذا كان منادى مستقلًّا، وهو البدل، والمنسوق المجرَّد من (أل)؛ وذلك لأنَّ البدل في نيَّة تكرار العامل والعاطف، كالنَّائب عن العامل تقول: (يَا زَيْدُ بِشْرُ) بالضمِّ،

---

(١) انظر: أوضح المسالك (٤/٣٣ - ٣٤)، أسرار العربيَّة، لأبي البركات الأنباري (ص:٢٠٨)، توضيح المقاصد (٢/١٠٧٨)، شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (١/٣٧٦)، شذور الذَّهب (ص:٣٢٣)، بصائر ذوى التَّمييز (٦/ ٣٦٠).

(٢) انظر: الجمل في النَّحو، للخليل (ص:١٠٩-١١٠) .

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه (٢/١٨٧) .

وكذلك (يا زَيْدُ وَبِشْرُ)، وتقول: (يا زَيْدُ أبا عَبْدِ الله)، وكذلك: (يا زَيْدُ وأبَا عَبْدِ اللهِ)، وهكذا حكمهما مع المنادى المنصوب»[(١)].

والحاصل أنَّ النَّصب فيه أوجه:

١ - أن يكون عطفًا على محلِّ (الجبال).

٢ - أن يكون منصوبًا بإضمار فعل..التَّقدير: وسخَّرْنا له الطَّير..

٣ - أن يكون عطفًا على ﴿فَضْلًا﴾ .. التَّقدير: وآتيناه الطَّير..

والرَّفع: عطفًا إمَّا على لفظ: (الجبال)، وإمَّا على المنويِّ في

---

(١) أوضح المسالك (٤/ ٣٣ - ٣٦)، وانظر: المقتضب، للمبرّد (٤/ ٢١٢ - ٢١٣)، التِّبيان في إعراب القرآن الكريم (٢/ ١٩٥) وفي (مشكل إعراب القرآن): من نصب ﴿ٱلطَّيْرَ﴾ عطفه على موضع الجبال؛ لأنها في موضع نصب بمعنى النِّداء، وهو قول سيبويه. وقيل: هي مفعول معه، وقال أبو عمرو: هو منصوب بإضمار فعل تقديره: (وسخَّرْنا له الطَّير). وقال الكسائيُّ: تقديره: (وآتيناه الطَّير)، كأنَّه معطوف على ﴿فَضْلًا﴾ . وقد قرأه الأعرجُ بالرَّفع عطفه على لفظ: (الجبال). وقيل: هو معطوف على المضمر المرفوع في ﴿أَوِّبِي﴾ . وحسن ذلك؛ لأنَّ معه قد فصلت بينهما فقامت مقام التَّأكيد». مشكل إعراب القرآن، لمكي (٢/ ٥٨٣ -٥٨٤). انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٦)، روح المعاني (١٧/ ٧٦). وانظر: الفريد (٤/ ٥٨)، المحرَّر الوجيز (٤/ ٤٦٩)، البحر المحيط (٧/ ٢٥٣). وفي (زاد المسير) قوله ﷻ: ﴿ٱلطَّيْرَ﴾ «قرأ أبو رزين وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية وابن أبي عبلة: ﴿ٱلطَّيْرُ﴾ بالرَّفع. فأمَّا قراءة النَّصب فقال أبو عمرو بن العلاء: هو عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا﴾ ، و﴿ٱلطَّيْرَ﴾ ، أي: وسخَّرنا له الطَّير. قال الزَّجاج: [انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٤/ ٢٤٢- ٢٤٣)] ويجوز أن يكون نصبًا على النِّداء كأنَّه قال: دعونا الجبال والطَّير، فالطَّير معطوفٌ على موضع (الجبال). وكلُّ منادى عند البصريين فهو في موضع نصب، قال: وأمَّا الرَّفع فمن جهتين: إحداهما: أن يكون نسقًا على ما في ﴿أَوِّبِي﴾ ، فالمعنى: ﴿يَـٰجِبَالُ﴾ رجِّعي التَّسبيح معه أنت والطَّير. والثَّانية: على النِّداء، المعنى: (يا جبالُ ويا أيُّها الطَّير أَوِّبِي معه)». زاد المسير (٦/ ٤٣٦). .

﴿أَوِّبِي﴾ ، وأغنت ﴿مَعَهُ﴾ عن تأكيده.

وقد ذكر الزَّجاج وجهًا رابعًا، وهو أنَّه مفعول معه، ولكنه رُدَّ بأنَّ قبله لفظ: ﴿مَعَهُ﴾ ، ولا يقتضي العامل أكثر من مفعول معه واحد إلَّا بالبدل أو العطف. لا يقال: جاء زيد مع بكر مع عمرو..[(١)].

والخلاصة في إجمال الإعراب أن يقال: إنَّ ﴿يا﴾ حرف نداء، و﴿جِبَالُ﴾ منادى نكرة مقصودة، و﴿أَوِّبِي﴾ فعل أمر مبني على حذف النُّون، والياء فاعل، ومعه ظرف متعلِّق بـ ﴿أَوِّبِي﴾ ، و﴿ٱلطَّيْرَ﴾ عطف على محلِّ الجبال، وهو النَّصب، وقُرئ بالرَّفع عطفًا على اللَّفظ..ويقال في النَّصب والرَّفع ما سبق بيانه[(٢)].

❀ ❀ ❀

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٤/ ٢٤٢- ٢٤٣)، الدُّر المصون (٥/ ٤٣٤).

(٢) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٨/ ٧٣)، تفسير ابن عادل (١٦/ ٢١)، الكشاف (٣/ ٢٨١)، البحر المحيط (٧/ ٢٥٣)، معاني القرآن، للفرَّاء (٢/ ٣٥٥)، مشكل إعراب القرآن، لمكي (٢/ ٥٨٣ - ٥٨٤)، معاني القرآن، وإعرابه، للزَّجاج (٤/ ٢٤٣)، الدُّر المصون (٥/ ٤٣٣-٤٣٤).

المطلب الثَّاني: المنادى المعرب

● أقسام المنادى المعرب:

أوَّلا: نداء المضاف

ويكون منصوبًا، وهو أكثر الأنواع في القرآن الكريم، وأمَّا صيغ (نداء المضاف) فهي على النَّحو الآتي مرتَّبةً على حسب التَّرتيب المصحفي بالنِّسبة لأوَّل موضع ترد فيه، مع بيان ما لم يسبق بيانه:

١ - ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]:

وقد سبقَ ما يتعلَّق بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّة)، كما سبق أنَّه من (نداء النِّسبة).

٢ - ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ [البقرة: ٥٤]:

وقد سبقَ ما يتعلَّق بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّة).

٣ - ﴿يَٰبَنِيَّ﴾ [البقرة: ١٣٢]:

الأصل (بنين)، حذفت النُّون عند الإضافة، وأدغمت (ياء الجمع) في (ياء المتكلِّم)، وحرِّكت المشدَّدة بالفتحة.

وقد جاءت في (ثلاثة) مواضع:

أ. نداء إبراهيم عليه السلام بنيه:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. والمعنى أنَّ إبراهيم عليه السلام وَصَّى، ثمَّ وَصَّى بعده يعقوبُ عليه السلام بَنِيهِ، فقالا جميعًا: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ ..[1]. يعني: اختار لكم الدِّين، أي: الإسلام.

وقد أخبر الله عز وجل أنَّه أمر الخليل عليه السلام بالإسلام، وأنَّه قال: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وأنَّ إبراهيم عليه السلام، وصَّى بنيه، ويعقوب عليه السلام وصَّى بنيه أن لا يموتنَّ إلَّا وهم مسلمون[2].

أمَّا تفصيل (الوصيَّة) فقد «أمر أبناءه أن يكونوا على ملَّةِ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق - عليهم السَّلام-، وهي نظير ما وصَّى به إبراهيم عليه السلام بنيه، فأجمل هنا اعتمادًا على ما صرَّح به في قوله سابقًا:

﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وهذا تنويه بالحنيفيَّة الَّتي هي أساس الإسلام، وتمهيد لإبطال قولهم: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ [البقرة: ١٣٥]، وإبطال لزعمهم أنَّ يعقوب عليه السلام كان على اليهوديَّة، وأنَّه أوصى بها بنيه فلزمت ذرِّيته فلا يحولون عنها»[3].

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (١/ ١٩٣)، القرطبي (٢/ ١٣٥)، السِّراج المنير (١/ ٨٦)، مقاتل (١/ ٧٩)، النَّيسابوري (١/ ٤٧).

(٢) انظر: الجواب الصَّحيح (٢/ ١٢٩)، دقائق التَّفسير (١/ ٣٣٨) .

(٣) التَّحرير والتَّنوير (١/ ٧٣٠).

والحاصل أنَّ الإسلام هو أساس قبول العمل فقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]. فإنَّ من الكافرين من عمل شيئًا من الصَّالحات فإذا أعمالهم هباءً منثورًا.. يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]، أي: الأعمال الَّتي كانوا يظنُّون أنَّها تنفعهم كالصَّدقة، وصلة الرَّحم، وإغاثة الملهوف، والإنفاق أو الكرم.. فهي كالسَّراب، وهو ما يرى في الفلوات من لمعانِ الشَّمس عليها وقت الظَّهيرة، فيظنُّ أنَّه ماء يجري على وجه الأرض، حتَّى إذا وصل إليه لم يرَ ماءً ولا شرابًا، وإنَّما رأى سرابًا، فعظمت حسرتُه، ووجد الله ﷻ له بالمرصاد فوفَّاه جزاء عمله، فكذلك الكافر يحسب أنَّ عمله ينفعه حتَّى إذا مات لم يجد شيئًا من الأعمال.. قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

قال القاضي عياض -رحمه الله تعالى-: «وقد انعقد الإجماع على أنَّ الكفَّار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيمٍ ولا تخفيف عذاب، لكن بعضهم أشدُّ عذابًا من بعض بحسب جرائمهم»[(١)].

وشبَّهها في موضعٍ آخر بالرَّماد الَّذي عصفت به الرِّيح في يوم شديد

(١) إكمال المعلم، للقاضي عياض (١/ ٥٩٧). وانظر: شرح النَّووي على صحيح مسلم (٣/ ٨٧)، فتح الباري (٩/ ١٤٥).

هبوب الرِّيح، فأصابت تلك الرِّيح المدمِّرة زرعَ قومٍ ظلموا أنفسهم بالمعاصي فأفسدته وأهلكته، فلم ينتفعوا به. يقول الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم: ١٨].

وقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: ابْنُ جُدْعَانَ[١] كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»[٢].

ب. الموضع الثَّاني (نداء يعقوب عليه السلام **بنيه)**: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ [يوسف: ٦٧]. ومما يستفاد من نداء يعقوب عليه السلام هنا أنَّه «لم يناقض توكُّله، بل قال: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]»[٣].

«ومما يوضِّحُ أن تعاطي الأسباب لا ينافي التَّوكل على الله ﷻ:

---

(١) «قال العلماء: وكان بن جدعان كثيرَ الإطعام، وكان اتخذ للضيفان جَفْنَةً يُرقى إليها بسلَّم [يأكُلُ منها القائِمُ والرَّاكِبُ لِعظَمِها]، وكان من (بني تميم بن مرَّة) أقرباء عائشة رضي الله عنها وكانَ من رؤساء قريش، واسمه: عبد الله، و(جدعان) -بضم الجيم، وإسكان الدَّال المهملة، وبالعين المهملة-». شرح النَّووي على صحيح مسلم (٣/ ٨٧) .

(٢) أخرجه مسلم [٣١٥].

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٥/ ١١٣-١١٤).

قوله ﷻ عن يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ أمرهم في هذا الكلام بتعاطي السَّبب، وتسبب في ذلك بالأمر به؛ لأنَّه يخاف عليهم أن تصيبهم النَّاس بالعين؛ لأنَّهم (أحدَ عَشَرَ) رجلا أبناء رجلٍ واحد، وهم أهل جمالٍ وكمالٍ وبسطةٍ في الأجسام. فدخولهم من بابٍ واحدٍ مظنَّةٌ لأن تصيبهم العينُ فأمرهم بالتَّفرق، والدُّخول من أبوابٍ متفرِّقة تعاطيًا للسَّبب في السَّلامة من إصابة العين، كما قال غير واحد من علماء السَّلف. ومع هذا التَّسبب فقد قال الله ﷻ عنه: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ . فانظر كيف جمع بين التَّسبب في قوله: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾، وبين التَّوكل على الله ﷻ في قوله: ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ ، وهذا أمرٌ معلومٌ لا يخفى إلَّا على من طمسَ الله ﷻ بصيرته!!. والله ﷻ قادر على أن يسقط لها [أي: لمريم -عليها السَّلام-] الرُّطب من غير هزِّ الجذع، ولكنَّه أمرها بالتَّسبب في إسقاطه بهزِّ الجذع»[١] .

ج. **الموضع الثَّالث (نداء من يعقوب** عليه السلام لبنيه أيضًا): ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف:٨٧]، أي: فتعرَّفوا، وهو تَفَعُّلٌ من (الحسِّ)، وهو في الأصل: (الإدراك) بالحاسة، وكذا أصل (التَّحسس): طلب الإحساس، واستعماله في التَّعرف استعمال له في

(١) أضواء البيان (٣/ ٤٥٩) .

لازم معناه[١]. وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف:٨٧]، أي: لا تقنطوا من فَرَجِه ﷻ وتنفيسه، وأصل معنى: (الرَّوح) -بالفتح-: التَّنفس. يقال: (أراح الإنسان) إذا تنفس، ثُمَّ استعير للفرج كما قيل: (له تنفيس) من النَّفس[٢]. كأنَّه -عليه السَّلام- تنسَّم نسائمَ الفرج بعد أن رَفَعَ الأمرَ إلى مولاه ﷻ[٣].

ومن رحمته وفرجه وتيسيره ولطفه في جمع الشَّتات، وتيسير المراد[٤].

«وكلمة: ﴿رَّوۡحِ﴾ أدقُّ دلالةً وأكثر شفافيّةً. ففيها ظلُّ الاسترواح من الكرب الخانق بما ينسم على الأرواح من روْح الله ﷻ النَّدي: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، فأمَّا المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله ﷻ، النَّدية أرواحهم بروْحه، الشَّاعرون بنفحاته المحيية الرَّخيَّة، فإنهم لا ييأسونَ من روْح الله ﷻ، ولو أحاط بهم الكربُ، واشتدَّ بهم الضِّيقُ. وإنَّ المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه، وفي أنس من صلته بربِّه ﷻ، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه ﷻ»[٥].

---

(١) انظر: روح المعاني (١٣/ ٤٤)، انظر: القرطبي (٩/ ٢٥٢)، تفسير أبي السُّعود (٤/ ٣٠٢).

(٢) انظر: تفسير أبي السُّعود (٤/ ٣٠٢)، روح المعاني (١٣/ ٤٤)، البحر المديد (٣/ ٣٠٠)، فتح القدير (٣/ ٧١)، المفردات، للرَّاغب، مادَّة: (روح) (١/ ٢٠٦)، بصائر ذوى التَّمييز (٣/ ٤١)، مقاييس اللُّغة، لابن فارس، مادَّة: (روح) (٢/ ٤٥٤).

(٣) انظر: روح المعاني (١٣/ ٨١).

(٤) انظر: نظم الدُّرر (٤/ ٩٢).

(٥) الظِّلال (١٣/ ٢٠٢٦).

ويمتنع أن يكون للأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- يأسٌ من رَوح الله ﷻ، وأن يقعوا في الاستيئاس، بل المؤمنون ما داموا مؤمنين لا ييأسون من روح الله ﷻ، وهذه السُّورة تضمَّنت ذكر المستيئسينَ، وأنَّ الفرح جاءهم بعد ذلك، لئلَّا ييأس المؤمن، ولهذا فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١](١).

٤ - ﴿يَٰأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:١٧٩]:

وقد سبقَ ما يتعلَّق بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّة).

٥ - ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ [آل عمران:٢٦]، [الزمر:٤٦]:

أ. الميم في قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ عوض عن حرف النِّداء؛ ولـذلك لا يجتمعان. وهذا من خصائص الاسم الجليل، كدخوله عليه مع حرف التَّعريف، وقطع همزته، ودخول تاء القسم عليه. وقيل: أصله: (يا الله آمنا بخير)، أي: اقصدنا به، فخفِّف بحذف حرف النِّداء ومتعلَّقات الفعل وهمزته(٢).

ب. ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ .. قال العلامة محمد الطَّاهر: (الـمُلك) «بضمِّ الميم: اسم لأكمل أحوال (المِلك) -بكسر الميم-، و(المِلك): -بالكسر- جنس

(١) انظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التَّفسير (١٥/ ١٥٢).

(٢) انظر: تفسير أبي السُّعود (٢/ ٢١)، الدُّر المصون (٢/ ٥٣)، المحرَّر الوجيز (١/ ٤١٧)، معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (١/ ٣٩٤)، التِّبيان (١/ ١٣٠)، تفسير النَّسفي (١/ ٢٢٨)، تفسير النَّيسابوري (٢/ ١٣٦). وقد سبق بيان ذلك مفصَّلاً.

للمُلك بالضَّمِّ، وفسَّر (المـُلك) المضموم بضبط الشَّيء المتصرَّف فيه بالحُكم. وهو تفسير قاصر، وأرى أن يُفسَّر بأنَّه تصُّرفٌ في طائفةٍ من النَّاس ووطنهم تصرُّفًا كاملا بتدبيرٍ ورعاية، فكلُّ (مُلك) بالضَّمِّ (مِلك) بالكسر، وليس كلُّ (مِلك) مُلكًا»(١).

ج. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادَى:

«نداءٌ خاشعٌ في تركيبه اللَّفظي إيقاع الدُّعاء. وفي ظلاله المعنويَّة روحُ الابتهال. وفي التفاتاته إلى كتاب الكون المفتوح استجاشةٌ للمشاعر في رفقٍ وإيناس. وفي جمعه بين تدبير الله ﷻ، وتصريفه لأمور النَّاس، ولأمور الكون إشارة إلى الحقيقة الكبيرة: حقيقة الألوهيَّة الواحدة القوامة على الكون والنَّاس، وحقيقة أن شأن الإنسان ليس إلَّا طرفًا من شأن الكون الكبير الَّذي يُصرِّفه الله ﷻ، وأنَّ الدَّينونة لله ﷻ وحده هي شأن الكون كلِّه كما هي شأن النَّاس، وأنَّ الانحراف عن هذه القاعدةِ شذوذٌ وسفه وانحراف! إنها الحقيقة النَّاشئة من حقيقة الألوهيَّة الواحدة..إله واحد فهو المالك الواحد..هو ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ بلا شريك..، ثُمَّ هو من جانبه يملك من يشاء ما يشاء من ملكه..»(٢).

د. و﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ ..قيل: هو نداء ثان، أي: يا مالك الملك(٣) .

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (٢٩/ ١١).

(٢) الظِّلال (٣/ ٣٨٤) .

(٣) انظر: التِّبيان في إعراب القرآن الكريم (١/ ١٣٠). معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (١/ ٣٩٤)، =

٦ - ونحوه قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦].

٧ - ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤]:

وقد سبقَ ما يتعلَّق بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّة)، وسبق أنَّها من نداء التَّخصيص.

٨ - ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ [المائدة: ٣١]:

في (ثلاثة) مواضع:

الموضع الأوَّل: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ﴾ [المائدة: ٣١][(١)]:

أ. **بيان ما ولي المنادَى:**

في هذه القصَّة بيانٌ لتأثير الحسد، وأنَّه يؤدِّي إلى المخاطر

= الدُّر المصون (٢/ ٥٣-٥٤)، ابن عادل (٥/ ١٢٥)، تفسير أبي السُّعود (٢/ ٢١)، تفسير الرَّازي (١٢/ ٤٦٣)، تفسير القرطبي (٤/ ٥٤)، النَّسفي (١/ ٢٢٨)، فتح القدير (١/ ٤٩٧)، إعراب القرآن، للنَّحاس (١/ ٣٦٥). وفي (الفريد): «نداء ثان، أي: يا مالك الملك، ولا يجوز أن يكون صفة لقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ عند صاحب (الكتاب) [أي: سيبويه. انظر: (الكتاب) بتحقيق عبد السَّلام هارون، (٢/ ١٩٦)] وموافقيه؛ لأنَّه لحقه شبه الصَّوت، والأصوات لا توصف كـ: (فاق) وشبهه. وأجاز ابن السَّراج والزَّجاج والمبرّد وغيرهما من البصريين والكوفيين أن يكون ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ نعتا لقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾، قائلين: إنَّ الاسم ومعه الميم بمنـزلته، ومعه (يا)، فكما يجوز أن يوصف ومعه (يا) يجوز أن يوصف ومعه الميم. ونظيره: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾». الفريد: (١/ ٥٥٨)، معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (١/ ٣٩٤)، المقتضب، للمبرّد (٤/ ٢٣٩)، الكتاب، لسيبويه (٢/ ١٩٦)، الأصول في النَّحو، لابن السَّراج (١/ ٣٣٨).

(١) وتمام الآية: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

والمهالك والقبائح، فيقضي على رابطة الأخوَّة، ويؤدِّي إلى سفك الدِّماء[١].

ومعنى (الاستفهام) هنا: «الإنكار على نفسه والنَّعي، أي: لا أعجز عن كوني مثل هذا الغُرَاب، وفي ذلك هضمٌ لنفسه، واستصغار لها بقوله: مثل هذا الغُرَاب. وأصل (النِّداء) أن يكون لمن يعقل، ثُمَّ قد ينادي ما لا يعقل على سبيل المجاز كقولهم: (يا عجبًا) و(يا حسرة)، والمراد بذلك التَّعجب. كأنَّه قال: انظروا لهذا العجب، ولهذه الحسرة، فالمعنى: تنبَّهوا لهذه الهلكة. وتأويله: (هذا أوانك فاحضري)»[٢].

وكلمة: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ كلمة جزع وتحسُّرٍ، بمعنى: (يا هلاكي)، والألف فيها بدلٌ من (ياء المتكلِّم). والمعنى: (يا ويلتي احضري فهذا أوانك)، و(الويل) و(الويلة): الهلكة[٣].

و(البعث) في قول وَعَجَلَّ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ «مستعملٌ في الإلهام بالطَّيران إلى ذلك

(١) سبق التَّعريف (بالحسد) وبيان آثاره.

(٢) البحر المحيط (٣/ ٤٨١). وقد ((قرأ الجمهور: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ بألف بعد التَّاء، وهي بدل من ياء المتكلِّم، وأصله: (يا ويلتي) بالياء، وهي قراءة الحسن. وأمال حمزة والكسائي وأبو عمرو ألف ﴿ويلتي﴾. وقرأ الجمهور: ﴿أَعَجَزۡتُ﴾ - بفتح الجيم-. وقرأ ابن مسعود، والحسن، وفياض، وطلحة، وسليمان: بكسرها وهي لغةٌ شاذَّة، وإنما مشهور الكسر في قولهم : عجزت المرأة إذا كبرت عجيزتها». البحر المحيط (٣/ ٤٨١).

(٣) انظر: تفسير أبي السُّعود (٣/ ٢٨)، روح المعاني (٦/ ١١٦)، تفسير البيضاوي (٢/ ٣١٨)، السِّراج المنير (١/ ٤٢٥). وسيأتي بيان معنى (الويل) مفصَّلا..

المكان، أي: فألْهم الله ﷻ غرابًا ينـزل بحيث يراه قابيل. وكأنَّ اختيار الغراب لهذا العمل؛ إمَّا لأنَّ الدَّفنَ حيلة في الغِربان من قبلُ، وإمَّا لأنَّ الله ﷻ اختاره لذلك لمناسبة ما يعتري النَّاظر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسيف الخاسر من انقباض النَّفس. ولعلَّ هذا هو الأصلُ في تشاؤم العرب بالغُرَاب، فقالوا: (غُراب البين). والضَّمير المستتر في ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ إن كان عائدًا إلى اسم الجلالة فالتَّعليل المستفاد من اللام وإسناد الإرادة حقيقتان[١]، وإن كان عائدًا إلى الغراب فاللام مستعملةٌ في معنى (فاء التَّفريع)[٢]، وإسناد (الإرادة) إلى الغراب مجازٌ؛ لأنّه سبب الرُّؤية فكأنَّه مُرِيءٌ[٣]. و﴿كَيْفَ﴾ يجوز أن تكون مجرَّدة عن الاستفهام مرادًا منها الكيفيَّة، أو للاستفهام، والمعنى: ليريه جواب[٤] كيف يُواري؟[٥]. و(السَّوْأة): مَا تَسُوء رؤيتُه، وَهِي هنا

(١) أقول: فيكون المعنى: أرى اللهُ ﷻ -وهو فاعل الرُّؤية حقيقة- القاتلَ..

(٢) أقول: فرَّع عن رؤية الغراب -وهو وسيلة وسبب- ما قام به من البحث في الأرض والمواراة..

(٣) أقول: أي: أنَّه أقام السَّبب -الَّذي هو الغراب- مقام المسبَّب - الرُّؤية، فكأنَّه، أي: الغراب- وهو لا يعقل - هو الَّذي أراه معلِّمًا إيَّاه؛ لأنَّه لَّما كان سبب تعليمه فكأنَّه قصد تعليمه، وفيه أيضًا تنـزيلُ ما لا يعقل - الغراب -منـزلةَ من يعقل - فاعل الرُّؤية الحقيقي، وذلك على طريقة المجاز المرسل.

(٤) أقول: أي: جواب الاستفهام الَّذي قد انبثق من نفسه، ماذا يفعل في هذه الجثَّة؟ كيف يواريها؟

(٥) أقول: والمعنى أنَّ الضَّمير المستكنَّ - أي: المستتر- في قوله ﷻ: ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ لله ﷻ، أو الغراب، والهاء لقابيل - القاتل -، أي: ليريه اللهُ ﷻ أو ليريه الغراب، أي: ليعلمه؛ لأنه لَّما كان سبب تعليمه فكأنَّه قصد تعليمه على سبيل المجاز المرسل. وجملة: ﴿كَيْفَ يُوَارِى﴾ في موضع نصب على أنَّها مفعول ثانٍ ليرى.

تغيُّر رائحة القتيل وتقطُّع جسمه»[١].

وفي (التَّحرير والتَّنوير أيضًا): كلمة: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ «من صيغ الاستغاثة المستعملة في التَّعجُّب، وأصله: (يا لَوَيْلَتِي)، فعوِّضت الألف عن (لام الاستغاثة) نحو قولهم: (يا عَجَبًا). ويجوز أن يجعل الألف عوضًا عن ياء المتكلِّم، وهي لغة، ويكون النِّداء مجازًا بتنـزيل (الويلة) منـزلة ما يُنَادَى[٢]، كقوله: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]. والاستفهام في ﴿أَعَجَزۡتُ﴾ إنكاريٌّ. وهذا المشهد العظيم هو مشهد أوَّل حضارةٍ في البشر، وهي من قبيل طلب سَتر المشاهد المكروهة. وهو أيضًا مشهد أوَّل علم اكتسبه البشر بالتَّقليد وبالتَّجربة، وهو أيضًا مشهد أوَّل مظاهر تَلقِّي البشر معارفه من عوالم أضعفَ منه كما تَشَبَّه النَّاس بالحيوان في الزِّينة، فلبسوا الجُلُود الحسنة الملوَّنة وتكلَّلوا بالريش المُلوَّن وبالزُّهور والحجارة الكريمة، فكم في هذه الآية من عبرة للتَّاريخ والدِّين والخُلُق؟!!»[٣].

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (٦/ ١٧٣) .

(٢) أقول: أي: تنـزيلُ ما لا يعقل منـزلةَ من يعقل، وهي علاقة من علاقات المجاز المرسل، والقرينة (نداء الويل)، وهو لا يعقل، والنُّكتة: زيادة التَّحسُّر، فكأنَّ المتحسِّر ينادي ويلته ويطلب حضورها، بعد تنـزيلها منـزلة من ينادي، ولا يكون ذلك إلاَّ في أشدِّ الأحوال ألمـًا .

(٣) التَّحرير والتَّنوير (٦/ ١٧٣-١٧٤).

ب. إجمال ما يستفاد:

أوَّلا: **بيان العاقبة:**

وبعد أن فعل ما فعل من قتل أخيه ماذا كانت العاقبة؟ قال ﷻ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٣٠].

وقال ﷻ: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

وفي هاتين الآيتين بيانٌ لما آل إليه حاله بعد ما اقترفت يداه من القتل؛ إذْ رأى الغراب - وهو لا يعقل -يحتفل بإكرام أخيه الميِّت، ورأى نفسه -وهو يعقل- يجترئُ على قتل أخيه، وهذه الموازنة إن دلَّت فإنَّما تدلُّ على عظم الجرم بالنِّسبة له، وفيها تعليمٌ للمخاطَبين ببيان جسامة مثل هذا الفعل، وفي الآيات بيانٌ يدلُّ على أنَّ عاقبة كلِّ ظالمٍ النَّدمُ والخسران.

ويحتمل أنَّ هذا النَّدم منه لم يكن ناشئًا عن خوف عذاب الله ﷻ، ولا قَصْدِ توبة، فلذلك لم ينفعْه. وقيل: إنما ندمه كان على فقده لا على قتله، وإن كان فلم يكن موفيًا شروطه، أو ندم ولم يستمر ندمه[١].

وفي (أحكام القرآن): «فَنَقُولُ: من الغريب أنَّ الله ﷻ قد أَخْبَرَ عنه أَنَّهُ نَدِمَ، وهو فِي النَّارِ!!، وقال ﷺ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**». قلنا: عن هذه (ثلاثة) أجوبة:

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦/ ١٤٢).

الأوَّلُ: أَنَّ الحديث ليس يَصِحُّ[١]، المعنى صحيح، وَكُلُّ مَنْ نَدِمَ فقد سَلِمَ، لكنَّ النَّدم له شروطٌ، فكلُّ من جاء بشروطه قُبِلَ منه، ومن أَخَلَّ بها أو بشيءٍ منها لم يقبل.

الثَّانِي: أنَّ معناه ندم ولم يسْتَمِرَّ ندمُهُ، وإِنَّما يقبل النَّدم إذا اسْتَمَرَّ.

الثَّالِثُ: أنَّ النَّدم على الماضي إنَّما ينفع بشرط العزم على أَلَّا يفعل في المستقبل[٢].

ثانيًا: **طبيعة الإنسان فيها نوازعُ الخيرِ والشَّر**:

وممَّا يستفاد من هذه القصَّة ما أجمله صاحب (الظِّلال) بقلمه الصَّناع، وبيانه المطواع حيث قال:

«هذه القصَّة تقدِّم نموذجًا لطبيعة الشَّرِّ والعدوان، ونموذجًا كذلك من العدوان الصَّارخ الَّذي لا مبرِّر له. كما تقدِّم نموذجًا لطبيعة الخير والسَّماحة، ونموذجًا كذلك من الطِّيبة والوداعة. وتقفهما وجهًا لوجه، كلٌّ منهما يتصرَّفُ وفق طبيعته..وترسم الجريمة المنكرة الَّتي يرتكبها الشَّر والعدوان الصَّارخ الَّذي يثير الضَّمير، ويثير الشُّعور بالحاجة إلى

---

(١) والغريب أنَّه ذكر أنَّ الحديث لا يصحُّ، والحديث أخرجه غير واحد، وهو مرويٌّ من أكثر من طريق، فقد أخرجه من أصحاب السُّنن ابنُ ماجه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، [٤٢٤٢]، وأحمد [٣٣٨٧]. والحديث صحَّحه الحاكم، ووافقه الذَّهبي. انظر: المستدرك على الصَّحيحين (٤/ ٢٧١)، [٧٦١٢]، (٤/ ٢٧١)، [٧٦١٣]. قال الحافظ في (الفتح) (١٣/ ٤٧١): «وهو حديث حسن من حديث بن مسعود رضي الله عنه أخرجه بن ماجه، وصحَّحه الحاكم..». وانظر: مرعاة المفاتيح، (٨/ ٣١)، [٢٣٥٧]، مشكاة المصابيح (٨/ ٧١)، مصباح الزُّجاجة (٤/ ٢٤٨)، أسنى المطالب (ص: ٣١٠)، كشف الخفاء (٢/ ٣١٥).

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٥٩٠) .

شريعة نافذةٍ بالقصاص العادل، تكفُّ النَّموذج الشَّرير المعتدي عن الاعتداء، وتخوِّفه وتردعه بالتَّخويف عن الإقدام على الجريمة، فإذا ارتكبها -على الرَّغم من ذلك- وجد الجزاء العادل، المكافئ للفعلة المنكرة. كما تصونُ النَّموذج الطَّيب الخيِّر، وتحفظ حرمة دمه. فمثل هذه النُّفوس يجب أن تعيش، وأن تصان، وأن تؤمن في ظلِّ شريعة عادلة رادعة»[١].

والحاصل أنَّ الآيات قدَّمت نموذجين متقابلين، وبيَّنت أنَّ الإنسان مركَّبٌ من صفاتٍ متقابلة من الخيرِ والشَّرِّ، والعقيدة الَّتي جاء الرُّسل -عليهم الصَّلاة السَّلام- هي الَّتي توجِّه الإنسان إلى ملازمة الصِّفات والميول الخيِّرة، وإلى كبح جماح الصِّفات المقابلة لصفات الخير، فإنَّ الله ﷿ حينما تعلَّقت إرادتُه بإيجاد هذا الكون، اقتضت حكمتُه أن يختارَ الإنسان من بين المخلوقات الأخرى، فيجعله سيِّدَ هذا الكون، ويجعل سائر مظاهره مسخَّرةً لخدمته، فكان أن جهَّز هذا المخلوق بمجموعة من الصِّفات الَّتي لا بدَّ منها؛ لتتكاملَ لديه القدرةُ على إدارةِ الكون وتعميره؛ وليتحقَّق فيه معنى التَّكليف المتفرِّع عن عبوديَّته لله ﷿. ومن هذه الصِّفات -مثلًا- صفة القوَّة، وما يتفرَّعُ عنها من النُّزوعِ إلى السَّيطرةِ والعظمةِ والجاه، وبثَّ فيه مجموعةً من العواطف كالحُبِّ والكراهية والغضبِ والحَسَد أو الغبطة...إلخ.. إلَّا أنَّ لهذه الصِّفاتِ آفاتٌ عظام، وهي سلاحٌ ذو حدَّين..إن استعمل أحدهما جاء بالتَّنظيم

---

(١) الظِّلال (٦/ ٨٧٤ - ٨٧٥).

العظيم للكون، وبالخيرِ الوفيرِ للإنسان..وإن استعمل الآخر جاء بالشَّرِّ الوبيل، والفوضى الهائلة، وأورث الإنسانيَّة شقاءً لا آخر له. ومن نتائج الخطورة لهذه الصِّفات أنَّ من شأنها أن تحمل صاحبها على أن يستعملَ صفةَ القدرة -مثلًا- في ظلمِ الآخرين، وأن تتسابقَ جماعاتٌ في ميدانٍ من الصِّراع الدَّمويِّ على السُّلطان والجاه والثَّروات والممتلكات..الخ. ومن أجل ذلك كان لا بدَّ من قوَّةٍ توجِّهُ هذه الصِّفات إلى الوجهة الصَّالحة..هذه القوَّةُ هي الدِّين والعقيدةُ الصَّحيحة الَّتي فيها: التَّنظيم لحياة الإنسان، والحدود الرَّادعة، والتَّرغيب والتَّرهيب، والثَّواب والعقاب، والقانون الأخلاقي الَّذي يدفع اختلاف المختلفين...

ثالثًا: **الزَّمان والمكان والأشخاص....**

أقول: ولا يحدِّد السِّياقُ القرآني غالبًا لا زمانَ ولا مكانَ ولا أسماء القصَّة؛ لأنَّ القرآن الكريم لا يُعنى إلَّا بالمقاصد الشَّريفة، فالقرآن لا يُعنى غالبًا بتقرير زمانٍ ولا مكان، ولا تحديدِ أشخاصٍ بدقَّة؛ لأنَّ ذلك ليس له شأنٌ في تشكيل الحدث.

رابعًا: **قياسُ الشَّبه**:

ذكر ابن العربي في (أحكام القرآن الكريم)، تفسير قَوْله: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ أن فيه دليلاً على قياس الشبه حيث قال: «فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى قِيَاسِ الشَّبَهِ»[1]. وما ذكره ابن العربي في (أحكام القرآن

---

(١) أحكام القرآن الكريم، لابن العربي (٢/ ٥٩٠).

الكريم) مجملًا، ذكره مفصَّلًا في (المحصول)، حيث قال: «وأمَّا قياس الشَّبه فهو على ضربين: شبه خَلقي، وشبه حُكمي، فأمَّا (الشَّبه الخلقي) فكإجماع الصَّحابة على جزاء الحمامة بالشَّاة، والنَّعامة بالبدنة لما بينهما من تشابه الخلقة. وأمَّا (الشَّبه الحُكمي) كقول علمائنا في الدَّليل على أنَّ الوضوء يفتقر إلى النِّية خلافًا لأبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طهارة حكميّة فافتقرت إلى النِّية كالتَّيمم. وقد اختلف النَّاس في (قياس الشَّبه)، فمنهم من نفاه، ومنهم من أثبته، ومنهم من فصله»[(١)].

وقال في (العبادات): هي نوعٌ لا يجري فيها تعليل بحال، بل إنَّ (قياس الشَّبه) يدخلها كقول علمائنا -رحمة الله عليهم- في الوضوء: عبادة فافتقرت إلى النِّية كالصَّلاة...إلخ[(٢)].

وعلى أيَّة حال فإنَّ الخلافَ مبسوطٌ في (كتب أصول الفقه)، وما أردتُ الإشارة إليه هنا أنَّ من العلماء من استدلَّ على (قياس الشَّبه) من الآية السَّابقة كابن العربيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المالكيَّة، ونفاه غيره.

خامسًا: **الاعتبار بقصص السَّابقين..**

الموضع الثَّاني: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢]:

أ. ما يستفاد مما ولي المنادَى:

يخبرُ الله عَزَّ وَجَلَّ أنَّه وَهَبَ لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بعد أن طَعَن في السنِّ، وآيس هو وامرأته (سارة) من الولد، فجاءته الملائكة وهم

---

(١) بقليلٍ من التَّصرُّف عن (المحصول في أصول الفقه)، لابن العربي (١/ ١٢٦- ١٢٧).
(٢) بقليلٍ من التَّصرُّف عن (المصدر نفسه) (١/ ١٣٣).

ذاهبون إلى قوم لوط عليه السلام، فبشروهما بإسحاق عليه السلام، فتعجَّبت المرأة من ذلك، وقالت: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝٧٣﴾ [هود: ٧٢ - ٧٣]، وبشروه مع وجوده بنبوَّته، وبأنَّ له نسلًا وعَقِبًا، كما قال عز وجل: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢﴾ [الصافات: ١١٢]، وهذا أكمل في البشارة، وأعظم في النِّعمة، وقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، أي: ويولد لهذا المولود ولدٌ في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قرَّت بوالده؛ فإنَّ الفرح بولد الولد شديدٌ؛ لبقاء النَّسل والعَقِب، ولما كان ولد الشَّيخ والشَّيخة قد يتوهَّم أنَّه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم (يعقوب)، الَّذي فيه اشتقاق العقب والذُّريَّة، وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام، حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبًا إلى عبادة الله عز وجل في الأرض، فعوَّضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه؛ لتقرَّ بهم عينه(١)، أي: قالت: أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟!!(٢).

ب. **المراد من قولها: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ ...**

هذه الكلمة تقال عند الإيذان بورود الأمر العظيم. ولم تُرِد بها

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٥)، القاسمي (٣/ ٣٦٢).

(٢) انظر: القرطبي (١٧/ ٤٧)، أبو السُّعود (٨/ ١٤٠)، الواحدي (٢/ ١٠٢٩)، زاد المسير (٨/ ٣٧)، روح المعاني (٢٧/ ١٣)، النُّكت والعيون (٢/ ٤٨٦)، تفسير العزِّ بن عبد السَّلام (١/ ٤٧٩)، فتح القدير (٢/ ٧٣٨).

الدُّعاء على نفسها، وإنما هي كلمة تخفُّ على ألسنة النِّساء عند الأمر العجيب. وقولها: ﴿ءَأَلِدُ﴾ استفهام تعجُّبٍ[١].

ج. **التَّعقيب على قول أبي حيَّان والقاسمي: (الاستفهام هنا استفهام إنكارٍ وتعجُّب)**:

أقول: ولا بدَّ من التَّعقيب على ما ذكره أبو حيَّان في (البحر المحيط)، حيث قال: «استفهمت -بقولها أألد؟!- استفهامَ إنكارٍ وتعجُّب»[٢]. والمراد بالاستفهام هنا: التَّعجبُ من أمرٍ خارقٍ للعادة..ولم ترد بذلك الإنكار، ويدلُّ على هذا المعنى قولها: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾؛ لأنَّه من المستبعد أن تنكر على الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- ما جاؤوا به من البشرى، وهي على يقين أنَّ الله ﷻ لا يعجزه شيءٌ، ولكنَّها تعجَّبت من ذلك الأمر لكونه مخالفًا للعادة والمألوف، فأنكرت عليها الملائكة تعجُّبَهَا؛ لأنَّها كانت في بيت الآيات، ومهبط المعجزات، والأمور الخارقةِ للعادات، فكان عليها أن تسبِّح الله ﷻ وتمجِّده مكان التَّعجب..

وكلام أبي حيَّان موهمٌ في عطفه التَّعجب على الإنكار، والعطف يقتضي المغايرة، فكأنَّها أنكرت وتعجَّبت..ويرد ذلك الاعتراضُ بعينه على ما أورده القاسميُّ من (تفسيره) لقول الله ﷻ:

﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، أي: أتستبعدين من شأنه وقدرته خلق

(١) زاد المسير (٤/ ١٢٣)، وانظر: القرطبي (٤/ ٦٩)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١/ ٢٥٢).
(٢) البحر المحيط (٥/ ٢٢٤). وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

الولد من الهرمين؟!!(١).

وقد بيَّن الله ﷻ أنَّ ذلك الاستفهام؛ لعجبها من ذلك الأمرِ الخارقِ للعادة، ويدلُّ له أيضًا: وقوع مثله من نبيِّ الله زكريَّا ﵇ عندما قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠].

د. دروسٌ للمخاطَبين:

وممَّا يستفاد: أنَّ المرأة وبخاصّة العقيم يهتزُّ كيانها كلُّه لمثل هذه البشرى، وهو أمر عجيبٌ حقًّا. فالمرأة ينقطعُ طمثُها عادةً في سنٍّ معيَّنةٍ فلا تحمل. ولكن لا شيء -بالقياس إلى قدرة الله ﷻ- عجيبٌ، ولا عجبَ من أمر الله ﷻ. فالعادةُ حين تجري بأمرٍ لا يكون معنى هذا أنها سنَّة لا تتبدَّل. وعندما يشاء الله ﷻ؛ لحكمة يريدها، وهي هنا: رحمته بأهلِ هذا البيت وبركاته الموعودة للمؤمنين فيه يقع ما يخالف العادة، مع وقوعه وفق السُّنَّة الإلهيَّة الَّتي لا نعلم حدودها، ولا نحكم عليها بما تجري به العادة في أمدٍ هو على كلِّ حال محدود، ونحن لا نستقرئُ جميع الحوادث في الوجود. ومشيئة الله ﷻ سبحانه طليقةٌ لا تتقيَّد هذه المشيئةُ بالنَّواميس. نعم إنَّ الله ﷻ يجري هذا الكون وفق النَّواميس الَّتي قدرها له..ولكنَّ هذا شيءٌ والقول بتقيد إرادته بهذه النَّواميس بعد وجودها شيءٌ آخر!(٢).

---

(١) تفسير القاسمي (٤/ ٣٢٠).

(٢) بتصرُّفٍ عن (الظِّلال) (١٢/ ١٩١٢).

الموضع الثَّالث: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ [الفرقان: ٢٨].

أ. توضيح المعنى العام:

ويوم يعضُّ الظَّالم نفسه المشرك بربِّه على يديه ندمًا وأسفًا على ما فرَّط في جنب الله ﷻ، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الَّذي صدَّه عن سبيل ربِّه ﷻ، يقول: يا ليتني اتخذت في الدُّنيا مع الرَّسول ﷺ سبيلًا، يعني: طريقًا إلى النَّجاة من عذاب الله ﷻ(١).

وفي الآية ما يفيد ندم الظَّالم الَّذي فارق طريق الرَّسول ﷺ، وما جاء به من عند الله ﷻ من الحقِّ، وندمه يوم القيامة حيثُ لا ينفعه النَّدَمُ. وفيه: التَّحذير والتَّبصير للمخاطَبين...

ب. دلالةُ (الالتزام العرفيِّ) أو (المعنى الكنائي):

وفي ذلك اليوم يعضُّ الظَّالم على يديه من فرط الحسرة، وعضُّ اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كناياتٌ عن الغيظ والحسرة؛ لأنَّها من روادفهما، فتذكر الرَّادفة، ويدلُّ بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السَّامع عنده في نفسه من الرَّوعة ما لا يجده عند لفظ المكنَّى عنه(٢).

أقول: ويمكن أن نطلق على هذه الدِّلالة أنها من دلالات: (الالتزام

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (١٩/ ٧)، تفسير البغوي (٣/ ٣٦٧)، الخازن (٥/ ٩٩).

(٢) تفسير أبي السُّعود (٦/ ٢١٣)، تفسير البيضاوي (٤/ ٢١٥)، تفسير النَّسفي (٣/ ٢٤١)، فتح القدير (٤/ ١٠٤)، نظم الدُّرر (٥/ ٣١٣).

العرفي).

أمَّا دلالة الالتزام[١] فهي دلالة اللَّفظ على أمرٍ خارجٍ عن معناه لازمٍ له، كدلالة السَّقف على جدار أو عمود يحمله، ودلالة الإنسان على الضَّاحك الخارج عن معناه، ولكنَّه لازم له.

ومن الكلام العربي: قولهم: (طويلُ النِّجَادِ)، وقولهم: (كثيرُ الرَّماد). فإنَّ قولهم: (طويل النِّجَادِ)[٢]، ملزوم لزم منه طول صاحبه. تريد بهذا التَّركيب أنَّه شجاعٌ عظيم، فعدلت عن التَّصريح بهذه الصِّفة، إلى الإشارة إليها بشيءٍ ترتَّب عليه ولزمه؛ لأنَّه يلزم من طول (حمالةِ السَّيفِ) طولُ صاحبه، ويلزم من طول الجسمِ الشَّجاعةُ عادةً، فالمراد طولُ قامته، وإنْ لم يكن له نجادٌ، ومع ذلك يصحُّ أن يراد المعنى الحقيقي. ومن هنا يعلَمُ أنَّ الفرقَ بين قرينة المجاز وقرينة الكناية أنَّ قرينة المجاز مانعةٌ من إرادة المعنى الأصليِّ، وقرينةُ الكنايةِ غير مانعةٍ من إرادة المعنى الأصليِّ. وقولهم: (كثير الرَّماد)، يستدلُّون بذلك على الجود والكرم؛ لأنَّ كثرةَ الرَّمادِ تدلُّ على كثرة الطَّبخ، وهذه تدلُّ على كثرةِ الآكلين، وكثرةُ الآكلينَ تدلُّ على الجود. وكلُّ هذه (لوازم عرفيَّة لا عقليّة). لكن الدِّلالة على اللّازم تسمَّى التزامًا إن التُزم ذلك بالعقل،

(١) انظر: نهاية السُّول (١/ ١٧٤)، الإحكام، للآمدي (١/ ٣٦)، البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٤١٧)، التَّحبير (١/ ٣١٩)، حاشية العطَّار (١/ ٣١٣)، شرح التَّلويح على التَّوضيح (١/ ٢٤٥)، مختصر المعاني (ص: ١٧٥).

(٢) النِّجَادِ: حمالة السَّيف، وهو هنا كناية عن طول قامته.

أي: في الذِّهن بأن لزم من تصوُّر الملزوم في الذِّهن تصوُّر ذلك اللَّازم فيه سواء لزم ذلك في الخارج كدلالة الأربعة على الزَّوجية، أم لم يلزمه في الخارج، بل كان منافيًا له فيه كالبصر للعمى، وخرج بقيد اللَّازم له في الخارج فقط دون الذِّهن كالسَّواد للغراب، فلا يسمَّى دلالة لفظ: (الغراب) على السَّواد دلالة التزام؛ لعدم لزوم السَّواد في العقل، وإن لزم في الخارج...

وهنا ينبغي التَّنبيه على أنَّه ليس من شرط (دلالة الالتزام) أن تكون ذهنيةً عقليّة فقط، بل قد تكون (دلالة الالتزام) دلالة (لزوم عرفي) أي: أنَّ العقل لا يحكم إلَّا بعد ملاحظة تكرار المشاهدة والتَّجربة الَّتي دلَّ العرف على المعنى المراد، والتَّكرار على لزومها..وهذا كثيرٌ في القرآن والسنُّة، وكلُّ باب الكناية قائمٌ عليه. و(الملازمة العرفيَّة) هنا إنما حكم العقل بها بالنَّظر إلى السِّياق والسِّباق والقرائن الَّتي ترجِّحُ الكناية على الحقيقة، فيحكم بالملازمة العرفيَّة، وذلك واضح...

ج. ندم الكافر وحسرته يوم القيامة:

وندم الكافر يوم القيامة وحسرته الَّذي دلَّت عليه هذه الآية، جاء موضَّحًا في آياتٍ أُخَر، كقوله ﷻ: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤] الآية. وقوله ﷻ: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ [سبأ: ٣٣] الآية. وقوله ﷻ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١] الآية. و(الحسرة): أشدُّ النَّدامة. وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ

ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة:١٦٧]، حيث يتمنَّى الكافر أن يكون آمن بالرَّسول ﷺ في دار الدُّنيا، واتَّخذ معه سبيلًا، أي: طريقًا إلى الجنَّة في قوله هنا: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان:٢٧] جاء موضحًا في آيات أخر كقوله ﷻ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب:٦٦]، ..إلى غير ذلك .

د. الأخوَّة والصَّداقة:

إذا كانت الأخوَّة والصَّداقة مرتبطة بالدِّين فهي عاطفةٌ ومحبَّةٌ منبثقةٌ من العقيدة، وهي تفوق الأخوَّة في النَّسب؛ إذ إنَّ الأخوَّة في النَّسب تنقطعُ بمخالفة الدِّين، فلا يرث مثلا كافرٌ من مسلم، ولا تنقطع الأخوَّة في الدِّين بمخالفة النَّسب.

وقد يكون تأثير عاطفة الصَّداقة أشدَّ من أيِّ عاطفةٍ أخرى؛ لأنَّ الصَّديق يتأثَّر بأخلاق صديقه، فإن كان صالحًا كريم الخلق صار بعد مخالطته له مثله في الصَّلاح والكرم، وإن كان سيءَ الخلق لئيمًا سار على نهجه وسيره، وأصبح فاسد الأخلاق.

فينبغي أن يصحب المسلم صديقًا ينهض بحاله إلى الكمال، ويدلُّه على الله ﷻ مقالُه، وليحذر صحبة أصدقاء السُّوء؛ لأنَّ الصَّاحب ساحب، والمرءُ على دين خليله.

تأمَّل قول الله ﷻ: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ

لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥١- ٥٧].

وقال الله ﷻ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

٩ - ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١٢٨]:

وقد سبقَ ما يتعلَّقُ بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّةِ).

١٠ - ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠]:

وقد سبقَ ما يتعلَّقُ بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّةِ).

١١ - ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦]:

وقد سبقَ ما يتعلَّقُ بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّةِ)، [الصافات: ٥١- ٥٧].

١٢ - ﴿يَٰبُنَىَّ﴾ [هود: ٤٢]:

أ. أمَّا المواضع الَّتي وردت فيها هذه الصِّيغة:

الموضع الأوَّل: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

الموضع الثَّاني: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

الموضع الثَّالث: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [لقمان: ١٣].

الموضع الرَّابع: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ [لقمان: ١٦].

الموضع الخامس: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان: ١٧].

الموضع السَّادس: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ب. **القراءات**:

وفي هذه الصِّيغة اختلافٌ بين القُرَّاء، وهذا الخلاف قد ذكره بعض المفسِّرين، فقد اختلف في: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ في الآيات السَّابقة، أعني: في الآية الَّتي في (سورة هود)، والَّتي جاء ذكرها في موضع واحد، وفي (سورة يوسف) في موضع واحد، و(سورة لقمان) في ثلاثة مواضع، وفي (الصَّافات) في موضع. «فحفصٌ -بفتح الياء- في (الستَّة)[1]؛ ذلك لأنَّ أصل ابن: (بنو) صغر على (بنيو) فاجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسُّكون قلبت الواو ياء، وأدغمت فيها، ثمَّ لحقها (ياء الإضافة). فاستثقل اجتماعها مع الكسرة فقلبت ألفًا، ثمَّ حذفت الألف اجتزاء عنها بالفتحة.

وقرأ أبو بكر[2] هنا كذلك بالفتح. وقرأ ابن كثير الأوَّل من (لقمان): ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ بسكون الياء مخفَّفة، واختلف عنه في

(١) أي: في المواضع (الستَّة) الآنفة الذِّكر.

(٢) هو شعبة بن عياش الكوفي المقرئ.

الأخير منها..﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فرواه عنه البزيُّ كحفص، ورواه عنه قنبل بالتَّخفيف مع السُّكون كالأوَّل، وافقه ابن محيصن على التَّخفيف فيهما. ولا خلاف عن ابن كثير في كسر الياء مشدَّدة في الأوسط من (لقمان): ﴿يَٰبُنَيِّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ ، وبه قرأ الباقون في (الستَّة). وأدغم باء ﴿ٱرۡكَب﴾ في ميم ﴿مَّعَنَا﴾ أبو عمرو والكسائيُّ ويعقوب. واختلف عن ابن كثير وعاصم وقالون، وخلَّاد.

والوجهان صحيحان عن كلٍّ منهم. والباقون بالإظهار»[1].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (١/ ٤٥٥)، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٣/ ٥٢٦). النَّشر (٢/ ٣٢٥). وفي (زاد المسير): قوله ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ «قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائيُّ: ﴿يَٰبُنَيِّ ٱرۡكَب﴾ مضافة، بكسر الياء. وروى أبو بكر عن عاصم (يا بنيَ) -مفتوحة الياء- ها هنا، وباقي القرآن مكسورة. وروى حفص عنه بالفتح في كلِّ القرآن: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ إذا كان واحدًا. قال النَّحويون: الأصل في ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ ثلاث ياءات، ياء التَّصغير، وياء بعدها هي لام الفعل، وياء بعد لام الفعل هي ياء الإضافة. فمن قرأ: ﴿يَٰبُنَيِّ﴾ أراد: يا بنيي، فحذف ياء الإضافة، وترك الكسرة تدلُّ عليها، كما يقال: يا غلام أقبل. ومن فتح الياء، أبدل من كسرة لام الفعل فتحة؛ استثقالا لاجتماع الياءات مع الكسرة، فانقلبت ياء الإضافة ألفًا، ثمَّ حذفت الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة على حالها. وقيل: إن المعنى: يا بني آمن واركب معنا». زاد المسير (٤/ ١١٠)، وانظر تفسير القرطبي (٩/ ٣٩). المحرَّر الوجيز (٣/ ١٧٤). وفي (الحجَّة) (١/ ١٨٧): قوله ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ «يقرأ بكسر الياء وفتحها وبإدغام الباء في الميم وإظهارها، فالحُجَّة لمن كسر الياء أنَّه أضاف إلى نفسه فاجتمع في الاسم ثلاث ياءات، ياءُ التَّصغير، وياء الأصل، وياء الإضافة، فحذفت (ياء الإضافة) اجتزاء بالكسرة الَّتي قبلها؛ لأنَّ النِّداء مختصٌّ بالحذف لكثرة استعماله، والحجَّة لمن فتح أنَّه أراد: يا (بنياه) =

ويقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور في قوله ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ : «النِّداء مع حضور المخاطب مستعمل في طلب إحضار الذِّهن، اهتماما بالغرض المخاطب فيه. و(بُنَيَّ) -بكسر الياء المشدَّدة- تصغير (ابن) مع إضافته إلى (ياء المتكلِّم)، وأصله: (بُنَيْوي) أو (بُنَيْيي) على الخلاف في أنَّ (لام ابن) الملتزمَ عدمُ ظهورها هي واو أم ياء. وعلى كلا التَّقديرين فإنّها أدغمت فيها (ياء التَّصغير) بعد قلب الواو ياءً؛ لتقارب الياء والواو، أو لتمَاثلهما فصار (بنَيّي). وقد اجتمع ثلاث ياءات فلزم حذف واحدة منها، فحذفت ياء المتكلم لزوما، وألقيت الكسرة الَّتي اجتلبت لأجلها على (ياء التَّصغير)؛ دلالة على الياء المحذوفة. وحذفُ (ياء المتكلِّم) من المنادى المضاف شائع، وبخاصّة إذا كان في إبقائها ثقلٌ كما هنا؛ لأنَّ التقاء ياءات ثلاث فيه ثقل. وهذا التّصغير كناية عن تحبيب وشفقة. نزل الكبير منـزلة الصَّغير؛ لأنّ شأن الصَّغير أن يحب ويشفق عليه. وفي ذلك كناية عن إمحاض النُّصح له»[(١)] .

= فأسقط الألف والهاء، وأبقى الياء على فتحها؛ ليدلَّ بذلك على ما أسقط، والحُجَّة لمن أدغم مقاربة مخرج الحرفين، وبناء الباء على السكون للأمر فحسن الإدغام لحسنه في قوله ﷻ: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾ [آل عمران: ٦٩]. والحُجَّة لمن أظهر أنه أتى بالكلام على الأصل؛ لأن الأصل الإظهار والإدغام فرع عليه».

(١) التَّحرير والتَّنوير (١٢/ ٢١٣). وفي (الحُجَّة): قوله ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ ، قوله ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾ ، ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ((يقرأن بالتَّشديد وكسر الياء وفتحها، وبالتَّخفيف والإسكان، فالحُجَّة لمن شدَّد وكسر أنَّه أراد: (يا بنيي) بثلاث ياءات الأولى: =

ج. ما يستفاد من النِّداءات بهذه الصِّيغة:

الحاصلُ أنَّ النِّداءات السَّابقة بهذه الصِّيغة فيها: النُّصح والتَّحبب

= (ياء التَّصغير)، والثَّانية: أصليَّة، وهي: (لام الفعل)، والثَّالثة: (ياء الإضافة إلى النَّفس) فحذف الأخير؛ اجتزاء بالكسر منها؛ وتخفيفًا للاسم لما اجتمع فيه ثلاث ياءات. ولمن فتح الياء مع التَّشديد وجهان: أحدهما: أنَّه أراد: (يا بنياه) فرُخِّم فسقطت الألف، والهاء للتَّرخيم لأنهما زائدتان، فالألف زيدت لبعد الصَّوت، والهاء للسَّكت، فبقي الاسم على الفتح الَّذي كان عليه قبل التَّرخيم. والثَّاني: أنَّه شبَّه هذه الياء لما رآها مشدَّدة، ومعها (ياء الإضافة) بياء الاثنين إذا أضيفت إليها ففتحها كما فتحوا قوله: ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص: ٢٧]. فإن قيل: فما الفرق بين قولك: (ابنتي)، وبين قولك: (يا بني)، وكلاهما مضاف إلى النَّفس -بالياء- الشَّديدة؛ فقل: الفرق بينهما لطيف فاعرفه، وذلك أنَّ الياء في قولك: (ابنتي) ساكنة طبعًا؛ لأنها بدل من الألف الَّتي لا يمكن الحركة فيها بوجه، ثمَّ يدخل (ياء الإضافة)؛ لأنَّ النُّون تذهب لمعاقبتها لها، والأصل في (ياء الإضافة) الحركة فكان الفتح أولى بها، ففتحت لذلك، وأدغمت فيها (ياء التَّثنية)؛ لسكونها فهذا وجه الفتح في الياء المضاف إليها التَّثنية. وأمَّا وجه كسر الياء في قولك: (يا بني) فإنَّ وزن (ابن) كوزن (حصن). فإذا قلت في التَّصغير: (حصين)، كان كقولك: (بني) فاجتمع فيه ياء التَّصغير وياء الأصل الَّتي هي لام الفعل، وكان الإعراب عليها جاريًا كما جرى على النُّون من (حصين)، ثمَّ دخلت عليها (ياء الإضافة) فاجتذبت الياء الشَّديدة؛ لقوَّتها إلى الكسر؛ لأنَّ من شرطها أن تزيل الإعراب عما وليته وترده إلى الكسر، كقولك: (حصيني) فتسقط (ياء الإضافة) في (بني) لكثرة الياءات فتبقى كقولك: (حصين) بكسر النُّون وسقوط الياء، فأنت الآن تعلم ضرورة أنَّ الياء من (حصين) ساكنة، وهي (ياء التَّصغير)، ومثلها في قولك: (بني)، والنُّون المكسورة في قولك: (حصين) مثلها ياء الأصل في (بني)، وهي مكسورة كالنُّون لتدلَّ بالكسر على (ياء الإضافة) السَّاقطة، فهذا تلخيص الفرق بين (ياء الإضافة) في التَّصغير والتَّثنية، والدَّلالة على فتح الياء في التَّثنية وكسرها في التَّصغير. وأمَّا الحُجَّة لمن خفَّف الياء وأسكن فإنَّه صغر ولم يضف، فلما اجتمع في آخر الاسم ياءان حذف إحداهما وبقي الأولى، وهي (ياء التَّصغير) على سكونها فأجحف بالاسم، ولو أتى به منادى على أصل المواجهة لقال: (يا بني)؛ لأنَّه نداء مفرد)). الحجَّة في القراءات السَّبع (١/ ٢٨٤- ٢٨٥). انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم =

والشَّفقة والعاطفة، فما يريد الوالد لولده إلَّا الخير، وفيها: امتثال أمرِ الله ﷻ كما في نداء إبراهيم ﵇ لابنه ﵇.

ففي النِّداء الأوَّل -نداء نوح ﵇ لابنه- يهتف بولده الشَّارد حتَّى لا ينخرطَ في سلك الكافرين المخالفين لأمرِ الله ﷻ، ولكنَّ البنوَّة العاقَّة لا تحفل بالأبوَّة الملهوفة، ولا تقدِّر مدى الهول، وما يحدق بها من جرَّاء مخالفة أمر الله ﷻ، فيأتي النُّصح والشَّفقة من الأبوَّة المدركة لحقيقة الهول، كما أنَّ في النِّداء ما يدلُّ على أنَّ الوشيجة الَّتي يجتمع عليها النَّاس في هذا الدِّين تتميَّز عن وشيجة الدَّم والنَّسب والقوم والعشيرة واللَّون واللُّغة والجنس والعنصر والحرفة والطَّبقة، فإنَّ هذه الوشائج قد توجد، أو يوجد بعضها ثمَّ تنقطع، فعلم أنَّ البنوَّة أو الأخوَّة في الدِّين أقوى من البنوَّة والأخوة في النَّسب؛ لأنها قد تنقطع بمخالفة الدِّين، وأمَّا البنوَّة أو الأخوَّة في الدِّين فلا تنقطع بمخالفة النَّسب.

ولكن ماذا كانت النَّتيجة بعد هذا النِّداء وهذا النُّصح؟

قال الله ﷻ: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

حال الموج بين الولد العاقِّ، والوالد الرَّحيم، فكان الولد من المغرقين.

وفي الموضع الثَّاني من هذه الصِّيغة من النِّداء نداء يعقوب ﵇

= (٣/ ٥٢٦)، المقتضب (٤/ ٢٤٩)، البحر المحيط (٥/ ٢٢٦)، البيان في غريب إعراب القرآن الكريم (٢/ ١٤-١٥)، الفريد (٢/ ٦٢٨-٦٢٩).

لابنه يوسف ﷺ، وتشترك رؤيا يوسف ﷺ، مع رؤيا إبراهيم ﷺ -الَّتي ستأتي- في كون رؤيا الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- حقٌّ.

وفي نداء يعقوب ﷺ ليوسف ﷺ ما يدلُّ على أنَّ يعقوب ﷺ علم أنَّ الله ﷻ سيصطفي يوسف ﷺ للنُّبوَّة، وينعم عليه بشرف الدَّارين، فخاف عليه حَسَد الإخوة؛ ولهذا نصحه بأن لا يقصَّ رؤياه على إخوته حتَّى لا يكون للشَّيطان مدخلٌ إلى نفوسهم فيدبِّروا ليوسف ﷺ أمرًا يسوؤه..، وإنَّ الشَّيطان للإنسان عدوٌّ مبين، يوغر صدور النَّاس بعضهم على بعض، ويزيِّنُ لهم الشَّر، ولكلِّ نعمةٍ حاسد، ولا نعمة أعظم من هذه النِّعمة، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد.

وفي نداء لقمان ﷺ لابنه: الموعظة والعاطفة والنُّصح والتَّوجيه والإرشاد، ينهى ابنه عن الشِّرك، ويعلِّلُ ذلك بأنَّه ظلمٌ عظيم، ويؤكِّد هذه الحقيقة مرَّتين، مرَّة بتقديم النَّهي، وفصل علَّته، ومرَّة بـ (إنَّ) و(اللام)، وهذه النَّصيحة هي الحقيقة الخالدة الَّتي دعا إليها جميعُ الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، والَّتي يجب أن تتحقَّق في كلِّ مخاطب، ويعمل كلُّ داعيةٍ على غرسها في نفوس السَّامعين..

وفي قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيَّات الأعمال، وأنَّه لا يفوت الله ﷻ عملٌ، وذلك يصوِّر عظمةَ الله ﷻ ودقَّته وعدله، وقضاءه بالقسط..قال الله ﷻ:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال الله ﷻ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩]، والله ﷻ عالم البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار..قال الله ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩]. وفي ذلك: الحثُّ على مراقبة الله ﷻ، والعمل بطاعته، والتَّرهيب من عمل القبيح قلَّ أو كثر.

وأمر لقمان ﵇ ابنه بأداء الصَّلاة تامّة بأركانها وشروطها وواجباتها؛ لأنَّها عماد الدِّين، وأكبر العبادات البدنيَّة؛ ولذلك وصَّاه بأعظم الطَّاعات..

ونداء إبراهيم ﵇ لابنه ﵇ نداء شفقة وترحُّم...، وتنفيذ لأمر الله ﷻ، وفي ذلك دلالة على أنَّ الوحي يأتي من الله ﷻ إلى الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- في اليقظة والمنام، وكان الرَّسول ﷺ يقول: «**تَنامُ عَيني ولا يَنامُ قَلْبي**»[١]، فما كان منهما إلَّا الثَّبات والصَّبر فلا

(١) الحديث مرويٌّ عن عبد الله بن مسلمة عن مالك عن سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن أنَّه سأل عائشة ﵂ كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على (إحدى عشرة) ركعة، يصلي (أربع) ركعات فلا تسأل عن =

يتردَّد في التَّضحية بفلذة كبده، ويمضي في طاعة الله ﷻ، وما كان من الابن إلَّا الطَّاعة والتَّسليم والرِّضا بقضاء الله ﷻ وقدره..، فماذا كان بعد ذلك من أمر؟ يقول الله ﷻ: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ [الصافات: ١٠٧].

١٣ - ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: ٤]:

أ. وقد ورد في (ثمانية) مواضع على النَّحو التَّالي:

[يوسف: ٤ - ١٠٠].

[مريم: ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥].

[القصص: ٢٦].

[الصَّافات: ١٠٢].

ب .**القراءات**:

«قرأ ابنُ عامر: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ [يوسف: ٤] -بفتح التَّاء- في جميع القرآن، وقرأ الباقون -بكسر التَّاء- على الإضافة إلى نفسه الأصل (يا أبي) فحذفت الياء؛ لأنَّ (ياء الإضافة) تحذف في النِّداء كما يحذف التَّنوين، وتبقى الكسرة تدلُّ على الياء، كما تقول: (ربِّ اغفر لي). وفي التَّنـزيل: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي﴾ [يوسف: ١٠١]، و﴿يَٰقَوْمِ﴾ [البقرة: ٥٤]، والأصل: (يا قومي) فحذفت الياء، وإنما تحذف في

= حسنهنَّ وطولهنَّ، ثمَّ يصلِّي (أربعًا) فلا تسأل عن حسنهنَّ وطولهنَّ، ثمَّ يصلِّي (ثلاثًا)، فقلت يا رسول الله: تنام قبل أن توتر؟ قال: «تنامُ عَيني ولا ينامُ قلبي». صحيح البخاري، [٣٣٠٤].

النِّداء؛ لأنَّ باب النِّداء باب التَّغيير والحذف. وأمَّا إدخال تاء التأنيث في (الأب) فقال قوم: إنما دخلت للمبالغة كما تقول: علَّامة ونسَّابة، فاجتمع (ياء المتكلِّم) والتَّاء الَّتي للمبالغة فحذفوا الياء؛ لأنَّ الكسرة تدلُّ عليها.

وقال الزَّجاج(١): إنَّ التَّاء كثرت ولزمت في (الأب) عوضًا عن (ياء الإضافة)؛ فلهذا كسرت التَّاء؛ لأنَّ الكسرة أخت الياء، ومن فتح فله وجهان:

أحدهما: أن يكون أراد (يا أبتا) فأبدل من (ياء الإضافة) ألفًا، ثمَّ حذف الألف كما تحذف الياء وتبقى الفتحة دالَّةً على الألف كما أنَّ الكسرة تدلُّ على الياء. والوجه الآخر: أنَّه إنما فتح التَّاء؛ لأنَّ هذه التَّاء بدلٌ من (ياء المتكلِّم)، وأصل (ياء المتكلِّم) الفتح فتقول: (يا غلامي)، وإنما قلنا ذلك؛ لأنَّ الياء هو اسم، والاسم إذا كان على حرف واحد فأصله الحركة، فتكون الحركة تقويةً للاسم، فلمَّا كان أصل هذه الياء الفتحة كان الواجب أن تفتح؛ لأنَّها بدل من الحرف الَّذي هو أصله ليدلَّ على المبدل. وقف ابن كثير وابن عامر ﴿ياأبه﴾ على الهاء، وحجَّتُهما أنَّ التَّغييرات تكون في حال الوقف دون الإدراج فتقول: (رأيت زيدًا)، فتقف عليه بالألف، ووقف الباقون بالتَّاء، وحجتهم أن هذه التاء بدل من الياء فكما أن الياء على صورة واحدة في الوصل والوقف فكذلك البدل يجب أن يكون مثل المبدل منه على

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٣/ ٨٨- ٨٩).

صورة واحدة»[١].

ج. **إجمال الإعراب**:

و﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ منادى مضاف منصوب بالفتحة المقدَّرة على ما قبل (ياء المتكلِّم) المبدلة تاء، ونقلت كسرة المناسبة إلى التَّاء، والتَّاء مضاف إليه[٢].

والحاصل أنَّ ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ ممَّا لم يستعملوه إلَّا في النِّداء إدخال تاء التَّأنيث على (الأب) و(الأم)، وهي عوض من (ياء المتكلِّم)؛ ولذلك لا يجوز الجمع بين التَّاء والياء.

جاء: (يا أبتا، يا أمتا) لتغيير لفظ الياء ألفًا، والكسرة الَّتي على التَّاء هي الكسرة الَّتي كانت على الباء في (أبي) فزحلقت[٣]، أي: إلى

---

(١) حجَّةُ القراءات، لأبي زرعة (ص:٣٥٣ - ٣٥٤) .

(٢) «قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ -بكسر التَّاء- على إرادة النَّفس، والأصل (يا أبي) فحذف (ياء النَّفس) اجتزاءً بالكسرة عنها، وجيء بهذه التَّاء عوضًا عنها مكسورة». الفريد (٣/ ٢٥). وفي (الفريد) كلامٌ مطوَّل في بيان هذه الكسرة فمن ذلك -وهو ما يوافق رأي الزَّمخشري في (الكشاف) (٢/ ٣٠١)- قال: «إنَّ هذه الكسرة هي الَّتي كانت قبل الياء في قولك (يا أبي) قد زحلقت إلى التَّاء؛ إذ لا يكون ما قبل تاء التأنيث إلاَّ مفتوحًا. وقيل: بل كسرت التَّاء لتدلَّ على الياء المحذوفة. وإنما تكون هذه التَّاء في النِّداء خاصَّة إذا أضيفت إلى نفسك، ولا يجمع بينهما لئلا يجمع بين العوض والمعوَّض منه..». انظر الفريد (٣/ ٢٥-٢٨)، الكشاف (٢/ ٣٠١).

(٣) انظر ذلك مفصَّلا في (الدُّر المصون) (٤/ ١٥١-١٥٢)، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٣/ ٥٢٤-٥٢٥)، معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٣ / ٨٨-٩٠)، وانظر: تفسير البغوي (٢/ ٤٠٩)، وانظر: الكتاب لسيبويه، (٢/ ٢٠٩- ٢١٢)، أمالي الشَّجري (٢/ ١٠٤- ١٠٥) .

التَّاء؛ إذ لا يكون ما قبل تاء التَّأنيث إلَّا مفتوحًا. وقيل: بل كسرت التَّاء لتدلَّ على الياء المحذوفة..

وقد سبق في بيان (وجوه الخطاب القرآني) أنَّ مثل هذا الخطاب للتَّحبب..

١٤ - ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ [يوسف: ١١]:

أ. وقد ورد في (ستَّة) مواضع كلُّها في (سورة يوسف)، وهي في الآيات التَّالية:

[١١ - ١٧- ٦٣ - ٦٥ - ٨١ - ٩٧].

ب. ما يستفاد من النِّداء بهذه الصِّيغة:

ويقال في هذه الصِّيغة من النِّداء ما قيل في النِّداء من حيث معناه العامُّ، وما قيل في سابقتها من أنَّه نداءُ (تحبُّبٍ واستعطاف)..قال أبو السُّعود: «خاطبوه بذلك؛ تحريكًا لسلسلة النَّسبِ بينه وبينهم وتذكيرًا لرابطة الأخوَّة بينهم وبين يوسفَ عليه السلام»[١].

«وابتداء الكلام مع أبيهم بقولهم: ﴿يَٰٓأَبَانَآ﴾ يقضي أنَّ تلك عادتهم في خطاب الابن أباه»[٢].

والحاصل أنَّهم خاطبوه بهذا اللَّفظ المذكِّر بما بينه وبينهم من آصرةٍ وقرابة.

ثمَّ يختلف الطَّلب، ويعلم بالنَّظر فيما ولي المنادَى.

---

(١) تفسير أبي السُّعود (٤/ ٢٥٧)، روح المعاني (١٢/ ١٩٣) .

(٢) التَّحرير والتَّنوير (١٢/ ٢٢٧).

١٥ - ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ :

أ. في موضعين: [يوسف: ٣٩]، [يوسف: ٤١].

قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ في موضعين، الأوَّل منهما ذكره يوسف ﵇ حين عدل عن جوابهما إلى دعائهما إلى الإيمان، والثَّاني حين دعياه إلى تعبير الرُّؤيا لهما..[(١)].

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ ، ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ .

ب. سبب المناداة هنا بعنوان الصُّحبة:

قوله ﷻ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ ، «أي: (يا صاحبي فيه) إلَّا أنَّه أضيف إلى الظَّرف توسُّعًا كما في قولهم: (يا سارق اللَّيلة أهلَ الدَّار)[(٢)]، ولعلَّه إنما ناداهما بعنوان الصُّحبة في مدار الأشجان، ودار الأحزان الَّتي تصفو فيها المودَّة وتتمحَّض النَّصيحة؛ ليقبلا عليه؛ ويقبلا مقالته. ويجوز أن يراد بالصُّحبة السُّكنى كما يقال: (أصحاب

---

(١) انظر: أسرار التَّكرار في القرآن الكريم، للكرماني (ص: ١١٢) .

(٢) والمعنى: (يا سارقي في اللَّيلة)، فأضاف (سَارقًا) إلى (الليلة)، ونصب (أهل الدار)، وكان بعض النَّحويِّين ينصب (اللَّيلة) ويخفض (أهل) فيقول: (يا سَارق الليلةَ أهلِ الدار) كما في (معاني القرآن الكريم)، للفرَّاء (٢/ ٨٠). وفي (الدُّر المصون) (٣/ ١٨٧)، و(تفسير ابن عادل) (٨/ ٤٤٦): «ولا يجوز (يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار) إلَّا في شعر كراهةَ أن يفصلوا بين الجار والمجرور». وانظر: ابن عادل (٦/ ٢٣١)، (١١/ ٤١٤)، (١٥/ ٣٣٩)، تفسير القرطبي (١٣/ ٣٣٨)، البحر المديد (٣/ ٢٧٩)، المحرَّر الوجيز (١/ ٧٠)... إلخ.

النَّار) و(أصحاب الجنَّة)، لملازمتهم لهما، والإضافة من باب إضافة الشَّيء إلى شبه المفعول عند أبي حيَّان[١]، وإلى المفعول عند غيره[٢] ولا اتِّساع في ذلك. وقيل: بل هناك اتِّساع أيضًا، وأنَّه أضافهما إلى السِّجن دونه؛ لكونهما كافرين، وفيه نظر[٣]، ولعلَّ في ندائهما بذلك على هذا الوجه حثًّا لهما على الإقرار بالحقِّ كأنَّه قال لهما: يا ساكني هذا المكان الشَّاق والمحلِّ الضَّنك: إني ذاكرٌ لكم أمرًا فقولوا الحقَّ فيه، ولا تزيغوا عن ذلك، فأنتم تحت شدَّة، ولا ينبغي لمن كان كذلك أن يزيغ عن الحقِّ، وإنما حمل الصَّاحب على ما سمعت؛ لأنَّ صاحب السِّجن في الاستعمال المشهور السَّجان أو الملك، والنِّداء بـ (يا) بناءً على الشَّائع من أنها للبعيد؛ للإشارة إلى غفلتهما وهيمانهما في أودية الضَّلال.

وقد تلطَّف عليه السلام بهما في ردِّهما إلى الحقِّ، وإرشادهما إلى الهدى حيث أبرز لهما ما يدلُّ على بطلان ما هما عليه بصورة الاستفهام؛ حتَّى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بإبطال ما ألفاه دهرًا طويلًا، ومضت عليه أسلافهما جيلًا فجيلًا، فقال: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ متعدِّدون

---

(١) انظر: البحر المحيط (٥/ ٤٢٧)، روح المعاني (١٢/ ٢٤٣).

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك قريبًا.. أقول: والمفعول ما يتعدَّى إليه الفعل بذاته، وشبه المفعول ما يتعدَّى إليه الفعل بحرف الجرِّ. وعلى ذلك يكون التَّقدير: سَكَنَ في السِّجن، والتَّقدير الثَّاني: سَكَنَ السِّجن، فهو مسكون، ويرجع ذلك إلى (سكن) الَّذي يتعدَّى ولا يتعدَّى.

(٣) أقول: ووجه الاعتراض أنَّه ناداهما بعنوان الصُّحبة في السِّجن، وهو قدرٌ مشتركٌ بينه وبينهم، وإضافة الصُّحبة إلى السِّجن ليس فيها ما يميز بين من كان مؤمنًا أو من كان كافرًا. .

متكثرون يستعبدكما منهم هذا وهذا، والكلام على ما صرَّح به أبو حيَّان[١] على حذف مضاف، أي: أعبادة أربابٍ متفرِّقين ﴿خَيْرٌ﴾ لكما ﴿أَمِ ٱللَّهُ﴾ ؟! أي: أم عبادة الله ﷻ ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ المنفرد بالألوهيَّة ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ الغالب الَّذي لا يغالبه أحد ﷻ..»[٢].

وفي كلام الزَّمخشري في (الكشاف) زيادةٌ في التَّحقيق والإيضاح حيث يقول: في قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ «يريد: (يا صاحبي في السِّجن) فأضافهما إلى السِّجن، كما تقول: (يا سارق اللَّيلة) فكما أنَّ اللَّيلة مسروق فيها غير مسروقة، فكذلك السِّجن مصحوب فيه غير مصحوب، وإنما المصحوب غيره، وهو يوسف ﷺ. ونحوه قولك لصاحبيك: (يا صاحبي الصِّدق) فتضيفهما إلى الصِّدق ولا تريد أنهما صحبا الصِّدق، ولكن كما تقول: (رجلا صدق) [بالتَّثنية] وسميتهما صاحبين؛ لأنهما صحباك»[٣].

أقول: ولعلَّ هذا هو الأقرب، والأخفُّ مؤونة، وهو من المعاني المستعملة بكثرة.

ج. **وسبب التَّعيين** أنهما استفتياه في بين السَّاكنين. ثمَّ أنكر عليهم عبادة الأصنام..[٤].

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٤٢٧).

(٢) روح المعاني (١٢/ ٢٤٣).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٢١).

(٤) انظر: تفسير النَّيسابوري (غرائب القرآن) (٤/ ٨٩) .

د. **حقيقة الصَّاحب:**

و(الصَّاحب) «حقيقته الَّذي يلازم غيره في حالة من سفرٍ أو نحوه[(١)]، وسمِّيت الزَّوجة صاحبة، ويطلق مجازًا على الَّذي له مع غيره حادث عظيم وخبر، تنـزيلًا لملازمة الذِّكر منـزلةَ ملازمة الذات..»[(٢)].

هـ. **ومن الدُّروس المستفادة:**

لقد هزَّ يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة قوائم الشِّرك، وأتى على قواعده بأسلوبٍ فيه ما فيه من الحكمة وإقامة الحُجَّة..وقد استفاد من صفةِ الصُّحبة المؤنسة واتَّخذها طريقًا ومدخلًا إلى صلب الدَّعوة..فكذلك ينبغي على كلِّ داعية ماهرٍ أن يتحيَّن الفرص؛ ليضع بذور دعوته..وأن يدعو إلى الله عز وجل بحكمةٍ، وأن يقدِّمَ الهداية والإرشاد والموعظة والنَّصيحة.

كما هو حال يوسف عليه السلام حيث لم يدعهما مباشرة، وإنَّما عرض دعوته في أسلوبٍ حواريٍّ موضوعيٍّ يخاطبُ فيهما: العقلَ والعاطفة، ويهدم الاعتقادَ الفاسد، حيث قال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ ، وهو في ظاهره سؤال مستفهمٍ، ولكنَّه في حقيقته هجومٌ على الفطرة الزَّائغة..يحقُّ الحقَّ ويبطلُ الباطل، فإنَّ الفطرة الَّتي يولد عليها الإنسان لا تعرف إلَّا إلهًا واحدًا...وقد نفى

---

(١) ولذلك قيل: سمِّي السَّفر سفرًا؛ لأنَّه يسفر عن أخلاق الرِّجال، أي: يكشف. انظر: الزَّاهر (٢/ ٢٠٦)، تفسير الرَّازي (٧/ ٩٩)، ابن عادل (٢/ ٥٠٦).

(٢) التَّحرير والتَّنوير (٩/ ١٩٤).

يوسف عليه السلام في كلماته القليلة تعدُّدَ الألهة، وأثبت وحدانيَّة الله عز وجل؛ لأنَّ كثرة الألهة توجب الخلل والفساد...

وما شقيت البشريَّة قطُّ شقاءها بتعدُّد الأرباب وتفرُّقهم، وتوزُّع العباد بين أهوائهم وتنازعهم.. فهذه الأرباب الأرضيَّة الَّتي يعطيها سلطانًا تحت تأثير الوهم والخرافة والأسطورة، أو تحت تأثير القهر أو الخداع أو الدِّعاية!!! هذه الأرباب الأرضيَّة لا تملك لحظة أن تتخلص من أهوائها، ومن حرصها على ذواتها وبقائها، ومن الرَّغبة الملحَّة في استبقاء سلطانها وتقويته، وفي تدمير كلِّ القوى والطَّاقات الَّتي تهدِّد ذلك السُّلطان من قريبٍ أو من بعيد، وفي تسخير تلك القوى والطَّاقات في تمجيدها وخدمتها!!

والله عز وجل الواحدُ القهَّار غنيٌ عن العالمين، فهو عز وجل لا يريد منهم إلَّا التَّقوى والصَّلاح والعمل والعمارة وفق منهجه فيعدُّ لهم هذا عبادة.

ومن الدُّروس المستفادة من قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ .. أنَّه لم «يعيِّن من هو صاحب البُشْرَى، ومن هو صاحب المصير السَّيئ تلطُّفًا وتحرُّجًا من المواجهة بالشَّر والسُّوء. ولكنَّه أكد لهما الأمر واثقًا من العلم الَّذي وهبه الله عز وجل»(١).

ومن الملاحظ أنَّه قد دعاهما قبل تعبير الرُّؤيا إلى الإيمان بربِّه عز وجل..

---

(١) انظر: الظِّلال (١٢/ ١٩٩٢)، وانظر: (١٢/ ١٩٨٩-١٩٩١).

وقال لهما قبل ذلك: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ أي: في الرُّؤيا ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾، يعنى: التَّأويل ﴿... ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٧-٣٨]. فبدأ يذكر ربَّه ﷻ فإن هذا ممَّا علَّمه ربُّه ﷻ له؛ لأنَّه ترك ملَّة قوم مشركين لا يؤمنون بالله ﷻ، وإن كانوا مقرِّين بالصَّانع، ولا يؤمنون بالآخرة، واتَّبع ملَّة آبائه أئمَّة المؤمنين، الَّذين جعلهم الله ﷻ أئمَّة يدعون بأمره -إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصَّلاة والسَّلام- فذكر ربَّه ﷻ ثمَّ دعاهما إلى الإيمان بربِّه ﷻ.

«وقيل: إنما قدَّم هذا ليعلما ما خصَّه الله ﷻ من النُّبوَّة، وليقبلا إلى طاعة الله ﷻ، وقد كان يوسف -عليه السَّلام- فيما بينهم قبل ذلك زمانًا، فلم يحك الله ﷻ عنه أنَّه ذكر لهم شيئًا من الدُّعاء إلى الله ﷻ. وكانوا قومًا يعبدون الأوثان؛ وذلك لأنَّه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول، فلمَّا رآهم مقبلين إليه، عارفين بإحسانه(١) أمل منهم القبول والاستماع، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ الآية. وهو من قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

---

(١) أقول: إنَّ ظاهر القرآن الكريم يدلُّ على أنَّه لبث فيهم مدَّة عرفوا فيها إحسانه، كما قال الله ﷻ حكاية عنهما في خطابهما ليوسف ؑ: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، [يوسف:٣٦] ورأى منهما تجاوبًا وقبولا فعرض عليهما دعوته..

رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، وترقَّب وقت الاستماع والقبول من الدُّعاء إلى سبيل الله ﷻ بالحكمة، وإنما حكى الله ﷻ ذلك لنا لنقتدي به فيه»[١].

١٦ - ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]:

أ. في موضع واحد من يعقوب ؈.

ب. **بيان المعنى**:

أما المعنى فعن الضَّحاك: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قال: يا حزناه[٢].

وعن مجاهد: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قال: (يا جزعا)..، وعن قتادة قال: (يا حزناه)[٣].

وقال الزَّجاج: «الأصل (يا أسفي)، فأبدل من الياء ألف؛ لخفَّة الفتحة»[٤].

و(الأسف): أشدُّ الحزن على ما فات[٥]. أضافه إلى نفسه،

---

(١) انظر: أحكام القرآن الكريم، للجصَّاص (٤/ ٣٨٨).

(٢) انظر: تفسير الضَّحاك (١/ ٤٧٦)، كتاب الهمِّ والحزن، لابن أبي الدُّنيا (١/ ٦٨)، تفسير الطَّبري (١٣/ ٣٩).

(٣) تفسير الطَّبري (١٣/ ٣٩)، تفسير مجاهد (١/ ٣١٩)، الدُّر المنثور (٤/ ٥٦٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٥)، فتح القدير (٣/ ٧١)، معاني القرآن، للنَّحاس (٣/ ٤٥٢)، القرطبي (٩/ ٢٨٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٣/ ١٢٥).

(٥) انظر: روح المعاني (١٣/ ٣٩)، تفسير الرَّازي (١٨/ ٥٠٢)، القرطبي (٩/ ٢٨٤)، التِّبيان في تفسير غريب القرآن، للجياني (ص: ٢٨٤)، غريب القرآن المسمَّى بنزهة القلوب (ص: ٥١١).

و(الألف) بدل من (ياء المتكلِّم) للتَّخفيف، والمعنى: (يا أسفى تعال فهذا أوانك). وقيل: الألف ألف النُّدبة، والهاء محذوفة، والمعوَّل عليه الأوَّل.

ولا يرد أنَّ هذا مناف لمنصب النُّبوَّة؛ إذ يقتضي ذلك معرفة الله ﷿، ومن عرفه سبحانه أحبَّه، ومن أحبَّه لم يتفرَّغْ قلبُه لحبِّ ما سواه لما قيل: إنَّ هذه[1] محبَّة طبيعيَّة، ولا تأبى الاجتماع مع حبِّه ﷿[2].

«إنَّ مثل هذه المحبَّة الشَّديدة تزيل عن القلب الخواطر، ويكون صاحبها كثير الرُّجوع إليه ﷿، كثير الدُّعاء والتَّضرع، فيصير ذلك سببًا لكمال الاستغراق..»[3].

ج. وفي (البحر): «ونادى الأسف على سبيل المجاز على معنى: (هذا زمانك فاحضر). والظَّاهر أنَّه يضاف إلى (ياء المتكلِّم) قلبت ألفًا، كما قالوا: في (يا غلامي): (يا غلاما).

وقيل: هو على النُّدبة، وحذف الهاء الَّتي للسَّكت»[4].

وحذف الهاء الَّتي هي في النُّدبة علامة المبالغة في الحزن؛ تجلُّدًا منه -عليه السَّلام-؛ إذ كان قد ارتبط إلى الصَّبر الجميل.

---

(١) أي: محبَّة يعقوب ﵇ ليوسف ﵇.
(٢) بقليل من التَّصرُّف عن (روح المعاني) (١٣/ ٣٩)، تفسير أبي السُّعود (٤/ ٣٠١)، وانظر: تفسير الرَّازي (١٨/ ٥٠٨)، ابن عادل (١١/ ١٩٦).
(٣) روح المعاني (١٣/ ٣٩)، تفسير الرَّازي (١٨/ ٢٠٠).
(٤) البحر المحيط (٥/ ٣٣٣).

وقيل: قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ نداء فيه استغاثة(١).

د. **تجنيس التَّصريف:**

قال الزَّمخشريُّ: «والتَّجانس(٢) بين لفظتي (الأسف) و(يوسف) مما يقع مطبوعًا غير مستعمل فيملح ويبدع، ونحوه: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ [النمل: ٢٢]»(٣).

وأيضًا كقوله ﷻ: ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢]، ومثل قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر: ٧٥].

وفي (البحر): «يسمَّى هذا تجنيس التَّصريف(٤)، وهو أن تنفرد كلُّ

(١) انظر: المحرَّر الوجيز (٣/ ٢٧٢).

(٢) الجِنَاسُ، ويسمَّى أيضًا (التَّجنيس) في اللُّغة: المشاكلة والاتحاد في الجنس، يقال لغة: جانَسهُ، إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جِنْسه، وجنسُ الشَّيء أصله الَّذي اشْتُقَّ منه، وتَفرَّع عنه، واتَّحدَ معَه في صفاته العظمى الَّتي تُقوِّم ذاته. وفي الاصطلاح: أَنْ يَتَشابَهَ اللَّفظانِ في النُّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنى. وهو نَوْعانِ: تَامٌّ: وهو ما اتَّفَقَ فيه اللَّفظان في أمورٍ أَربعةٍ هيَ: نَوْعُ الحُروفِ، وشَكلُهَا، وعَدَدُها، وتَرْتيبُها. كما في قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]. وغَيْرُ تَامٍّ: وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللَّفظان في واحدٍ مِنَ الأمور الْمُتَقَدِّمة. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٣٥٤)، مختصر المعاني (ص: ٢٨٨).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٣٨)، البحر المحيط (٥/ ٣٣٣)، ابن عادل (١١/ ١٨٩)، تفسير النَّسفي (٢/ ٣٣٥).

(٤) تجنيس التَّصريف كما في قوله ﷻ: ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، وهو أن =

كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف. وذكر يعقوب عليه السلام ما دهاه من أمر بنيامين، والقائل: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ [يوسف: ٨٠] فقدانه يوسف عليه السلام، فتأسَّف عليه وحده، ولم يتأسَّفْ عليهما؛ لأنَّه هو الَّذي لا يعلم أحيٌّ هو أم ميِّت؟ بخلاف إخوته؛ ولأنَّه كان أصل الرَّزايا عنده؛ إذ ترتبت عليه، وكان أحب أولاده إليه، وكان دائمًا يذكره ولا ينساه»[١] .

وقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ الألف مبدلة من (ياء المتكلِّم)، والأصل: (أسفي) ففتحت الفاء، وصيِّرت الياء ألفًا ليكون الصَّوت بها أتمُّ، و﴿عَلَىٰ﴾ متعلِّقة بـ: ﴿أسفى﴾[٢].

و﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ منادى مضاف منصوب بالفتحة المقدَّرة على ما قبل (ياء المتكلِّم) المنقلبة ألفا، والجارُّ متعلِّق بحال من ﴿أسفى﴾ [٣].

= تنفرد كلُّ كلمة عن الأخرى بحرف فـ﴿يَنْهَوْنَ﴾ انفردت بالها، و﴿ينأون﴾ انفردت بالهمزة. ومنه: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [الكهف: ١٠]، ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ [النمل: ٢٢] ﴿تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]. البحر المحيط (٤/ ١٠٤)، (٥/ ٣٣٣)، (٧/ ٦٤)، ابن عادل (٨/ ٨٤)، (١١/ ١٨٩)، الدُّر المصون (٣/ ٣٥)، روح المعاني (١٩/ ١٨٧)، وانظر: خزانة الأدب (١/ ٧٣). وفي (التَّعريفات): تجنيس التَّصريف: هو اختلاف الكلمتين في إبدال حرف، إمَّا من مخرجه، كقوله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾. أو قريب منه كما بين: (المفيح)، و(المبيح). التَّعريفات، للجرجاني (ص: ٧٥)..وفي (التَّعاريف): تجنيس التصريف: اختلاف الكلمتين بإبدال حرف من حرف إمَّا من مخرجه نحو: ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ الآية، أو قريب منه كما بين: (المصيخ) و(المسيخ). التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، للمناوي (ص: ١٦٢).

(١) البحر المحيط (٥/ ٣٣٣).

(٢) التِّبيان في إعراب القرآن، للعكبري (٢/ ٥٨)، وانظر: الفريد (٣/ ٩٢- ٩٣).

(٣) وفي (الفريد): «أضاف (الأسف)، وهو أشدُّ الحزن والحسرة إلى نفسه مناديًا له، مقبلاً =

هـ. إجمال ما يستفاد:

١ - إنَّ الصَّبر الجميل عاقبته حميدة، والفرق بينه وبين الصَّبر العادي أنَّ الصَّبر الجميل الَّذي لا يبوح فيه صاحبه بالشَّكوى، بل يفوِّض أمره لله ﷻ.

٢ - حسنُ الظَّنِّ بالله ﷻ، وهذا من مقتضياتِ التَّوحيد، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله ﷻ، يستفاد ذلك من قول يعقوب ﵇ لأولاده: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال أيضًا: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ [يوسف: ٨٣].

٣ - إنَّ البكاء لا ينافي الصَّبر، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾، فمن كثرة البكاء والدَّمع انقلب سوادُ عينيه بياضًا. وهناك فرقٌ بين البكاء وبين النِّياحة. فلا يجوز النَّدب ولا النِّياحة ولا شقُّ الثِّياب، ولا لطمُ الخدود، وكذلك لا يجوز الدُّعاء بالويل والثبور ونحوه.

و(النِّياحة): البكاءُ على الميِّت بصياحٍ وعويل، فهي رفعُ الصَّوت بالبكاء على الميِّت قصدًا، كنوح الحمام.

= عليه: هَلُمَّ فهذا أوانك، فاستثقلت الكسرة على الفاء ففتحت، وأبدلت من الياء الألف، و﴿عَلَىٰ﴾ من صلة ﴿أسفى﴾». الفريد (٣/ ٩٢-٩٣).

و(النَّدب): تعداد محاسن الميِّت.

والنِّياحة من أمر الجاهلية..وإنما كانت كذلك؛ لأنَّها لا تزيدُ النَّائح إلَّا شدّةً وحزنًا وعذابًا. وفيها: السُّخطُ والاعتراض على قضاء الله ﷻ وقدره. كما أنها تهيِّج أحزان غيره، والنِّياحة يشمل حكمها الرَّجلَ والمرأة، وفي الغالب وقوعها من النِّساء؛ ولهذا قال النَّبي ﷺ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»(١)، أي: إن تابت قبل الموت، تاب الله ﷻ عليها. وظاهر الحديث أنَّ هذا الذَّنب لا تُكفِّرُه إلَّا التَّوبة، وأنَّ الحسنات لا تمحوه؛ لأنَّه من كبائر الذُّنوب، والكبائر لا تمحى بالحسنات، فلا يمحوها إلَّا التَّوبة.

ومع هذه المفاسد فإنَّ القضاء لا يردُّ، ولا يرفع ما نزل.

أمَّا البكاءُ فمن الممكن أن يكون رحمةً وشفقة وغلبة نفس..

والفرق بينها وبين البكاء كبيرٌ ومبسوطٌ..في كتب (الفقه والفتاوى)(٢).

وفي ظلال ما ذكر يقال: إنَّ ما يجري في مجالس الوعظ من أمورٍ يعتقدُها العوامُّ والجُهَّالُ قُرْبَةً، وهي منكرٌ وبعد. فمن ذلك أنَّ المقرئَ

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه [١٥٥٠].

(٢) انظر: الشَّرح الكبير، لابن قدامة (٢/ ٤٣٠)، عمدة الأحكام (٢/ ١٧٤)، المبدع (٢/ ٢٨٩)، منار السَّبيل (١/ ١٧٣)، الرَّوض المربع (١/ ٣٥٨)، الكافي (١/ ٢٧٣)، كشَّاف القناع (٢/ ١٦٣)، فتاوى ابن تيمية (٢٤/ ٣٨٢)، (٢٥/ ٣٠٧ - ٣٠٨)، (٢٨/ ١٦١)...إلخ.

يطربُ، ويخرج الألحان إلى الغناء، والواعظ ينشد أشعار الرِّثاء فيصفِّق هذا، ويقفز هذا، ويتمايل هذا، ويخرق ثوبه هذا، ويعتقدون أنَّ ذلك قربة، ولو أنَّهم أمروا بالصَّبر، وحثُّوا عليه لكان خيرًا لهم..ومن الوعَّاظ من يتكلَّم على طريق المعرفة والمحبَّة، فترى من لا يعرف فرائض الصَّلاة يمزِّقُ أثوابه بدعوى محبَّةِ الله ﷻ، أضف إلى ذلك أنَّه لا يفقه ما يقال من الأشعار والقصائد، وما فيه من المخالفات..، حتَّى إن كان ممَّا يحوي في طيَّاته: الشِّرك الصَّريح..

١٧ - ﴿يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾ :

أ. في موضعين: [الكهف:٨٦]، [الكهف:٩٤].

ب. وفي (البحر): «وظاهر قوله: ﴿قُلۡنَا﴾ [(١)] أنَّه أوحى الله ﷻ إليه على لسان ملك. وقيل: كلمه كفاحًا من غير رسول كما كلَّم موسى ﵇، وعلى هذين القولين يكون نبيًّا. ويبعد ما قاله بعض المتأوِّلين: إنَّه إلهامٌ وإلقاء في روعه؛ لأنَّ مثل هذا التَّخيير لا يكون إلَّا بوحي إذ التَّكاليف وإزهاق النُّفوس لا تتحقق بالإلهام إلَّا بالإعلام»[(٢)].

أقول: لا يمنع أن يكون قد أعلمه بذلك نبيٌّ في زمانه، كما أنَّ إرسال الملك أو الوحي إليه أو إلى غيره لا يقتضي ذلك نبوَّته، فليس

---

(١) تمام الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾ [الكهف:٨٦] .

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٥٢)، وانظر: روح المعاني (١٦/ ٣٤)، زاد المسير (٥/ ١٨٦)، وذكر الرَّازي الخلاف مفصَّلا في (تفسيره): (٢١/ ١٦٣-١٦٥).

من محظور في كونه نبيًّا. وقد سبق بيان ذلك في المبحث المتعلِّق بالوحي، وكذلك في (نداء من اختلف في نبوَّته). أمَّا كونه نبيًّا أو ليس بنبيٍّ فذلك أمرٌ مسكوتٌ عنه؛ فلذلك أوردتُ الاحتمالاتِ السَّابقة مع الإحالة إلى مبحث الوحي في (التَّمهيد)، حيث جاء بيان ضعف القول بالإلهام لما سبق..وأكثر من ذلك بُعْدًا قول من قال: قد يكون باجتهاده في شريعته الاجتهادَ المصيب - كما سيأتي قريبًا-.

ج. ما يستفاد مما ولي المنادَى:

قوله ﷻ: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾، أي: بالقتل على الكفر ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ، أي: بالحمل على الإيمان والهدى، إمَّا أن تكفر فتُعَذَّبَ، وإمَّا أن تؤمن فتحسن، فعبَّر في التَّخيير بالمسبَّب عن السَّبب[١].

قوله ﷻ: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ، «معنى هذا: أنَّ الله ﷻ مكَّنه منهم، وحكَّمه فيهم، وأظفره بهم وخيَّره: إن شاء قتل وسبى، وإن شاء منَّ أو فدى»[٢].

د. قال الرَّازي -رحمه الله-: «فإن قيل: كيف فَهِمَ ذو القرنين منهم هذا الكلام بعد أن وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف:٩٣]؛ والجواب أن نقول: (كاد) فيه قولان:

الأوَّل: أن إثباته نفي، ونفيه إثبات، فقوله: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لا يدلُّ على أنَّهم لا يفهمون شيئًا، بل يدلُّ على أنَّهم قد يفهمون على

(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٥٢)، المحرَّر الوجيز (٣/ ٥٣٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٣) .

مشقَّةٍ وصعوبة.

والقول الثَّاني: أنَّ (كاد) معناه المقاربة، وعلى هذا القول فقوله: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، أي: لا يعلمون، وليس لهم قرب من أن يفقهوا. وعلى هذا القول فلا بدَّ من إضمار، وهو أن يقال: لا يكادون يفهمونه إلَّا بعد تقريبٍ ومشقَّةٍ من إشارة ونحوها، وهذه الآية تصلح أن يحتج بها على صحَّةِ القول الأوَّل في تفسير (كاد)»[1].

وقيل: كلَّم عنهم مترجمٌ، ويدلُّ عليه قراءة ابن مسعودٍ رضي الله عنه: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ، (قال الَّذين من دونهم يا ذا القرنين إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوج)[2].

التعقيب على ما ذكره البقاعي:

أقول: ويستبعدُ ما ذكره البقاعيُّ في (نظم الدُّرر) من أنَّ الأمر قد يكون باجتهاده في شريعته الاجتهادَ المصيب[3]، وذلك لقول الله عز وجل: ﴿قُلْنَا﴾ وهو صريحٌ، ولا حاجة تقتضي العدولَ عنه؛ ولأنَّ مثل هذا التَّخيير لا يكون إلَّا بوحي؛ إذ التَّكاليف وإزهاق النُّفوس لا تتحقَّق بالاجتهاد من غير نصٍّ صريح.

---

(١) تفسير الرَّازي (٢١/ ١٧٠). وقد فصَّل الرَّازي القول في بيان معنى: (يأجوج ومأجوج). انظر: تفسير الرَّازي (٢١/ ١٧٠).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ١٨٠)، تفسير ابن عادل (١٢/ ٥٦٢). وانظر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه في (الكشف والبيان) (٦/ ١٩٣)، روح المعاني (١٦/ ٣٨)، البيضاوي (٣/ ٢٥٥)، نظم الدُّرر (٤/ ٥٠٤). أقول: ولم يذكر أكثر المفسِّرين هذا القول؛ لاستبعاده..

(٣) انظر: نظم الدُّرر (٤/ ٥٠٢).

والحاصل أنَّهم «أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إيَّاه، حتَّى يجعل بينهم وبينهم سدًّا. فقال ذو القرنين بعفَّةٍ وديانةٍ وصلاحٍ وقصدٍ للخير: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف:٩٥][١]، أي: إنَّ الَّذي أعطاني الله ﷻ من الملك والتَّمكين خيرٌ لي من الَّذي تجمعونه، كما قال سليمان ﵇: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النمل:٣٦]، وهكذا.. قال ذو القرنين: الَّذي أنا فيه خير من الَّذي تبذلونه، ولكن ساعدوني ﴿بِقُوَّةٍ﴾ ، أي: بعملكم وآلات البناء ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ »[٢] .

هـ. إجمال ما يستفاد:

١ - النِّداء فيه إعلامٌ بقربه من الله ﷻ، وأنَّه لا يفعل إلَّا ما أمره به.

٢ - ما أمر به صريحٌ ليس بإلهامٍ ولا باجتهاد منه.

٣ - لقد قصَّ الله ﷻ علينا قصص بعض خلقه، وهم يهجرون ويغادرون أوطانهم في سبيل الله ﷻ، فمن ذلك قصَّة الفتية -(أصحاب الكهف) و(الرَّقيم)- غادروا قومهم ووطنهم الَّذي كانت تُعبد فيه الأوثان من دون الله ﷻ، قال الله ﷻ : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف:٩-١٠].

كما أنَّ الله ﷻ قصَّ علينا قصَّة ذي القرنين الَّذي غادر وطنه

---

(١) وتمام الآية: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٥).

الأصلي؛ لإقامة دين الله ﷻ، ونشر العدل في الآفاق غربًا وشرقًا، يقول الله ﷻ عن رحلته: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٥- ٨٦]، إلى أن قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [٨٩-٩٣]..

وكثُر تناول القرآن العظيم لقضية خروج النَّبيِّ ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم- من (مكَّة)، بل وإخراجهم منها كما هو تعبير الكتاب المبين في كثيرٍ من المواطن، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]. وقال الله ﷻ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. ويقول الله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ [محمد: ١٣]. وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ﴾ [الممتحنة: ١]. إلى غير ذلك من الآيات المستفيضة في هذا الموضوع.

ولقد تحدَّث القرآنُ المبين عمَّا يقوم به أعداء الدِّين والملَّة من تهديد

أولياء الله ﷻ بالإخراج عن أوطانهم ونفيهم منها، يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤]، ومن هؤلاء قوم شعيب -عليه الصَّلاة والسَّلام- الَّذين هدَّدوه بذلك، يقول الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨]، وقريبٌ من هذا ما أراده قومُ نبيِّ الله لوط عليه السلام به: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشعراء: ١٦٧-١٦٩]، وجُمِع هذا البلاء للنَّبيِّ محمَّد ﷺ من طرفيه حيثُ هُدِّد بهذا في (مكَّة) على يد وألسنة قريش، وفي (المدينة) على ألسنة المنافقين.

وكذلك أصحابه -رضوان الله عليهم- كانت فتنتهم في (مكَّة) فتنة الإيذاء والتَّعذيب، وما يلقونه من المشركين من ألوان الهزء والسُّخرية، فلمَّا هاجروا إلى (المدينة) أصبحت فتنتهم في ترك دورهم وأمتعتهم وأموالهم..ولقد كانوا أوفياء ومخلصين لدينهم أمام الفتنة الأولى، وأمام الفتنة الثَّانية.

وإن من أغلى حقائق الإنسانية: الحرية، وقد آثر الكثير من الدعاة ترك أوطانهم حيث ضيِّق عليهم، ومنعوا من قول الحق، ولم يرتضوا لأنفسهم أن يخونوا دينهم وأن يكونوا أبواقًا لسلطانٍ ظالم جائر،

ينافقون ويداهنون من أجل عرض زائل، فآثروا الهجرة وترك الأهل والوطن والمال؛ فإن الحرية أغلى، وإن الصَّدع بالحق أولى، يتخير الدعاة الأرض الطيبة ليضعوا بذور دعوتهم، تلك الغراس التي تثمر قيمًا وأخلاقًا ودينًا وصلاحًا وبصيرة وفهمًا..

٣ - ويستفادُ من قصَّة ذي القرنين: إعداد العدَّة لإعلاء دين الله ﷻ، ومواجهة المفسدين، حيث إنَّ بناء السَّدِّ من وسائل الصِّناعة الَّتي ذكرها القرآن الكريم في معرض التَّمكين والنَّجاة والامتناع من عبثِ المفسدين، وكيف حال ذلك السَّدِّ بين المفسدين العابثين وبين الأقوام الَّتي كانت دون السَّدين -وهي سلسلة الجبال- ببناء ذلك الرَّدم العظيم، وهو سدٌّ بناه ذو القرنين لم يكن كغيره من سدود بني الإنسان الَّتي تبنى باللَّبِنِ والحجارة ونحوه، وإنما كان سدًّا مبنيًّا بأرقى طرائق البناء، وأقوى معادن الصِّناعة، وأتقن وسائل التَّصميم، وإليك بيان هذا مجملا: لقد أتى ذو القرنين على أولئك الأقوام المتخلِّفين الَّذين لا يكادون يفقهون قولا، ولا يعلمون شيئًا من أحوال التَّحضر، فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج، وطلبوا منه إقامة سدٍّ ويعطونه أجرًا على ذلك، وطلبهم لإقامة سدٍّ كان وجيهًا؛ لأنَّه كان بينهم وبين يأجوج ومأجوج حواجز من شواهقِ الجبال الصُّمِّ والَّتي تمتدُّ بينهما على شكل سلسلتين من الجبال، بينهما فجوة هي منفذ يأجوج ومأجوج في هجماتهم على القوم الَّذين لا يكادون يفقهون قولا، وعند ذلك استعدَّ

ذو القرنين ببناء السَّدِّ، وسمَّاه ردمًا، أي: أعظم مما طلبوه، وعمد إلى تلك الفجوة الَّتي بين الصَّدفين -وهما الجبلان العظيمان المتقابلان- فملأ الفجوة بِزُبَر الحديد، أي: قِطَعهُ المقدَّرة مثل اللَّبِن حتَّى ساوى بين رؤوس الجبلين وبين ما في الفجوة من الحديد فجعلهم سواء، ثمَّ أمر فنفخت الحديد بالنَّار حتَّى جعلت من قِطَع الحديد نارًا، فأصبحت حمراء متوهِّجة، فصُبَّ عليها وهي في تلك الحال النُّحاسُ المذاب، وهو القِطْر، فاستحكم البناء أيَّما استحكام، وقوي كلَّ قوَّة، وأصبح غاية في الصَّلابة والملاسة قال ﷻ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: ٩٧].

ولا أدلَّ على قوَّة صناعة سدِّ ذي القرنين، وعلى ارتقاء علم الصِّناعة والعمران لديه من بقاء ذلك السَّدِّ وعدم تغيُّره رغم تعاقب العصور والدُّهور، والسَّدُّ لا زال قائمًا وحتَّى يومنا هذا، وحتَّى يأذن الله ﷻ بقرب يوم القيامة، وخروج يأجوج ومأجوج، قال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٩٨]. وقد كان السَّدُّ الَّذي هو من منتجات الصِّناعة الفائقةِ رحمةً من الله ﷻ للنَّاس؛ ليتمكَّنوا من العيش آمنين في عزلةٍ من عبث المفسدين من يأجوج ومأجوج.

١٨ - ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]:

أ. في موضع واحد: [مريم: ٢٨].

ب. العرض والتَّحليل:

«﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾: استئناف لتجديد التَّعيير وتأكيد التَّوبيخ[(١)]. وليس المراد بهارون أخا موسى بن عمران -عليهما السَّلام-: فعن الْمُغِيرَة بْنِ شُعْبَةَ، قال: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَان[(٢)] سألُونِي فقالوا: إنَّكُم تَقْرَءُون: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وموسى قَبْلَ عيسى بكذا وكذا، فلمَّا قَدِمْتُ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عن ذلك فقال: «**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ**»[(٣)].

«**فَقَالُوا**»، أي: أهلُ نجْرَان: «**أَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَ؟**»، أي: في القرآن في (سورة مريم): ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ ، وَبَعْدَهُ: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ .

أي: يا شبيهة هارون في العبادة أنت من بيتٍ طيِّبٍ طاهرٍ، معروفٍ بالصَّلاح والعبادة والزهادة، فكيف صدر هذا منك؟![(٤)].

وقيل: ﴿أخت هارون﴾، أَي: أخي موسى عليه السلام، وكانت من نسله، كما يقال للتَّمِيمِيِّ: (يا أَخَا تَمِيمٍ)، والْمُضَرِيِّ: (يا أَخَا مُضَرَ) .

وقيل: نسبت إلى رجلٍ صالح كان فيهم اسمه: (هارون)، فكانت

---

(١) انظر: تفسير أبي السُّعود (٥/ ٢٦٣).

(٢) قوله ﷺ: «إلى نَجْرَانَ» قال في (النِّهاية) (٥/ ٢٠): «هو موضع معروف بين (الحجاز) و(الشَّام) و(اليمن)». وقال في (القاموس) (١/ ٦١٧): «(نَجْرَانُ): موضع (باليمن)، فُتِح سَنَة (عَشْرٍ)، سُمِّي بِنَجْرَان بن زَيْدَانَ بن سَبَأٍ، وموضع (بالْبَحْرَيْنِ)، وموضع بِحُورَانَ قرب (دمشق)، وموضع بين (الكوفة) و(واسط)».

(٣) أخرجه مسلم [٣٩٨٢].

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١١٩-١٢٠)، تفسير الطَّبري (١٦/ ٧٧)، تفسير الصَّنعاني (٣/ ٨)، البغوي (٣/ ١٩٣)، الخازن (٤/ ٢٤٤)، السَّمعاني (٣/ ٢٨٨)، معاني القرآن، للنَّحاس (٤/ ٣٢٧) .

تقاس به في العبادة، والزهادة[١].

وقوله ﷺ: «**وَقَدْ كَانَ بَيْنَ مُوسَى** عليه السلام **وَعِيسَى** عليه السلام **مَا كَانَ**»، أي: من طول الزَّمان ما لا يمكن أن تكون مريم -عليها السَّلام- أختًا لهارون أخي موسى -عليهما الصَّلاة والسَّلام-، وقوله ﷺ: «**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ**»، يعني أنَّ هارون المذكور في قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ ليس هو هارون النَّبي أخا موسى -عليهما الصَّلاة والسَّلام-، بل المراد بهارون هذا: رجل آخر مسمَّى بهارون؛ لأنَّهم كانوا يسمُّون أولادهم بأسماء الأنبياء والصَّالحين قبلهم[٢].

قال ابنُ جرير: «وقال آخرون: بل كان ذلك رجلًا منهم فاسقًا معلن الفسق فنسبوها إليه. ثمَّ قال: والصَّواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله ﷺ: (يعني: حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ هذا) وأنها نسبت إلى رجل من قومها»[٣].

وما رجَّحه الطَّبريُّ رحمه الله، ومال إليه في (التحفة)[٤] هو الصَّواب؛ لأنَّه يستندُ إلى الدَّليل الصَّحيح.

ج. إجمال ما يستفاد:

١- يلاحظ أنَّ المنكرين «عليها فيما اتَّهموها به، أرادوا بنفي السُّوء

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١١٩-١٢٠)، تفسير الطَّبري (١٦/ ٧٧)، تفسير الصَّنعاني (٣/ ٨)، البغوي (٣/ ١٩٣)، ابن عادل (١٣/ ٥٣)، تفسير السَّمعاني (٣/ ٢٨٨)... إلخ.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع التِّرمذي (٨/ ٤٧٧).

(٣) تفسير الطَّبري (١٦/ ٧٧)، تحفة الأحوذي (٨/ ٤٧٨).

(٤) انظر: تحفة الأحوذي (٨/ ٤٧٨).

والبغاء عن أبويها المبالغة في توبيخها؛ تنبيهًا على أنَّ من كان أبواه صالحين ليس من شأنه: التَّجرُّدَ عن طورهما، والتَّردي بغيرِ ردائهما، وما كان ينبغي له إلَّا أن يسلك سنن أعمالهما الصَّالحة، كما أنَّك تجد أكثر النَّاشئين في جحور السَّفلة، أو من أطلقت حبالهم على غواربهم زمن الحداثة في أفظع حالٍ من فساد الأذواق، وعدم الخضوع لسلطة الأحكام الدِّينيّة، والانخداع بالظَّواهر المزخرفة عن الغوص على الحقائق الَّتي لا يلقَّاها إلَّا ذو حظٍّ عظيمٍ من الحكمة.

تعجبُ العامَّةُ لرجلٍ يبرع في فنونٍ كثيرةٍ، ويحسنُ التَّصرف في مباحثها المشكلة، فيفرغها في قالب التَّحقيق، حتَّى إذا فاوضته في أيِّ علمٍ منها خُيِّل لك أنَّه الواضع لأصوله، ولا تلبث زمنًا تجسُّ نبضَ أخلاقه إلَّا وجدت فيها عِوَجًا وأمتا، أمَّا الفيلسوف النَّاقد فلا يرى ذلك شيئًا عجابًا للنُّكتة الَّتي لوَّحنا إليها، وهي سوء التَّربية الأولى. والدَّليل على ما نقوله أنَّ الصَّبي يولدُ على الفطرة الخالصة والطَّبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه السَّاذجة بخلقٍ من الأخلاق، انتقشت صورتُه في لوحها، ثمَّ لم تزل تلك الصُّورة تمتدُّ شيئًا فشيئًا إلى أنْ تأخذَ بجميعِ أطراف النَّفس، وتصيرَ كيفيةً راسخةً فيها، حائلةً لها عن الانفعال بضدِّها، يؤيِّد هذا أنَّا إذا رأينا من الغرباء من هو لطيف الخطاب، جميل اللقاء، مهذّب الألمعية، لا نرتاب في دعوى أنَّه ممن أنبته الله ﷻ في البيوت الفاضلة نباتًا حسنًا»[1].

(١) السَّعادة العظمى (ص: ٦٠).

وقولهم: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ تقرير لكون ما جاءت به فريًا، أو تنبيه على أنَّ ارتكاب الفواحش من أولاد الصَّالحين أفحش. وفيه دليل على أنَّ الفروع غالبًا تكون زاكيةً إذا زكت الأصول، وينكر عليها إذا جاءت بضدِّ ذلك[1].

٢ - اتَّفق العلماء على أنَّه إذا صرَّح بالزِّنا كان قذفًا ورميًا موجبًا للحدِّ، فإن عرَّض ولم يصرِّح، فقال مالك: هو قذف. وقال الشَّافعي وأبو حنيفة: لا يكون قذفا حتَّى يقول: أردت به القذف[2]. قال أحمد في رواية: لا أرى الحدَّ إلَّا على من صرَّح بالقذف والشَّتيمة..[3]، واختلفت الرِّواية عن أحمد في التَّعريض بالقذف[4].

وقد نصر القرطبيُّ ما ذهب إليه الإمام مالك حيث قال: «والدَّليل لما قاله مالك هو أنَّ موضوع الحدِّ في القذف إنما هو لإزالة المعرَّة الَّتي أوقعها القاذف بالمقذوف، فإذا حصلت المعرَّة بالتَّعريض وجب أن يكون قذفًا كالتَّصريح. والمعوَّل على الفهم، وقد قال ﷻ مخبرًا عن

---

(١) انظر: تفسير أبي السُّعود (٥/ ٢٦٣)، روح المعاني (١٦/ ٨٨)، البحر المديد (٤/ ٢١٦)، تفسير البيضاوي (٤/ ١٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٣). انظر أقوال العلماء في (أحكام القرآن الكريم)، للجصَّاص (٥/ ١١١)، (٢/ ١٢٩)، الفروع، لابن مفلح (٦/ ١٤١)، (٦/ ١٦٢)، شرح فتح القدير، للكمال بن الهمام (٥/ ١٣٧)، حاشية الدُّسوقي (٤/ ٣٢٧)، شرح الزُّرقاني (٣/ ٢٤٣)، التَّمهيد (٦/ ١٨٨-١٨٩)، المدونة الكبرى (١٦/ ٢٢٤).

(٣) المغني (٩/ ٨٠)، الشَّرح الكبير، لابن قدامة (١٠/ ٢٢٧)، شرح منتهى الإرادات المسمَّى دقائق أولي النُّهى لشرح المنتهى، للبهوتي (٣/ ٣٥٨).

(٤) المغني (٩/ ٨١)، وانظر: المصادر السَّابقة .

شعيب ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، أي: السَّفيه الضَّال، فعرَّضوا له بالسَّبِّ بكلامٍ ظاهره المدح في أحد التَّأويلات. وقال ﷻ في أبي جهل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩]. وقال حكاية عن مريم -عليها السَّلام-: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ ، فمدحوا أباها، ونفوا عن أمِّها البغاء، أي: الزِّنا، وعرَّضوا لمريم -عليها السَّلام- بذلك، ولذلك قال ﷻ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦]، وكفرهم معروف، والبهتان العظيم هو التَّعريض لها، أي: ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمُّكِ بغيًّا، أي: أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد. وقال ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤]، فهذا اللَّفظ قد فهم منه أنَّ المراد به أنَّ الكفَّار على غير هدى، وأنَّ الله ﷻ ورسوله ﷺ على الهدى، ففهم من هذا التَّعريض ما يفهم من صريحه»(١).

وعلى أيَّة حالٍ فإنَّ هذه المسألة مبسوطة في مظانِّها من كتب الفقه، وشرح آيات وأحاديث الأحكام، وفيها تفصيل..

١٩ - ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ [طه: ٩٤]:

أ. في موضع واحدٍ مصرَّحًا بذكر أداة النِّداء (يا) في [طه: ٩٤]، ومقدَّرًا في [الأعراف: ١٥٠]. من هارون ﷺ لموسى ﷺ.

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٣). وانظر شروط القذف (التِّسعة) في الموضع نفسه من (تفسير القرطبي).

والتَّرتيب المصحفي يقتضي تقديم (سورة الأعراف) على (سورة طه)، ولكنِّي قدَّمت ما جاء مصرَّحًا بذكر أداة النِّداء فيه على ما جاء مقدَّرًا.

ب. سبب العدول عن الإضافة إلى الأب مع أنَّهما لأبٍ وأمٍّ واحدة:

ولم يقل: (يا ابن أبي)، وهما لأبٍ واحد، وأمٍّ واحدة؛ استعطافًا له على نفسه برحم الأم[(١)].

وفي (تفسير ابن كثير): «ترفَّق له بذكر الأمِّ مع أنَّه شقيقه لأبويه؛ لأنَّ ذكر الأمِّ هاهنا أرقُّ وأبلغ»[(٢)]، أي: في الحنو والعطف[(٣)].

«والإنسان عند ذكر الوالدة أرقُّ منه عند ذكر الوالد»[(٤)].

ج. توجيه القراءات:

وقوله ﷻ: ﴿يَبۡنَؤُمَّ﴾ قرأ ابنُ كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾ نصبًا. وقرأ ابنُ عامر، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكر عن عاصم بكسر الميم، وكذلك في [طه: ٩٤][(٥)].

قال الزَّجاج: «من فتح الميم؛ فلكثرة استعمال هذا الاسم، ومن كسر، أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسمًا واحدًا، ومن العرب من

---

(١) انظر: تفسير الطَّبري (٩/ ٦٨)، معاني القرآن، للفرَّاء (١/ ٣٩٤)، تفسير الثَّعالبي (٢/ ٥٥)، (٣/ ٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر أيضا: تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٤).

(٤) زاد المسير (٣/ ٢٦٥)، وانظر: تفسير أبي السُّعود (٦/ ٣٨).

(٥) انظر: زاد المسير (٣/ ٢٦٤)، النَّشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٧)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: ٣٨٨)، تفسير الطَّبري (٩/ ٦٧)، الكشف والبيان (٤/ ٢٨٦).

يقول: (يا ابن أمي) بإثبات الياء»[١].

وقال الإمام الرَّازي: «قرأ ابنُ عامر وحمزة والكسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصم: ﴿ٱبْنَ أُمِّ﴾ -بكسر الميم-. وفي (طه) مثله على تقدير: (أمي)، فحذفت (ياء الإضافة)؛ لأنَّ مبنى النِّداء على الحذف، وبقي الكسر على الميم؛ ليدلَّ على الإضافة، كقوله: ﴿يَٰعِبَادِ﴾ [الزمر:١٠]، والباقون بفتح الميم في السُّورتين، وفيه قولان: أحدهما: أنهما جعلا اسمًا واحدًا وبني لكثرة اصطحاب هذين الحرفين فصار بمنزلة اسم واحد، نحو: (حضرموت) و(خمسة عشر). وثانيهما: أنَّه على حذف الألف المبدلة من (ياء الإضافة)، وأصله: (يا ابن أما»)[٢].

وفي (التَّحرير والتَّنوير): «قوله في الجواب: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ نداء لقصد التَّرقيق والاستشفاع. وهو مؤذن بأنَّ موسى عليه السلام حين وبَّخه أخذ بِشَعرِ لحية هارون، ويشعر بأنَّه يجذبه إليه ليلطمه، وقد صرَّح به في (الأعراف) بقوله عز وجل: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾

وقرأ الجمهور: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ -بفتح الميم-. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائيُّ، وأبو بكر عن عاصم، وخلف بكسر الميم. وأصله: (يا ابن أمِّي)، فحذفت (ياء المتكلِّم) تخفيفًا، وهو حذف مخصوص بالنِّداء. والقراءتان وجهان في حذف (ياء المتكلِّم) المضاف إليها لفظ: (أمّ)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٣/ ٣٧٣)، زاد المسير (٣/ ٢٦٤).

(٢) تفسير الرَّازي (١٥/ ١١-١٢). وانظر: (٢٢/ ١٠٩)، وانظر: معاني القرآن، للأخفش (ص: ٤٤٨).

ولفظ: (عَمّ) في النِّداء. وعطف الرَّأس على اللِّحية؛ لأنَّ أخذه من لحيته أشدُّ ألمًا وأنكى في الإذلال. و(ابنُ الأم): الأخ. وعدل عن (يا أخي) إلى (ابن أم)؛ لأنَّ ذكر الأمِّ تذكير بأقوى أواصر الأخوَّة، وهي آصرة الولادة من بطنٍ واحد، والرَّضاع من لبانٍ واحد»[1].

د. إجمال ما يستفاد:

١ - إنَّ الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- لا يغضبون انتصارًا لأنفسهم، وإنما يغضبون لله ﷻ أن تنتهك حرمةٌ من حرماتِ الله ﷻ.

٢ - حرصُ الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- على الدَّعوة إلى الله ﷻ، وعلى أممهم.

٣ - ويستفاد من موقف هارون عليه السلام أنه كان حكيمًا في جوابه، فقد حاول أن يهدِّئ من غضب موسى عليه السلام باستجاشة عاطفة الرَّحم في نفسه. ثم بين له موقفه فقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤] أي: خشيت إن خرجت عنهم وتركتهم أن يتفرقوا فتقول لي: إنك فرقت جماعتهم؛ لأن هارون لو خرج لتبعه جماعة ممن لم يعبد العجل، وتخلف مع السامري عند العجل آخرون، وربما أفضى ذلك إلى القتال بينهم. فتقول: لم تعمل بوصيتي لك فيهم وتحفظها، ومراده بوصية موسى عليه السلام له

(١) التَّحرير والتَّنوير ١٦/ ٢٩٢ .

قوله هو: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ [الأعراف: ١٤٢] قال أبو عبيدة: معناه: ولم تنتظر عهدي وقدومي؛ لأنك أمرتني أن أكون معهم. وقال ابن جريج: لم تنتظر قولي ما أنا صانع. فاعتذر هارون إلى موسى ها هنا بهذا، واعتذر إليه في (الأعراف) بما حكاه الله عنه حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠].

٤ - إنَّ الخطاب بهذه الصِّيغة هو من (خطاب التَّحبب والتَّحنن والاستعطاف)، وقد سبق بيانه مفصَّلًا.

٢٠ - ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾ : في ستَّة مواضع:

أ. [الأنبياء: ١٤]، [الأنبياء: ٤٦]، [الأنبياء: ٩٧]، [يس: ٥٢]، [الصَّافات: ٢٠]، [القلم: ٣١].

ب. **معنى (الويل)**:

«(الويل): لفظ دالٌّ على الشرِّ أو الهلاك[1]، ولم يسمع له فعل من لفظه؛ فلذلك قيل: هو اسم مصدر، وقيل: هو مصدر امتنع العرب من استعمال فعله؛ لأنَّه لو صُرِّف لوجب اعتلال فائه وعينه، وذلك بأن يجتمع فيه إعلالان، أي: فيكون ثقيلًا. و(الويلة): البليَّة. وهي مؤنَّث (الويل)، قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا﴾ [الكهف: ٤٩]»[2].

---

(١) انظر: لسان العرب، مادَّة: (ويل) (١١/ ٧٣٧)، تهذيب اللُّغة، مادَّة: (ويل) (١٥/ ٣٢٦)، وانظر: روح المعاني (٣٠/ ٦٨).

(٢) بتصرُّفٍ عن (التَّحرير والتَّنوير) (١/ ٥٧٦).

ويستعمل (الويل) بدون حرف نداء كما في الآية[١]، ويستعمل بحرف النِّداء كقوله ﷻ: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤﴾ [الأنبياء: ١٤]، كما يقال: (يا حسرتا).

ج. موقعه من الإعراب:

«فأمَّا موقعه من الإعراب فإنَّه إذا لم يضف أُعْرِب إعرابَ الأسماء المبتدأ بها، وأُخْبر عنه بلام الجرِّ، كما في هذه الآية، وقوله ﷻ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾ [المطففين: ١].

قال الجوهريُّ: وينصب فيقال: ويلًا لزيد[٢] وجعل سيبويه ذلك قبيحًا[٣]، وأوجب إذا ابتدئ به أن يكون مرفوعًا، وأمَّا إذا أضيف فإنَّه يضاف إلى الضَّمير غالبًا كقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ﴾ [القصص: ٨٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ [الأحقاف: ١٧]، فيكون منصوبًا، وقد يضاف إلى

---

(١) يعني قول الله ﷻ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

(٢) انظر: الصِّحاح، للجوهريِّ، مادَّة: (ويل) (٥/ ١٨٤٦).

(٣) ونصُّ عبارة سيبويه في (الكتاب): ((وأمَّا قوله -تعالى جدُّه-: "﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ [المرسلات: ١٥]، و﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾، فإنَّه لا ينبغي أن تقول: إنَّه دعاء ههنا؛ لأنَّ الكلام بذلك قبيح، واللَّفظ به قبيح، ولكنَّ العباد إنَّما كلِّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فكأنَّه -والله أعلم- قيل لهم: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾، و﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠﴾، أي: هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم؛ لأنَّ هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقيل: هؤلاء ممَّن دخل في الشَّر والهلكة، ووجب لهم هذا». الكتاب، لسيبويه (١/ ٣٣١).

الاسم الظَّاهر فيعرب إعراب غير المضاف، كقول النَّبيِّ ﷺ لأبي بصير[(١)] رضي الله عنه:

«**وَيْلُ أمِّه مِسْعَرَ حَرْبٍ**»[(٢)].

---

(١) هو أبو بصير الصَّحابي رضي الله عنه، واسمه عتبة بن أسيد -بفتح الهمزة وكسر السِّين- بن جارية -بالجيم- بن أسد بن عبد الله ابن أبى سلمة بن عبد الله بن غيرة -بكسر الغين المعجمة وفتح المثنَّاة تحت- بن عوف بن ثقيف الثَّقفي، حليف بني زهرة، وهو مشهور بكنيته. توفِّي في حياة رسول الله ﷺ، وكانت وفاته بسيف البحر -بكسر السِّين- وهي ساحله في الموضع الَّذي أقام فيه، وجاءه المستضعفون من المؤمنين من (مكَّة)، فأقاموا هناك حتَّى بلغوا (ستِّين) أو (سبعين)، وكان أبو بصير رضي الله عنه كبيرهم، وهو أوَّل من أقام هناك، وقصَّته مشهورة في (صحيح البخاري) [كما سيأتي] وغيره. وتوفِّي بعد (صلح الحديبية). وقيل: (فتح مكَّة)، وكان الصُّلح في ذي القعدة، سنة (ستٍّ) من الهجرة، و(فتح مكَّة) في رمضان سنة (ثمان)، وصلَّى عليه أصحابه، أبو جندل والباقون، ودفنوه هناك رضي الله عنه. تهذيب الأسماء (٤/ ٤٧١)، وانظر: الإصابة (٤/ ٤٣٣)، معرفة الصَّحابة (٤/ ٢١٣٢).

(٢) البخاري، . . .عن المسور بن مخرمة، [٢٥٢٩]. قال الحافظُ في (الفتح): «(وَيْلُ أُمِّهِ) وهي كلمة ذمٍّ تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذَّمِّ؛ لأنَّ (الويل) الهلاك فهو كقولهم: (لأمِّه الويل). قال بديع الزمان -[وهو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أبو الفضل، أحد أئمَّة الكتاب. له (مقامات)، أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها. وكان شاعرًا، وطبقته في الشِّعر دون طبقته في النَّثر. ولد في (همذان)، وانتقل إلى (هراة) سنة [٣٨٠هـ]، فسكنها، ثمَّ ورد (نيسابور) سنة [٣٨٢هـ]، كان قويَّ الحافظة يضرب المثل بحفظه. ويذكر أن أكثر (مقاماته) ارتجال، وأنَّه كان ربما يكتب الكتاب مبتدئا بآخر سطوره، ثمَّ هلمَّ جرًّا إلى السَّطر الأوَّل فيخرجه ولا عيب فيه! مات بهراة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة مسموما أو مسبوتًا [٣٩٨هـ]. الأعلام (١/ ١١٥)، سير أعلام النُّبلاء (١٧/ ٦٧-٦٨)- قال بديع الزمان في رسالة له: والعرب تطلق: (تربت يمينه) في الأمرِ إذا أهمَّ. ويقولون: (ويل أمِّه)، ولا يقصدون الذَّم. و(الويل) يطلق على العذاب والحرب والزَّجر..». فتح الباري (٥/ ٣٥٠). وانظر: عون المعبود (٧/ ٣١٩-٣٢٠)، نيل الأوطار =

ولما أشبه في إعرابه المصادر الآتية[1] بدلًا من أفعالها نصبًا ورفعًا مثل: (حمدًا للهِ وصبرٌ جميل)، قال أكثر أئمَّة العربيَّة: إنَّه مصدر أُميتَ فعله. ومنهم من زعم أنَّه اسم وجعل نصبَهَ في حالة الإضافة نصبًا على النِّداء بحذف حرف النِّداء؛ لكثرة الاستعمال، فأصل: (وَيلَه): يا ويله، بدليل ظهور حرف النِّداء معه في كلامهم. وربَّما جعلوه كالمندوب فقالوا: (ويْلاه). وقد أعربه الزَّجاج كذلك [في (سورة طه): ٦١، كما سيأتي]. ومنهم من زعم أنَّه إذا نصب فعلى تقدير (فعل)»[2].

قال الزَّجاج[3] في قوله ﷻ: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [طـه: ٦١]: يجوز أن يكون التَّقدير: (ألزمكم الله ويلا). ويجوز أنَّ

= (٨/ ٢٠٣). والحاصل أنَّ قوله ﷺ: «وَيْلُ أمِّه مِسْعَرَ حَرْبٍ» قد ورد (الوَيْل) فيه بمعنى التَّعَجُّب والمدح، و«مِسْعَرَ حَرْبٍ»، أي: موقد حرب، يقال: سعرت النَّار وأسعرتها فهي مسعورة ومسعرة. و(المِسعر): الخشب الَّذي تسعر به النَّار أي: توقد. و(المِسعر) و(المِسْعار): ما تُحرّكُ به النارُ من آلةِ الحديد. يَصِفُه بالمبالغة في الحَرْب والنَّجدة. ويُجْمعان على مَساعر ومَساعير. وفي (الفتح): «قال الخطابي: كأنَّه يصفه بالإقدام في الحرب والتَّسعير لنارها». انظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/ ٣٥٠)، الفائق، للزَّمخشري (١/ ٢٨٤)، النِّهاية، مادَّة: (سعر) (٢/ ٩٢٩)، ومادَّة: (ويل) (٥/ ٥٣٢)، ومادَّة: (هبل) (٥/ ٥٤٤)، تفسير غريب ما في الصَّحيحين، للأزدي (ص: ١٩١)، شرح سنن ابن ماجه، لمغلطاي (١/ ٧٨٦)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٩/ ٣٢٩-٣٣٢).

(١) أي: أشبهه في (الوزن والإعراب)، فـ: (حمدًا) مصدر ناب عن فعله، أو مفعول مطلق لفعل محذوف. . .

(٢) التَّحرير والتَّنوير (١/ ٥٧٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٣/ ٣٦٠).

(ويل) كلمةٌ مركَّبةٌ من: (وَيْ) بمعنى الحُزن، ومن مجرورٍ باللام المكسورة، فلمَّا كثر استعمال اللام مع (وَيْ) صيَّروهما حرفًا واحدًا، فاختاروا فتح اللام كما قالوا: (يَالَ ضَبَّةَ)[1] ففتحوا اللام، وهي في الأصل مكسورة. وهو يستعمل دعاء وتعجُّبًا وزجرًا مثل قولهم: (لا أب لك)، و(ثكلتك أمُّك). ومعنى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٧٩] دعاءٌ مستعملٌ في إنشاءِ الغضب والزَّجر[2].

وقوله ﷻ: «﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ هو نداءُ مضاف، والمعنى: يقول الكفَّار: (تعال يا ويل فهذا زمانك وأوانُك)، وقيل: هو منصوب على المصدر، والمنادى محذوف، كأنَّهم قالوا لبعضهم: (يا هؤلاء ويلا لنا)، فلمَّا أضاف حذف اللام الثَّانية. وقال الكوفيُّون: اللام الأولى هي المحذوفة، وأصله: عندهم: (وي لنا)، وقد أجازوا: (ويلَ زيد) -بفتح

(١) (ضبة بن أد): بطن من طابخة، من العدنانيَّة، وهم (بنو ضبة) بن أد بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم من جمرات العرب الثَّلاث. كانت منازلهم في جوار (بني تميم) إخوتهم، بالنَّاحية الشَّمالية التهامية من (نجد)، ثمَّ انتقلوا في الإسلام إلى (العراق) بجهة (النعمانية). معجم قبائل العرب (٢/ ٦٦١)، معجم البلدان (٢/ ٢٧٦) .وجاء في (موقعة الجمل) أنَّه لم يبق حول الجمل عامريٌّ مكتهلٌ إلا أصيب، يتسرَّعون إلى الموت، فقال القعقاع: يا بحير بن دلجة، صح بقومك فليعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أمُّ المؤمنين، فقال: (يال ضبة)، يا عمرو بن دلجة، ادع بي إليك، فدعا به، فقال: أنا آمن حتَّى أرجع؟ قال: نعم. قال: فاجتثَّ ساق البعير، فرمى بنفسه على شقِّه وجرجر البعير..والقصة طويلة..انظر: تاريخ الطَّبري (٣/ ٥١)، الفتنة ووقعة الجمل، لسيف بن عمر الضَّبي الأسدي (ص:١٦٦)، نهاية الأرب في فنون الأدب (٢٠/ ٤٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٣/ ٣٦٠)، التَّحرير والتَّنوير (١/ ٥٧٧).

اللام-، وهي عندهم (لامُ الجرِّ)، و(لام الجرِّ) لا تفتح مع غير المضمر، وأجازوا الضَّم، وفي ذلك دليل ظاهرٌ بيِّن أنَّ الثَّانية هي المحذوفة»[١].

وفي (لسان العرب): «(ويل) وَيْلٌ كلمة مثل وَيْح إِلَّا أَنها كلمة عَذاب[٢]، يقال: (وَيْلَهُ) و(وَيْلَكَ) و(وَيْلي)، وفي النُّدْبةِ: (وَيْلاهُ). وقد تدخل عليه الهاء فيقال: (وَيْله). و(الوَيْل) حُلولُ الشرِّ والوَيْلةُ الفضيحة والبَلِيَّة وقيل: هو تَفَجُّع، وإِذا قال القائل: (واوَيْلَتاه) فإِنما يعني: (وافَضِيحَتاه)...»[٣].

د. إجمال ما يستفاد:

إنَّ (ما ولي المنادَى) في هذه الصِّيغة من الخطاب معناه متقارب..

وهو يدلُّ على أنَّه لا مفرَّ ولا مهربَ من بأس الله ﷻ المحيط. وأنَّه لا ينفعهم ركضٌ، ولا ينقذهم فرارٌ. وهو من تفجع المفجوء الَّذي تتكشَّفُ له الحقيقة المروِّعة بغتةً، فيدعو بالويلِ والهلاك، ويعترف ويندم، ولكن بعد فوات الأوان!!!

٢١ - ﴿يَـٰعِبَادِيَ﴾ [العنكبوت: ٥٦]:

وقد سبقَ ما يتعلَّقُ بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّةِ)، وقد سبق أيضًا بيان أنَّه من (نداء الإضافة).

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن الكريم، لمكي (٢/٦٠٦)، وانظر: تاج العروس، مادَّة: (ويل) (٣١/١٠٦).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق بين (ويح) و(ويل) مفصَّلاً في (الفروق) (ص: ٥٧٩).

(٣) لسان العرب، مادَّة: (ويل) (١١/٧٣٧)، الصِّحاح، (٥/١٨٤٦)، مختار الصِّحاح (ص: ٧٤٠).

٢٢ - ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ [الأحزاب: ١٣] في موضع واحد.

وقد سبقَ ما يتعلَّقُ بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّةِ).

٢٣ - ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ : في موضعين، [الأحزاب: ٣٠]، [الأحزاب: ٣٢].

وقد سبقَ ما يتعلَّقُ بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءاتِ العَامَّةِ)، وقد سبق بيان أنَّه من (نداء النِّسبة).

٢٤ - ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ :

أ. في موضع واحد من [سورة الزُّمر: ٥٦]. وقد سبق بيان (خطاب التَّحسر والتَّلهف) مفصَّلا، وأتعرَّض هنا لبيان هذه الصِّيغة فحسب (المنادَى، وما ولي المنادى...) .

ب. **العرض والتَّحليل**:

أي: بادروا واحذروا أن تقول نفس. وقال الزَّجاج[1]: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ (يا ندامتا)، والتَّحسر الاغتمام على ما فات، وأراد: يا حسرتي، على الإضافة، لكن العرب تحوِّل (ياء الكناية) ألفًا في الاستغاثة، فتقول: (يا حسرتا)، و(يا ندامتا)، وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدلَّ على الإضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر[2]: . . . .

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٤/٣٥٨ - ٣٥٩).

(٢) هو يزيد بن القعقاع المخزومي ، المدني، أبو جعفر، أحد القُرَّاء العشرة من التَّابعين. وكان إمام أهل (المدينة) في القراءة وعرف بالقارئ. وكان من المفتين المجتهدين. توفِّي في (المدينة) =

﴿ياحسرتاي﴾[١].

وقيل: معنى قوله: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ : (يا أيَّتُها الحسرة هذا وقتك)، ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [٢]، فيه أقوال..، قيل: في طاعة الله ﷻ، وقيل: في حقِّ الله ﷻ، وقيل: في أمْرِ الله ﷻ، وقيل: في ذِكْرِ الله ﷻ، وقيل: في قرْبِ الله ﷻ[٣].

ومن قال من المفسِّرين: (الجَنْب): القُرْب، فإنَّ المعنى (في قُرْب الله ﷻ وجِواره)، كما يقال: (فلان يعيش في جَنْبِ فلان)، أي: في قُرْبه وجواره، فعلى هذا يكون المعنى: (على ما فرَّطْتُ في طلب قُرْب الله ﷻ). ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ المستهزئين بدين الله ﷻ وكتابه ورسوله ﷺ والمؤمنين. ولم يكفه أن ضيَّع طاعةَ الله ﷻ حتَّى جعل يسخرُ بأهل طاعته[٤].

وقوله ﷻ: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾ في موضع المفعول له بتقديرِ مضافٍ. وقدَّره الزَّمخشريُّ[٥]: كراهة، وهو منصوب بفعلٍ محذوف يدلُّ عليه ما

= [١٣٢هـ] .الأعلام (٨/ ١٨٦)، وانظر: معرفة القُرَّاء الكبار، للذَّهبي (١/ ٧٢)، التَّيسير في القراءات السَّبع، للدَّاني (ص: ٥)، كتاب السَّبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص: ٥٦- ٥٨).

(١) انظر القراءة في (تحبير التَّيسير في القراءات العشر)، لابن الجزري (ص: ٥٣٦)، الكشاف (٣/ ٤٠٤)، التِّبيان في إعراب القرآن (٢/ ٢١٥)، إملاء ما منَّ به الرَّحمن (ص: ٢١٥).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٨٥)، وانظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٢٧٠- ٢٧١) .

(٣) انظر: زاد المسير (٧/ ١٩٢)، روح المعاني (٢٤/ ١٧)، تفسير النَّيسابوري (٦/ ١١)، ابن عادل (١٦/ ٥٣٣)، الخازن (٦/ ٨٢)، السِّرج المنير (٣/ ٣٦٦)، الرَّازي (٢٧/ ٤٧٢).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٢٧١)، زاد المسير (٧/ ١٩٢)، تفسير البغوي (٤/ ٨٥).

(٥) قال الزَّمخشريُّ في (الكشاف): ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾ كراهة أن تقول. فإن قلتَ: لِمَ نكِّرت؛ =

قبل، أي: أنذركم وآمركم بأحسن ما أنزل إليكم كراهة أن تقول، ومن لا يشترط للنَّصب اتحاد الفاعل يجوِّزُ كون النَّاصب: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ [الزمر: ٥٤]، أو: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ﴾ [الزمر:٥٥]، وأيًّا ما كان فهذه الكراهة مقابل الرِّضا دون الإرادة، فلا اعتزال في تقديرها[١].

= قلتُ: لأنَّ المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر. ويجوز أن يراد: نفس متميِّزة من الأنفس، إمَّا بلجاجٍ في الكفر شديد. أو بعذاب عظيم. ويجوز أن يراد التَّكثير. وقرىء: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ على الأصل. و﴿يا حسرتاي﴾، على الجمع بين العوض والمعوَّض منه. و(الجَنب): الجانب، يقال: (أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته)، و(فلان ليِّن الجَنب والجانب)، ثمَّ قالوا: (فرَّط في جنبه وفي جانبه)، يريدون في حقِّه، وهذا من باب الكناية؛ لأنَّك إذا أثبت الأمر في مكان الرَّجل وحيِّزه، فقد أثبته فيه. ومنه قول النَّاس: (لمكانك فعلت كذا)، يريدون: لأجلك. وقيل: ﴿فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ على معنى: فرَّطتُ في ذاتِ الله ﷻ. فإن قلت: فمرجع كلامك إلى أنَّ ذكر (الجَنب) كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها، فكأنَّه قيل: فرَّطت في الله ﷻ. فما معنى فرَّطت في الله ﷻ؛ قلت: لا بدَّ من تقدير مضافٍ محذوف، سواء ذكر الجنب أو لم يذكر. والمعنى: فرَّطت في طاعة الله ﷻ وعبادة الله ﷻ، وما أشبه ذلك. بتصرُّفٍ عن (الكشاف) (٣/ ٤٠٤).

(١) والحاصل أنَّ مذهب المعتزلة أنَّ الله ﷻ لا يشاء المعاصي والكفر، ومعلومٌ أنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمانُ بأنَّ ما شاء الله ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّه ما في السَّموات والأرض من حركةٍ ولا سكونٍ إلا بمشيئة الله ﷻ، لا يكون في ملكه إلاَّ ما يريد، وهو خالقٌ لأفعال العباد. وقد فرَّقوا -أي: أهل السنَّة والجماعة- بين الإرادة الكونيَّة والإرادة الشَّرعيَّة فقالوا: الفرق بين الإرادتين: ١- الإرادة الكونيَّة قد يحبُّها الله ﷻ ويرضاها، وقد لا يحبُّها ولا يرضاها والإرادة الشَّرعيَّة لا بدَّ أنَّه يحبُّها ويرضاها. فالله ﷻ أراد المعصية كونًا ولا يرضاها شرعًا. ٢ - والإرادة الكونيَّة مقصودة لغيرها، كخلق إبليس وسائر الشُّرور لتحصل بسبب ذلك المجاهدة والتَّوبة والاستغفار وغير ذلك من المحابِّ. والإرادة الشَّرعيَّة مقصودة لذاتها، فالله ﷻ أراد الطَّاعة كونًا وشرعًا وأحبَّها ورضيها. ٣ - الإرادة الكونيَّة لا بدَّ من وقوعها، والإرادة الشَّرعيَّة لا يلزم وقوعها فقد تقع وقد لا تقع..إلخ. انظر: روح المعاني (٨/ ٥٠)، تفسير القاسمي (٣/ ٤٥١)، تفسير ابن جزي (٣/ ١٩٢) .

وهو أولى من تقدير (مخافة) -كما فعل الحوفيُّ[١]- حيث قال: .. أي: أنذرناكم مخافة أن تقول[٢]. وابن عطيَّة جعل العامل ﴿أنيبوا﴾، ولم يقدِّر شيئًا من الكراهة والمخافة حيث قال: أي: أنيبوا من أجل أن تقول[٣].

أقول: ولكنَّ الزَّمخشريَّ هنا لم يتعرَّض لهذه المسألة العقديَّة، وإنما أراد بالكراهة ما يقابل الرِّضا دون الإرادة، حيث كره الكافر ما قدَّمت يداه في الدُّنيا، وتحسَّر على ذلك..وهو أولى من تقدير: (مخافة)؛ لأنَّه أدلُّ على التَّحسر، فيكون الاحتراز عن قول المعتزلة من كون الإنذار لأجل كراهية وقوع ما لا يشاؤه الله ﷻ من كفركم وتحسُّركم..وذلك لا يفهم من تقدير الزَّمخشري هنا.

وذهب بعض النُّحاة إلى أنَّ التَّقدير: (لئلَّا تقول)، وكذلك تنكير: ﴿تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ [هود:١٠٥] للتَّكثير بقرينة المقام. وجوِّز أن يكون للتَّبعيض؛ لأنَّ القائل بعض الأنفس، واستظهره أبو حيَّان[٤]. قيل:

---

(١) هو علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفيُّ ثمَّ المصريُّ النَّحوي الأوحد، وله التَّفسير المسمى بـ: (البرهان في تفسير القرآن) كتب في بعض المواضع هكذا، وهو تفسير جيِّدٌ في أربعة أسفار ضخام، وأعرب فيه ما يحتاج إلى إعراب، وكتاب: (إعراب القرآن) في (عشر) مجلَّدات أخر، أخذ عن الأدفوي وأخذ عنه خلق كثير من المصريين، وكانت وفاته سنة (ثلاثين وأربعمائة). طبقات المفسِّرين، لأحمد بن محمَّد الأدنروي (١/ ١١٠)، طبقات المفسِّرين، للسُّيوطيِّ (ص:٨٣)، طبقات المفسِّرين، للدَّاوديِّ (١/ ٣٨٨).

(٢) وهو قول أبي البقاء العكبري. انظر: التِّبيان (٢/ ٢١٥)، ابن عادل (١٦/ ٥٣١).

(٣) المحرَّر الوجيز (٤/ ٥٣٨).

(٤) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٦٢).

ويكفي ذلك في الوعيد؛ لأنَّ كلَّ نفسٍ يحتمل أن تكون ذلك. وجوِّز أيضًا أن يكون للتَّعظيم، أي: نفس متميِّزة من الأنفس، إمَّا بلجاجٍ في الكفر شديد، أو بعذاب عظيم، وليس بذاك[1].

وقوله ﷻ: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ بالألف بدل (ياء الإضافة)، والمعنى: (يا حسرتي احضري) فهذا وقتك. وقرأ ابن كثير في الوقف ﴿ياحسرتاه﴾ بهاء السَّكت[2].

وقرأ أبو جعفر: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ بياء الإضافة[3]، وعنه: ﴿يا حسرتاي﴾ -كما سبق-، بالألف والياء التَّحتية مفتوحة أو ساكنة جمعًا بين العوض والمعوض كذا قيل[4]، ..

ولا يخفى أنَّ مثل هذا غير جائز اللَّهمَّ إلا شاذًّا استعمالًا وقياسًا، فالأوجه أن يكون ثنَّى الحسرة مبالغة على نحو: (لبيك وسعديك)، وأقام بين ظهريهم وظهرانيهم على لغة: (بلحرث بن كعب)[5] من إبقاء

(١) أي: لأنَّ التَّحسُّر يقع على كلِّ نفسٍ كافرة. .

(٢) روح المعاني (٢٤/ ١٧)، وانظر: الكشاف (٣/ ٤٠٤)، تفسير أبي السُّعود (٧/ ٢٦٠)، البحر المحيط (٧/ ٤١٧)، فتح القدير (٦/ ٢٩٧).

(٣) روح المعاني (٢٤/ ١٧)، الكشاف (٣/ ٤٠٤)، البحر المحيط (٧/ ٤١٧)، ابن عادل (١٦/ ٥٣٢)، المحرَّر الوجيز (٤/ ٥٣٨)، النَّسفي (٤/ ٩٢)، إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٨٢).

(٤) انظر: الكشاف (٣/ ٤٠٤)، تفسير أبي السُّعود (٧/ ٢٦٠)، البحر المديد (٦/ ٢٧٥)، وكذلك قرأ أبو جعفر: ﴿يا حسرتاي﴾، البغوي (٤/ ٥٨)، القرطبي (١٥/ ٢٧١)، زاد المسير (٧/ ١٩٢)، نظم الدُّرر (٦/ ٤٦٣)، التِّبيان (٢/ ٢١٥)، تفسير النَّيسابوري (٦/ ٥)، النَّشر (٢/ ٤٠٣). ومعنى الجمع بين العوض والمعوض هنا أنَّه جمع بين (الألف) الَّتي هي عوض عن (الياء)، وبين (الياء) وكلاهما موجود.

(٥) (بلحرث): قبيلةٌ صغيرة العدد تسكن بقرب (ديرة المسارحة) بين (جيزان) و(ميدي). معجم =

المثنى على الألف في الأحوال كلِّها، واختار ذلك صاحب (الكشف)[(١)].

ومنهم من جوَّز أن تكون التَّثنية على ظاهرها على تلك اللُّغة، والمراد: حسرة فوت الجنَّة وحسرة دخول النَّار، واعتبار التَّكثير أولى؛ لكثرة حسراتهم يوم القيامة ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ أي: بسبب تفريطي فـ﴿عَلَىٰ﴾ تعليلية، و﴿مَا﴾ مصدرية كما في قوله ﷻ: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والتَّفريط التَّقصير[(٢)]. ﴿أَن تَقُولَ﴾ تعليل للأوَامر في قوله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ﴾ [الزمر: ٥٥]، على حذف (لام التَّعليل) مع (أَنْ) وهو كثير.

وفيه حذف (لا النَّافية) بعد (أن)، وهو شائع أيضًا كقوله ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٥-

---

= قبائل العرب (١/ ١٠٢)، وانظر: تاريخ الطَّبري (١١/ ٢٣).

(١) الكشف والبيان، للثَّعلبي (١١/ ٤٤٨). و(صاحب الكشف) هو أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثَّعلبي، أبو إسحاق، مفسِّرٌ، من أهل (نيسابور) له اشتغال بالتَّاريخ. كان إمامًا كبيرًا، حافظًا للُّغة، بارعًا في العربيَّة، روى عن أبي طاهر بن خزيمة وأبي محمد المخلدي. أخذ عنه الواحديُّ. من كتبه (عرائسُ المجالس) في قصص الأنبياء، و(الكشف والبيان في تفسير القرآن) يعرف (بتفسير الثَّعلبي). توفي سنة [٤٢٧هـ]. انظر: الأعلام (١/ ٢١٢)، بغية الوعاة (١/ ٣٥٦)، وانظر: تذكرة الحفَّاظ، للذَّهبي (٣/ ١٩٣).

(٢) بقليلٍ من التَّصرُّف عن (روح المعاني) (٢٤/ ١٦-١٧).

١٥٧]، وكقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء: ١٣٥][1] .

«وتنكير ﴿نَفْسٍ﴾؛ للنَّوعيَّة، أي: أن يَقول صنف من النُّفوس، وهي نفوس المشركين، فهو كقوله ﷻ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤].

وحرف (يا) في قوله: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ استعارة مكنيَّة بتشبيه الحسرة بالعاقل الَّذي ينادَى ليقبل، أي: (هذا وقتك فاحضري)، والنِّداء من روادف المشبَّه به المحذوف، أي: (يا حسرتي احضري فأنا محتاجٌ إليك)، أي: إلى التَّحسر، وشاع ذلك في كلامهم حتَّى صارت هذه الكلمة كالمثل لشدَّةِ التَّحسر. و(الحسرة): النَّدامة الشَّديدة. والألفُ عوض عن (ياء المتكلِّم).

وقرأ أبو جعفر وحْده: ﴿يا حسرتاي﴾[2] بالجمع بين (ياء المتكلِّم)، و(الألف) الَّتي جُعلت عوضا عن (الياء) في قولهم: (يا حسرتي). والأشهر عن أبي جعفر أنَّ الياء الَّتي بعد الألف مفتوحة. وتعدية الحسرة بحرف الاستعلاء كما هو غالبها؛ للدِّلالة على تمكُّنِ التَّحسر من مدخول ﴿عَلَىٰ﴾ .

و﴿مَّا﴾ في: ﴿مَا فَرَّطتُ﴾ مصدريَّة، أي: على تفريطي في جنب الله ﷻ.

وحرف ﴿فِى﴾ هنا يجوز أن يكون لتعدية فعل: ﴿فَرَّطتُ﴾ فلا

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (٢٤/ ٤٥).

(٢) سبق بيان هذه القراءة.

يكون للفعل مفعول، ويكون المفرَّط فيه هو جنب الله ﷻ، أي: جهته، ويكون (الجنب) مستعارًا للشَّأن والحقِّ، أي: شأن الله ﷻ وصفاته ووصاياه تشبيهًا لها بمكان السيِّد وحِماه إذا أُهمل حتَّى اعتُدي عليه أو أَقْفَرَ[1]، أو تكون جملة: ﴿فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ تمثيلًا لحال النَّفس الَّتي أُوقفت للحساب والعقاب بحال العبد الَّذي عهد إليه سيِّده حراسةَ حماهُ ورعايةَ ماشيته، فأهملها حتى رُعي الحِمى وهَلكت المواشي..فيقول: (يا حسرتا على ما فرطت في جنْب سيِّدي). وعلى هذا الوجه يجوز إبقاء (الجنب) على حقيقته؛ لأنَّ التَّمثيل يعتمد تشبيه الهيئة بالهيئة. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ موصولة، وفعل ﴿فَرَّطتُ﴾ متعدِّيًا بنفسه على أحد الاستعمالين، ويكون المفعول محذوفًا، وهو الضَّمير المحذوف العائد إلى الموصول، وحذفه في مثله كثير، ويكون المجرور بـ ﴿فِي﴾ حالًا من ذلك الضَّمير، أي: كائنًا ما فرطتُه في جانب الله ﷻ. وجملةُ: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر:٥٦] خبرٌ مستعملٌ في إنشاء النَّدامة على ما فاتها من قبول ما جاءها به الرَّسول ﷺ من الهُدى فكانت تسخر منه، والجملة حال من فاعل ﴿فَرَّطتُ﴾ ، أي: فرطت في جنب الله ﷻ تفريطَ السَّاخر لا تفريط الغافل، وهذا

---

(١) يقال: أَقْفر المكانُ وأَقْفَر الرَّجلُ من أَهله خلا، وأَقْفَر ذهب طعامُه وجاع، وقَفِرَ مالُه قَفَرًا قَلَّ، و(أَقْفَرَ) الرَّجل (إِقْفَارًا) صار إلى القَفْرِ، و(القَفْرُ) المفازة لا ماء بها و لا نبات. انظر مادَّة: (قفر) في (لسان العرب) (٥/ ١١٠)، المصباح المنير، (٢/ ٥١١)، المعجم الوسيط، (٢/ ٧٥٠)، مختار الصِّحاح (ص: ٥٦٠)، ومقاييس اللُّغة (٥/ ١١٤).

إقرار بصورة التَّفريط. و﴿أَن﴾ مخفَّفة من (إنَّ) المشدَّدة، واللام في ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ فارقة بين (إنْ) المخفَّفة و(إنْ) النَّافية. و﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أشدُّ مبالغةً في الدِّلالة على اتِّصافهم بالسُّخرية من أن يقال: وإن كنتُ لَساخرة»[1].

و(النَّفس): تطلق على الذَّات كلِّها كما في قوله ﷻ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ ، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وتطلق على الرُّوح الَّتي بها حياة الجسد كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

ج. إجمال ما يستفاد:

إن مما يستفاد من النداء بهذه الصيغة في القرآن الكريم: التَّحذير من الاستمرار في الغفلة والَّتي تؤدي إلى النَّدم حيث لا ينفع.

وإنَّ الإنسان ما دام يأمِّل الحياة فإنَّه لا يقطع أمله في الدُّنيا، وقد لا تسمح نفسه بالإقلاع عن لذَّاتها وشهواتها من المعاصي وغيرها، ويرجِّيه الشَّيطان بالتَّوبة في آخر عمره، فإذا تيقَّن الموت، وآيس من الحياة أفاق من سكرته بشهوات الدُّنيا فندم حينئذٍ على تفريطه ندامةً يكاد يقتل نفسه، وطلب الرَّجعة إلى الدُّنيا؛ ليتوب ويعمل صالحًا، فلا يجاب إلى شيءٍ من ذلك، فيجتمع عليه: سكرة الموت مع حسرة الفوت، وقد حذَّر الله ﷻ في كتابه عباده من ذلك؛ ليستعدُّوا للموت

(١) بقليل من التَّصرف عن (التَّحرير والتَّنوير) (٢٤/ ٤٧) .

قبل نزوله بالتَّوبة والعمل الصَّالح.

وفي (إعجاز القرآن للباقلاني): قوله ﷻ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ ، «وهذا نهاية في التَّحذير من التَّفريط»[(١)].

وقد ذكر السُّيوطيُّ[(٢)] ما جاء في القرآن الكريم من عتاب المرء نفسه قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧]...الآيات[(٣)]. وقوله ﷻ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ الآيات»[(٤)] .

٢٥ - ﴿يَٰقَوْمَنَآ﴾ : في موضعين كلاهما من الجنِّ، وهما: [الأحقاف: ٣٠]، [الأحقاف: ٣١][(٥)].

وقد سبقَ مَا يتعلَّقُ بمعنى هذه الصِّيغة، ومواضعها في (النِّداءات العامَّة).

ثانيًا: نداء النَّكرة غير المقصودة والشَّبيه بالمضاف

أ. جاء ذلك في آية واحدة محتملة لهما ولغيرهما:

وهي من (سورة يس)، [الآية: ٣٠].

ب. ومعنى التَّحسر في هذه الآية واضح، وما له صلة بالتَّحسر قد سبق بيانه[(٦)].

---

(١) إعجاز القرآن (١/ ٢٨٢)، البرهان في علوم القرآن الكريم (٣/ ٢٢٩).

(٢) الإتقان (٢/ ٢٤٨) .

(٣) انظر: الآيات في (سورة الفرقان) من (٢٧) إلى (٢٩) .

(٤) انظر: الآيات في (سورة الزُّمر) من (٥٦) إلى (٥٨) .

(٥) وينظر في بيان كونه من المنادَى المضاف: المقتضب للمبرّد (٤/ ٢٠٤) .

(٦) انظر ما جاء في (خطاب التَّحسر..) الآنف الذكر.

ج. أمَّا ما يتعلَّق بها من الإعراب فيما له صلة هنا بالنَّكرة غير المقصودة والشَّبيه بالمضاف، واحتمالها لغيرهما فبيانه على النَّحو التَّالي:

قوله ﷻ: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٣٠﴾ [يس: ٣٠]. قال الفرَّاء: معناه: «فيا لها حسرة»[١].

وقال أبو إسحق[٢] في قوله ﷻ: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ : هذا أصعب مسألة في القرآن، إذا قال القائل: ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة ممَّا لا يجيب؟ قال: والفائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما يعقل؛ لأنَّ النِّداء باب تنبيه، إذا قلت: يا زيد، فإن لم تكن دعوته لتخاطبه بغير النِّداء فلا معنى للكلام، وإنما تقول: (يا زيد) لتنبهه بالنِّداء، ثمَّ تقول: فعلت كذا، ألا ترى أنَّك إذا قلت لمن هو مقبل عليك: (يا زيد ما أحسن ما صنعت؟!) فهو أوكد من أن تقول له: (ما أحسن ما صنعت؟!) بغيرِ نداءٍ، وكذلك إذا قلت للمخاطَب: (أنا أعجب ممَّا فعلت) فقد أفدته أنَّك متعجِّب، ولو قلت:

---

(١) معاني القرآن، للفرَّاء (٢/ ٣٧٥). وذلك لأنَّ الحسرة لا تنادى، وإنما ينادى الأشخاص؛ لأنَّ فائدته التَّنبيه، ولكن المعنى على التَّعجب. انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٤/ ٢٨٤). وانظر ما أورده كلٌّ من السُّيوطي في (الإتقان) (٢/ ١٠٧)، والزَّركشي في (البرهان) (٣/ ٣٥٣)، وابن منظور في (لسان العرب)، مادَّة: (حسر)، والقرطبي في (تفسيره) (١٥/ ٢٢- ٢٣). وقد فصَّل ما يتعلَّق بهذا المعنى الأزهريُّ في (تهذيب اللُّغة)، مادَّة: (حسر) (٢/ ١٦٨-١٦٩).

(٢) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزَّجاج صاحب (معاني القرآن).

(واعجباه ممَّا فعلت!) و(يا عجباه أن تفعل كذا !) كان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة. والمعنى: (يا عجبًا أقبل فإنَّه من أوقاتك)، وإنما النِّداء تنبيه للمتعجَّب منه لا للعجب، والحسرة أشدُّ النَّدم حتَّى يبقى النَّادم كالحسير من الدَّواب الَّذي لا منفعة فيه. وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨]، حسرات، أي: حسرةً وتحسُّرًا...»[١].

وفي (الفريد): «الجمهور على تنوين ﴿حَسْرَةً﴾ ، وفيه وجهان:

أحدُهما: منادى مشابه للمضاف من أجل طوله، و﴿عَلَى﴾ من صلته[٢]، كقولك: (يا خيرًا من زيد)، والمعنى: (يا حسرة إن كنت ممَّن ينادى فهذا وقتك الَّذي حقُّك أن تحضري فيه)، وهو وقت استهزائهم بالرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- بشهادة قوله ﷻ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ .

والثَّاني: المنادى محذوف، أي: يا قوم أو يا هؤلاء، و﴿حَسْرَةً﴾ مصدر، أي: أتحسَّرُ حسرة، وعلى هذا ﴿عَلَى﴾ صلة هذا الفعل، ويجوز أن تكون صفة للحسرة فتكون من صلة محذوف، واختلف في تأويل هذا القول، فقيل: هو الله ﷻ. وقيل: هو حبيب النَّجار[٣].

---

(١) انظر مادَّة: (حسر) في (لسان العرب) (٤/ ١٨٧). وقد فصَّل ما يتعلَّق بهذا المعنى الأزهريُّ في (تهذيب اللُّغة)، مادَّة: (حسر) (٢/ ١٦٨- ٦٩) وانظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٥٣- ٣٥٤).

(٢) أي: تتعلَّق بحسرة؛ فلذلك نصبت.

(٣) قال في (مروج الذَّهب) (١/ ٥٦): «حبيب النَّجار كان يسكن (أنطاكية) من أرض (الشَّام)، =

وقيل: الملائكة، وقيل: الهالكون..»[١].

ويقرأ في الشَّاذِّ: (يا حَسْرَةَ العِبَادِ)، أي: يا تحسيرهم، فالمصدرُ مضافٌ إلى الفاعل، ويجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول، أي: أتحسَّرُ على العباد[٢].

أمَّا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، المنادى هنا ﴿أسفى﴾ مضاف إلى (ياء المتكلِّم) المنقلبة ألفًا، وليس نكرة مقصودة، إذ لو كان كذلك لنون (أسفًا).

= وكان بها ملك متجبِّرٌ يعبد التَّماثيل والصُّوَر، فسار إليه اثنان من تلامذة المسيح عليه السلام، فدعوَاه إلى الله ﷻ، فحبسهما وضربهما، فعززهما الله ﷻ بثالث، وقد تنوزع فيه، فذهب كثيرٌ من النَّاس إلى أنَّه (بطرس)، وهذا اسمه بالرُّوميَّة، واسمه بالعربيَّة: (سمعان)، وبالسِّريانيَّة (شمعون)، وهو شمعون الصَّفاء، وذكر كثيرٌ من النَّاس وإليه ذهب سائرُ فرق النَّصرانيَّة أنَّ الثَّالث المعزَّزَ به هو (بولس)، وأنَّ الاثنين المتقَدِّمين اللَّذين أودعا الحبس (توما) و(بطرس)، فكان لهم مع ذلك الملك خطبٌ عظيمٌ طويل فيما أظهروا من الإعجاز والأعاجيب والبراهين، من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الميِّت، وحيلة (بولس) عليه بمداخلته إيَّاه وتلطُّفه له، واستنفاذ صاحبيه من الحبس، فجاء حبيب النَّجار فصدَّقهم، لما رأى من آيات الله ﷻ، وقد أخبر الله ﷻ بذلك في كتابه بقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [يس: ١٤]، إلى قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠]، وقتل (بولس) و(بطرس) بمدينة (روميَّة)، وصُلِبا منكَّسين، وكان لهما فيها خبرٌ طويل مع الملك، ومع (سيما) السَّاحر، ثمَّ جعلا بعد ذلك في خزانةٍ من البلور، وذلك بعد ظهور دين النَّصرانيَّة، وحرمهما في كنيسة هناك..».

(١) الفريد (٤/ ١٠٦)، وكذا في (التِّبيان) (٢/ ٢٠٢).

(٢) التِّبيان (٢/ ٢٠٢)، وهي قراءة أبي وابن عباس وعلي بن الحسين -رضي الله عنهم-. انظر: تفسير الطَّبري (٢٣/ ٢)، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣)، البرهان (٣/ ٣٥٣).

والحاصلُ أنَّ في هذا النِّداء وجهان:

أوَّلهما: أنَّه منادى شبيه بالمضاف؛ ولذلك نصب، وإنما كان شبيهًا بالمضاف؛ لأنَّه اتَّصل به شيءٌ من تمام معناه، وهو ﴿عَلَى ٱلْعِبَادِۚ﴾ .أو يقال: إنَّه منادى نكرة مقصودة كأنما المنادَى حسرة معيَّنة، وإنما نصبت؛ لأنها وصفت بالجارِّ والمجرور، والمنادَى النَّكرة المقصودة إذا وصفت نصبت.

والوجه الثَّاني: أنَّ المنادى محذوف و(حسرة) مصدر، أي: أتحسَّرُ حسرةً. وقد اختلف المفسِّرون في المتحسِّر، ولا داعي للاختلاف، فالحسرة جديرة بهم، والمستهزئون بالرُّسل أحرياء بأن يتحسَّر عليهم المتحسِّرون، أو يتحسَّروا على أنفسهم. والنِّداء هنا مجازيٌّ، أي: (يا حسرة احضري فهذا أوانك).

❊ ❊ ❊

المبحث الخامس

بيان ما ولي المنادَى

● **توطئة:**

يعقب النِّداء غالبًا: الأمرُ والنَّهي والاستفهام، وكأنَّه يُعِدُّ النَّفس ويهيِّئها لتلقِّي تلك الأساليب، وما تتضمَّنه من المعاني؛ لأنَّ النَّداء يوقظُ النَّفس، ويلفت الذِّهن، وينبِّه المشاعرَ، فإذا جاء بعده الأمرُ أو النَّهيُ أو الاستفهامُ صادف نفسًا مهيَّأةً يقظةً مستعدّةً للقبول والامتثال، كما أنَّه دليلٌ على اهتمام المتكلِّم وعنايته بهذا الطَّلب وحرصه الأكيد على تنفيذه وأدائه.

أمَّا (ما ولي المنادَى) فقد حكى الأنباريُّ في (الإنصاف) عن (الكوفيين) قولهم: النِّداء لا ينفكُّ عن الأمر والنَّهي أو ما جرى مجراه من الطَّلب والنَّهي، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله ﷻ نداءٌ ينفكُّ عن أمرٍ أو نهي، ولهذا جاء بعده الخبر في قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ [الحج: ٧٣] شفعه الأمر في قوله ﷻ: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ (١).

وقد ردَّ الأنباري على (الكوفيين) حيث قال: «وأمَّا قولهم: إنَّ النِّداء لا يكاد ينفكُّ عن الأمر أو ما جرى مجراه؛ ولذلك لا يكاد

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ١٠٣).

يوجد في كتاب الله ﷻ نداءٌ ينفكُّ عن أمرٍ أو نهي، قلنا: لا نسلِّم، بل يكثرُ مجيءُ الخبرِ والاستفهامِ مع النِّداء كثرةَ الأمرِ والنَّهي[١].

أمَّا (الخبر) فقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف:٦٨][٢]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم:٤٥]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف:٤]. وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر:١٥] إلى غير ذلك من المواضع.

وأمَّا (الاستفهام) فقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف:٢]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم:٤٢]. وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر:٤١]، إلى غير ذلك من المواضع. فإذا كثُرَ مجيءُ (الخبر)

---

(١) وقد أحصيت (ما ولي المنادى) في القرآن الكريم، فيمكن النَّظر فيما وليه من الأمر أو النَّهي أو غيرهما عقب هذه المقدِّمة..

(٢) أقول: ولكن قد يرد على هذا الموضع ما جاء عقب بيان حالهم من قوله ﷻ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزُّخرف:٧٠].

و(الاستفهام) كثرةَ (الأمر) و(النَّهي) فقد تكافآ في الكثرة، فلا مزيَّة لأحدهما عن الآخر»(١).

ويأتي هذا المطلب استكمالًا لجوانب هذا الفصل المتعلِّق بالنِّداء في الخطاب القرآني. أمَّا بيان المواضع (لما ولي المنادَى) فيأتي على النَّحو التَّالي:

● **أوَّلا: فعل الأمر**

البقرة: ٢١ ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ بعد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ٣٥ ﴿ٱسۡكُنۡ﴾ بعد: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾، ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ﴾ ٤٠ - ٤٧ - ١٢٢- ٢٧٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ﴾. آل عمران: ٤٣ ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي﴾، ٦٤ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ﴾، ١٠٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾. النِّساء: ٧١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾. المائدة: ٢٠ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ﴾، ٢١ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ﴾، ٣٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ١١٠ ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ﴾، الأنعام: ١٣٥ ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ﴾، الأعراف: ٣١ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾، ٥٩ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ﴾ - ٦٥- ٦٧ - ٧٣ - ٧٧ - ٨٥. الأعراف: ١٣٨ ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ﴾. التَّوبة: ٧٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ﴾، ١١٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، هود: ٤٢ ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب﴾، ٥٠ - ٦١ - ٨٤ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ﴾، ٥٢ ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ﴾، ٩٣ ﴿وَيَٰقَوۡمِ

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ١٢٠- ١٢١).

﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ ، المؤمنون: ٢٣ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ﴾ ، القصص: ٢٦ ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ ، ٣١ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾ ، العنكبوت: ٣٦ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ﴾ ، الأحزاب: ٧٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ، سبأ: ١٠ ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ ، يس: ٢٠ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ﴾ ، الصَّافات: ١٠٢ ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ﴾، الزُّمر: ١٠ ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ ، ١٦ ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ ، ٣٩ ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ﴾ ، غافر: ٣٨ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ﴾ ، الأحقاف: ٣١ ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ﴾ ، محمَّد: ٣٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ ، الحجرات: ١٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ﴾ ، الحديد: ٢٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ، الحشر: ١٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، الصَّف: ١٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِۖ﴾ ، التَّحريم: ٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ ، ٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ﴾ ، ٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ﴾ ، المزَّمل: ٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾ ، المدَّثر: ٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ ، الفجر: ٢٧، ٢٨ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾.

- **ثانيًا: مضارع مجزوم بلام الأمر**

[الزُّخرف: ٧٧] ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ .

- **ثالثًا: مضارع مجزوم بلا النَّاهية**

البقرة: ١٠٤ ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ ، وهي من الآيات التي جمع ما ولي المنادَى فيها بين النَّهي والأمر، ٢٦٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ . آل عمران: ١١٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ﴾ ، ١٣٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ ، ١٥٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ . النِّساء: ٢٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ ، ٤٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ ، ١٤٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ ، ١٧١﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ﴾ . المائدة: ٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ ، ٤١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ ، ٥١﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ ، ٥٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾ ، ٧٧ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ﴾ ، ٨٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ ، ويلاحظ أن في هذه الآية نهيين، ٩٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ ، ١٠١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ . الأعراف: ٢٧ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ . الأنفال: ٢٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ . التَّوبة: ٢٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ﴾ . يوسف: ٥ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ﴾ ، ٦٧ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ﴾ ، مريم: ٤٤ ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ﴾ . طه: ٩٤ ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾ النُّور: ٢١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ ، ٢٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾ . النَّمل: ١٠ ﴿يَٰمُوسَىٰ

لَا تَخَفْ﴾ . لقمان : ١٣ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ . الأحزاب: ٥٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ ، ٦٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ . يس: ٦٠ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ . الزُّمر: ٥٣ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ . الحجرات: ١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ، ٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ ، ١١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ . الممتحنة: ١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ، ١٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ . المنافقون: ٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ . التَّحريم: ٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ .

وقد سبق بيان مواضع النَّهي.

أمَّا ما يستفاد من الأمر والنَّهي فمن ذلك: التَّوجيه والإرشاد لما يفيد العباد..، ويلاحظ تميُّز (الخطاب المكيِّ) عن (الخطاب المدني) والعكس، وقد سبق بيان ذلك مفصَّلًا. كما يلاحظ: التَّنوع الَّذي فيه تذوُّق روعةِ بلاغة الخطاب..وفي ذلك من الحِكم والمقاصد ما فيه.

- **رابعًا: (لا) النَّافية**

النِّساء: ١٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ .

هود: ٥١ ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ .

الأحزاب: ١٣ ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ .

الزُّخرف: ٦٨ ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ .

الكافرون: ٢ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ .

(لا) النَّافية الَّتي تعمل عمل (ليس) الأحزاب: ١٣﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ .

- **خامسًا: (ما) النَّافية**

هود: ٥٣ ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ . هود: ٩١ ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ .

- **سادسًا: اسم الفعل**

المائدة: ١٠٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ .

الأنفال: ٦٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ .

- **سابعًا: الاستفهام بـ (هل)**

المائدة: ٥٩ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ١١٢ ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ﴾ .

طه: ١٢٠ ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ .

الصَّف: ١٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠﴾ .

- **ثامنًا: الاستفهام بالهمزة**

المائدة: ١١٦ ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ﴾ .

هود: ٢٨ ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ ٨٧ ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ ٩٢ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ .

يوسف: ٣٩ ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٣٩)﴾ .

القصص: ١٩ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ .

تاسعًا: الاستفهام بـ: (ألم)

الأنعام: ١٣٠ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ .

طه: ٨٦ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ .

عاشرًا: الاستفهام بـ: (أليس)

الزُّخرف: ٥١ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ .

الحادي عشر: الاستفهام بـ: (ما)

التَّوبة: ٣٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ .

يوسف: ١١ ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا﴾ .

الحجر: ٣٢ ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢)﴾ .

ص: ٧٥ ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ .

غافر: ٤١ ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ (٤١)﴾ .

- **الثَّاني عشر: (مَن) الاستفهامية**

هود: ٣٠ ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠)﴾ .

- **الثَّالث عشر: (أَنَّى) الاستفهاميَّة**

آل عمران: ٣٧ ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ .

- **الرَّابع عشر: الاستفهام بـ: (لِمَ)**

آل عمران: ٦٥ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ٧٠ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ﴾ ٧١ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ ٩٨ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ٩٩ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ .

مريم: ٤٢ ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾ .

النَّمل: ٤٦ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ .

الصَّف: ٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ ٦ ﴿يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي﴾ .

التَّحريم: ١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ .

- **الخامس عشر: (فعل ماض مثبت)**

أ. فعل ماض مثبت غير مقرون بقد:

يوسف: ٦٣ ﴿يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ .

الحج: ٧٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ .

ب. ماض مقترن بقد:

النِّساء: ١٧٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ ١٧٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ .

المائدة: ١٥ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾

١٩ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ﴾ .

الأنعام: ١٢٨ ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم﴾ .

الأعراف: ٢٦ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ .

يونس: ٥٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ﴾ ١٠٨ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ .

هود: ٣٢ ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ ٦٢ ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾ .

طه: ٣٦ ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦﴾ ٨٠ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾ .

ج. ماض مقترن بـ (لقد):

الأعراف: ٧٩ ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ ٩٣ ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ .

مريم: ٢٧ ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ .

د. (ليس):

المائدة: ٦٨ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ .

الأحزاب: ٣٢ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ .

هـ. ماض بعد (إنما):

طه: ٩٠ ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾ .

و. ماض منفي بما:

هود: ٥٣ ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ .

مريم: ٢٨ ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ﴾ .

- **السَّادس عشر: مضارع منفي بـ (لن)**

أ .**ما أتى عقب المنادَى من غير فاصل:**

البقرة: ٥٥ ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ . البقرة: ٦١ ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ .

ب .**ما أتى النَّفي فيه بعد فاصل مؤكِّدٍ للنَّفي:**

المائدة: ٢٤ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ﴾ .

- **السَّابع عشر: مضارعٌ منفيٌّ بـ (لا)**

هود: ٢٩ ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ .

هود: ٥١ ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ .

- **الثَّامن عشر: مضارع منفي بـ (ما)**

هود: ٥٣ ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ .

هود: ٩١ ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ .

يوسف: ٦٥ ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ﴾ .

- **التَّاسع عشر: بعده (إمَّا) العاطفة**

الأعراف: ١١٥ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥﴾ .

الكهف: ٦٨ ﴿يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ .

طه: ٦٥ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾ .

- **العشرون: بعده (أمَّا) التَّفصيليَّة**

يوسف: ٤١ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ .

- **الحادي والعشرون: بعده (إمَّا) الشَّرطيَّة**

الأعراف: ٣٥ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ .

- **الثَّاني والعشرون: بعده (إن) الشَّرطيَّة**

آل عمران: ١٤٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا﴾ .

يونس: ٧١ ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾ . يونس: ٨٤ ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ .

لقمان: ١٦ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ .

الحجرات: ٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ .

الرَّحمن: ٣٣ ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾ .

الجمعة: ٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ .

- **الثَّالث والعشرون: بعده (مَن) الشَّرطية**

الأحزاب: ٣٠ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ﴾ .

- **الرَّابع العشرون: الجملة الاسميَّة مؤكَّدة بـ (إن)**

البقرة: ٥٤ ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم﴾ ١٣٢ ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ .

آل عمران: ٤٢ ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ ٤٥ ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ

يُبَشِّرُكِ﴾ ٥٥ ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ .

المائدة: ٢٢ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا﴾ ٢٤ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ﴾ .

الأنعام: ٧٨ ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ .

الأعراف: ١٠٤ ﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ﴾ ١٤٤ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ .

١٥٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ .

هود: ٤٦ ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ ٨١ ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ .

يوسف: ٤ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ﴾ ١٧ ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا﴾ ٨١ ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ .

الكهف: ٩٤ ﴿يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ .

مريم: ٧ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ ٤٥ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ .

طه: ١١- ١٢ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ ، ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ ١١٧ ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾ .

النَّمل: ٩ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ .

القصص: ٢٠ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ﴾ ٣٠ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ .

العنكبوت: ٥٦ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ .

الصَّافات: ١٠٢ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ﴾ .

غافر: ٣٠ ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم﴾ ٣٢ ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ .

الزُّخرف: ٨٨ ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ .

الأحقاف: ٣٠ ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ .

الحجرات: ١٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ .

الصَّف: ٦ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ﴾ .

التَّغابن: ١٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ .

نوح: ٢ ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ .

- **الخامس والعشرون: الجملة الاسميَّة من غير مؤكِّد**

غافر: ٢٩ ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ .

هود: ٦٤ ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ ٧٨ ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ .

الزُّخرف: ٦٨ ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ .

يوسف: ١٠٠ ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ﴾ .

- **السَّادس والعشرون: لا النَّافية للجنس**

الأحزاب ١٣ ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ .

- **السَّابع والعشرون: بعده (إذا)**

البقرة: ٢٨٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ .

النِّساء: ٩٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ .

المائدة: ٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ .

الأنفال: ١٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ٤٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ .

الأحزاب: ٤٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ .

المجادلة: ٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ﴾ ١١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ﴾ ١٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ .

الممتحنة: ١٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ ١٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ .

الجمعة: ٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ .

الطَّلاق: ١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ [(١)].

***

(١) وفي الختام أشير إلى ما كتبه الأستاذ الدُّكتور محمَّد عبد الخالق عضيمة في كتابه: (دراسات لأسلوب القرآن) (٣/ ٥٣٢-٥٣٤) فيما يتعلَّق بهذا المبحث. وقد رأيت أن بعض ما ذكره فيه الخطأ والنَّقص، فاستدركت عليه، وزدت، ولا أبرِّئ نفسي من النَّقص والخطأ، فيقاس ما لم أذكره على ما ذكرته، وليصلح الخطأ ويتدارك..

المبحث السَّادس

خروج صيغة النِّداء عن معناها الأصلي

وقد يستعمل النِّداء في غير معناه مجازًا في مواضع، فمن ذلك:

أ. **تنـزيلُ البعيدِ منـزلةَ القريب**:

إنَّ أصل النِّداء بـ (يا) أن تكون للبعيد المتوسِّط البعد حقيقة أو حكمًا -كما سبق بيان ذلك-، وقد ينادى بها القريب لنكت منها:

١ - إظهارُ الحرص في وقوعه على إقبال المدعوِّ:

نحو: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾ [القصص: ٣١].

٢ - ومنها كون الخطاب المتلوِّ معتنىً به:

نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

٣ - ومنها قصد تعظيمِ شأنِ المدعوِّ:

نحو: ﴿يَٰرَبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠].

٤ - ومنها قصد انحطاطه كقول موسى عليه السلام لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٢][1].

(١) بتصرُّف عن (الإتقان) (٢/ ٢٢٣).

ب. خروج ألفاظ النِّداء عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أخرى تفهمُ من السِّياق بمعونة القرائن.

فمن ذلك:

١ - التَّحسر والتَّوجع:

ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٧٣].

ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٤٢]. إنَّ تقليب الكفَّين وعضُّ اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كناياتٌ عن الغيظ والحسرة؛ لأنَّها من روادفهما، فتذكر الرَّادفة، ويدلُّ بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السَّامع عنده في نفسه من الرَّوعة ما لا يجده عند لفظ المكنَّى عنه. وتقليب الكفَّين حركةٌ يفعلها المتحسِّر، وذلك أن يقلبهما إلى أعلى، ثمَّ إلى قبالته، تحسُّرًا على ما صرفه من المال في إحداث تلك الجنَّة، فهو كنايةٌ عن التَّحسر[1].

ومن ذلك الآيات التالية:

﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ [مريم: ٢٣].

﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾

(١) انظر: التَّحرير والتَّنوير (١٥/ ٣٢٧)..، وانظر: (٢٣/ ٨).

يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان: ٢٧- ٢٨][١].

﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٥][٢].

﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠][٣].

﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

وكذلك يقال في (نداء الحسرة) وقد سبق في غير موضع..

وذلك كما في قوله ﷻ:

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]. فقولهم: ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا﴾: «نداءٌ مقصودٌ به التَّعجُّب والتَّندُّم، وهو في أصل الوضع نداءٌ للحسرة بتنزيلها منزلة شخص يسمع ويُنادى؛ ليحضُر. كأنّه يقول: (يا حسرة احضري فهذا أوان حضورك). ومنه قولهم: (يا ليتني فعلت كذا)، و(يا أسفي أو يا أسفًا)، [وقد سبق بيان ذلك أيضا في ثنايا البحث]. وأضافوا الحسرة إلى أنفسهم؛ ليكون تحسُّرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسِّرون والمتحسَّر عليهم، بخلاف قول القائل: (يا حسرة)، فإنَّه في الغالب تحسُّر لأجل غيره، فهو يتحسَّر لحال غيره؛ ولذلك تجيء معه (على) الَّتي تدخل على الشَّيء المتحسَّر من أجله داخلة على ما يدلُّ على غير

---

(١) انظر في بيان ذلك: المصدر السابق (٢٢/ ٢١٠).

(٢) انظر في بيان ذلك: المصدر السابق (٢٩/ ١٣٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٩/ ١٣٦)، وانظر: روح المعاني (٣٠/ ٢٢)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٥)، الإتقان (٢/ ٢٢٢ -٢٢٣)، وانظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسُّيوطي (٢/ ٣٢).

التَّحسُّر، كقوله ﷻ: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]. فأمَّا مع (يا حسرتي)، أو (يا حسرتا) فإنّما تجيء (على) داخلة على الأمر الَّذي كان سببا في التَّحسُّر كما هنا: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾. ومثل ذلك قولهم: (يا ويلي)، و(يا ويلتي)، قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ [الكهف: ٤٩]»[١].

٢ - الاختصاص[٢]:

وهو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير؛ لبيانه، نحو قوله ﷻ:

﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]. والحاصل أنَّ قوله ﷻ: ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ في نصبه وجهان: **أحدُهما**: أنَّه مُنَادَى. **والثَّاني**: أنَّه منصوبٌ على المدح[٣]. وقيل: على الاختصاص[٤]. قال أبو حيَّان[٥]: وبينهما فرقٌ، ولذلك جعلها (سيبويه) في بابين[٦]، وهو أنَّ المنصوب على المدح لفظٌ يتضمَّنُ بوضعه المدح، كما أنَّ المنصوب على الذَّمِّ يتضمَّن بوضعه الذَّمَّ، والمنصوب على الاختصاص يقصدُ به المدح أو الذَّمُّ لكنَّ لفظه لا

---

(١) التَّحرير والتَّنوير (٧/ ١٩٠)، وانظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٦).

(٢) بيان ذلك أنَّ النِّداء تخصيص المنادى بطلب الإقبال. فجرِّد عن طلب الإقبال، واستعمل في تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه.

(٣) فيقدَّرُ: أَمدَحُ أو أَعني.

(٤) فيقدَّرُ: أخصُّ.

(٥) البحر المحيط (٥/ ٢٤٥).

(٦) انظر: الكتاب، لسيبويه (٢/ ٢٣١ - ٢٣٣)..

يتضمَّنُ بوضعه ذلك، كقوله:

(بِنَا تَمِيمًا يُكْشَفُ الضَّبَابُ)(١) .

وفي (المحرَّر..) «كأنَّه ميَّزَ النَّصب على المدح بأن يكون المنتصب لفظًا يتضمَّن بنفسه مدحًا، كما تقول: (هذا زيد عاقلَ قومه)(٢). وجعل الاختصاص إذا لم تتضمَّن اللَّفظة ذلك كقوله ﷺ: «**إنَّا معاشرَ الأنبياء**»(٣). قال القاضي أبو محمَّد: ولا يكون الاختصاص إلَّا بمدحٍ أو ذمٍّ لكن ليس في نفس اللَّفظة المنصوبة»(٤).

---

(١) عزاه الخليل في (الجُمَل) إلى رؤبة ابن العجَّاج، وهو من بني تميم، انظر: الجُمَل في النَّحو، للخليل (١/ ٩٤)، وهو أيضا من شواهد سيبويه في (الكتاب) (٢/ ٢٣٤)، خزانة الأدب (٢/ ٣٦٦)، وانظر: ديوان رؤبة (ص:١٦٩)، همع الهوامع (٢/ ٣١). والشَّاهد أنَّه نصب (تَمِيمًا) على الاختصاص. فقوله: (تميمًا): اسم منصوب على الاختصاص، أي: أخصُّ تميمًا، وقد أُتِي به بعد ضمير المتكلمين: (نا)، فأزال غموضه، وبيَّن المراد منه.

(٢) أي: وفي الاختصاص لا يقتضي اللَّفظ ذلك، كقوله ﷻ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ فيمن نصب ﴿أَهْلَ﴾ .

(٣) قوله ﷺ: «إنَّا معاشرَ الأنبياء» مرويٌّ بألفاظٍ مختلفة، فقد أخرجه الطَّبرانيُّ في (الكبير) [١٠٨٧٣]، [١١٥٠٩] عن ابن عباس ﵄ قال: سمعت نبيَّ الله ﷺ يقول: «إنَّا معاشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا وتأخير سحورنا، وأن نضع أيماننا على شمائلنا في الصَّلاة». وفي (الزَّوائد) (٢/ ٢٧٥)، [٢٦٠٩]، وكذلك (٣/ ٣٦٨)، [٤٨٨٠] «ورجاله رجال الصَّحيح» .وروى أحمدُ والطَّبرانيُّ في (الكبير) [٢٠٦٥٢]: «إنَّا معشر الأنبياء يضاعف علينا البلاء». وإسناد أحمد حسن كما في (الزَّوائد) (٣/ ١٢)، [٣٧٤٠]. وروى الطَّبرانيُّ في (الصَّغير) [٢٧٩] و(الأوسط (٣/ ٢٣٨) عن ابن عمر ﵄ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «إنَّا معاشرَ الأنبياء أمرنا بثلاث: بتعجيل الفطر، وتأخير السحور، ووضع اليمنى على اليسرى في الصَّلاة». وفي (الزَّوائد (٣/ ٣٦٩)، [٤٨٨١]: «وفيه يحيى بن سعيد بن سالم القداح، وهو ضعيف».

(٤) بقليلٍ من التَّصرُّف عن (المحرَّر الوجيز) (٣/ ١٩١).

٣ - التَّعجب:

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [هود: ٧٢]. وقد سبق بيان ذلك.

وكقوله ﷻ: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ﴾ [يس: ٣٠][1].

٤ - التَّمني:

﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ [القصص: ٧٩] وقد سبق بيان ذلك.

٥ - التَّنبيه:

ومثَّلَ له الزَّركشيُّ وغيره بقوله ﷻ: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [مريم: ٢٣]؛ لأنَّ حرف النِّداء يختصُّ بالأسماء[2].

ومثَّلَ له الطَّاهرُ بن عاشور وغيرُه[3] بقوله ﷻ: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ﴾ [يس: ٣٠].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٥٣)، الإتقان (٢/ ١٠٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٢٥)، وقد ذكر ذلك أبو السُّعود في (تفسيره) (٦/ ٢١٤)، وذكر هذا المعنى أيضًا ابن عجيبة في تفسيره (البحر المديد)، حيث قال: «الياء [هنا] لمجرد التَّنبيه، من غير تعيين المنبَّه، أو المنبَّه محذوف، أي: يا هؤلاء». البحر المديد (٥/ ١٢٢)، وانظر: تفسير ابن عادل (١٦/ ٢٠٣)، البحر المحيط (٤/ ١٠٧)، الإتقان (١/ ٥٢٧).

(٣) قال أبو البقاء العكبريُّ: التَّقدير: (يا حسرة احضري هذا أوانك)، وهو نداءٌ مجازيٌّ، ومعناه: تنبيه أنفسهم لتذكير أسباب الحسرة؛ لأنَّ الحسرة نفسها لا تطلب ولا يتأتَّى إقبالها، وإنما المعنى على المبالغة في ذلك حتَّى كأنَّهم ذهلوا فنادوها، ومثل ذلك: (نداء الويل) ونحوه، ولا يخفى حسنه. التِّبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٣٩)، روح المعاني (٧/ ١٣٢)، ابن عادل (١٦/ ٢٠٣). وقد سبق بسط هذه المسألة.

فإنَّ «حرف النِّداء هنا لمجرَّد التَّنبيه على خطر ما بعده ليصغي إليه السَّامع، وكثر دخوله في الجمل المقصود منها إنشاءُ معنىً في نفسِ المتكلِّم دون الإخبار، فيكون اقتران ذلك الإنشاء بحرف التَّنبيه إعلانًا بما في نفس المتكلِّم من مدلول الإنشاء كقولهم: (يا خيبة)، و(يا لعنة)، و(يا ويلي)، و(يا فرحي)، و(يا ليتني)، ونحو ذلك»[١].

وقال في موضع آخر: «أصلُ هذا النِّداء أنَّه على تنـزيلِ المعنى المثيرِ للإنشاء منـزلةَ العاقل فيقصد اسمه بالنِّداء لطلب حضوره. فكأنَّ المتكلِّم يقول: (هذا مقامك فاحضر)[٢]، كما ينادي من يقصد في أمر عظيم، وينتقل من ذلك[٣] إلى الكناية عمَّا لحق المتكلِّم من حاجة إلى ذلك المنادَى، ثمَّ كَثُرَ ذلك وشاع حتَّى تنوسي ما فيه من الاستعمال والكناية، وصار لمجرد التَّنبيه على ما يجيء بعده، والاهتمام حاصل في الحالين[٤]»[٥].

ورجَّح أبو حيَّان في (البحر) كونها للتَّنبيه، قال: «والأصحُّ أنَّ (يا) في قوله: ﴿يَـٰلَيۡتَ﴾ حرفُ تنبيهٍ لا حرف نداء والمنادى محذوف؛ لأنَّ في هذا حذف جملة النِّداء وحذف متعلقه رأسًا[٦]، وذلك إجحاف

(١) التَّحرير والتَّنوير (٢٨/ ٣). فهذه الأقوال إنشاءات؛ لأنَّه لا نسبةَ لمدلولها في الخارج.
(٢) أي: إنَّ وجود المكان اللائق بالمنادَى هو الَّذي أثار الإنشاء في نفس المتكلِّم.. وما يثير الإنشاء في نفس المتكلِّم أمورٌ كثيرة، ومن أوضحها مثلا إذا دهم المنادَى خطرٌ فيقال له تنبَّه أو احذر.
(٣) أي: من حقيقة النِّداء.
(٤) أي: في كلٍّ من الكناية والتَّنبيه.
(٥) المصدر السابق (٢٣/ ٨).
(٦) حيثُ حذف المنادَى، وتقديره مثلا: (يا قومنا ليت..)، وكذلك حذف ما يريد منهم..

كثير»[(١)].

أقول: ومن العلماء من جوَّز أحد الأمرين، قال الآلوسيُّ في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام: ٢٧]: «(يا) للتَّنبيه أو للنِّداء، والمنادى محذوف، أي: (يا قومنا) مثلا»[(٢)].

ولعلَّ ما يترجَّح هو أنَّ الأمرَ فيه شيءٌ من التَّفصيل، وهو أنَّ تقدير المنادى محذوفًا في كلِّ ما وقع فيه حرف النِّداء قبل فعل الأمر أو جملة الدُّعاء بسبب وقوع النِّداء قبلهما في فصيح الكلام، وذلك نحو قوله ﷻ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ [يوسف: ٩٧][(٣)]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١][(٤)].

فإذا وجدنا (حرف نداءٍ) قد وليه (فعلُ أمر) أو (جملة دعائيَّة) علمنا أنَّ المنادى بحرف النِّداء محذوفٌ؛ لكثرة ما رأينا مثله مذكورًا في الكلام، فأمَّا إذا وجدنا حرف النِّداء قد وقع بعده: (ليت) أو (رُبَّ) فالرَّاجح أن نجعل هذا الحرف دالا على التَّنبيه؛ لأنَّه لم يكثر وقوع المنادى مذكورا قبله.

---

(١) البحر المحيط (٤/ ١٠٧). ورجحَّ الشَّيخ الغلاييني هذا الرَّأي، وهو كونها (حرف تنبيه)، وذكر أنَّه المعتمد عند المحقِّقين. الدُّروس العربيَّة (٢/ ١١٩). وينظر في ذلك: روح المعاني (١٩/ ١٩١). وانظر: تفسير أبي السُّعود (٦/ ٢٨١)، تفسير القرطبي (١٣/ ١٨٦).

(٢) روح المعاني (٧/ ١٢٨)، وانظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد (٣/ ٦١٨).

(٣) وقد وقع هنا قبل جملة الدُّعاء من حيث معناه الشَّرعي .

(٤) وقد وقع هنا قبل جملة الدُّعاء من حيث معناه اللُّغوي.

ومنهم من مثَّل للتَّنبيه[١] بقول الله ﷻ: (ألا يا اسجدوا) [النمل: ٢٥]. فـ (يا) في هذه المواضع (حرف تنبيه)، لا (حرف نداء). هذا مذهب قوم من النَّحويين. قال بعضهم: وهو الصَّحيح. وذهب آخرون إلى أنَّها في ذلك (حرف نداء)، والمنادى محذوف. والتَّقدير: (ألا يا هؤلاء اسجدوا)، و(ألا يا هذان اسقياني). وكذلك تقدَّر في سائرها. وضُعِّفَ بوجهين:

أحدُهما: أنَّ (يا) نابت مناب الفعل المحذوف، فلو حذف المنادى لزم حذف الجملة، بأسرها. وذلك إخلال.

والثَّاني: أنَّ المنادى معتمد المقصد، فإذا حذف تناقض المراد.

وذهب ابن مالك في (التَّسهيل)[٢] إلى تفصيل في ذلك. وهو أن (يا) إن وليها أمر أو دعاء فهي حرف نداء، والمنادى محذوف. وإن وليها (ليت) أو (رب) أو (حبذا) فهي لمجرَّد التَّنبيه[٣].

---

(١) وقد سبق بيان ذلك مفصَّلاً..

(٢) التَّسهيل، لابن مالك (٣/ ٣٨٩ - ٣٩٠).

(٣) انظر: الجنى الدَّاني في حروف المعاني (ص: ٣٥٧ - ٣٥٨)، وانظر: الكليَّات (ص: ٩٧٩)، ومغني اللَّبيب (ص: ٤٨٩)، التَّسهيل، لابن مالك (٣/ ٣٨٩ - ٣٩٠).

خاتمة في بيان الأهداف والمقاصد العامة من الاهتمام بمبحث النِّداء

سبقَ بيانُ أهميَّة النِّداءِ في الخطاب القرآني، والتَّعريف به، وسآتي هنا على بيان مقاصد النِّداء العامَّة في الخطاب القرآني..

وقد سبق بيان أنَّه يصحب الأمر والنَّهي، والاستفهام والخبر..

وفي ذلك ما فيه من الأهميَّة ولفت المخاطَب إلى ما يعقب النِّداء من الأمر، أو النَّهي، أو التَّوجيه، أو الإرشاد، أو التَّحذير أو الإغراء، أو التَّرغيب أو التَّرهيب، وكذلك الإجابة عمَّا يرد على ذهنه من التَّساؤلات..وذلك يدلُّ على أنَّ الاتِّصال مع المخاطِب ﷻ -بكسر الطاء المهملة- ليس مجرَّد ادِّعاءٍ يدَّعيه المخاطَب -بفتح الطاء المهملة-، وإنَّما هو مجموعةٌ من الأوامر والنَّواهي والصِّفات الَّتي تدلُّ على تحقُّقِ معنى الإيمان في المخاطَب، وإذعانه وامتثاله لما تضمَّنه الخطاب، والوفاء لنِعَم المخاطِب ﷻ عليه....إلخ.

«وربَّما تقدَّمت (جملةُ الأمر) (جملةَ النِّداء) كقوله ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]. وإذا جاءت (جملة الخبر) بعد النداء تتبعها (جملة الأمر) كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [الحج: ٧٣]. وقد تجيء معه الجمل الاستفهامية والخبرية كقوله ﷻ في الخبر: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الزخرف: ٦٨].

وفي الاستفهام: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾ [مريم: ٤٢] ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر: ٤١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢﴾ [الصف: ٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: ١].

وهنا فائدتان:

إحداهما: كل نداء في كتاب الله ﷻ يعقبه فهم في الدين إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين، وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى، كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلق لأجله وقامت السموات والأرض به، فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة.

الثانية: النداء إنما يكون للبعيد حقيقة أو حكما. وفي قوله ﷻ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم: ٥٢] لطيفة فإنه ﷻ بين أنه كما ناداه ناجاه أيضا، والنداء: مخاطبة الأبعد، والمناجاة مخاطبة الأقرب، ولأجل هذه اللطيفة أخبر ﷻ عن مخاطبتة لآدم عليه السلام وحواء -عليها السلام- بقوله ﷻ: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وفي موضع: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ﴾ [الأعراف: ١٩]. ثم لما حكى عنهما ملابسة المخالفة قال في وصف خطابه لهما: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢٢] فأشعر هذا اللفظ بالبعد؛ لأجل المخالفة كما أشعر

اللفظ الأول بالقرب عند السلامة منها»[١].

ومما سبق يتبين:

١ - أن النداء وسيلة من وسائل الاتصال بين البشر[٢].

٢ - فيه ما يدل على اجتماعية اللغة العربية.

٣ - كثرة استخدامه في القرآن الكريم، وكثرة استخدامه بين البشر تدل على أهميته.

٤ - إن النداء هو من أنواع الخطاب القرآني المباشر، وإن التعرف على أساليب الخطاب القرآني المباشر تعرف على أرقى أنواع الخطاب مع الآخر. وفيه: التنوع والتلوين والتعليم والتوجيه والإرشاد والتحذير والترغيب والترهيب للمكلف وأيضا فيه: ما فيه من الإعجاز والتناسق والتوافق التام مع المقام ومقتضى الحال.

* * *

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٣- ٣٢٥)، وانظر: الكشاف (١/٢٢٦).

(٢) انظر: أهميَّة النِّداء في الخطاب في مقدِّمة هذا الفصل..وقد سبق بيان المقاصد من النِّداء عقب كلِّ صيغة من الصِّيغ في مواضع متفرِّقة من موضوع البحث، وسيأتي ذكرها إجمالا في الخاتمة العامَّة مندرجة ضمن مقاصد الخطاب العامَّة. . .

الخاتمةُ العامَّة

وتتضمَّن :

المقاصد العامَّة من الخطاب
و
نتائج البحث والدِّراسة

يتبيَّن ممَّا سبق من بيانٍ لأساليب الخطاب القرآني أنَّه خطابٌ يخاطبُ النَّفس البشريَّة من كلِّ مداخلها، يخاطب الإنسان ويكرِّمه، ففيه: الأمر والنَّهي والاستفهام والعرض والتَّمني والنِّداء والتَّرجي والتَّمني والنَّفي..إلخ. وفيه: التَّوجيهُ والتَّعليمُ والتَّشخيصُ والقصَّةُ والعبرةُ، والآيةُ الكونيةُ والحجَّةُ والدَّليلُ والإقناعُ والإعجازُ..يدخلُ قلبَ المؤمن حتَّى يتمكَّن منه فيزيده إيمانًا وطاعة. كما يتبيَّنُ أنَّ الأسلوبَ القرآني المباشرَ يتميَّز بأنَّه عميقُ التَّأثير، يلامسُ الأحاسيسَ الإنسانيَّة، ويثيرُ الأفكارَ العقليَّة، فيؤسِّسُ فيها القناعة..

كما أنَّه يتلاءمُ مع الواقع، حيثُ يتنوَّعُ الخطاب من حيثُ النُّـزول، ويتدرَّج في تشريعه الأحكامَ للمكلَّفين بما يتلاءم مع حالهم واستجابتهم، فإنَّ وجوه المخاطَبات فيها: التَّوافق التَّامُّ مع المقام ومقتضى الحال، كما في الخطابِ المكيِّ والخطاب المدنيِّ، وكما في خطاب أهل الكتاب..إلى غير ذلك..

ولا يحتاجُ المرءُ لكثيرِ تدبُّرٍ ليلحظَ ذلك التَّنوع. وقد تبيَّنَ من دراسةِ هذه النُّصوصِ أنَّ هذا التَّنوعَ لا يجري عبثًا، بل إنَّه يأتي دائمًا بحيثُ يعبِّرُ بأقصى درجاتِ الدِّقةِ، وبحساسيَّةٍ بالغَةٍ عن تغيُّر المعنى المراد تبعًا للمواقفِ والموضوعات والمخاطَبين، وبما يليقُ بجلالِ ربوبيَّة الله ﷻ، وبما يناسبُ قدر المخاطِب ﷻ -بكسر الطاء المهملة- أو المخاطَبين المكلفين. كما أنَّ التَّنوعَ يتلاءمُ مع مقتضياتِ المعاني والألفاظ، ومع طبيعةِ المخاطَبين، ومكانة المخاطِب -بكسر الطاء

المهملة-.

فمن ذلك مثلًا: ما سبق من الخطاب المباشر من الله ﷻ بضميرِ المتكلِّم (نحن)، أو (أنا)، أو ضمائر المتكلِّم، كنون الفعل (نفعل)، وكالألف الليِّنة (نا)، أو الياء (ني) -كلاهما ضميران للمتكلِّم- الفاعل، أو المضاف إليه، ولا يكون الخطاب بهذه الصِّيغ إلا تعبيرًا عن جلال الرِّبوبيَّة:

- **وهو يأتي إمَّا لتقريرِ نِعَمِ الله ﷻ على خلقه -كما في الآيات التَّالية-:**

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١]..

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ٧].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٢٠].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦].

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٩].

- **وإمَّا لبيان أنَّ المخاطَب ينبغي أن يقابل النِّعمة بشكر المنعم ﷻ على نعمه:**

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

- **ويأتي الخطابُ لبيانِ القضاءِ المبرم:**

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر: ٦٦].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: ٤].

- **أو الحكمِ القَاطع:**

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

- **أو الوعدِ النَّافذ:**

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

● **أو الوعيدِ المنذِر:**

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦]، أو القدرة المطلقة في الخلق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠]، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ [يس: ١٢]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ [ق: ٤٣].

أمَّا ذكر الله ﷻ باسم الجلالة، أو بصفاته، أو بضمير الغائب (هو)، فإنَّ ذلك في مجالاتِ الوصفِ والتَّعريف، والإخبار عنه والتَّذكير به، وما إلى ذلك.

ومثال ذلك قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ١ - ٤]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

وفي هذه الأمثلة، وغيرها من المواضع الَّتي يذكر فيها الله ﷻ بصيغ الغَيْبَة، والَّتي فيها: التَّعبير والإشعار أيَّما إشعار بجلالِ الرُّبوبيَّة.

وفي ذلك ما يدلُّ على البون الشَّاسع بين مستوى وأسلوب

المخاطِب ﷻ في الخطاب، وبين طريقة وأسلوب المخاطَبين المكلفين.

والنُّصوص في القرآن الكريم تقفُ عندَ الثَّوابتِ والقواعد والكليَّات، وتتركُ التَّجديدَ ومواكبَةَ العصورِ للفقهِ الإسلاميِّ -الَّذي هو علم الفروع-، وللإعجاز بألوانه المختلفة والمتجدِّدة. . .وفي ذلك ما يدلُّ على مرونة ألفاظ الخطاب، وذلك بما يتلاءم مع تجدُّد الزَّمان. .، واختلاف الواقع .

وبعد ذلك العرض والتَّحليل لصيغِ الخطابِ القرآنيِّ، وبيان الأهدافِ والمقاصد لكلِّ صيغة، ولكلِّ مبحثٍ وفصلٍ. .أشيرُ هنا إلى إجمال مقاصد الخطاب العامَّة في الجملة:

أ. التَّذكيرُ بآلاءِ اللهِ ﷻ ونعمِه، وتكريمه للإنسان:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٥-١٨].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠] .

ب. التَّذكيرُ بقدرةِ اللهِ ﷻ، ومدى حاجةِ المخاطَب إلى الرُّجوع إليه:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٧].

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

ج. بيانُ أهميَّةِ الإيمانِ بالغيب، والإيمانِ باليوم الآخر والجزاء:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢- ٣].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧].

د. بيانُ دور الرَّسول ﷺ (المبلِّغ) وصلته بالمخاطَبين:

﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٦٧] .

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَـذِيرٗا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥].

هـ. ما كانَ تثبيتًا للرَّسول ﷺ وشدًّا لأزره، وتسليةً له:

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٣-٨].

و. ما كان من الخطاب تشريفًا له وتكريمًا:

﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡـنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡـنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١﴾ [النساء: ٤١].

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ز. ما كانَ من الخطابِ تذكيرًا بنعم الله ﷻ على رسوله ﷺ:

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ١- ٤].

ح. ما كانَ من الخطابِ أمرًا إلى الرَّسول ﷺ خاصًّا به:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾ [التحريم: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل: ١- ٢].

ط. ما كانَ من الخطابِ إلى المؤمنينَ من خلاله ﷺ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

ك. ما كانَ من الخطابِ جوابًا لسؤال المؤمنينَ أو غيرهم:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٨٩].

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وانظر الآيات التَّالية: [البقرة: ٢١٧، ٢١٩]، [المائدة: ٤]، [الأعراف: ١٨٧]، [الأنفال: ١]، [النَّازعات: ٤٢].

ل. ما كانَ من الخطابِ تسجيلاً وتذكيرًا لأحداث:

﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾ [آل عمران: ١٢١].

م. ما كانَ من الخطابِ كشفًا لضلالِ الكافرينَ أو المنافقينَ ومكرهم:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤١- ١٤٢].

وإنَّ (سورة التَّوبة) تسمَّى: (الفاضحة)؛ لأنَّها فضحت المنافقين[1].

---

(١) ولذلك قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «كنَّا نسمِّي (سورة التَّوبة): سورة الفاضحة». ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٠٥] فلا حاجة لبيان أنَّها نزلت لما أظهر بعض

وانظر الآيات من (سورة المنافقون) من الآية: (١) إلى الآية: (٨).

ن. ما كان من الخطاب ردًّا على أباطيل:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧].

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٥ - ٧٦].

ص. ما كانَ من الخطابِ توجيهًا أو إرشادًا لأسلوب التَّعامل معهم:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١].

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

وفي هذه المواضع كلِّها ما يُبْرِزُ دورَ الرَّسول ﷺ، وموقفه من الخطاب القرآني، في أنَّه لا يخرج عن كونه متلقِّيًا للوحي، مستقلًّا عن

اليهود مودَّة المؤمنين. التَّحرير والتَّنوير (١/ ٤٨-٤٩)، وانظر: (١٠/ ٩٥-٩٦)، (١٠/ ٢٤٩)، (٢٨/ ١٢٩)، القرطبي (٨/ ٦١)، (٨/ ١٩٦)، الدُّر المنثور (٤/ ١٢٠-١٢١)، (٤/ ٢٢٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩)، الكشف والبيان (٥/ ٦٤)... إلخ.

مصدره، مبلِّغًا له بحذافيره لا يزيد فيه ولا ينقص.

وممَّا ينبغي التَّنبه له أنَّ سائر أنواع الكلام الَّتي لا تتعلَّق بمبحثنا هذا، من سردٍ للقصص والأخبار، ومن بيانٍ لحقائقَ وآياتٍ، ولحِكَم وأحكامٍ، ووعدٍ ووعيدٍ وما إلى ذلك في سائر أساليب النَّص القرآني، فإنَّ القارئ المنصف، والمتتبِّع لهذا التَّنوع -ليس في أساليب الخطاب المباشر فحسب- يعلم أن مصدره خارجٌ مستقلٌّ عن ذاتِ الرَّسول المبلِّغ ﷺ. وخارج مستقلٌّ عن كلِّ المخاطَبين. كما أنه خطابٌ جليلٌ يوجِّه الخطاب دومًا بما يناسب قدره وجلاله، وينأى به عمَّا لا يليق به، كما أنَّه حكيمٌ عليمٌ بطبيعة المخاطَبين وحالهم، وبالخطاب الأمثل لهدايتهم والتَّأثير عليهم .

كما أنَّ الخطاب القرآني معجزةُ المعجزات، اجتمعت فيه أقصى درجات الجمال والسُّمو والكمال، بحيث تعجز عقول البشر -أفرادًا أو مجتمعين- عن الإتيان بمثله، أو الوفاء بأيٍّ من شتَّى جوانب إعجازه، فضلا عن الوفاء بها مجتمعة - وقد تقرَّر ذلك فيما سبق من (خطاب التَّحدِّي والتَّعجيز)[1].

كما أنَّ شأن الرَّسول الكريم ﷺ مع الوحي لا يتجاوز شأن المتلقِّي المترقِّب، والمبلِّغ الأمين حرفا بحرف، وآية بآية...

وذلك كلُّه يؤكِّد بأنَّ هذا الخطاب القرآني وإدارته بهذه الدِّقة

---

(١) انظر: (خطاب التَّحدِّي والتَّعجيز).

والبراعة، والَّتي ما بعدها دقة أو براعة، إنما ينبع من خارج الرَّسول ﷺ المبلِّغ الأمين، من مصدر عليم فوق كلِّ البشر، من العليم الحكيم- سبحانه وتعالى..

ولا يحتاج قارئ القرآن لأكثر من التَّمهل والانتباه، وقليل من التَّدبر لمسار الخطاب وتغيُّره من موضع لآخر، حتَّى يدرك ويلحَّ عليه اليقين أنَّ هذا النَّص إنَّما هو كلام الله ﷻ إلى كلِّ خلقه، يعلن فيه عن نفسه، ويتجلَّى بشتَّى أساليب الخطاب مخاطبًا الرَّسول ﷺ، ومخاطبًا فئاتٍ من النَّاس، ومخاطبًا النَّاس جميعًا؛ إذ ليس في مقدورِ بشرٍ أن يتصنَّع كلامًا بهذا الطُّول، وبهذا التَّنوع في السِّياق، وتوجيه الخطاب، والالتفات المتكرِّر، وبما يأتي على أتمِّ وجه من التَّوافق مع الموضوع، وحال المخاطَبين، وبما له أعظمُ التَّأثير في نفوسهم كما في القرآن..وعلى المستوى نفسه من البلاغة والبراعة.

فالقرآن كلُّه معجز..وما سبق بيانه أساليب الخطاب من أقوى وجوه الإعجاز؛ لأنَّه يتعلَّق باستحالة أن يصطنع بشرٌ كلامًا يوجِّه فيه الخطاب بحيث يتقمَّص فيه دور الله ﷻ وجلاله؛ إذ ليسَ في مقدورِ بشرٍ أن يتجاوزَ بفكره وإدراكه حدودَ أفكاره الخاصَّة، وقيود مشاعره الذَّاتيَّة. وهذا من التَّحدِّي القائم إلى قيام السَّاعة، ونتيجته معروفة مسبقًا، وثابتة بشهادة التَّاريخ، وبما هو واقع مدرك من طبائع البشر وقدراتهم النَّفسيَّة واللُّغويَّة.

وقد أجمل العزُّ بن عبد السَّلام -رحمه الله- (المقاصد العامَّة للخطاب)[١]، فقال: «وعلى الجملةِ فمقاصدُ القرآن أنواع:

أحدُها: الطَّلب، وهو أربعةُ أضرب.

النَّوعُ الثَّاني: الإذنُ والإطلاق.

النَّوعُ الثَّالث: النِّداءُ، والنِّداء تنبيه للمنادَى؛ ليسمع ما يلقى إليه بعد النِّداء من الكلام؛ ليعمل بمقتضاه، ولذلكَ كثر النِّداء في القرآن.

أمَّا وصف المنادَى[٢] فأربعة أقسام:

أحدُها: ما لا حثَّ فيه، كقوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١].

الثَّاني: فيه حثٌّ، كالوصف بالإيمان، وله فائدتان:

إحداهما: الحثُّ على ما يأمر به وينهى عنه بعد النِّداء؛ فإنَّ الإيمان موجب للطَّاعة والإذعان.

الفائدة الثَّانية: إكرامُ المؤمنينَ بندائهم بأشرف أوصافهم وأحبِّها، فيحثُّهم ذلك الإكرام على لزوم الطَّاعة والإذعان.

القسمُ الثَّالث: نداءُ النَّبي ﷺ بالنُّبوة. وفيه: فائدة التَّفخيم والإكرام والحثِّ على الطَّاعة والإذعان؛ شكرًا لنعمة النُّبوة.

القسم الرَّابع : النِّداءُ بالرِّسالة، وفيه الفائدتان المذكورتان في النِّداء بالنُّبوَّة، مع التَّأكيد بذكر الرِّسالة، وهي من النِّعمِ الجسام؛ لأنَّها تستلزم

---

(١) قد سبق بيان المقاصد من الخطاب في مواضع متفرِّقة من موضوع البحث، وإنما تذكر هنا إجمالاً. .

(٢) ولا أتعرَّض هنا لما ولي المنادَى، وإنما للمنادَى فحسب إجمالاً. . .

النُّبوَّة، وتحثُّ على تبليغِ الرِّسالة، فما أحسن قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

النَّوعُ الرَّابع: مدحُ الأفعالِ.

النَّوعُ الخامس: مدحُ الفاعلينَ لأجل الفعل الَّذي وُصفوا به.

النَّوعُ السَّادس: ذمُّ الأفعال.

النَّوعُ السَّابع : ذمُّ الفاعلينَ؛ لأجلِ الفعل الَّذي وُصفوا به.

النَّوعُ الثَّامن: الوعدُ بالخيرِ العاجل.

النَّوعُ التَّاسع: الوعدُ بالخيرِ الآجل.

النَّوع العاشر: الوعيدُ بالشَّرِّ العاجل.

النَّوعُ الحادي عشر: الوعيدُ بالشَّرِّ الآجل.

وكلُّ هذه الأخبار تابعةٌ للأحكام مؤكِّدة لها، إمَّا بالتَّرغيب فيها إن كانت قربة، أو بالتَّرهيب منها إن كانت معصية.

النَّوع الثَّاني عشر: الأمثالُ، وهي مؤكِّدة للأحكامِ ترغيبًا أو ترهيبًا أو تقبيحًا أو تحسينًا.

النَّوعُ الثَّالث عشر: التَّكرار، وهو دالٌّ على الاعتناءِ والاهتمامِ بالمكرَّر»[١].

كما أنَّنا نلحظُ أنَّ الخطابَ القرآنيَّ إمَّا أن يرويَ أحداثًا، أو يصفَ نفوسًا، أو يصفَ أفعالًا، أو يقرِّر حقائقَ، أو يثبتَ قواعد دنيويَّة أو

(١) الإشارةُ إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعزِّ بن عبد السَّلام (ص: ٢١٧-٢١٨)، وانظر: تفسير القاسمي (١/ ١٥٧-١٥٨)، الإقناع بين طريقة القرآن وعرض المفسِّر (ص: ٣٠٢) .

أخرويَّة، أو يقرِّر أحكامًا، أو يشيرَ إلى معارف ومفاهيم..كما أنَّ فيه: أنموذجًا بديعًا من البيان الَّذي يُفهم المخَاطَب كيفية توجيه الخطاب إلى المخاطِب بالطَّريقة التي ترضيه .

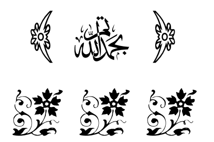
وإنَّ له من الأثرِ ما ينعكسُ على مخاطباتِ المكلَّف لأبناء جنسه..

وقد بيَّنتُ المقاصد والحِكَم والأثر لكلِّ لون من ألوان الخطاب كلٌّ في موضعه، وفي خاتمة كلِّ فصلٍ ومبحث..ووضعتُ مصطلحات يميِّزُ الباحث من خلالها ما له صلة بمحور البحث، وكانت العناية بإبراز وجه المناسبة بين السَّابق واللاحق، وأن يكون المنهج فريدًا ومتميِّزًا.

ويتبيَّنُ ممَّا سبق أنَّ الله ﷻ لا يخاطب المكلَّفين إلَّا بالموضوعات الَّتي فيها السَّعادة والمصلحة لهم، ولا يخاطبهم إلَّا بما يدخل في وسعهم وطاقتهم، وأنَّ المشقَّةَ تجلبُ التَّيسير.

وفي الختام لعلِّي أكونُ من خلالِ هذا البحث التَّفصيليِّ قد أجبت عن التَّساؤلات الَّتي قد أثرتها في (مشكلة الدِّراسة) سائلًا المولى ﷻ أن يجعلَ هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ، إلَّا من أتى الله ﷻ بقلبٍ سليم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .



فهرس الموضوعات التفصيلي

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المجلد الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
- ١٢- يَا بُنَيَّ..	١٢٥٠
- أ. المواضع الَّتي وردت فيها هذه الصِّيغة...	١٢٥٠
- ب. القراءات..	١٢٥١
- ج. ما يستفاد من النِّداءات بهذه الصِّيغة..	١٢٥٤
- ١٣- يَا أَبَتِ...	١٢٥٨
- أ. المواضع الَّتي وردت فيها هذه الصِّيغة.	١٢٥٨
- ب. القراءات..	١٢٥٨
- ج. إجمال الإعراب....	١٢٦٠
- ١٤ - يَا أَبَانَا....	١٢٦١
- أ. المواضع الَّتي وردت فيها هذه الصِّيغة.	١٢٦١
- ب. ما يستفاد من النِّداء بهذه الصِّيغة...	١٢٦١
- ١٥- يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ	١٢٦٢
- أ. المواضع الَّتي وردت فيها هذه الصِّيغة..	١٢٦٢
- ب. سبب المناداة هنا بعنوان الصُّحبة..	١٢٦٣
- ج. سبب التَّعيين...	١٢٦٤
- د. حقيقة الصَّاحب..	١٢٦٥
- هـ. ومن الدُّروس المستفادة...	١٢٦٥
- ١٦- يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ...	١٢٦٨
- أ. الموضع الَّذي وردت فيها هذه الصِّيغة.	١٢٦٨
- ب. بيان المعنى.	١٢٦٨
- ج. نداء الأسف على سبيل المجاز.	١٢٦٩
- د. تجنيس التَّصريف.	١٢٧٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المؤلف في سطور

الدكتور عبد القادر محمد المعتصم دهمان
الباحث في إدارة الفروانية

- من مواليد مدينة حمص [١٩٧٢م] في سوريا.

المؤهل والخبرات

- حاصل على شهادة المعهد العلمي الشَّرعي التابع لجمعيَّة العلماء في مدينة (حمص) بتاريخ (١٥/ ١٢/ ١٤١٣هـ)، بتقدير: (امتياز).
- حاصل على شهادة الثَّانوية الأزهريَّة (القسم الأدبي) من (القاهرة).
- حاصل على درجة الإجازة العالية (الليسانس) من كليَّة أصول الدين بجامعة الأزهر في (القاهرة)، بتاريخ (٢) من ربيع الآخر [١٤١٨هـ]، (٦/ أغسطس/ ١٩٩٧م) بتقدير: جيد جدًّا.
- حاصل على الدكتوراه، بعد مناقشة رسالة بعنوان: (أساليب الخطاب في القرآن الكريم). دراسة تحليلية شاملة لأساليب الخطاب والطلب في القرآن الكريم. تنوع أساليب الخطاب وأساليب الإنشاء الطلبي في القرآن الكريم (الأمر والنهي والاستفهام والسؤال والدُّعاء والتَّمني والتَّرجِّي والعرض والتَّحضيض والنداء)، إشراف: الأستاذ الدكتور

محمود عبود هرموش، والأستاذ الدكتور عبد الله سلقيني، وذلك يوم السبت الواقع في (٣٠/ ٠٧/ ٢٠١١) الموافق (٢٩ / شعبان/ ١٤٣٢هـ).

- عمل إمامًا وخطيبًا ومدرِّسًا في (سوريا)، وكذلك في (الكويت) ولا يزال.
- عمل مُوَجِّهًا فنيًّا في المراقبة الثَّقافية في وزارة الأوقاف إدارة مساجد محافظة (الفروانيَّة)، ثمَّ باحثًا شرعيًّا وإمامًا وخطيبًا في محافظة (الفروانيَّة) ولا يزال.

كتب للمؤلف

١ - الإرشادات المنهجية إلى تفسير الآيات الكونية (إضاءات على تعريف التفسير العلمي وضوابطه، ومبادئه العشرة).

٢- المحبة صورها وأحكامها، إدارة مساجد محافظة الفروانية.

٣- عقبات في طريق الهداية.

٤- وسائل الإقناع في القرآن، دار الفتح، الأردن.

٥- أخطاء تهدد الأسرة، إدارة الفروانية.

● **المشاركة في تحقيق ودراسة وشرح الكتب التالية:**

١ - ثلاث رسائل في الفقه، للعلامة حسن الشرنبلالي المتوفى سنة [١٠٦٩هـ] :

أ- دُرُّ الكُنوز

ب- سعادةُ الماجدِ بعمارةِ المساجد

ج- إتحاف ذوي الإتقان بحكم الرهان، دار الضياء، الكويت.

٢ - سبيل الوصول إلى عنوان الأصول (في الأصول)، وهو شرح وتحقيق ودراسة لعنوان الأصول في أصول الفقه، لأبي حامد المطرزي، دار الضياء، الكويت.

٣ - تنوير المستبصر الفائز ببيان أحكام الجنائز، شرح وتحقيق كتاب الجنائز للفقير إلى رحمة ربِّه العلي إبراهيم بن يوسف البولوي، توفي سنه [١٠٤١هـ].

٤ - إتحاف المهتدين بمناقب أئمَّة الدِّين مختصر (تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمَّة المجتهدين للعلَّامة الشيخ مرعي الحنبلي)، للعلامة الشيخ أحمد الدمنهوري المتوفى سنة [١١٠١هـ]، دار الضياء، الكويت.

٥ - تحقيق ودراسة وشرح منظومتي الشهداء (أ. داعي الهدى بشرح منظومة الشهدا، للإمام أحمد بن عبد الرَّزاق المغربي الرَّشيدي. وشرح منظومة الشهداء، للإمام علي بن محمَّد الأجهوري)، الطبعة الأولى، دار الضياء، الكويت [١٤٣٤هـ] .

٦ - تحقيق ودراسة رسالتان في الأصول، لإسماعيل بن غنيم الجوهري المتوفى سنة [١١٦٥ هـ]:

أ- رسالة في جواز النسخ.

ب- الكلم الجوامع في مسألة الأصولي لجمع الجوامع، الطبعة الأولى، دار الضياء، الكويت [١٤٣٤هـ].

٧ - دراسة وتحقيق (سورة الفاتحة) من التيسير في التفسير المسمى ببحر علوم التفسير، لنجم الدين عمر بن محمد النسفي [٥٣٧هـ].

٨ - (حاشية على إتمام الدارية لقراء النقاية)، مع دراسة وتحقيق ومقابلة، وإتمام الدراية شرح نقاية العلوم، وهي خُلاصَةٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عِلْمًا، للإمام جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة [٩١١هـ]

قائمة إصدارات

الوعي الإسلامي

- القدس في القلب والذاكرة
- حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية
- المجموعة القصصية للأطفال (الأولى)
- الحوار مع الآخر المنطلقات والضوابط
- النقد الذاتي رؤية نقدية إسلامية
- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح
- الحج ولادة جديدة
- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد
- لا إنكار في مسائل الاجتهاد
- المجموعة الشعرية للأطفال
- التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط
- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي
- مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام
- موسوعة الأعمال الكاملة الخضر حسين
- علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي
- براعم الإيمان نموذج رائد في صحافة الأطفال
- الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره
- الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام
- الحوالة
- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف فيها عن الإمام مالك بن أنس
- الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي
- الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة
- التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد
- فقه المريض في الصيام
- القسمة
- أصول الفقة عند الصحابة- معالم في المنهج
- السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد في أحاديث العبادات
- لطائف الأدب في استهلال الخطب
- نظرات في أصول البيوع الممنوعة
- الإعلاء الإسلامي للعقل البشري
- ديوان شعراء الوعي الإسلامي
- ديوان خطب ابن نباتة
- الإظهار في مقام الإضمار
- مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم

- الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتابه تهذيب الكمال
- في رحاب آل البيت النبوي
- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية
- منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب
- معجم القواعد الفقهية ومصادرها
- كيف تغدو فصيحا
- موائد الحيس في فضائل امرؤ القيس
- إتحاف البرية فيما جد من المسائل الفقهية
- تبصرة القاصد على منظومة القواعد
- حقوق المطلقة في الشريعة الإسلامية
- اللغة العربية الفصحى
- المذهب عند - الحنفية - المالكية - الشافعية - الحنابلة
- منظومات أصول الفقه
- أجواء رمضانية
- المنهج التعليلي بالقواعد الفقهية عند الشافعية
- نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده
- دراسات وأبحاث نشرت في مجلة الوعي الإسلامي
- ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه
- التقصي لما في الموطأ من حديث النبي
- المجموعة القصصية للأطفال (الثانية)
- كراسة لون للأطفال
- موسوعة رمضان
- جهد المقل
- العذاق الحواني على رسالة القيرواني
- قواعد الإملاء
- العربية والتراث
- النسمات الندية في الشمائل المحمدية
- اهتمامات تربوية
- أثر الاحتساب في مكافحة الإرهاب
- القرائن وأثرها في علم الحديث
- جهود علماء الحديث في توثيق النصوص وضبطها
- سيرة حميدة ومنهج مبارك
- أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول
- نظام الوقف
- قراءة في دفتر قديم الأصمعيات
- قراءة أخرى في دفتر قديم الكامل
- الترجيح بين الأقيسة المتعارضة
- التلفيق وموقف الأصوليين منه
- التربية بين الدين وعلم النفس

- مختصر السيرة النبوية
- معجم الخطاب القرآني في الدعاء
- المسائل الطبية المعاصرة في باب الطهارة
- المسائل الفقهية المستجدة في النكاح
- دليل قواعد الإملاء
- علم المخطوط العربي
- التراث العربي
- من قضايا أصول النحو عند علماء أصول الفقه
- نهاية المرام في معرفة من سماه خير الأنام (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ١)
- الجزء المسلسل بالأولية والكلام عليه (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٢)
- مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٣)
- السراج الوهاج في ازدواج المعراج (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٤)
- الاستدراك (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٥)
- جواب العلامة السفاريني (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٦)
- مآخذ العلم (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٧)
- تحفة الأمين فيمن يقبل قوله بلا يمين (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٨)
- تلوين الخطاب
- التاريخ في الإسلام
- رسالة في الوقف
- أغاريد البراعم
- أخلاقنا الجميلة
- قصص للأطفال
- قواعد العدد والمعدود
- أسرار العربية
- علماؤنا وتراث الأمم، القوس العذراء وقراءة التراث
- المسائل الأصولية المستدل لها بقوله تعالى « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا »
- إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين
- الحسبة على المدن والعمران
- عبقرية التأليف
- الأمالي اللغوية في المجالس الكويتية
- التقريب والإرشاد
- سلسلة أشيائي «قصص للأطفال»
- حكايات لا تنسى مع ديمة
- علاج السمنة أحكامه وضوابطه
- المسجد الأقصى أربعون معلومة نجهلها
- تفسير عبدالله بن مسعود الهذلي جمعا وتحليلا
- الإرفاد لمن غدى على نظم قطر الندى
- القول المأثور في إحياء الصواب المهجور
- أساليب الخطاب في القرآن الكريم

